مجلة المدد

مجلة علمية محكمة نصف سنوية

تصدرها كلية العلوم الاجتماعية

العدد الثامن السنة الرابعة ديسمبر 2021م

مجلة المدد

مجلة علمية ثقافية مُحكمة نصف سنوية تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية، وتنشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف التخصصات العلمية. والدعوة للإسهام فيها مفتوحة للباحثين من سائر انحاء الوطن.

المشرف العام

د .الصادق امحمد السنوسي

رئيس التحرير

د .على لرحومة أبوبريق

مدير التحرير

أبوعجيلة سالم الزوام

رئيس لجنة البحوث

د .طارق ضو الشايبي

الهيئة الاستشارية

أ .د أحمد عطية امدلل

مجلة المدد

رقم الإيداع القانوني 2017/397 دار الكتب الوطنية - بنغازي

عنوان المجلة

كلية العلوم الاجتماعية - جامعة الزيتونة / ليبيا

هاتف: (0916466733 - 0945941057)

البريد الإلكتروني: (almadad.j2017@gmail.com) Email address:

Facebook: www.facebook.com/almadad.2017

- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمجلة المدد بكلية العلوم الاجتماعية / جامعة الزيتونة، ويسمح باستعمال ما يرد في هذه المجلة شرط الإشارة إلى مصدرها.
- البحث المنشـــور في المجلـــة يعبر عن رأي صاحبه، وهو المسؤول عنه أدبيا وقانونياً، ولا يمثل بالضرورة رأي المجلة، أو الجامعة.

قواعد ومعايير النشر

حرصاً من هيئة التحرير على استخدام الأسلوب العلمي في كتابة البحوث والدراسات التي تنشرها المجلة، وأخذاً إلى التيسير على الباحثين والقراء نأمل من الجميع الالتزام بالقواعد والمعايير التالية:

1. أن يكون البحث اصيلاً ومبتكراً ولم يسبق نشره في أي جهة أخرى, وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على الأصول العلمية والمنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث.
2. اللغة العربية هي اللغة الأساسية للمجلة، وترحب المجلة بنشر البحوث المكتوبة باللغة الأجنبية على أن يرفق لها ملخص باللغة العربية.
3. ان يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة, ومراعياً لقواعد ودقة الرسوم والأشكال (إن وجدت) ومطبوعا على ورق (A4) بنوع الخط (Simplified Arabic) وبحجم (14) للنص للبحوث العربية, ونوع خط (Times new roman) بحجم (12) للبحوث الانجليزية.
4. تدرج الهوامش بأرقام في نهاية البحث.
5. أن يكون البحث ملتزماً بدقة التوثيق, وحسن استخدام المصادر والمراجع, وتثبيت هوامش البحث ومراجعه في نهاية البحث على النحو التالي :
   - المصادر:

يثبت المصدر بذكر اسم المؤلف كاملاً, ثم يوضع تاريخ نشره بين حاصرتين (...), و يلي ذلك ذكر عنوان المصدر, متبوعاً باسم المحقق أو المترجم, ودار النشر ومكان النشر ورقم الصفحة.

   - المراجع :

عند استخدام المراجع يراعى ما يلي :

يتم كتابة اسم المؤلف كاملاً تم يوضع تاريخ النشر بين حاصرتين (...), يلي ذلك عنوان الكتاب وتحته خط, ويلي ذلك اسم دار النشر ، ومكان النشر ، ورقم الصفحة.

عند استخدام الدوريات (المجلات) بوصفها مراجع للبحث: يذكر اسم اصحاب المقالة كاملاً, ثم تاريخ النشر بين حاصرتين (...), ثم عنوان المقالة, ثم ذكر اسم المجلة وتحته خط, ثم رقم المجلد, ثم رقم العدد ورقم الصفحات.

6. أن تكون الجداول والأشكال مدرجة في أماكنها الصحيحة, وأن تشمل العناوين والبيانات الإيضاحية الضرورية, ويراعى أن لا تتجاوز حجم حيز الكتابة في صفحة (Microsoft Word).
7. يفضل ألا يزيد عدد صفحات البحث عن (25) صفحة.
8. توضع الآيات القرآنية بين قوسين زهراويين وفقاً لرسم المصحف الحاسوبي ، وتضبط الأحاديث وأبيات الشعر.

اجراءات النشر:

1. ترسل البحوث والدراسات وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة على العنوان التالي:

كلية العلوم الاجتماعية , جامعة الزيتونة .
هاتف: (0916466733 - 0945941057)
البريد الإلكتروني :(almadad.j2017@gmail.com)

2. ترسل نسخة من البحث مطبوعة (hard copy), شريطة أن تكون المادة مطبوعة بمسافات مضاعفة ونسخة محفوظة بقرص مدمج (CD) قابل للقراءة والكتابة, وذلك إلى عنوان المجلة أعلاها, أو تسلم إلى إدارة المجلـة, بحيث يظهر في غلاف البحث اسم الباحث ولقبه العلمي, ومكان عمله, وتخصصه.
3. يرفق ملخص للبحث المراد نشره في حدود (250 كلمة) باللغة العربية ، أو الإنجليزية حسب لغة البحث المقدم .
4. يرفق بالبحث موجز للسيرة الذاتية للباحث, متضمناً عنوان الباحث بالتفصيل, وأرقام هواتفه ، وبريده الإليكتروني, وجهة العمل لكي يسهل التواصل معه عند الضرورة.
5. في حالة قبوله مبدئياً, يعرض على مُحكّمين من ذوي الاختصاص في مجال البحث, ويتم اختيارهم بسرية تامة, ولا يُعرض عليهم اسم الباحث أو بياناته, وذلك لإبداء آرائهم حول مدى أصالة البحث, وقيمته العلمية , ومدى التزام الباحث بالمنهجية المتعارف عليها, ويُطلب من المُحكم تحديد مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة من عدمها, وتكون توصيات المُحكم ملزمة.
6. يُخطر الباحث بقرار صلاحية بحثه للنشر من عدمها خلال ثلاثة أشهر (على الأكثر) من تاريخ استلام البحث.
7. البحـوث المنشـورة في المجلــة تكــون ملكــاً لها بمجرد تسليمها ولا ترد أصولها إلى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.
8. تؤول جميع حقوق النشر للمجلة.

محتويات العدد

الموضوع	اسم الكاتب	رقم الصفحة
كلمة العدد	رئيس تحرير المجلة	8
البحوث والدراسات		
دراسة تقيميه لمستوى الأداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي	د. طارق ضو الشائبي د. عبد الجليل على الفقهي	9
النحو العربي بين التراث والحداثة	د. امحمد محمد امحمد	30
سيبويه والكتاب	د. إبراهيم خليفة الذوادي	38
مدى مواءمة مخرجات التعليم الجامعي لمتطلبات سوق العمل في ليبيا	د. عبدالله محمد عبدالله اشحيمه	48
الهجرة غير الشرعية عبر الأراضي الليبية الأسباب والمألات	د. أبوبكر عبد الدائم الديلي	63
دور الممارس العام للخدمة الاجتماعية في التعامل مع مشكلات المرأة العاملة المتزوجة	د. صلاح عبدالسلام الضعيف	73
أثر الخصائص السكانية على توزيع وتطور الخدمات الصحية بمدينة بنغازي	د. ابراهيم الهادي دخيل	86
حالة التصحر في ليبيا : أهم الأسباب وجهود المكافحة في ظل الحاجة إلى إدارة مستدامة للأراضي	د. حسين محمد الجديع د. عرفات المهدي قرينات د. علي منصور سعد	108
نظام تربية المماليك في الطباق تأسيسه وتطوره وانهياره	د. نعيمة عبدالسلام أبوشاقور	123
أحكام عقد التأجير التمويلي بين التشريعات الليبية والمجامع الفقهية	د. سليم عبد الدائم بشينة	142
دور الأخصائي الاجتماعي كعضو في الفريق الطبي للتخفيف من الآثار النفسية والاجتماعية الناجمة عن الاصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19"	د. عادل عبدالحفيظ الطيب أ. محمد جمعة غميض	150
الهوية الوطنية الليبية بين الماضي والحاضر	د. عبدالسلام محمد قويدر	168
أحكام تعطيل صلاة الجمعة والجماعة زمن الوباء	معمر بلعيد هيبلو أسامة موسى الهمص	184
الموارد الطبيعية اللازمة لتحقيق التنمية الاقتصادية بشمال غرب ليبيا وسبل تحقيق الاستدامة	د. معتوق علي عون د. عمار محمد الزليطني	195
مفهوم الهوية عند محمد أركون	د. علي خليفة أجويلي	215
دور ممارسة الكفاءة المهنية في تطوير أداء معلمي التربية الخاصة	د. نجاح محمد عبد الجليل أ. نجاة خليل بلحاج	228
العوامل الطبيعية وأثرها على موقع مدينة مسلاته دراسة في جغرافية المدن	فرج الجعراني عثمان أبراهيم صالح شلغوم	241
هل ما يوجد في القرآن الكريم فواصل أم أسجاع؟	د. سالم مفتاح علي امبارك	264
آفاق سيوسولوجية على متن مؤسسات المجتمع المدني	د. مجدي سالم سويسي	279

الموضوع	اسم الكاتب	رقم الصفحة
بعض الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع في مرحلة إعدادهم لرسائلهم العلمية	أ. لزم الشارف أحمد عمار	290
دور الارشاد النفسي في تنمية شخصية التلميذ	أ. بشير انمبروك عيسى اوشاح أ. خالد علي عمر	316
علاقات مملكة ديلمون التجارية مع بلاد النهرين من بداية الالف الثالثة إلى نهاية الألف الأول قبل الميلاد	د. سالمه خليفة سالم الزروق	329

كلمة العدد

بسم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا}

سورة النساء، الآية 112

التعليم رافعة التقدم في أي مجتمع، وهو أداة تنمية موارده وإمكاناته، وإن التقدم والتطور مرتبطان بتألق الجامعات والكليات وبعدد العلماء والباحثين لتلك المجتمعات، وإذا كانت إحدى أهم وأسمى وظائف الجامعة تتمثل في التدريس وتأهيل الخريجين لخدمة مختلف القطاعات في المجتمع فإن وظيفة البحث العلمي لا تقل أهمية كون الجامعات هي المسئول الرئيس عن نشر البحوث العلمية وتطويرها في مختلف العلوم.

ومن هنا تتشرف أسرة التحرير بأن تضع بين أيديكم العدد الثامن من مجلة المدد، وهي مجلة علمية ورقية والكترونيةّ محكمة نصف سنوية، تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية جامعة الزيتونة، وغايتها نشر الأبحاث المحكمة في مختلف العلوم والتخصصات، وتنشر بحوثها باللغات العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، كما تهدف المجلة إلى تفعيل البحث العلمي وإثراؤه في كافة المجالات إلى جانب الاهتمام بقضايا التنمية، علاوة على إتاحة الفرص للباحثين وبخاصةٍ أعضاء هيئة التدريس منهم لنشر بحوثهم ، ونتائج دراساتهم العلمية من أجل توسعة دائرة المعرفة لدى الباحثين، وصانعي القرارات ، ومحاولة خلق حوار علمي بنّاء بين الباحثين ، والمهتمين بالموضوعات المستجدة في كافة المجالات ذات العلاقة بالتخصصات العلمية بمختلف جامعات الوطن، واستعانت المجلة في سبيل تفعيل الأبحاث التي وصلتها وتحكيمها بنخبة من خيرة الأساتذة المختصين بمختلف الجامعات الوطنية.

ويطيب لأسرة التحرير أن تشكر جميع الباحثين الذين ساهموا في المشاركة بالبحوث في العدد الثامن، أو المراسلة لغرض الاشتراك والحصول على أعدادها الدورية، ونقدر الجهود المبذولة من طرف الجامعة لجعل المجلة تبدأ مزاولة نشاطها. كما يسعد كافة أعضاء هيئة التحرير أن تعرب لكم عن استعدادها لتقبل أي مقترحات، أو أفكار على أعداد المجلة، أو البحوث التي تنشر فيها. وهذه المقترحات والمداخلات سوف تؤخذ بعين الاعتبار وسيتم نشرها، أو التعقيب عليها إليكترونياً في العدد التالي لورودها.

نحن نتطلع لإسهاماتكم الجادة والفاعلة في تعزيز الجهود التي يطمح لها أعضاء هيئة تحرير المجلة، وتطمح لها الجامعة وخاصة فيما يخص نشر البحوث العلمية الرصينة في كافة مجالات العلوم.

نسأل الله أن يبارك عملنا وأن يوفقنا في آداء رسالتنا وتحقيق مبتغانا، والله من وراء القصد، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

د. علي أبوبريق
رئيس التحرير

دراسة تقيميه لمستوى الأداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي

د. طارق ضو الشائبي
قسم الخدمة الاجتماعية
كلية العلوم الاجتماعية / جامعة الزيتونة

د. عبد الجليل على الفقهي
قسم الخدمة الاجتماعية
كلية التربية زوارة / جامعة الزاوية

المقدمـة

تعمل الخدمة الاجتماعية كمهنة إنسانية مع الإنسان ومع الجماعات والمجتمعات التي ينتمي إليها في كل مكان وزمان بقصد تمكينه من أن يحيا مواطناً صالحاً قادراً على البناء الاجتماعي ، فهي تعمل على تنشئة المواطن تنشئة اجتماعية سليمة من طفولته وخلال حياته إلى شيخوخته ، لذلك فهي تعمل معه في كافة ميادين الحياة في الأسرة ، والمدرسة ، والجامعة ، والقرية ، والمصنع ، والمستشفى إلى التنظيمات الإنسانية وفى كل مكان.

مشكلة البحث

يعد المجال الطبي أحد مجالات الممارسة في مهنة الخدمة الاجتماعية فهي تعمل في نطاق المستشفيات من خلال العلاقة بين الأخصائي الاجتماعي والطبيب وهيئه التمريض بهدف العمل على مساعدة المريض على الاستفادة الكاملة من العلاج المقدم له من ناحية، ومن ناحية أخري مساعدته على علاج مشكلاته والتكيف مع بيئته الاجتماعية بعد خروجه من المستشفى. [1]

ومن تم فهذه الممارسات تتخذ طابعا إنسانيا بالدرجة الأولى وتحظى باهتمام كافة المتخصصين في هذا المجال نظراً للأدوار التي يقوم بها الممارس المهني والتي تكمل الأدوار الأخرى التي يمارسها المتخصصون الآخرون في المستشفى ، كما أنها جزءاً هاماً من الخدمات الاجتماعية التي تشكل إطاراً من الأهداف التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها تأسيساً على مفاهيم التكافل والتضامن الاجتماعي والمساندة الإنسانية بطابعها الاجتماعي النفسي للمرضى بكافة أنواعها لكي يسهم في نجاح خطة العلاج المتكاملة لهم (طبيا – نفسياً – اجتماعيا) ، ومما لاشك فيه أن دور الأخصائي الاجتماعي في المجال الطبي يُعد دوراً مهما ومؤثراً وضروريا في إطار النهوض بالخدمات الطبية المقدمة لأفراد المجتمع ، ومعالجة كثير من المشكلات التي تحدث وتقع في المؤسسة الطبية .

وترجع أهمية دور الأخصائي الاجتماعي الطبي في العمل الفريقي بالمجال الطبي باعتبار أن مشكلات المريض وأحواله الصحية والاجتماعية متداخلة وهذا ما يؤدى إلي ارتباط عمل الطبيب والأخصائي الاجتماعي الطبي جنب إلي جنب لتنفيذ الخطة الموضوعة لصالح المريض والتي تهدف إلي شفاؤه، خاصة وان الخدمات التي يقدمها الأخصائيون الاجتماعيون تعتبر جزء مكمل للخدمات الأخرى بالمؤسسات الصحية المتخصصة [2]، ومن هذا المنطلق يأتي هذا البحث لتسليط الضوء على تقييم مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي في المجال الطبي.

1 - زينب معوض الباهي ، الخدمة الاجتماعية في المجال الطبي والنفسي ، الفيوم ، مكتبه الصفوة للنشر والتوزيع ، 1999 ، ص 206
2 - ماهر أبو المعاطى على ، الخدمة الاجتماعية في مجال الفئات الخاصة مع نماذج من رعايتهم في الدول العربية الخليجية ، سلسلة مجالات وطرق الخدمة الاجتماعية ، الكتاب الثالث والعشرون ، مكتبة زهراء الشرق ، 2002 ، ص 40

أهمية البحث

1. الاهتمام بمستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بما يساعد المؤسسات الطبية على أداء عملها على أفضل وجه.
2. إفادة المهتمين في مجال الخدمة الاجتماعية في المستشفيات عن طبيعة ممارسة الخدمة الاجتماعية الطبية في هذا القطاع الطبي.
3. قد تدفع نتائج البحث وتوصياته المسؤولين إلى تطوير دور الخدمة الاجتماعية الطبية في مختلف المؤسسات الطبية العامة والخاصة.

أهداف البحث

1. التعرف على المستوى العام للآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي بحسب وجهة نظر أفراد عينة البحث.
2. التعرف على مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي مع نسق المرضى.
3. التعرف على مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي مع نسق الفريق الطبي.
4. التعرف على مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي مع نسق المجتمع المحلى.
5. التعرف على المعوقات والمشكلات التي تواجه الاخصائي الاجتماعي في المجال الطبي

تساؤلات البحث

1. ما المستوى العام للآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي بحسب وجهة نظر أفراد عينة البحث؟
2. ما مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي مع نسق المرضى ؟
3. ما مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي مع نسق الفريق الطبي ؟
4. ما مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي مع نسق المجتمع المحلى؟
5. ماهي المعوقات والمشكلات التي تواجه الاخصائي الاجتماعي في المجال الطبي ؟

المفاهيم والمصطلحات المستخدمة

1. التقييم

يعرف بأنه عملية هادفة لقياس كفاءة العمل، وكم ومقدار ما تم تحقيقه من أهداف وإبراز نواحي الضعف والقصور للاستفادة منها في تطوير العمل والارتقاء به بالمجتمع. [1]

1 - هشام سيد عبد الحميد، التدخل المهني مع الافراد والاسر في اطار الخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2008م ، ص25 .

2. الأداء المهني للأخصائي الاجتماعي

يعرف على أنه قدرة الأخصائيين الاجتماعيين على تنفيذ مهام وتكليفات عملهم المهني بأعلى معدلات وإنجاز وأقل توقيت زمني معتمدين في ذلك على ما لديهم من مهارات وما يبذلونه من جهد وظروف عمل مهنية سواء داخل، أو خارج المؤسسات وتعلم مستمر من خلال ظروف تدريبية حديثة. [1]

3. الاخصائي الاجتماعي الطبي

يعرفه **متولي** بأنه " الشخص المعد إعدادا مهنياً، والذي يجب أن تتوفر فيه شروط ومواصفات معينة تؤهله للقيام بعمله في المجال الطبي، وبما يميزه عن العاملين في الحقل الاجتماعي " [2] .

ويعرف الأخصائي الاجتماعي الطبي بأنه " هو المتخصص الحاصل على مؤهل عالي من إحدى الكليات والمعاهد العليا المتخصصة في الخدمة الاجتماعية والذي أعد لهذا العمل نظريا، والمدرب تدريبا عمليا على أساليب الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية في المؤسسات الطبية، بحيث يصبح قادرا على ممارسة عمله ضمن الفريق الطبي بهذه المؤسسة سواء كانت علاجية أو وقائية أو إنشائيـة [3]

4. المستشفى

يعرف المستشفى بأنه المكان الذي يتم فيه علاج الأفراد الذين يعانون من مرض معين والذين يأتون إليه من أجل الحصول على تشخيص وعلاج لاحق لحالتهم.

الدراسات السابقة

توفر الدراسات السابقة الإجابات العلمية لبعض الأسئلة التي تعد أساسية في وضع الدراسات في مكانها الملائم وتوفر إمكانية توجيه جهوده العلمية بالبدء من حيث انتهي منه غيره، من خلال تحديد ما تم بحثه ومالم يبحث بعد، من جوانب مشكلة الدراسة، فهي تساعده وتمهد له الطريق لإجراء بحثه [4] ، وفي هذا السياق تناولت العديد من الدراسات علي مختلف مستوياتها دور الاخصائي الاجتماعي في المجال الطبي **ومن هذه الدراسات :**

1. **دراسة عبد العال 2010 م،** هدفت إلي تقويم الممارسة المهنية للأخصائيين الاجتماعيين العاملين في مجال الإدمان، وتوصلت إلي الكشف عن ضعف مستوى الأخصائيين الاجتماعيين أثناء ممارساتهم المهنية في مجال عملهم بمراكز الادمان [5]
2. دراسة الفهيدى 2012م هدفت الدراسة إلى تقييم الخدمة الاجتماعية الطبية في الرعاية الصحية الأولية، وجاءت النتائج مبينة أن أدوار الاخصائيين الاجتماعيين يغلب عليها الطابع الإداري أكثر من المهني،

1 - هاشم مرعى ، متطلبات تطوير الأداء المهني للأخصائيين الاجتماعيين ، المؤتمر العلمي السادس عشر ، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة القاهرة ، 2005م ، ص 366 .
2 - عبدالعزيز متولي ، الإعداد المهني وممارسة الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، مكتبة ومطبعة الإشعاع ،2001 م، ص 69 .
3 - ماهر أبو المعاطي ، مدخل إلى الخدمة الاجتماعية ، القاهرة ، كلية الخدمة الاجتماعية ، 2000م ، ص152 .
4 - العجيلي سركز ، عياد أمطير ، البحث العلمي أساليبه وتقنياته ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ،2002م، ص77.
5 - سلامة منصور عبد العال : تقويم ممارسة المهارات المهنية للأخصائيين الاجتماعيين العاملين في مجال الإدمان ، المؤتمر العلمي الدولي الثالث والعشرون للخدمة الاجتماعية جامعه حلوان ، كليه الخدمة الاجتماعية ، 10 - 11 مارس ، 2010 ، ص 3032

وأن هناك نقص في معرفة الأطباء للدور المهني للأخصائي الاجتماعي بالمجال الطبي ، إضافة إلى قلة خبرات الأخصائيين وضعف إعدادهم المهني. [1]

3. **دراسة رمضان 2013 م** ، هدفت إلي تقييم مستوى وعى الأخصائيين الاجتماعيين بالمكون المعرفي لنموذج حل المشكلة في إطار الممارسة العامة بالمجال الطبي ، وتوصلت نتائج الدراسة إلي أن هناك ضعف في وعى الأخصائيين الاجتماعيين بالمكون المعرفي لنموذج حل المشكلة في إطار الممارسة العامة مما يحد من قدرتهم على أداء دورهم بالمجال الطبي . [2]
4. **دراسة فضل الله 2016م** ، وهدفت إلي التعرف على فعالية دور الأخصائي الاجتماعي في المجال الطبي ، وجاءت نتائج البحث لتؤكد أهمية دور الأخصائي الاجتماعي بالمجال الطبي من خلال إجابات عينة البحث وبخاصة مع المرضى وأسرهم [3]
5. **دراسة العدوس2017م** ، وهدفت إلى التعرف على دور الأخصائي الاجتماعي الطبي مع مرضى السرطان وأسرهم والمجتمع، ومعرفة الصعوبات التي تعيق دور الأخصائي الاجتماعي، وتلخصت النتائج في : عدم اهتمام الأخصائيين الاجتماعيين بالرعاية اللاحقة للمرضى بعد خروجهم من المستشفى ، وعدم اهتمام الأخصائي الاجتماعي بإتاحة الفرصة لأسر المرضى المشاركة بالنشاطات الترويحية، وتلخصت أهم الصعوبات التي تواجه الأخصائيين في ، عدم فهم الكثير من المرضى لدور الأخصائي الاجتماعي الطبي، بالإضافة إلى عدم مصداقية بعض المرضى في إعطاء معلومات صحيحة عن وضعهم الاجتماعي والاقتصادي، وعدم وجود مكاتب خاصة توفر الخصوصية وسرية المعلومات للمرضى . [4]

الإطار النظري للبحث

الخدمة الاجتماعية في المجال الطبي

للخدمة الاجتماعية ثلاثة طرق تعمل في المجال الطبي وهذه الطرق هي:

1. طريقة خدمة الفرد في المجال الطبي

تعرف خدمة الفرد بأنها : فن تستخدم فيه معارف العلوم الإنسانية، والمهارة في العلاقات الإنسانية لتوجيه كل من طاقات الفرد وإمكانيات المجتمع لتحقيق أكبر وأفضل درجة ممكنة بين الفرد وبيئته الاجتماعية، وتوافقه مع نفسه ، وهي عملية هدفها صالح المريض أي تمكنه من الحصول على العلاج المناسب لحالته الصحية واستمرار وظائفه الاجتماعية بعد علاج المرض، وذلك بإزالة الأسباب المتعرضة لإتمام العلاج الصحيح، والعمل

1 - محمد عبيد الفهيدى ، تقييم دور الخدمة الاجتماعية الطبية في الرعاية الصحية الأولية من وجهة نظر الاخصائيين الاجتماعيين والمرضى ، رسالة ماجستير في العلوم الاجتماعية ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ، 2012م .

2 - جيهان عبد الحميد رمضان محمد ، تقييم مستوى وعى الاخصائيين الاجتماعيين بالمكون المع رفي لنموذج حل المشكلة في اطار الممارسة العامة بالمجال الطبي ، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعه حلوان، كليه الخدمة الاجتماعية اكتوبر ، 2013 ، ص 1058 .

3 - مي صابر فضل الله ، فعالية دور الأخصائي الاجتماعي في المجال الطبي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا قسم الاجتماع والأنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية جامعة النيلين ،الخرطوم ،2016م .

4 - يوسف أبو العدوس، ، دور الأخصائي الاجتماعي الطبي مع مرضى السرطان في الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن ، 2017م.

على إعادة تلاؤم المريض مع بيئته بعد خروجه من المستشفى، ويقوم بها الأخصائي الاجتماعي المعد إعداداً خاص للعمل في الميدان الطبي. (1)

وفيما يلي يمكن أن تنقسم خدمة الفرد في المجال الطبي إلى ثلاث مراحل هي:

قبل دخول المستشفى

– إذا كانت الحالة المرضية نتيجة عادات صحية ضارة فيجب على الأخصائي الاجتماعي التدخل لتعديل هذه العادات وتوضيح مدى الخطورة الناجمة عن الاستمرار فيها.

– تحويل المرضى بأمراض مستعصية ومزمنة كمرضى الدرن والجدام إلى المصحات والمؤسسات المخصصة لعلاجهم، وإقناعهم بتقبل ذلك التحويل حرصاً على صحتهم وصحة أسرهم ومجتمعهم.

– التدخل للمساعدة في المشاكل التي يعيش فيها المريض والتي لها رد فعل على مرضه كالمشاكل الأسرية، أو الاقتصادية، وأيضاً المشاكل الناتجة عن المرض نفسه والمشاكل التي تتعلق بالعمل أو الدراسة.

– مقابلة أفراد الأسرة لتوضيح معاملة المريض إذا كان المرض يستدعي برنامجاً علاجياً، أو رقابة المخالطين له، أو برنامجاً غذائياً معيناً لعلاج المرض.

– إذا رأى الطبيب أن حالة المريض تستوجب إدخاله المستشفى للعلاج وقد يتردد هذا المريض في قبول إدخاله المستشفى خوفاً من أن تطول إقامته بها ويفقد بالتالي وظيفته وعمله، وقد يكون العلاج الذي يراه المريض هو الاعتقاد في وصفات علاجية متوازية ليس لها أساس علمي، فهنا يجب على الأخصائي الاجتماعي التدخل وإقناع المريض وأسرته على تقبل توجيه الطبيب وعمل الترتيبات الخاصة بدخول المستشفى، والتدخل للمساعدة في إزالة الآثار المترتبة على دخول المريض ومساعدة أسرته على مواجهة الموقف وتوضيح الآثار المترتبة على دخول المريض للعلاج ورفضه ودخول المستشفى وإزالة المخاوف التي ترتبط بها.

2. أثناء وجود المريض داخل المستشفى للعلاج

وهي الفترة التي يتواجد أو يقيم خلالها المريض داخل المؤسسة الطبية للعلاج تحت ملاحظة ورعاية وإشراف الفريق الطبي، وعلاج المريض أثناء إقامته بالمؤسسة الطبية يأخذ أحد شكلين، إما أن يتم علاجه عن طريق الرعاية الصحية والعقاقير الطبية، وإما أن يتم علاجه عن طريق إجراء العمليات الجراحية.

3. طريقة خدمة الجماعة في المجال الطبي

طريقة خدمة الجماعة أسلوب لمساعدة الأفراد على أن يصبحوا أعضاء في الجماعات التي تتوفر بها فرص النمو في تفاعل جماعي يكتسبون من خلاله نمو في خبراتهم ومعاملتهم ومهاراتهم يتمكنون فيه من تكوين العلاقات الاجتماعية اللازمة لكي يتمتع كل منهم بنمو متزن يتفق مع احتياجاته وقدراته.

وتعرف خدمة الجماعة بأنها: طريقة بواسطتها تساعد الأفراد في الجماعات في مؤسسة اجتماعية بمعرفة أخصائي اجتماعي يوجه تفاعلهم في أوجه نشاط البرنامج لكي يربطوا أنفسهم بالآخرين ويمارسوا خبرات وفرص النمو بما يتفق واحتياجاتهم وقدراتهم لنمو الفرد، والجماعة، والمجتمع.

1 - فاطمة الحاروني، خدمة الفرد في محيط الخدمات الاجتماعية، (القاهرة، مطبعة السعادة، 1969م)، ص609.

وتعرف كذلك بأنها: طريقة عملية بواسطتها يساعد الأخصائي الاجتماعي الأفراد أثناء ممارستهم لأوجه نشاط البرنامج في الأنواع المتعددة من الجماعات في المؤسسات المختلفة كأفراد، وكجماعة، يسهموا في تغيير المجتمع في حدود أهداف المجتمع وثقافته. (1)

أهداف خدمة الجماعة:

تهدف خدمة الجماعة إلي:

أ. احترام الفروق الفردية.

ب. ممارسة الحياة الديمقراطية.

ت. تنمية قدرات الأفراد على القيادة والتنمية.

ث. إشباع الاحتياجات المختلفة المتعددة والمتنوعة الأعضاء الجماعة.

ج. مساعدة الأفراد والجماعات على استثمار وقت الفراغ بطريقة سليمة.

دور الأخصائي الاجتماعي مع الجماعات في المجال الطبي

تتكامل طريقة خدمة الجماعة مع طرق الخدمة الاجتماعية في تقديم كافة أوجه الرعاية الاجتماعية والنفسية للمريض للمساعدة على الخروج من حالته التي ارتبطت بالمرضى وعودته إلى أداء أدواره الاجتماعية في الحياة العامة. (2)

ولذا تهتم خدمة الجماعة في المجال الطبي بتحقيق الأهداف الآتية:

أ. مساعدة المرضى على مقاومة المرض والاستفادة من أوجه العلاج.

ب. تأهيل المريض اجتماعياً حتى يستطيع أن يقوم بدوره في الحياة العامة.

ت. زيادة ثقة المريض في نفسه وفي قدراته.

ث. مساعدة المرضى على تغيير اتجاهاته إزاء المرض حتى لا يستسلم للمرض.

ج. مساعدة المريض على استغلال طاقته المتبقية دون إرهاق ووضع الخطط العملية لمساعدة المريض على القيام بواجباته ومسؤولياته.

ح. مساعدة المريض على تنمية مهاراته، وتعليمه مهارات جديدة تتمشى مع حالته الصحية. (3)

الاحتياطات الواجب مراعاتها مع جماعات المرضى:

أ. الحالة الجسمية الناجمة عن المرض.

ب. استجابة كل مريض لمرضه، فهناك اختلاف في استجابة المرضى لمرضهم حتى ولو كان المرض واحد.

ت. إقامة علاقة طبية وقوية بين كافة المرضى والأخصائي الاجتماعي.

ث. يجب أن يراعي الأخصائي الاجتماعي التجانس بين جماعات المرضى.

---

1 - سمير حسن منصور، طريقة العمل مع الجماعات مفاهيم أساسية ومواقف تطبيقية، (الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1991م ، ص ص14-15.

2 - محمد شمس الدين، العمل مع الجماعات في محيط الخدمة الاجتماعية، (القاهرة، مطبعة يوم المستشفيات، 1980م)، ص3.

3 - طلعت مصطفي السروجي، الخدمة الاجتماعية - أسس النظرية والممارسة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2009م ، ص227.

ج. يجب التدقيق والاختيار للبرامج التي تلاؤم الحالة النفسية والجسمية والاجتماعية للمرضى.

ح. يجب أن يحرص الأخصائي الاجتماعي على مواقف التدخل في حياة جماعة المرضى وفقاً لنوع الموقف والآثار المترتبة على تدخله أو عدم تدخله.

خ. يستعين الأخصائي الاجتماعي بالطبيب والفريق المعاون أثناء وضع البرنامج حتى تتلاءم مع المرضى وقدراتهم واستعداداتهم. [1]

د. يجب أن يقوم الأخصائي الاجتماعي بدراسة الجماعة بصفة دائمة للوقوف على التغيرات التي قد تطرأ على الأفراد والجماعات ومحاولة مسايرة البرنامج لهذه التغيرات.

الأسس الواجب مراعاتها في تكوين جماعات المرضى:

يمكن إيجازها فيما **يلي:**

أ. اختلاف المقدرة الجسمية وخاصة إذا كان هناك تباين واضح في القدرات الجسمية.

ب. اختلاف الأنماط السلوكية للمرضى اختلافاً كبيراً يعمل على تفكك الجماعة وعدم وحدتها.

ت. اختلاف الحالة الجسمية والنفسية للمرضى يجعل مثل هذه الجماعات غير متجانسة لاختلاف الحالة النفسية والجسمية مما يؤدي إلى اختلاف الاحتياجات.

ث. مراعاة الفروق الفردية بين الأعضاء، لذا وجب دراسة الجماعة ومحاولة وضع البرامج التي تقلل من تأثير هذه الفروق على حياة الأعضاء.

ويمكن توضيح تكوين فريق العمل بالمستشفى على النحو التالي:

أ– فريق مكون من الأطباء والممرضين والأخصائيين لمناقشة حالة المريض والجوانب المرتبطة بالمرضى وتشخيص الحالة ووضع خطة للعلاج ودور كل تخصص في الحالة.

ب– الاجتماعات الدورية مع فريق الخدمة الاجتماعية بالمستشفى لوضع الخطط العامة للخدمة الاجتماعية وخطة كل قسم في المستشفى.

ت– الاجتماعات لكل العاملين في المستشفى للتنسيق والتكامل بين كافة الأقسام والتخصصات وتقييم كافة الخدمة المقدمة للمرضى. [2]

برامج جماعات المرضى:

يمكن في إطار الأسس والمبادئ التي تم عرضها تقدم بعض البرامج الخاصة بجماعات المرضى المتمثلة في الآتي:

– بعض الألعاب المسلية الخفيفة داخل النادي بالمستشفى إن وجدت أو في أماكن التجمع.

1 - عبد المحي صالح، السيد رمضان، أسس الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيلية، مرجع سابق، ص ص236-241.

2 - محمد عبد الفتاح محمد، الأسس النظرية لإدارة المؤسسات الاجتماعية نماذج تطبيقية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2004م ، ص13.

- الحفلات التي تطفي البهجة والسرور على المرضى بحيث يشترك فيها غالبية المرضى وفقاً لهواياتهم وقدراتهم.
- الندوات ويمكن أن تكون هذه الندوات مفيدة لمجموعة المرضى، بحيث تقدم معلومات تهم المريض بحيث يتم فيها دعوة المتخصصين في موضوع الندوة كالأطباء والأخصائيين والاجتماعيين.
- المناقشات الجماعية لجماعة المرضى حول أهم الموضوعات والقضايا التي تهم جماعة المرضى.
- الرحلات الترفيهية للقادرين على الحركة ويفضل أن يشترك فيها الأطباء والممرضات لرفع الروح المعنوية للمرضى.
- إقامة الحفلات بالاشتراك مع أهالي المرضى، أو جماعات البيئة لرفع الروح المعنوية للمرضى.
- عمل بعض برامج الخدمة بالمستشفى يقوم بها المرضى القادرون على بدل الجهد الطفيف.

1. دور الأخصائي الاجتماعي في مجال تنظيم المجتمع الطبي

تظهر طريقة تنظيم المجتمع كأداة فعالة لمساعدة المجتمعات على التعرف على ألوان القصور والتغيرات الموجودة في تنظيماتها الاجتماعية التي تؤدي إلى ظهور المشكلات المجتمعية ومعاونتها على أحداث التغير اللازم لسد هذه التغيرات وعلاج المشكلات بصورة تكاملية ويترتب على حقيقة ازدياد الاحتياجات عن الموارد أن المجتمعات تعطي أولية لبعض الاحتياجات دون الأخرى وتحاول تسخير مواردها لمقابلة الاحتياجات المهمة قبل غيرها [1] ، وتظهر طريقة تنظيم المجتمع لتؤذي المسؤولية التي تحملها مهنة الخدمة الاجتماعية، وهي للمساعدة في تحقيق العدالة الاجتماعية، ولتحقيق هذه العدالة فإن الأخصائي الاجتماعي يحاول التأثير في القرارات التي تتخذ في المجتمع والخاصة بالبرامج والمشروعات والخدمات بحيث تؤدي تلك القرارات إلى أنصاف دوي النفوذ المحدود.

إن الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها الأخصائي يمكن أن تكون أهدافاً تخطيطية لأحداث التغير كهدف، أو أهدافاً تنسيقية لدعم العلاقات والتعاون بين المجتمع وأجزائه، أو أهدافاً أخرى عامة تتناول علاج المشكلات التي تتعلق بالسلوك للجماهير، والعادات الاجتماعية التي تعوق المجتمع وتنميته [2]

وتختص ممارسة تنظيم المجتمع بكيفية تطبيق مهنة الخدمة الاجتماعية لإشباع احتياجات وحل مشكلات سكان المجتمع، ويستلزم ذلك أن يكون للمجتمع هدف واضح في توفير الرعاية الاجتماعية لسكانه، ويتحدد هذا الهدف في ضوء السياسة الاجتماعية للمجتمع تلك السياسة التي تنبثق عن السياسة العامة التي يضعها المجتمع في ضوء أيدولوجيته، وموارده، والظروف المحيطة به، وأن إجراءات العمل في الممارسة تختلف بالضرورة بين مجتمع وآخر بحسب حجم المجتمع وطبيعته ونوعية احتياجاته ومشكلاته [3] ، وإذا اعتبرنا أن المؤسسة الطبية تنظيم يعمل على تقديم الرعاية الطبية للمرضى، أو أنها معاهد تعليمية في مجال الطب مثل المستشفى المركزي، فإن ذلك لا يبعدها عن دورها الأساسي كأداة لتقديم الرعاية الصحية للمجتمع المحلي الذي تقع فيه، ويمتد

1 - إقبال إبراهيم مخلوف، العمل الاجتماعي في مجال الرعاية الطبية اتجاهات تطبيقية، مرجع سابق، ص186-187.
2 - سيد أبو بكر حسانين، طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1976م)، ص ص472-473.
3 - إقبال بشير، سلوى عثمان الصد يقي، محاضرات في الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيلية، 1980م، ص148.

نشاطه ليشمل كل مجالات الرعاية الطبية من وقاية، وتشخيص، وعلاج، وتأهيل طبي، وبحث علمي مستهدفاً في ذلك صالح المريض الذي أنشئت المؤسسة الطبية لخدمته ورعايته صحياً واجتماعياً.

ومن تم فالمؤسسة الطبية مركز إشعاع صحي للمجتمع الذي يتواجد فيه، نجد أن للمؤسسة الطبية حقوقاً تترتب له قبل المجتمع المحلي الذي يقع فيه، وأهمها حق المساعدة والتدعيم بالرأي والكلمة والعمل، ولا يتأتى ذلك إلا إذا تفهم المجتمع دور المؤسسة الطبية، وتفهمت المؤسسة الطبية احتياجات المجتمع وسعت لتحقيقها ، وبذلك يحاط المجتمع علماً بحقيقة دور المؤسسة الطبية ويتفهم أهدافها ومشاكلها، بل ويلتمس أهميتها، وخدماتها، ومن ثم يكون قادراً على تقدير المكانة والدور الذي تلعبه المؤسسة الطبية في حياته فيتجه إلى دعمها وتأييدها.

فالأخصائي الاجتماعي بحكم دراسته وخبرته، وتدريبه يعد من الأفراد المؤهلين على القيام بهذا الدور وعلى بناء علاقة سوية دائمة وإيجاد نوع من الثقة المتبادلة بين المؤسسة الطبية، وأفراد هذا المجتمع فضلاً عن مهمته الرئيسية داخل المؤسسة الطبية في محيط المرضى في شتى مداخل علاجهم ورعايتهم [1] ، وتأسيساً على ما سبق يمكن القول أن المنظم الاجتماعي بالمؤسسة الطبية له أدوار وظيفية داخل نطاق، أو في حدود المؤسسة الطبية، وأدوار وظيفية أخرى تمتد لتشمل المجتمع الذي تتواجد فيه المؤسسة الطبية.

علاقة الأخصائي الاجتماعي بالفريق الطبي:

إن علاقة الخدمة الاجتماعية الطبية لا تقف عند حد علاقتها بالمريض، بل تتعدى ذلك إلى العلاقة بأعضاء الفريق العلاجي، وخاصة الطبيب، وهيئة التمريض،

وعلى الرغم من أن الأطباء ضلُّوا مرحلةً طويلةً يمثلون الطرف الوحيد الذي يلجأ إليه المرضى لحل مشكلاتهم، إلا أن الخدمة الاجتماعية الطبية رغم حداثتها يعترف الأطباء بأهميتها، وقدرتها على معاونة المرضى، ومد يد العون لهم، وهذا يعتبر حجر الزاوية في نجاحها، ولما كان الفهم الكلي للمريض يتطلب ضرورة النظر إليه نظرة كلية تكاملية كجسم، ونفس، وبيئة أدى ذلك إلى حتمية علاجه عن طريق عمل الفريق الذي يشترك فيه أكثر من متخصّص في العملية العلاجية بحيث تنصهر هذه التخصّصات في وحدة واحدة تنتهي باتخاذ قرارات موحدة يتفق عليها الجميع، وترجع أهمية العمل الفريقي إلى أنه يضم مجموعة من المتخصصين في مجالات معينة، وبالتالي يعمل كل عضو من الفريق من خلال إطار مرجعي لمعلومات تخصصه، ولما كانت آراء المتخصصين مختلفة تبعاً لتخصص كل منهم، لذا ينبغي إجراء لقاءات مشتركة لأعضاء الفريق لمناقشة حالة المريض ليساهم كل متخصّص برأيه في وضع أفضل الخطط العلاجية المناسبة لكل مريض [2] ، **حيث يشترك العمل الفريقي على أسس رئيسة هي:**

- إتاحة الفرصة لكل عضو لإبداء رأيه، وتوضيح دوره في كل حالة فردية.
- أن تسود بين أعضاء الفريق علاقة تعاون، وتفاهم، وثقة مبنية على الاحترام المتبادل إدراك كل عضو من أعضاء الفريق لوظيفته، وتخصصه إدراكاً واضحاً.
- احترام كل عضو لعمل وتخصّص كل الأعضاء الآخرين. [3]

1 - إقبال محمد بشير وآخرون، الخدمة الاجتماعية في المجال الطبي والتأهيلي، ص ص153-155.
2 - إبراهيم المليجي وآخرون، الخدمة الاجتماعية في المجال الطبي، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 2004م، ص80.
3 - إقبال إبراهيم مخلوف، الرعاية الطبية والصحية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية، ص ص108-160.

أدوار الأخصائي الاجتماعي في المجال الطبي

إن من أهم الأدوار التي يقوم بها الأخصائي الاجتماعي في المجال الطبي اتجاه المرضى ما يلي:

* **الدور الوقائي** : وهو مجموعة من البرامج التي تهدف إلى الوقاية من الإصابة بالعاهة، والمرض، والحد من نسبة المرض، والدور الوقائي يتمثل في الإرشاد الصحي والتثقيف الصحي، فالإرشاد الصحي والتثقيف الصحي يعتبر أحد الفروع الرئيسية في مجالات الصحة العامة، ولا يعني ذلك مجرد نشر معلومات ثقافية صحية من خلال أشرطة وقائية، أو انعقاد ندوة صحية علنية فقط، وإنما الغرض منه تغير العادات، والاتجاهات، والمفاهيم، والممارسات غير الصحية وغير المسئولة [1] ، والهدف من الدور الوقائي هو تحسين صحة الأفراد، والأسرة، والجماعات جسمياً، وعقلياً، واجتماعياً، وذلك بالاهتمام بالتنظيم الغذائي ونظافة البيئة، وتوفير أسباب الصحة بها، وتنظيم الأسرة مع إجراء التحاليل تجنباً للأمراض الوراثية.
* **الدور التأهيلي** : في السنوات الأخيرة من القرن الماضي وجد أن أغلب دول العالم تعاني من زيادة مطردة في نسبة الضغوط المفرطة، بسبب العوامل الاجتماعية، والنفسية، والعصبية، والبيئية، والاقتصادية، التي تزامنت مع الحياة المدنية الجديدة، والتي انعكست سلباً على الصحة العامة، فتولد عنها أمراض عضوية خطيرة على حياة أفراد المجتمع كضغط الدم، والسكري، وأمراض القلب، وغيرها من الأمراض، والتي قد ينتج عنها أمراض كالقصور الكلوي، ويجمع علماء التأهيل (أن أكثر ما تحتاجه العاهات المزمنة هو المحافظة عليها من الانفعالات التي قد تؤدي إلى مضاعفات خطيرة)؛ لأن المصابين بأعراض الفشل الكلوي حتى لو لم يصل المريض إلى المراحل النهائية فإنه يختلف عن غيره من ذوي العاهات الأخرى في أنه من أكثر الفئات قلقاً على حياته، وإن أغلب هذه الحالات تتأثر تأثيراً بالغاً بالحالة النفسية بالرغم من أن وجود هذا المرض أصبح حقيقة مماثلة لدى المريض، وهي تزداد شدة بسبب حساسية هذا المرض.

لذلك فإن تأهيل الحالات المصابة لابد أن تعتمد على فريق التأهيل المعد لذلك من أخصائيين، ونفسيين، وأطباء معالجين كل حسب دوره وتخصصه من أجل تهدئة المريض مع إدراكه بحقيقة حالته المرضية؛ لأن التستر عن حالته المرضـــية تزيده قلق مع عدم الثقة والتصـــديق مجدداً نتيجة لذلك فإنه يبدي الكثير من الأســئلة مع وجود حالة عصبية غالباً ما تترجم في مظاهر سلوكية انفعالية ارتدادية. [2]

* **الدور العلاجي** :يقصد بالدور العلاجي جميع البرامج التي تساعد الأفراد الذين تم إصابتهم بأمراض مزمنة، وتنتج عنها إعاقة أو عجز على مواجهة جميع الصعوبات الناتجة عنها، ويتضمن الدور العلاجي للمرضىالآتي:

أ. العلاج الطبي من أهم لوازم البرامج العلاجية في كثير من الأمراض والتي ينتج عنها العديد من الإعاقات البدنية الجسمية، والتأخر في العلاج قد ينتج عنه مضاعفات خطيرة تأثر على حالته الصحية.

---

1 - قبال إبراهيم مخلوف، العمل الاجتماعي في مجال الرعاية الطبية – اتجاهات تطبيقية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1991م ، ص191.

2 - سميرة قحاص، دور الخدمة الاجتماعية في المساعدة على مواجهة مرضى الفشل الكلوي، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، 2007م، ص ص238-239.

ب. التقنيات الحديثة والأجهزة التعويضية: إن توفير هذه التقنيات وهذه الأجهزة تمثل ركناً هاماً لآلية العلاج المستخدمة في علاج المرضى، والتي تتوقف عليها حياتهم.

ت. العلاج النفسي: يقوم به أخصائيون متخصصون وهو يعتبر من الضروريات القصوى في البرامج العلاجية للمرضى لشدة التداعيات والأبعاد النفسية المترتبة على هذا المرض، ويتطلب الأمر وجود أخصائيين معنيين بهذا الأمر من أجل إعادة التوازن النفسي الناتج عن العجز وأفراد أسرته، كما يساهم أيضاً بإخراج المريض من حالته بأي عمل يتلاءم والحالة الصحية له، والهدف من ذلك إخراجه من الدائرة النفسية المحيطة به أو التخفيف من شدتها. [1]

ويقوم الأخصائي من أجل دوره المهني في المؤسسة الطبية الصحية بجملة من الأنشطة المتمثلة في إعداد الدراسات الاجتماعية الشاملة والقيام بالدراسات الخاصة بحالات معينة تستدعي خدمتها إعداد دراسة اجتماعية معمقة ، وحضور الاجتماعات الإكلينيكية التي تقام داخل الأقسام الداخلية في المستشفى حيث يقوم بإعطاء فكرة كاملة عن أهم المشكلات التي يعاني منها المريض سواء داخل أو في علاقته مع أسرته، ومجتمعه، وذلك بغية إعطاء الفريق المعالج خلفية اجتماعية وافية عن حالته ووضعه الاجتماعي والرد علي استفسار أي عضو من أعضاء الفريق عن وضعه بما يساعد على وضع التشخيص النهائي للحالة، كذلك تسجيل ما يخصه من مهام علاجية والتي احتوتها الخطة العلاجية الخاصة بكل مريض لتنفيذها كمقابلة دوي المريض أو اشتراكه في البرامج الاجتماعية ، وكذلك حضور الاجتماعات الصباحية الخاصة بالنزلاء في الأقسام الداخلية لإعطائهم فرصة التحدث بحرية والإفصاح عما يجول في خواطرهم، وتعديل ما قد يرون أنه الصحيح، وذلك يشجع المريض على تعديل أفكاره وسلوكه بشكل مقبول اجتماعياً، وذلك حتى لا تفقدهم فترة المكوث بالمستشفى ومهاراتهم الاجتماعية في التحدث، والتعبير، والإصغاء، وإبداء الرأي والمشاركة والتفاعل الاجتماعي مع المحيط ، ورصد سلوكيات المرضى وضمها إلى الملف الطبي لكل واحد منهم، وذلك في إطار الدراسة الاجتماعية التتبعية ليطلع عليه الفريق المعالج مما يساعد في تشخيص الحالة ووضع الخطة العلاجية لها مثلما يطلع على تقارير الهيئة التمريضية خلال ملاحظتهم للمرضى في الفترات المسائية والتي يكون الأخصائي الاجتماعي غائباً عن المستشفى أثنائها ، إضافة إلى استطلاع أراء المرضى ورغباتهم حول نوع الخدمات التي تقدم لهم كخدمة التغذية، والنظافة، والخدمة التمريضية، ومناقشة ذلك مع الأقسام المعنية لمعالجة جوانب ،وتنفيذ البرامج والأنشطة الاجتماعية التي تهدف إلى إخراج المرضى من عزلتهم المرضية ، وإدخال البهجة إلى نفوسهم وإعادة النشاط والحيوية لأجسامهم.[2]

1 - المرجع السابق، ص ص245 – 255.

2 - فيصل محمود غرابيه، الخدمة الاجتماعية الطبية العمل الاجتماعي من أجل صحة الإنسان، دار الأوائل للنشر، عمان، 2008م، ص ص47-50.

منهجية البحث

انطلاقاً من طبيعة البحث رأي الباحث أن المنهج المناسب هو المنهج الوصفي، والذي يعرف على أنه " عبارة عن طريقة تتبع في التعرف على صفات ظاهرية موجودة في الزمن الحاضر ، وهذه الصفات يعترف بالتعبير عنها وفق المعلومات المجمعة في استمارة مقابلة ، أو استبيان ، أو مشاهدة سلوك "[1]

مجتمع البحث

يتمثل مجتمع البحث في جميع الأخصائيين الاجتماعيين بمستشفى طرابلس الجامعي.

عينة البحث

تم اختيار عينة عشوائية قوامها (29) من الأخصائيين الاجتماعيين العاملين بمستشفى طرابلس الجامعي، والجدول التالي يبين خصائص عينة البحث:

جدول رقم (1)

يوضح توزيع عينة البحث بحسب العوامل الديموغرافية

المتغير		ك	%
الحالة الاجتماعية	أعزب	8	27.6
	متزوج	21	72.4
العمر	من 32 الى اقل من 42	8	27.6
	من 42 الى اقل من52	19	65.5
	من 52 فما فوق	2	6.9
المؤهل	ليسانس	7	24.1
	بكالوريوس	13	44.8
	ماجستير فما فوق	9	31.0
الخبرة	من 5 - 15 سنة	3	10.3
	من 16 سنة فما فوق	26	89.7

تشير نتائج الجدول أن 72.4% من العينة هم من المتزوجون وأن 27.6% من العزاب ، وبالنسبة لمتغير العمر فقد جاءت الفئة العمرية من 42 إلى أقل من 52 في المرتبة الأولى بنسبة وصلت إلى 65.5% ، تليهم الفئة من 32 إلى أقل من 42 بنسبة بلغة 27.6% وأخير ممن أعمارهم من 52 سنة فما فوق بنسبة لم تتعدى 6.9% ، وبالنسبة للمؤهل العلمي فقد جاء الحاصلون على البكالوريوس في المرتبة الأولى بنسبة بلغت 44.8% ، ثم الحاصلين على الماجستير بنسبة 31% ، وأخيراً الحاصلين على مؤهل الليسانس بنسبة 24.1% ، أما الخبرة في مجال العمل فكانت الغالبية منهم ممن سنوات خبرتهم من 16 سنة فما فوق بنسبة 89.7% ، في حين لم تتجاوز 10.3% ممن خبرتهم تتراوح ما بين 5 – 15 سنة .

1 - عقيل حسين عقيل ، فلسفة مناهج البحث العلمي ، منشورات ELGOA ، فاليتا ،1995م ، ص 79 .

عرض نتائج البحث:

أجري البحث الحالي بهدف الوقوف على تقييم مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي، وسنعرض للنتائج التي أسفر عنها ومناقشتها وتفسيرها، وذلك على النحو التالي:

التساؤل الأول: ما المستوى العام للآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي مع (نسق المرضى، نسق الفريق الطبي، نسق المجتمع المحلى) بحسب وجهة نظر أفراد عينة البحث؟

للإجابة على هذا التساؤل تم حساب المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، والوزن النسبي

جدول (2)

يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لأبعاد مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي

أبعاد مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب	المستوى بالنسبة للمتوسط الحسابي
نسق المرضى	2.36	.423	%78.66	2	عالي
نسق الفريق الطبي	2.20	.567	%73.33	3	متوسط
نسق المجتمع المحلي	2.44	.627	%81.33	1	عالي
أبعاد الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي	2.33		%77.66		عالي

من خلال الجدول (2) يتضح أن المتوسط العام للآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بلغ (2.33)، ووزن نسبي وصل إلى (77.66%) وهذا يعني أن مستوى الآداء لدى الاخصائيين الاجتماعيين بمستشفى طرابلس الجامعي عالي، وهذا يختلف مع نتائج دراسة حيث أظهرت دراسة عبد العال 2010 م ضعف مستوى الأخصائيين الاجتماعيين أثناء ممارساتهم المهنية في مجال عملهم بمراكز الإدمان.

التساؤل الثاني: ما مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي مع نسق المرضى؟

وللكشف عن ترتيب ومستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي مع نسق المرضى، فقد تم حساب التكرارات والنسبة المئوية، وكذلك المتوسط الحسابي، وجاءت النتائج كما هي موضحة في الجدول التالي:

جدول (3)

ترتيب ومستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي مع نسق المرضى

ر.م	العبارات	الاستجابات						المتوسط الحسابي	الترتيب
		موافق		موافق الى حد ما		غير موافق			
		ك	%	ك	%	ك	%		
.1	أقوم بتوعية المرضى وأسرهم	18	62.1	5	17.2	6	20.7	2.41	3
.2	أقوم بعمل أبحاث اجتماعية للمرضى	9	31.0	17	58.6	3	10.3	2.21	7 م
.3	أجرى أبحاث علمية لدراسة مشكلات المرضى	2	6.9	19	65.5	8	27.6	1.79	10
.4	أتابع المرضى في الأقسام المختلفة بشكل يومي	18	62.1	6	20.7	5	17.2	2.45	2
.5	أهدئ المرضى وأسرهم وأزيل مخاوفهم	19	65.5	1	3.4	9	31.0	2.34	5
.6	اقنع بعض المرضى بتقبل العلاج	27	93.1	-	-	2	6.9	2.86	1
.7	اعمل ملفات لحالات للمرضى	14	48.3	12	41.4	3	10.3	2.38	4
.8	أتواجد باستمرار بين المرضى	14	48.3	9	31.0	6	20.7	2.28	6
.9	ادرس مشكلات المرضى وأساعدهم لحلها	13	44.8	9	31.0	7	24.1	2.21	7 م
.10	اعرف المرضى بإجراءات الحصول على الخدمة	13	44.8	6	20.7	10	34.5	2.10	9
.11	أنظم الأنشطة الترفيهية للمرضى	12	41.4	9	31.0	8	27.6	2.14	8
	المتوسط الحسابي العام							2.28	

وبتحليل الجدول يتضح أن "اقنع بعض المرضى بتقبل العلاج" تأتي في المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (2.86) ، وهي تعكس درجة موافقة عالية ، يليه الفقرة التي تنص على أتابع المرضى في الأقسام المختلفة بشكل يومي بمتوسط حسابي بلغ (2.45) ، وجاء في المرتبة الثالثة أقوم بتوعية المرضى وأسرهم بمتوسط حسابي بلغ (2.41) ، وفي المراتب الأخيرة جاءت على التوالي الفقرات (10) التي تنص على أن أعُرف المرضى بإجراءات الحصول على الخدمة ، والفقرة (3) التي تنص على أُجرى أبحاث علمية لدراسة مشكلات المرضى ، بمتوسطات حسابية قدرها (2.10) ، و(1.79) ، وجاءت هذه النتائج متفقة بشكل جزئي مع نتائج دراسة العدوس2017م ، التي تلخصت نتائجها فـــي : عدم اهتمام الأخصائيين الاجتماعيين بالرعاية اللاحقة للمرضى بعد خروجهم من المستشفى ، وعدم اهتمام الأخصائي الاجتماعي بإتاحة الفرصة لأسر المرضى المشاركة بالنشاطات الترويحية.

التساؤل الثالث: ما مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي مع نسق الفريق الطبي؟

وللكشف عن ترتيب ومستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي مع نسق الفريق الطبي، فقد تم حساب التكرارات والنسبة المئوية، وكذلك المتوسط الحسابي، وجاءت النتائج كما هي موضحة في الجدول التالي :

جدول (4)

ترتيب ومستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي مع نسق الفريق الطبي

ر.م	العبارات	الاستجابات						المتوسط الحسابي	الترتيب
		موافق		موافق الى حد ما		غير موافق			
		ك	%	ك	%	ك	%		
1.	اعرض عليهم تقرير يومي للمرضى	4	13.8	16	55.2	9	31.0	1.83	9
2.	احل مشكلاتهم مع المرضى وأسرهم	15	51.7	6	20.7	8	27.6	2.24	4
3.	اشرح لهم ظروف المرضى الاجتماعية	13	44.8	8	27.6	8	27.6	2.17	6
4.	اعرض عليهم مقترحات لمساعدة المرضى	9	31.0	5	17.2	15	51.7	1.79	10
5.	أوضح وجهات نظرهم للمرضى	18	62.1	5	17.2	6	20.7	2.40	2
6.	ابلغهم أسباب تخلف المرضى عن العلاج	14	48.3	9	31.0	6	20.7	2.28	3
7.	اعرفهم بدور الأخصائي الاجتماعي الطبي	12	41.4	6	20.7	11	37.9	2.03	8
8.	أشاركهم المرور اليومي على المرضى	9	31.0	14	48.3	6	20.7	2.10	7
9.	أعاونهم في التعرف على بيانات المرضى	15	51.7	11	37.9	3	10.3	2.41	1
10.	أوضح لهم أهمية الجانب المعنوي في العلاج	13	44.8	9	31.0	7	24.1	2.21	5
	المتوسط الحسابي العام							2.02	

من خلال معطيات الجدول جاءت وبدرجة عالية العبارة رقم (9) في المرتبة الأولى والتي تنص على أعاونهم في التعرف على بيانات المرضى ، حيث أجاب بالموافقة 51.7% ، بمتوسط حسابي قدره 2.41 ، في حين أجاب ما نسبته 37.9% بأنهم موافقون إلى حد ما ، وأجاب بأنها لا تشكل مشكلة لدى 10.3% من عينة الدراسة ، تليها العبارة رقم (5) التي تنص على أوضح وجهات نظرهم للمرضى ، بالمرتبة الثانية من حيث موافقة أفراد العينة عليها بنسبة62.1% وبمتوسط حسابي قدره 2.40 ، وفي المرتبة الثالثة وبدرجة متوسطة الفقرة رقم (6) ، ابلغهم أسباب تخلف المرضى عن العلاج بمتوسط حسابي بلغ (2.28) ، وحلت في المرتبة الأخيرة : الفقرة (4) ، والتي تنص على اعرض عليهم مقترحات لمساعدة المرضى بنسبة موافقة بلغت 31% ، ومتوسط حسابي قدره 1.79 ، وجاءت النتائج مخالفة لما توصلت له دراسة الفهيدى 2012م التي بينت أن هناك نقص في معرفة الأطباء للدور المهني للأخصائي الاجتماعي بالمجال الطبي .

التساؤل الرابع : ما مستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي بمستشفى طرابلس الجامعي مع نسق المجتمع المحلي؟

وللكشف عن ترتيب ومستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي مع نسق المجتمع المحلي ، فقد تم حساب التكرارات والنسبة المئوية ، وكذلك المتوسط الحسابي ، وجاءت النتائج كما هي موضحة في الجدول التالي :

جدول (5)

ترتيب ومستوى الآداء المهني للأخصائي الاجتماعي مع نسق المجتمع المحلي

ر.م	العبارات	الاستجابات						المتوسط الحسابي	الترتيب
		موافق		موافق الى حد ما		غير موافق			
		ك	%	ك	%	ك	%		
.1	ارشد المرضى للجهات الخيرية لمساعدتهم	11	37.9	8	27.6	10	34.5	2.03	8
.2	اعقد ندوات لتوعية الزملاء بدور الخدمة الاجتماعية	11	37.9	14	48.3	4	13.8	2.24	5
.3	أشارك بالجهات التثقيفية للتوعية الصحية للمواطنين	17	58.6	12	41.4	-	-	2.59	1
.4	أساعد المرضى في الحصول على تقارير طبية لأعمالهم	18	62.1	4	13.8	7	24.1	2.38	3
.5	أقوم بزيارات ميدانية للمرضى في منازلهم	4	13.8	15	51.7	10	34.5	1.79	9
.6	انصح المرضى بالاستفادة من القيادات المختلفة	9	31.0	13	44.8	7	24.1	2.07	7
.7	توجيه اسر بعض المرضى إلى وحدات الشئون الاجتماعية	18	62.1	3	10.3	8	27.6	2.34	4
.8	أشارك في الاحتفاليات الخاصة بالصحة	10	34.5	14	48.3	5	17.2	2.17	6
.9	أسعى للحصول على مساعدات مادية لمساعدة المرضى	18	62.1	5	17.2	6	20.7	2.41	2
	المتوسط الحسابي العام							2.22	

يتبين من الجدول أن المتوسط العام لدور الأخصائي الاجتماعي مع نسق المجتمع المحلى بلغ (2.22) ، وهذا يعني بحسب تقدير عينة البحث بشكل عام ذا **مستوى متوسط** ، وبتحليل أبعاد الآداء ، يتضح أن فقرة أشارك بالجهات التثقيفية للتوعية الصحية للمواطنين احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (2.59) ، وبنسبة وصلت (58.6%) ، وهي تعكس درجة موافقة عالية ، يليه بُعد أسعى للحصول على مساعدات مادية لمساعدة المرضى بمتوسط حسابي بلغ (2.41) ، وجاء في المرتبة الثالثة بُعد أساعد المرضى في الحصول على تقارير طبية لأعمالهم بمتوسط حسابي بلغ (2.38) ، وفي المراتب الأخيرة جاءت على التوالي الفقرات (1) التي تنص على ارشد المرضى للجهات الخيرية لمساعدتهم ، والفقرة (5) التي تنص على أقوم بزيارات ميدانية للمرضى في منازلهم ، بمتوسطات حسابية قدرها (2.03) ، و(1.79) وهذه النتائج جاءت معاكسة لما توصلت له دراسة العدوس2017م ، من عدم اهتمام الأخصائيين الاجتماعيين بالرعاية اللاحقة للمرضى بعد خروجهم من المستشفى ، وعدم اهتمام الأخصائي الاجتماعي بإتاحة الفرصة لأسر المرضى المشاركة بالنشاطات الترويحية.

التساؤل الخامس: ماهي المعوقات والمشكلات التي تواجه الاخصائي الاجتماعي في المجال الطبي؟

جدول (6)

معوقات تعود للإخصائي الاجتماعي نفسه

ر.م	العبارات	الاستجابات						المتوسط الحسابي	الترتيب
		موافق		موافق الى حد ما		غير موافق			
		ك	%	ك	%	ك	%		
.1	عدم توفر الرغبة والميل لدى الاخصائي الاجتماعي للعمل في المجال الطبي	5	17.2	13	44.8	11	37.9	1.79	10
.2	نقص الخبرة المهنية لدى الاخصائي الاجتماعي	10	34.5	8	27.6	11	37.9	1.97	9
.3	ضعف شخصية الإخصائي الاجتماعي واستلامه لأدوار متواضعة في المستشفى	15	51.7	12	41.4	2	6.9	2.45	2
.4	عدم استعداده الشخصي للقيام بدوره بشكل صحيح	13	44.8	6	20.7	10	34.5	2.10	7
.5	نقص المهارات المهنية لدى الاخصائي الاجتماعي	9	31.0	12	41.4	8	27.6	2.03	8
.6	عدم القدرة على ربط النظرية الاجتماعية والنفسية بممارسة المواقف.	12	41.4	10	34.5	7	24.1	2.17	5
.7	جمود كثير من الاخصائيين الاجتماعيين وتمسكهم بالأساليب القديمة للممارسة	14	48.3	13	44.8	2	6.9	2.41	3
.8	عدم معرفة الاخصائي الاجتماعي المطلوب منه داخل المستشفى	14	48.3	5	17.2	10	34.5	2.14	6
.9	عدم شعور الاخصائي الاجتماعي بالتقدير لما يبذله من عمل	21	72.4	4	13.8	4	13.8	2.59	1
.10	عدم القدرة في تحويل الحالات إلى الجهات المختلفة	14	48.3	7	24.1	8	27.6	2.21	4
	المتوسط الحسابي العام							2.00	

يتبين من الجدول أن عبارات " عدم شعور الاخصائي الاجتماعي بالتقدير لما يبذله من عمل " حيث أجاب بموافق 72.4% ، و موافق الى حد ما 13.8% ، و غير موافق أيضاً 13.8% ، تليها عبارة " ضعف شخصية الإخصائي الاجتماعي واستلامه لأدوار متواضعة في المستشفى " حيث أجاب بموافق 51.7% ، و إلى حد ما 41.4% ، وغير موافق 6.9% ، وجاء في المرتبة الثالثة عبارة " جمود كثير من الاخصائيين الاجتماعيين وتمسكهم بالأساليب القديمة للممارسة " حيث أجاب بموافق 48.3% ، و موافق إلى حد ما 44.8% ، و غير موافق 6.9% ، وفي المراتب الأخيرة جاءت على التوالي الفقرات (2) التي تنص على أن " نقص الخبرة المهنية لدى الاخصائي الاجتماعي" حيث أجاب بموافق 34.5 % ، و إلى حد ما 27.6 % ، و غير موافق 37.9 % ، وأخيراً الفقرة (1) التي تنص على أن " عدم توفر الرغبة والميل لدى الاخصائي الاجتماعي للعمل في المجال الطبي " ، حيث أجاب بموافق ، وموافق إلى حد ما 17.2% ، و44.8% ، و غير موافق 37.9% .

جدول (7)

عقبات من ناحية الإدارة بالمستشفى

ر.م	العبارات	الاستجابات						المتوسط الحسابي	الترتيب
		موافق		موافق الى حد ما		غير موافق			
		ك	%	ك	%	ك	%		
.1	عدم تفهم الإدارة لدور الاخصائي الاجتماعي بالمستشفى	13	44.8	9	31.0	7	24.1	2.21	4
.2	تكليف الاخصائي الاجتماعي بمهام لا تمت بصلة إلى دوره الأساسي في المستشفى	17	58.6	8	27.6	4	13.8	2.45	2
.3	قلة الامكانيات المادية المتاحة للأخصائي الاجتماعي لمساعدة المرضى من ذوي الحاجة	12	41.4	8	27.6	9	31.0	2.10	6 م
.4	موقف من مدراء المستشفيات الذين يرون أنه لا داعي لوجود الاخصائي الاجتماعي بالمستشفى	11	37.9	11	37.9	7	24.1	2.14	5
.5	مكان العمل غير ملائم لممارسة الأخصائي الاجتماعي لعمله	9	31.0	14	48.3	6	20.7	2.10	6 م
.6	كثر الأعمال الإدارية التي تقع على عاتق الأخصائي	4	13.8	11	37.9	14	48.3	1.66	8
.7	نظرة مدير المستشفى للأخصائي الاجتماعي على أنه موظف	9	31.0	11	37.9	9	31.0	2.00	7
.8	قيام المدير بالتعامل مع مشكلات المرضى دون طلب المساعدة من الأخصائي الاجتماعي	6	20.7	6	20.7	17	58.6	1.62	9
.9	ضعف دور نقابة الاجتماعيين للمطالبة بحقوقنا	19	65.5	5	17.2	5	17.2	2.48	1
.10	عدم توافر الإمكانيات المادية والمعنوية للعمل	17	58.6	3	10.3	9	31.0	2.28	3
	المتوسط الحسابي العام							2.24	

تشير بيانات الجدول أن الفقرات " ضعف دور نقابة الاجتماعيين للمطالبة بحقوقنا " حيث أجاب بموافق 65.5% ، و موافق الى حد ما 17.2%، و غير موافق 17.2% ، تليها عبارة " تكليف الاخصائي الاجتماعي بمهام لا تمت بصلة إلى دوره الأساسي في المستشفى " حيث أجاب بموافق 58.6% ، و إلى حد ما 27.6% ، و غير موافق 13.8% ، وجاء في المرتبة الثالثة عبارة " عدم توافر الإمكانيات المادية والمعنوية للعمل " حيث أجاب بموافق 85.6% ، و موافق إلى حد ما 10.3% ، و غير موافق 31.0% ، وفي المراتب الأخيرة جاءت على الفقرات (6) التي تنص على أن " كثر الأعمال الإدارية التي تقع على عاتق الأخصائي " حيث أجاب بموافق 13.8 % ، و إلى حد ما 37.9 % ، و غير موافق 48.3 % ، وأخيراً الفقرة (8) التي تنص على أن " قيام المدير بالتعامل مع مشكلات المرضى دون طلب المساعدة من الأخصائي الاجتماعي " ، حيث أجاب بموافق ، و موافق إلى حد ما 20.7% لكل منها، وغير موافق 58.6% ، وهذه النتائج متفقة مع بشكل جزئي مع نتائج دراسة العدوس2017م في عدم وجود مكاتب خاصة توفر الخصوصية وسرية المعلومات للمرضى .

جدول (8)

عقبات من قبل أسر المرضى

ر.م	العبارات	الاستجابات						المتوسط الحسابي	الترتيب
		موافق		موافق الى حد ما		غير موافق			
		ك	%	ك	%	ك	%		
.1	رفض تدخل أسر المرضى الاخصائي الاجتماعي في شؤون مرضاهم	1	3.4	20	69.0	8	27.6	1.76	6
.2	اعتقاد أولياء أسر المرضى أن مدير المستشفى هو المسؤول عن حل المشكلات في المستشفى	8	27.6	8	27.6	13	44.8	1.83	5
.3	صعوبة التواصل مع أسر المرضى	3	10.3	22	75.9	4	13.8	1.97	3
.4	عدم اهتمام الأسرة بالسؤال عن مرهم داخل المستشفى	6	20.7	21	72.4	2	6.9	2.14	2
.5	قلة وعي أسر المرضى بدور الاخصائي الاجتماعي مما يؤدي إلى تجاهله.	11	37.9	16	55.2	2	6.9	2.31	1
.6	عدم تقبل المريض للأخصائي الاجتماعي لمساعدته	5	17.2	17	58.6	7	24.1	1.93	4 م
.7	عدم رغبة المريض في تعديل حالته ورفضه للمساعدة	3	10.3	13	44.8	13	44.8	1.66	8
.8	عدم تعاون المريض مع الأخصائي	3	10.3	15	51.7	11	37.9	1.72	7
.9	عدم معرفة المريض لدور الاخصائي الاجتماعي وما يمكن ان يقدمه له من مساعدة	6	20.7	15	51.7	8	27.6	1.93	4 م
	المتوسط الحسابي العام							1.84	

تشير نتائج الجدول أن الفقرة (5) " قلة وعي أسر المرضى بدور الاخصائي الاجتماعي مما يؤدي إلى تجاهله " حيث أجاب بموافق37.9% ، و موافق الى حد ما 55.2%، و غير موافق 6.9% ، تليها عبارة " عدم اهتمام الأسرة بالسؤال عن مرضاهم داخل المستشفى " حيث أجاب بموافق 20.7% ، و إلى حد ما 72.4% ، و غير موافق 6.9% ، وجاء في المرتبة الثالثة عبارة " صعوبة التواصل مع أسر المرضى " حيث أجاب بموافق 10.3% ، و موافق إلى حد ما 75.9% ، وغير موافق 13.8% ، وفي المرتبة الأخيرة جاءت على الفقرة (7) التي تنص على أن " عدم رغبة المريض في تعديل حالته ورفضه للمساعدة " حيث أجاب بموافق 10.3% ، و إلى حد ما 44.8 % ، وغير موافق 44.8% وتتفق جزء من هذه النتائج مع دراسة العدوس2017م التي أظهرت من ضمن نتائجها عدم فهم الكثير من المرضى لدور الأخصائي الاجتماعي الطبي، بالإضافة إلى عدم مصداقية بعض المرضى في إعطاء معلومات صحيحة عن وضعهم الاجتماعي والاقتصادي .

التوصيات

1. احداث إدارة خاصة في وزارة الصحة لمتابعة عمل الأقسام الاجتماعية في المستشفيات والمراكز الصحية.
2. تأهيل وتدريب الأخصائيين الاجتماعيين وتحسين أوضاعهم مما يحقق الرضا الوظيفي.
3. تطبيق الأساليب والممارسة المهنية الحديثة للخدمة الاجتماعية الطبية في المستشفيات.
4. الاهتمام بتوفير الاحتياجات اللازمة لعمل الأخصائي الاجتماعي الطبي.
5. العمل على التعريف بمهنة الخدمة الاجتماعية الطبية والدور الفعال والمهم الذي يؤديه الأخصائي الاجتماعي الطبي.

المراجع

1. إبراهيم عبد الهادي المليجي وآخرون، الخدمة الاجتماعية في المجال الطبي، الإسكندرية، دار المعارف الجامعية، 2004م.
2. إقبال إبراهيم مخلوف، الرعاية الطبية والصحية ودور الخدمة الاجتماعية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث.
3. اقبال إبراهيم مخلوف، العمل الاجتماعي في مجال الرعاية الطبية – اتجاهات تطبيقية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1991م.
4. إقبال بشير، سلوى عثمان الصد يقي، محاضرات في الخدمة الاجتماعية الطبية والتأهيلية 1980م.
5. جيهان عبد الحميد رمضان محمد، تقييم مستوى وعى الاخصائيين الاجتماعيين بالمكون المعرفي لنموذج حل المشكلة في اطار الممارسة العامة بالمجال الطبي، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعه حلوان، كليه الخدمة الاجتماعية أكتوبر، 2013م.
6. زينب معوض الباهي، الخدمة الاجتماعية في المجال الطبي والنفسي، الفيوم، مكتبه الصفوة للنشر والتوزيع، 1999م.
7. سلامة منصور عبد العال، تقويم ممارسة المهارات المهنية للأخصائيين الاجتماعيين العاملين في مجال الإدمان، المؤتمر العلمي الدولي الثالث والعشرون للخدمة الاجتماعية جامعه حلوان ، كليه الخدمة الاجتماعية ،10 - 11 مارس ، 2010.
8. سمير حسن منصور، طريقة العمل مع الجماعات مفاهيم أساسية ومواقف تطبيقية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1991م.
9. سميرة قحاص، دور الخدمة الاجتماعية في المساعدة على مواجهة مرضى الفشل الكلوي، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا، 2007م.
10. سيد أبو بكر حسانين، طريقة الخدمة الاجتماعية في تنظيم المجتمع، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1976م.
11. طلعت مصطفي السروجي، الخدمة الاجتماعية - أسس النظرية والممارسة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2009م.
12. عبدالعزيز متولي، الإعداد المهني وممارسة الخدمة الاجتماعية، الإسكندرية ، مكتبة ومطبعة الإشعاع ،2001م.
13. العجيلي سركز، عياد أمطير، البحث العلمي أساليبه وتقنياته، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ،2002م.
14. عقيل حسين عقيل، فلسفة مناهج البحث العلمي ، منشورات ELGOA ، فاليتا ، 1995م .
15. فاطمة الحاروني، خدمة الفرد في محيط الخدمات الاجتماعية، القاهرة، مطبعة السعادة، 1996م
16. فيصل محمود غرابيه، الخدمة الاجتماعية الطبية العمل الاجتماعي من أجل صحة الإنسان، الأردن، دار وائل للنشر، 2008م.
17. ماهر أبو المعاطى على، الخدمة الاجتماعية في مجال الفئات الخاصة مع نماذج من رعايتهم في الدول العربية الخليجية، سلسلة مجالات وطرق الخدمة الاجتماعية ، الكتاب الثالث والعشرون ، مكتبة زهراء الشرق، 2002.
18. ماهر أبو المعاطي، مدخل إلى الخدمة الاجتماعية، القاهرة ، كلية الخدمة الاجتماعية ، 2000م .
19. محمد شمس الدين، العمل مع الجماعات في محيط الخدمة الاجتماعية، القاهرة، مطبعة يوم المستشفيات، 1980م.

20. محمد عبد الفتاح محمد، الأسس النظرية لإدارة المؤسسات الاجتماعية نماذج تطبيقية، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 2004م .

21. محمد عبيد الفهيدى، تقييم دور الخدمة الاجتماعية الطبية في الرعاية الصحية الأولية من وجهة نظر الاخصائيين الاجتماعيين والمرضى، رسالة ماجستير في العلوم الاجتماعية ، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية ، 2012م .

22. مي صابر فضل الله، فعالية دور الأخصائي الاجتماعي في المجال الطبي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا قسم الاجتماع والأنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية جامعة النيلين الخرطوم ،2016م.

23. هاشم مرعى، متطلبات تطوير الأداء المهني للأخصائيين الاجتماعيين، المؤتمر العلمي السادس عشر، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة القاهرة، 2005م.

24. هشام سيد عبد الحميد، التدخل المهني مع الافراد والاسر في اطار الخدمة الاجتماعية، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 2008م.

25. يوسف أبو العدوس، دور الأخصائي الاجتماعي الطبي مع مرضى السرطان في الأردن، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 2017م.

النحو العربي بين التراث والحداثة

د. امحمد محمد امحمد

كليّة التربية الزنتان – جامعة الزنتان

المقدمة

الحمد لله ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شاء من شيء بعد.

وأزكى الصلاة وأطيب السلام على سيدنا محمد سيد البلغاء ورائد الفصحاء سيدنا محمد بن عبد الله خير أنبياء الله.

أما بعد:

فإن الهجمة على النحو العربي لن تنتهي، ولكنها بفضل الله ما إن تظهر فتموت في مهدها ويجزي الله صانعيها. ولأنّ جنود هذه اللغة حجتهم القرآن الكريم في الدفاع عنها، ولولاه لاختلف العرب في لغاتهم، وتفرقوا في خطاباتهم، كما حصل للغات الأخرى، ولاسيما اللاتينية منها، والسبب أن القرآن قد اشتمل على جميع الأساليب العربية التي اندمجت في لغة قريش، كما أنه هو الذي حفظها من التردي والانحطاط، نظرا لاهتمام المسلمين بها نطقا وتلاوةً، واقتباساً من عباراته وأساليبه بحيث لا يستطيع أحد من الحاقدين على المسلمين ولغتهم أن يقدح فيها أو يجد فيها عيباً أو قصوراً كما هو موجود في بعض اللغات الأخرى، وقد استمرت الجهود في الحفاظ على العربية مع تعاقب الأزمان، واختلاف الأنسال، برز طيلة القرون التي مرت أفذاذ من العلماء استغرقوا حياتهم كلها بالبحث والتدقيق في مسائل هذه اللغة الشريفة.

يقول الأستاذ عباس حسن – في فضل النحو وسموّ مكانته –: "إنّ منزلة النحو من العلوم اللّسانيّة منزلة الدستور من القوانين الحديثة، هو أصلها الذي تستمد عونه، وتستلهم روحه وترجع إليه في مسائلها وفروع تشريعاتها؛ فلن تجد علما من تلك العلوم يستقل بنفسه عن النحو، أو يستغني عن معونته، أو يسترشد بغير نوره وهداه..."[1]، وتأمل معي – رعاك الله – ما قاله العلّامة عبد القاهر الجرجاني في أهمية النحو وعلو منزلته: "إن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها، وأنه المعيار الذي لا يُتبيّن نقصان كلام ورجحانه حتّى يُعرض عليه، والمقياس الذي لا يعرف صحيح من سقيم حتى يُرجع إليه، ولا ينكر ذلك إلا من ينكر حسّه وإلا من غالط في الحقائق نفسه" [2]، وأكتفى بشهادة هذين العالمين الجليلين في أهمية النحو، فالقضية جليّة لا تحتاج إلى شهود وإثبات، وكما يقول الشاعر:

إذا لم يكن للمرء عينٌ صحيحةٌ *** فلا غرْوَ أن يرتاب والصبحُ مُسفِرُ

(2) النحو الوافي، عباس حسن، ج1، المقدمة.
(3) دلائل الإعجاز، مطبعة المنار، ص23

وبناء على ذلك أقول: لا شكّ أن علم النحو من أسمى العلوم قدرا، وأجلها مكانة وشرفا وأنفعها أثرا، إذ به يتثقف أود اللسان، ويسلس عنان البيان "وهو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه نستطيع التمييز بين الفاعل والمفعول، وبين التعجب والاستفهام، والنعت، والتأكيد"[1].

وكفاه شرفا ورفعة أنه الذائد عن حياض الكتاب والسنة من عاديات اللحن والتحريف، وهما موئل الدين، وذخيرة المسلمين، وركنهم الركين، ولكن قدر للنحو أن تتعدد مشارب الدارسين له، وتتباين أهواؤهم فيه بين تراثي موغل في التراثية يرى ما سوى التراث ضربا من الهذيان، فينبري ناقداً للدرس النحوي الحديث في كل محفل، رامياً إياه بكل نقيصة، ومتهما كل من يتعاطاه بأنه صنيعة مندس وحداثي موغل في الحداثة يرى ما سوى ذلك تخلفاً وانحطاطاً وجموداً وبين الفريقين صنف ثالث انقسم إلى فريقين: فريق أخذ من كل من التراث والحداثة بحظ وافر، فأمسك الخيوط وجمعها وتحكم فيها وأحسن نسجها.

وفريق استعجل الأمر في الدرسين فلم يظفر بأي منهما فقصّر في كليهما، وبالتالي ليس في جعبته ما يؤهله للنظر والبحث، فهو يغير ثوبه بكل بساطة، فيلبس مرة ثوب التراثيين وسرعان ما يخلعه و يلبس ثوب الحداثيين [2] .

ومن جهة أخرى لا شك أن هناك كمين –دائما– منصوب للنحو العربي من أعداء العربية لغرض نسفه، أو على الأقل التقليل من شأنه، وبالتالي ضرب العربية في الصميم.

إن كل دارس متعمق للعربية، ومتابع لها يرى هجمة المستشرقين في العصر الحديث والآخذين عنهم من المسلمين وغيرهم، فهؤلاء ما فتئوا يشككون في روايات وضع النحو العربي حتى تجرؤوا على استبعاد أبي الأسود الدؤلي – رحمه الله تعالى– من وضع النحو ليتاح لهم القول بالتأثير الأجنبي في نشأة النحو [3] ؛ ليسلبوا المسلمين أحقية هذا الإنجاز الضخم.

تأمل – مثلا– قول المستشرق الألماني (كارل بروكلمان): "يبدو أن أوائل علم اللغة العربية ستبقى دائما محوطة بالغموض والظلام؛ لأنه لا يكاد ينتظر أن يكشف النقاب بعد عن مصادر جديدة تعين على بحثها ومعرفتها، ومن ثم لا يمكن إصدار حكم قطعي مبني على مصادر ثابتة للحسم برأي في إمكان تأثير علماء اللغة العربية الأولين بنماذج أجنبية" [4]، ثم يسترسل فيقول: "ومهما وجب علينا أن نعد من قبيل الأساطير دراسات أبي الأسود الدولي وتلاميذه المزعومين، فلا يسعنا أن نرفض الخبر القائل بأن معاذ بن مسلم المتوفي سنة 188هـ ببغداد عم أبي جعفر الرؤاسي كان يبحث في مسائل النحو"[5]، ثم يردف هذا القول بمحاولة إثبات التأثير الأجنبي وهو المطلوب عندهم، بعد التشكيك في الروايات العربية، وهو الحامل على تصديق ما ينسب إلى معاذ بن مسلم؛ لإمكان ادعائه.

ثم تأمل قول دائرة المعرف الإسلامية الصارم والصادم: "وليس حقا ما يقال: إنه (أي أبو الأسود الدؤلي) واضع النحو العربي"[6] ، هكذا دون مناقشة، ودون الرجوع إلى أي مرجع عربي، أو حتى الإشارة إليه!

(2) المزهر في علوم اللغة، السيوطي، مج1، 327.
(3) انظر: المؤتمر الرابع للصوتيات (اللغة أصوات) ص 5.
(4) انظر: النحو وكتب التفسير، للمرحوم د. إبراهيم رفيدة، جـ1 ، ص48.
(5) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، 123/2
(6) المصدر نفسه.
(7) المجلد الأول، العدد الخامس، ص308.

ومن المتأثرين بالمستشرقين تلميذهم (أحمد أمين) الذي تأثر برأي المستشرقين المعادين لكل نبوغ عربي، أو إسلامي، يقول: "ذكروا أن واضع النحو أبو الأسود الدؤلي، بل منهم من نسبة إلى علي بن أبي طالب [1] وأنه دفع إلى أبي الأسود ورقة مكتوب فيها..."[2]، ثم يسترسل بكل عبارات التثبيط: "وكل هذا حديث خرافة [3] فطبيعة زمن علي، وأبي الأسود تأبى هذه التعاريف، وهذه التقاسيم الفلسفية" [4].

وأحمد أمين بهذا نفى أصل مسألة وضع النحو العربي المجمع عليها، وشكك في كل الروايات العربية والإسلامية، وجعلها حديث خرافة.

ثم يناقض أحمد أمين نفسه في قضية نقط المصحف، فيقول: "والرأي في قيام أبي الأسود بنقط المصحف رواية صحيحة وعملاً يمكن قيامه به..."[5]، علما أن رواية نقط المصحف تابعة في أغلب المصادر لرواية وضع النحو العربي [6].

وكثيرون نهجوا نهج المستشرقين وتلميذهم أحمد أمين، وساروا على دربهم وتقفّوا خطاهم في معاداة العربية والكيد لها أمثال: لطفي السيد، وقاسم أمين، وعبد العزيز فهمي، وسلامة موسى، وأنيس فريحة... والقائمة لا تكاد تنتهي [7].

سبحان الله، كم هو عجيب أمر هذه اللغة المفترى عليها، وعجيب أمر نحوها فمنذ فجر الحضارة العربية نهض أصحاب هذه اللغة يدرسونها، ويضعون القوانين التي تحكمها حتى أننا لا نعرف لغة اهتمّ بها أصحابها قدر ما لقيت العربية من اهتمام [8] لقد كانت العربية في تركيبها الأساس غاية في القوة، ودليل ذلك أنها استطاعت أن تحمل رسالة السماء، وكلمات الله تعالى، وأن تؤدي ذلك للبشرية على نحو غاية في القوة والاقتدار [9].

والمتواتر أنه منذ عهد الخلفاء الراشدين – رضوان الله عليهم– والعلماء يتابعون واحدا إثر واحد، ومدرسة بعد مدرسة في إنشاء النحو العربي وتطويره، وتأصيله، وتقعيده حتى بلغ مرحلة من النضج العلمي، والوضوح المنهجي لم يبلغها علم آخر... تأمل قول المستشرق الألماني –المنصف– (يوهان فك): "ولقد تكفلت القواعد التي وضعها النحاة العرب في جهد لا يعرف الكلل، وتضحية جديرة بالإعجاب بعرض اللغة الفصحى، وتصويرها في جميع مظاهرها، من ناحية الأصوات، والصّيغ، وتركيب الجمل، ومعاني المفردات على صورة شاملة حتى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزياده المستزيد"[10]، وانظر إلى قول المستشرق (آربري): "إن اللغة العربية لغة حية، وحضارة العرب هي حضارة مستمرة، فهي حضارة الأمس، واليوم، والغد، وعن طريق العرب عرفت أوروبا الحضارة، فقد كانت أوروبا تغطّ في سباتها العميق حين كان العرب يصنعون الحضارات، وكانت جامعاتهم تخرّج كثيراً من العلماء في حقل الآداب والعلوم والفنون والطب والهندسة" [11]، وهناك الكثير من غير

(2) لاحظ ذكره لأمير المسلمين وكأنه يذكر شخصا عاديا.
(3) ضحى الإسلام، 285/2.
(4) حديث خرافة: الحديث المضحك المكذوب
(5) ضحى الإسلام، مصدر سابق.
(6) النحو وكتب التفسير، د. إبراهيم رفيدة، ص50 .
(7) ينظر: على سبيل المثال مراتب النحويين11/6، وأخبار النحويين البصريين، ص12، وطبقات الزبيدي، ص13.
(8) انظر: الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، ص186 -185.
(9) انظر: التطبيق النحوي، د. عبده الراجحي، ص5.
(10) انظر: الفصحى لغة القرآن، ص165.
(11) العربية، دراسة في اللغة واللهجات، والأساليب، يوهان فك، ص2.
(12) انظر: الفصحى لغة القرآن، ص302.

المسلمين ممن صدحت أقلامهم بإنصاف العرب ونحوهم، علماً أن العربية لا تحتاج للدلالة على قدرتها إلى شهادة أحد لكن الشيء بالشيء يذكر.

إذن حُقّ لنا نحن أبناء يعرب أن نتأمل باعتزاز هذا النحو العربي وقدرته على حفظ العربية طوال هذه القرون، وصيانتها من التحليل والفساد، وذلك وحده كاف أن نطرح من فكرنا تشكيك المغرضين في النحو العربي؛ بل يمكننا أن نقول بكل فخر واعتزاز: إنّ النحو نشأ في رحاب القرآن الكريم عربياً محضاً، بعقول عربية وإسلامية حمتها ظروف المجتمع الإسلامي الوليد، وأن رائد هذا العلم هو أبو الأسود الدؤلي، وإن كان ما بدأ به هو مبادئ أولية محدودة لهذا العلم، ولكنه كان عملا جليلا[1] في ذلك الحين، وقد ثبت أن مؤرخي النحو وأئمته كانوا – رحمهم الله تعالى – شديدي التنبه في هذه المسألة، وأنهم توالوا عليها على اختلاف الأجيال والأزمان دون اختلاف بينهم فيها باستثناء بعض التفاصيل التي لا ترقى لمستوى النقض، وأن النزعة والهجمة التي حاولت التشكيك في الدرس النحوي والتي أثارها المستشرقون، والنازعون نزعتهم قد رفضها أغلب الباحثين في العصر الحديث[2] إحقاقاً للحق، واتباعا للمنهج العلمي الصحيح.

إذن علينا أن نبحث عن الدّاء في موطن آخر...

إن المتتبعين لتاريخ العربية يعلمون أنها تعرضت لخطة مدروسة تستهدف القضاء عليها من خلال القضاء على نحوها " الذي هو حليتها، والموضّح لمعانيها"[3]، وما فتئت هذه الخطة تعمل عملها حتى وقر في أذهان الناس أن النحو العرب صار جامدا لا يساير العصر، وأن علينا أن نبحث عن نحو جديد وبناء على ذلك ظهرت إلى الوجود صيحات من هنا ومن هناك، وتجارب واقتراحات تحركها أحقاد تاريخية دفينة في حنايا الصدور تتربص الفرصة الموائمة فتختار لها تسمية بريئة، فمرة دعوة للإصلاح، ومرة صيحة التجديد؛ لتصرف عنها الشكوك والريب، لكن المظهر الزائف لا يخدع إلا أهله والقائمين عليه[4] ، ولن يُخفي الحقيقة.

وكل هذه الدعوات آثمة أبعد ما تكون عن الحق، وأجلب للخطر والضرر على البلاد والعباد والتراث، إنها دعوات إلى الإلحاد اللغوي، والمروق من حدود الفصحى، والعبث بمقدساتها: الكتاب، والسنة، وكل الروابط الجامعة لهذه الأمة.

لكن قدر هذه الدعوات أنها ما إن تظهر حتى تموت في مهدها الواحدة تلو الأخرى ويظل النحو العربي شامخا دون أن يصل المخططون إلى ما يبغون من القضاء عليه[5].

وكلمة سواء يقولها كل منصف: إن التجديد الحكيم الحميد المفيد مرغوب ومطلوب ليس في النحو فحسب؛ بل في كل أمر وشأن، فلولا التجديد النافع لوقفت مظاهر الحياة؛ بل مظاهر الحضارة عند حد لا تتجاوزه، لكن هذا التجديد مقبول بل مطلوب ممن يحسنة ويقدر عليه من غير عبث ولا إفساد، نعم لولا التجديد لجمدت أسباب الحياة ووسائلها، وتعطلت سبل الرقي والتقدم، وهذا هو الشقاء والعناء، وكما أسلفت فإن هذا التجديد الحميد يجب ألا

(2) انظر: مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي، ص6.
(3) انظر: على سبيل المثال: كتاب أصول النحو، الأستاذ سعيد الأفغاني، ص16، وكتابه من تاريخ النحو، 23 - 14، والتطبيق النحوي د. عبده الراجحي، ص5، والنحو الوافي، المقدمة، ص2.
(4) طبقات النحويين واللغويين، الزبيدي، ص2.
(5) انظر: اللغة والنحو بين القديم والحديث، للأستاذ عباس حسن، ص265.
(6) انظر: الفصحى لغة القرآن، 99، وما بعدها.

يكون إلا على يد قادر كفء، فخير للعاجز الفاشل أن يعرف قدر نفسه فيقف على حدودها، ويكفّ عن صراخه، ويدع ما لا يحسنه إلى من يقدر عليه ويحسنه، ويجب عليه حينئذ أن يسلك مسالك العقلاء، ويتدارك أسباب عجزه، وينجو من سيف هواه[1].

إن طعنات الاستهانة باللغة قد تستحيل سهاما مسمومة ترتد إلى نحر صاحبها بلا شفقة أو رحمة.

غير أننا يجب ألا نهمل شيئا آخر مهم جداً وهو "نظرة كثير من الطلاب إلى النحو على أنه مادة جافة يصعب فهمها، واستيعابها، وكثرة الرسوب في هذه المادة، واستسلام الطلاب لهذه النتيجة، وكأن الرسوب فيها قدر مقدور... إن كثيرا من الطلاب يصعب عليه أن يقرأ سطرا مما كتبه الأولون، وإذا ما تجرّأ أحدهم وقرأ فإنه سيسمعك ألواناً من العجمة في صفات الحروف، وضبط الكلمات، ويبهرك دهشة حتى في نطق الأعلام والأنساب والكني والألقاب..."[2].

تُرى من أين جاء هذا الداء العُقام؟ وكيف استشرى هذا المرض العضال؟!

بصفتي أستاذ النحو العربي أدرِّسه في كل عام في مختلف الجامعات أقول:

إنّ ما يشيعه الفاشلون عن صعوبة النحو وجفافه تمهيداً لما يقدمونه من قشور، ثم الاعتماد على المذكرات، والمختصرات، والحواشي الفارغة التي تُعطى للطلاب في الجامعات والتي تحجب عن الطلاب كُوى النور، وتحرمهم من منابع العلم الحقيقي تحت شعار التيسير والتسهيل، هذا الشعار الذي لا يخلو من خديعة لهذه المادة الشريفة ، ولا أبالغ إذا قلت: إن كثيراً من خريجي الجامعات الذين نصفهم بالجهل والضعف في هذه المادة هم نتاج المذكرات، والمختصرات، والمحاضرات الهزيلة لكثير ممن يدرس هذه المادة.

يقول أحد الأساتذة الذين يدرسون مادة النحو: "لقد غدا النحو عند كثير من طلبة التخصص عملا شاقا، يتحرجون أن يصوغوا من الأمثلة غير ما لقّن لهم في قاعات الدرس ويروغون من الإعراب ما وسعتهم الحيلة..." [3]، ثم يستطرد قائلا: إن بعض من يتولون تدريس النحو يروّجون لصعوبة النحو في النصوص التّراثية تمهيدا للهروب من الكتاب، واستبداله بمختصرات غاية في الضعف[4].

وهذا للأسف واقع ملموس فإن كثيراً ممن يتصدون لتدريس مادة النحو لم يتسلحوا بالاطلاع، وتحضير المادة تحضيراً جيداً كما ينبغي لها، ولذلك صدق فيهم قول أبي علي الفارسي – رحمه الله تعالى – حينما رأى تلميذه ابن جني في حلقة الدرس وقد قصّر في شرح بعض المسائل، فقال له قولته المشهورة: "يا بني زبَّبْت قبل أن تُحصرم"[5] .

ولا أملك في هذه العجالة إلا أن أقول: ينبغي ألا ننكر أن طريقة تدريس النحو في مدارسنا وجامعاتنا غير صالحة – في أغلبها – ألبتة في نقل الدرس النحوي كما ينبغي إلى الناشئة والدارسين، ولعل ضعف جلّ مدرسي اللغة العربية ثمرة من ثمرات التخطيط لنسف النحو، وبالتالي هدم ركن العربية الركين؛ لينقلب هذا على القرآن الكريم، فيأتي وقت تصعب القراءة فيه، وإن قرئ لا يفهم منه شيء.

---

(2) انظر: النحو بين القديم والحديث، ص267.
(3) الأساليب النحوية (دراسة وتطبيق)، د. عبد الكريم جمعة سلامة، ص10.
(4) دراسات نحوية في القرآن الكريم، أحمد ماهر البشري، ص157.
(5) انظر: المصدر نفسه.
(6) بغية الوعاة، السيوطي، مج2، ص132.

إن العيب – والحق يقال – ليس في النحو العربي، ولكنه يكمن فينا نحن بلا جدال، والدليل على ذلك: ها نحن نرى شباباً وشيباً من الأوربيين يتكلمون النحو العربي، ويتقنونه، ويرجعون فيه إلى مصادره الأولى، وتجري اللغة العربية الفصحى على السنتهم رفرافه مشرقة.[1]

كذلك نرى أعداداً لا حصر لها ممن يمارس اللغة العربية فيتقنها كتابة، وضبطاً، وأداءً، سواء كانوا طلابا، أو معلمين؛ إذن: النحو كأيّ علم يمكن أن يُستوعب، ويتقن إذا ما توفّر له المعلّم الكفء، والطالب الجاد.

وختاماً أقول: لقد ضربت اللغة العربية بنحوها، وصرفها، رقماً قياسياً في الكمال حيث تقدمت للفكر بكل المخططات الصوتية الممكنة، وميزت مفاصل الفكر تمييزاً واضحاً مُبيناً، وقد توصل علم اللغات المقارن إلى حقيقة ثابتة بالنسبة للغة العربية هي أنها معتبرة بسيكولوجيتها للعلوم الباطنة والظاهرة [2].

ولكل هذا الكمال في اللغة العربية فقد استحقت تكريم الله تعالى لها بأن اختارها لغة لكتابه العزيز ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: 3]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: 192–195].

فوصف الله سبحانه وتعالى اللسان العربي بأبلغ ما يوصف به الكلام وهو (البيان) [3].

وأريد أن أختم هذه الصفحات بكلمة راقتني، بينما أنا أتصفح بعض الكتب بهرتني مقولة للدكتور طه حسين فرأيت من الفائدة أن أذكرها، وهي قوله: "إن المثقفين العرب الذين لا يتقنون اللغة العربية، ليسوا ناقصي العربية فحسب، بل إن في رجولتهم نقص كبير ومهين"[4].

(2) انظر: التطبيق النحوي، ص6 .
(3) انظر: المطران يوسف داود (مقدمة كتابه في الأصول النحوية).
(4) انظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، مج1، ص321.
(1) نصوص عربية، د. عماد حاتم، ص80.

الخاتمة

أولاً: النتائج:

- النحو عماد اللغة ودستورها، وهو أصلها الذي تستمد منه العون وتستلهم روحه وترجع إليه في مسائلها وفروع تشريعاتها.
- للنحو شرف الدفاع عن حياض الكتاب والسنة من عاديات اللحن والتحريف.
- كان للعلماء القدامى منذ عهد الخلفاء الراشدين دور في إنشاء النحو العربي وتطويره وتأصيله وتقعيده حتى بلغ النضج العلمي والوضوح المنهجي لم يبلغها علم آخر.
- المتتبع لتاريخ اللغة العربية يعلم أنها تعرضت لخطة مدروسة تستهدف القضاء عليها من خلال القضاء على النحو.
- يرجع ضعف الطلاب في الجامعات في مادة النحو إلى نظرتهم إلى النحو على أنه مادة جافة يصعب فهمها واستيعابها وإلى ما يعطى لهم من منهج يعتمد على المذكرات والمختصرات والحواشي الفارغة.
- إنّ طريقة تدريس النحو في مدارسنا وجامعاتنا غير صالحة في أغلبها ألبتة في نقل الدرس النحوي كما ينبغي إلى الناشئة والدارسين.

ثانياً– التوصيات:

- إنّ التجديد مطلوب، بل ونلح عليه، ولكنه يجب أن يكون من القادرين المقتدرين الأفذاذ في اللغة.
- يجب أن نخرِّج جيلاً لا ينظر إلى النحو هذه النظرة البغيضة المقيتة، ولا يتأتى ذلك إلا باختيار من هو كفؤ لتدريس هذه اللغة الشريفة.
- يجب أن يوضع منهج قويم وطريق مستقيم لتدريس النحو في الجامعات ليقضي على الحواشي والمذكرات العقيمة، والاهتمام بالنشاط اللغوي والأدبي الذي يحقق أهداف تدريس اللغة العربية.

وكلمة إلى علمائنا الأوائل الذين سخروا عنايتهم في جمع أصول اللغة ولمّ شتاتها، والذين استنبطوا أحكامها العامة والفرعية رحمهم الله تعالى وجزاهم خير الجزاء وأجزله، كيف لا نترحم عليهم ونحفظهم ونحفظ سيرتهم، وقد ضربوا أحسن الأمثال في حفاظهم على اللغة؛ بل قهروا التاريخ على الشهادة لهم والاعتراف بهم، وحفظ أسمائهم وألقابهم، وما ذلك إلا بصبرهم الدؤوب وكدحهم الصادق خدمة لكتاب الله العزيز، وما بغوا إلا رضا الله تعالى، رحمهم الله جميعا وجزاهم عنا نعيما مستديما في جنان الله تعالى.

المراجع

- القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.
- أخبار النحوين البصريين، ومراتبهم، لأبي سعيد السيرافي، تحقيق د. محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط1، القاهرة، 1405هـ – 1985م.
- الأساليب النحوية (دراسة وتطبيق) د. عبد الكريم جمعة سلامة خماش، دار شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الزاوية، ليبيا، 2014م.
- في أصول النحو، الأستاذ سعيد الأفغاني، دار الفكر، دمشق.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكل مان، ترجمة عبد الحليم النجار، ط2، دار المعارف بمصر.
- التطبيق النحوي، د. عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
- دائرة المعارف الإسلامية، مج1، العدد الخامس، ترجمة محمد ثابت الفندي وزملائه.
- دراسات نحوية في القرآن الكريم، أحمد ماهر البقري، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، 1406هـ – 1986م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مطبعة المنار، ط4، مصر، 1367هـ.
- ضحى الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة، ط6، القاهرة.
- طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الخانجي، مصر.
- العربية (دراسة في اللغة واللهجات والأساليب) يوهان فك، ترجمة عبد الحليم النجار، مطبعة الخانجي، القاهرة، 1951م.
- الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، 1402هـ –1982 م.
- اللغة والنحو بين القديم والحديث، الأستاذ عباس حسن، دار المعارف بمصر.
- المؤتمر الرابع للصوتيات العربية (اللغة أصوات) مجمع اللغة العربية، طرابلس، ليبيا، 2010م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، ترجمه وضبطه وصححه محمد أحمد جاد المولى وآخرون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- من تاريخ النحو، الأستاذ سعيد الأفغاني، دار النفس، بيروت، لبنان.
- النحو الوافي، الأستاذ عباس حسن، ط2، دار العارف بمصر.
- نصوص عربية، د. عماد حاتم، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1993م.
- النحو وكتب التفسير، للمرحوم د. إبراهيم رفيدة، ط1، المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ليبيا.

سيبويه والكتاب

د. إبراهيم خليفة الذوادي

كلية الآداب والتربية – جامعة صبراتة

أولاً: سيبويه:

تقديم:

سيبويه أشهر من أن يُعرّف به، فهو نار على علم، ولكنّي وأنا بصدد دراسة كتابه العظيم كان لزاماً عليّ – ولو في عجالة – أن أمرّ به فأتعرّف إليه: طالباً للعلم وعالماً، ومؤلفاً، وأصحبه في هذه الصفحات القليلة المتواضعة، والتي ربما تكون طريقاً مختصراً جداً لمن أراد أن يلمّ على عجل بهذا العالم الفذّ، النحويّ الذي ما زال اسمه يجوب الآفاق، ولقبه يسير مسير الشمس في كبد السماء "سيبويه". اللقب الذي يعرفه أهل الضاد حقّ المعرفة، فهو الذي لم يتلقب بلقبه أحد قبله، إنه أشهر عالم يدور اسمه على ألسنة أهل اللغة والنحو، وهو الّذي له في نفوس أهل العربيّة ما ليس لنحويّ سواه من الإجلال، والإعجاب، يعظّمون آراءه، ويمجّدونها، ويفتخرون بها، لما لها من العمق والإصابة.

اسمه ونسبه:

هو عمرو بن عثمان بن قنبر، مولى بني الحارث بن كعب، ثم مولى الربيع بن زياد الحارثي[1] لُقّب بسيبويه، فصار لقبه أشهر من اسمه، ومن كنيته "أبو بشر"، ويكاد يجمع المؤرّخون الذين ترجموا له أنّ معنى سيبويه: رائحة التفاح، وهم يعلّلون هذا اللّقب بأن وجنتيه جميلتان كالتفّاح، أو أنه كان جميل الرائحة، حتى إنّ من يقترب منه يشم منه رائحة التفّاح، وقيل: لُقّب بذلك للطافته؛ لأن التفاح من أطيب الفواكه، وقيل أن "السي" ثلاثون بالفارسية و"بويه" رائحة، أي صاحب الثلاثين رائحة[2]، إلى آخر هذه التعليلات، وربما أن هذه التعليلات لا قيمة لها إلا من قبيل أن العلم بالشئ خير من الجهل به؛ لأن الأسماء لا تعلل كما يقولون.

ولا يعرف من آباء سيبويه إلا اثنان وهما: أبوه، وجده، فأبوه عثمان، وجده قنبر، وقنبر اسم عربيّ قُحّ عريق، فقنبر –على سبيل المثال– مولى معاوية وحاجبه، وقنبر هو: الحكم بن محمد بن قنبر المازني، شاعر ظريف، من شعراء الدولة الهاشمية [3]، وقنبر اسم جد سيبويه وليس (قنبرة) كما في كتاب (نزهة الألباء) مما يؤيد ويدعم ذلك رثاء الزمخشري –رحمه الله– سيبويه حين قال:

ألا صلى الإله صلاة صدق ... على عمرو بن عثمان بن قنبر

فإن كتابه لم يغني عنه ... بنو قلم ولا أبناء مشبر

(2) بغية الوعاة: 229/2 . تاج العروس للزبيدي: 305/1.

(3) تاج العروس: 3051.

(1) انظر: الأغاني: 153/14. تاج العروس مادة (قنبر)

إذن فهر قنبر وليس (قنبرة)، والقاف من قنبر مفتوحة كما ضبطت في (معجم الأدباء) إلا أنّ ابن خلّكان قد ترك هذا الاسم دون ضبط مع شدة اهتمامه بضبط الأسماء، ربما لأنّه لم يصح عنده ضبط يطمئنّ إليه. فقد اكتفى المؤرخون بهذين الاسمين من سلسلة أسماء نسب سيبويه، ولعل مرد ذلك أنّ أباه وجدّه هما اللّذان دخلا في الإسلام، والدّليل أنّهما سمّيا بأسماء إسلامية في حين لم يكن لأجداده الفرس من أهمية تجعل المؤرخين يهتمون بهم. أمّا أمّه فهي بكل تأكيد كانت فارسية الأصل، بدليل أنّها لقّبت ابنها بسيبويه، هذا اللقب الفارسي، وبدليل هجاء بشار بن برد إياه بأنه ابن الفارسية [1] بقوله:

أسيبويه يا بن الفارسية ما لذي
تحدثت عن شتمي وما كنت تنبذ
أظللت تغني سادرا في مساءتي
وأمك بالمصرين تعطي وتأخذ

سيبويه إذن صريح في فارسيته من ناحية أمه، ومن جهة أبيه.

مولده ونشأته:

لا سبيل إلى معرفة ميلاد هذا العالم الجليل فقد أغفلها المؤرخون جميعاً، وخضع ميلاده إلى الفرض، والتخمين، والحدس.

ولكن بعض المؤرخين يؤكدون أن سيبويه ولد بالبيضاء التي وصفها ياقوت الحموي بأنها مدينة مشهورة في فارس وأنها سميت بالبيضاء [2]؛ لأن لها قلعة تبدو للرائين من بعيد، ويرى بياضها لكل ذي عينين، وكانت معسكراً للمسلمين [3]، أما نشأته فكانت في البصرة التي هاجر إليها مع أهله، عندما كانت الهجرة من فارس إلى الحواضر الإسلامية ظاهرة اجتماعية في ذلك الزمان لطلب العلم، أو الجاه المادي.

طلب العلم:

بادر سيبويه بالتوجه إلى أماكن العلم – في البصرة – فأخذ يطلب الحديث والفقه [4] –كما تروي كتب التراجم– وبينما هو يستملى على حمّاد بن سلمة (ت:167هـ) قول النبي ﷺ: "اليس من أصحابي إلاّ من لو شئتُ لأخذتُ عليه، ليس أبا الدرداء "، فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء، ظانّاً أنه اسم ليس. فقال حمّاد: لحنت يا سيبويه، ليس هذا حيث ذهبت، وإنما ليس هاهنا استثناء، فقال: لا جرم، سأطلب علما لا تلحنني فيه فلزم الخليل فبرع"[5].

وخبرٌ آخر يرويه حمّاد بن سلمه، أنه جاء إليه سيبويه مع قوم يكتبون شيئاً من الحديث، فكان فيما أمليت ذكر

(2) هجاء بشار سيبويه لأنه لم يكن يستشهد بشعره، بل روي أن سيبويه طعن على بشار في شعره، إلا أنه بعد أن هجاه بشار استشهد بشعره استكفافاً لشره، انظر: الأغاني: 153/14. ترجمة بشار.
(3) بغية الوعاة: 229/1. وفيات الأعيان: 463/3.
(4) انظر: معجم البلدان الياقوت الحموى: 529/1.
(5) بغية الوعاة: 929/2. وفيات الأعيان: 463/3. تاريخ آداب اللغة العربية: 132/2. تاج العروس: 305/1.
(6) انظر: أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السيرافي: 43/2. نزهة الألباء في طبقات الأدباء: ص72، إنباه الرواة على أنباه النحاة: ص350. مغني اللبيب، لابن هشام مبحث (ليس).

(الصفا)، وكان هو الذي يستملّ فقال: صعد النبي ﷺ (الصفاء)، فقلت: يا فارسى، لا تقل الصفاء، لأن الصفا مقصور، فلما فرغ من مجلسه كسر القلم، وقال: "لا أكتب شيئاً حتى أحكم العربية"[1]

إلا أنّه ليس في هاتين القصتين من الغرابة، إذ قد يبدو للمتعلم وهو يدرس ما يشعره بالنقص في دراسته، فيتجه لاستكمال النقص من مظانّه ومواطنه، ويتسلح بالمعلومات من مصادرها، وربما وجد المتعلم نفسه قد نبغ في اتجاهه الجديد، فيستمر فيه. لكن الذي لاشكّ فيه أن سيبويه قد أخذ من كل علم من علوم عصره بنصيب. قال ابن عائشة [2]: "كنا نجلس مع سيبويه في المسجد، وكان شاباً نظيفاً جميلا، قد تعلق من كل علم بسبب، وضرب في كل أدب بسهم مع حداثة سنه، وبراعته في النحو"[3].

معلمو سيبويه:

يحفظ التاريخ أسماء مجموعة من شيوخ سيبويه، وهم من الفحول والفطاحلة الذين تركوا أثارهم واضحة على فكر، وعقلية تلميذهم النجيب سيبويه، وعلى رأس أولئك الشيوخ سيد أهل الأدب، وصاحب العقلية الفذة الجبارة، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: 175هـ)، فهو الذي أثر فيه تأثيراً قوياً؛ لأنه الأكثر اتصالاً وتعلقاً به، إذ كان هذا العالم الجليل يفسح صدره له، فلا يضنّ عليه بشئ من العلم أبداً، ويضفي عليه من إنسانيته ما يدفعه للتعلق بشيخه، وبالتالي النبوغ في عمله، ومن هنا كان أوثق من حمل عنه هو سيبويه.

يقول ابن النطاح: "كنت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه فقال الخليل: مرحباً بزائر لا يملّ".

قال أبو عمر المخزومي –وكان كثير المجالسة للخليل– ما سمعت الخليل يقولها لأحد إلا لسيبويه [4].

ومن أساتذة سيبويه حماد بن سلمة بن دينار (ت: 167هـ)، وربما هو أول شيخ أخذ العلم عنه. والأخفش الأكبر، عبد الحميد بن عبد الحميد أبو الخطاب [5]، وكان ديّنا ورعا، ثقة من أئمة النحو واللغة، أخذ عنه سيبويه اللغة، وشيئا من النحو. روى عنه سيبويه في كتابه نحو سبع وأربعين مرة [6]، ومن شيوخ سيبويه يونس بن حبيب الضبي (ت: 182هـ) الذي أخذ عن أبي عمرو بن العلاء (ت: 154هـ) وعن حماد بن سلمه، ومن تلاميذه أيضاً الكسائي، (ت: 189هـ)، والفراء (ت: 207هـ)، وقد روى سيبويه عنه كثيراً في كتابه، بل كان يونس ثاني أبرز العلماء الذين روى عنهم سيبويه، فقد بلغ نقله عنه نحو مئتي رواية [7].

ومن شيوخ سيبويه كذلك أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري (ت: 215هـ) [8] وغيرهم...

رحلة سيبويه إلى بغداد وتحديه الكسائي:

رحل سيبويه إلى بغداد بعد أن ملأته الثقة بنفسه، وأنه كفؤ لكل من تسوّل له نفسه مناظرته، حتى ولو كان الكسائي، وكانت الرحلة إلى بغداد في عهد هارون الرشيد وقصد يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد وقتذاك.

قيل: إن الباعث على تلك الرحلة كان الطموح المادي، فالأدبي؛ لأن الكوفيين بزعامة الكسائي إلى ذلك الحين

(2) مجالس العلماء للزجاجي: ص 154.
(3) محمد بن عائشة، ويكنى أبا جعفر، ولم يكن يعرف له أب ونسب إلى أمه. انظر: الأغاني: 170/2.
(4) طبقات النحويين واللغويين: ص67. إنباه الرواة على أنباه النحاة: 352/2.
(5) طبقات النحويين واللغويين: ص 68. وفيات الأعيان:464/3.
(6) طبقات الزبيدى: ص 68.
(7) الإحصاء للأستاذ على الجندي، عن التقديم لكتاب سيبويه لعبد السلام هارون.
(8) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي: ص 21.
(9) المصدر نفسه: ص 42.

كانوا يستأثرون بهبات خلفاء دولة بني العباس وعطاياتهم، علاوة على أنهم المؤدبون لأولادهم[1] ، ويبدو أنه قد راود سيبويه خاطر يتجلى في ضرورة فتح أبواب الخلفاء والأمراء أمام العلماء البصريين، وكان يدفعه لهذا الأمل ثقة واقتدار مع كامل الإيمان بتفوقه وقدرته على الظفر، ولذلك أغار على معاقل الكوفيين في قلب بغداد؛ ليثبت أن النحاة البصريين يتفوقون على الكوفيين ويبرزونهم، ولذلك قصد سيبويه يحيى البرمكى طالباً منه أن يجمع بينه وبين الكسائي، فهو إن انتصر عليه تكون مدرسة البصرة هي التي انتصرت على مدرسة الكوفة، وإذا ما تم له ذلك تربعت مدرسة البصرة في شخص سيبويه على عرش المجد اللّغويّ، وبالتالي يظفر بما يرغب به، ورغم نصيحة النصحاء لسيبويه إلا أنه أصرّ على المناظرة مع الكسائي، وكان له ما أراد، فتواجه القرينان، ودارت بينهما تلك المناظرة غير العادلة[2]، وابتدأت بسؤال وجهه الكسائي لسيبويه وخلاصته أن الكسائي يرى جواز نصب الاسم على الحال، بعد إذا الفجائية، ولذا بادر سيبويه بالسؤال قائلا: ماذا تقول يا سيبويه في قول العرب: "قد كنت أظنّ أنّ العقرب أشدّ لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها"؟... وانجلت المناظرة بفوز الكسائي، وهزيمة سيبويه[3]، وهنا تختلف الآراء في هزيمة سيبويه رغم أن ما قال هو القياس[4]، وأصدق شاهد له هو القرآن الكريم، الكريم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَاظِرِينَ﴾[5]، ولو ثبت النصب لكان خارجا عن القياس واستعمال الفصحاء، فمن قائل أن سبب الهزيمة حبسه لسانه، وأن هذه اللّكنة كانت سبباً قوياً في إخفاقه، ومعروف أن سيبويه كان – عليه الرحمة – لكناً، قال معاوية بن أبي بكر العليمي: "عمرو بن عثمان قد رأيته، وكان حدث السن، وكنت أسمع في ذلك الوقت أنه أثبت من نقل عن الخليل، وقد سمعته يتكلم ويناظر في النحو، وكانت في لسانه حبسه، ونظرت في كتابه فقلمه أبلغ من لسانه"[6]، ومن قائل إن هزيمة سيبويه قد عبثت بها أصابع السياسة، ومنهم من يقول: إنّ الأعراب الذين استشهد بهم الكسائي هم من أعراب الحطميّة، وهي قرية على بعد فرسخ من بغداد، وقاطنوها خليط من الأقوام لا يصح الاعتماد على فصاحتهم اللغوية إلى غير هذه التبريرات[7]، المهم في الأمر أن أمل سيبويه في الفوز بالقرب من حاشية الرشيد لم يتحقق، فخرج من بغداد مغاضباً وجرحه في قلبه ينزف دماً وعز عليه، وهو الإمام بلا منازع أن يعود إلى البصرة بعد هذا الموقف الذي تآمر فيه ضدّه الكسائي وأنصاره من حاشية الرشيد فقصد مسقط رأسه (البيضاء) على الأرجح بعد أن استقدم تلميذه الأخفش –سعيد بن مسعدة– وأطلعه على ما جرى بينه وبين الكسائي، وأودعه نسخة من كتابه المعروف.

وفاته:

لقد قدر لهذا العبقري أن تكون منيّته في أمنيته فما كاد يصل إلى بلده حتى وافته المنيّة غما، بعد أن قال قرب احتضاره:

يؤمّل دنيا لتبقى له *** فوافي المنيّة دون الأجل

(2) كان الكسائي مؤدب الأمين بن هارون، وفيات الاعيان: 463/3.
(3) انظر: بغية الوعاة: 230/2. الإنصاف المسألة الزنبورية، المغني: 121/1، وما بعدها. وفيات الأعيان:464/3.
(4) انظر: الانصاف في مسائل الخلاف، ج2، المسألة الزنبورية.
(5) أجاب سيبويه: "فإذا هو هي، وهذا هو القياس، والمنسجم، مع النحو فـ(هو) مبتدأ، و(هي) خبر و(هما) ضمير رفع، ولا يصح في (إياها النصب على الحال لانهما معرفتان لذلك تعين أن إعراب الضمير المعرفة خبرا).
(6) الشعراء: من الآية (33).
(7) وفيات الأعيان: 464/3.
(8) انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: 359/2.

حثيثاً يروي أصول الفسيل *** فعاش الفسيل ومات الرجل [1]

هنا تختلف الروايات في مكان وسنة وفاته، وأرجحها أنه مات بشيراز سنة (180هـ) قال الخطيب: "وعمره اثنان وثلاثون سنة، وقيل: نيف على الأربعين"[2]، وقيل: مات بالبيضاء مسقط رأسه، وقيل: بالبصرة [3]، وقال الجوزي سنه (194هـ) وعمره اثنان وأربعون سنة، وأنه توفي بمدينة ساوه [4].

هذا وتجمع الروايات على أن سيبويه عاش حياته كلها للعلم والتعلم، ولم تتحدث أي من الروايات عن زوجه ولا ولده، وكل ما جاد به علينا التاريخ هو حديثه عن أخ له يبدو أن الحب والمودة قد ربطت بينهما بأوثق رباط، وربما كان الأخ الوحيد له، فقد ذُكر أن سيبويه لما اعتل وضع رأسه على حجر أخيه فبكى أخوه لما رأى حالته، فقطرت من عينه دمعة ساخنة استقرت على وجه سيبويه، ففتح عينه، فرأى أخاه يبكي فقال:

أخيين كنا فرق الدهر بيننا *** إلى الأمد الأقصى ومن يأمن الدهرا[5]

رحم الله سيبويه، وسقى الغيث روضةً حوت رفاته.

ثانياً: الكتاب:

1- ظهور الكتاب:

ظهر الكتاب فجأة على صورته المتكاملة الرائعة من سيبويه الشاب، مما أدهش المشتغلين باللغة، وكان هذا الظهور عن طريق تلميذه أبي الحسن الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت: 210هـ) بعد موته بوقت قصير، فتسرب الظن إلى نفوس الكثيرين في الشك بأمانة سيبويه العلميّة. قيل ليونس بن حبيب "إن سيبويه ألف كتابا من ألف ورقة في علم الخليل فقال: متى سمع سيبويه من الخليل هذا كلّه، جيئوني بكتابه، فلما نظر في كتابه ورأى ما حكى عنه قال: يجب أن يكون هذا قد صدق عن الخليل فيما حكاه، كما صدق فيما حكاه عني"[6].

وهذه شهادة أنصفت سيبويه أمام الكثيرين، وبرأته وكتابه من كثير من الظنّ، وأخذ الكتاب يعظم شأنه في البصرة عند الدّارسين والشّادين للعربية من كل حدب وصوب. يوماً بعد يوم حتى صار علماً، فإذا قيل: إنّ فلاناً يقرأ الكتاب أو قرأ الكتاب انصرف الذهن إلى كتاب سيبويه، بل سمّي الكتاب بقرآن النحو، إكباراً للكتاب وصاحبه [7].

وهكذا أصبح الكتاب أعجوبة الزمن الخالدة، يفاخر به أتباعه، وخصومه يقرأونه سرّا، والعلماء من كل عصر ومصر يعكفون عليه، ويتعبدون في محرابه. فمن شارح له، أو لشواهده، ومن منتقد له، ولكنهم عجزوا عن أن يأتوا بمثله، ويكفي أن كل من تتبع عثرات الكتاب لم يعثر على شيء يستحق الذكر، على الرغم من أنه باكورة في النحو، ولذلك حق لأبي عثمان المازني أن يقول: "من أراد أن يصنف كتابا واسعا في النحو بعد سيبويه فليستحي"[8].

2- أسلوب الكتاب:

لا شك أن كتاب سيبويه قد وضع للمتخصصين، والعلماء، بل للصفوة من محبي لغة الضّاد، ولا يخفى على كل

(2) انظر: المغني: 121/1 وما بعدها. وإنباه الرواة:359/2.
(3) بغية الوعاة: 230/2.
(4) انظر: وفيات الأعيان: 463/3.
(5) انظر: المصدر نفسه.
(6) انظر: إنباه الرواة: 359/2.
(7) أخبار النحويين البصريين، للسيرافي: ص 28، طبقات النحويين واللغويين، للزبيدى: ص 49، معجم الأدباء الياقوت: 177/16.
(8) انظر: مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي: ص 65.
(9) فهرست ابن النديم: ص 77. تاريخ آداب اللغة: 132/2. مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي: ص 78. نزهة الألباء: ص 75.

مطّلع على الكتاب تميزه بالإيجاز، فكل كلمة فيه موضوعة لمعنى، وربما أدى هذا الإيجاز في بعض الموضوعات إلى غموض، أو إبهام أو التواء، يحتاج إلى إعمال الفكر، والتأني في فهم غرض المؤلف. يقول ابن كيسان: "نظرنا في كتاب سيبويه في زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ، فاختصر على مذاهبهم"[1].

ولا يخفى أن أسلوب ترتيب الكتاب يخالف المألوف في الكتب المعاصرة في التبويب، والترتيب وفي عنوانات أبوابه مع التداخل في كثير من تلك الأبواب، ولنأخذ على سبيل المثال العنوان الذي وضعه لإنّ وأخواتها. فهو يقول: "هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده، وهي من الفعل بمنزلة عشرين من الأسماء التي بمنزلة الفعل، لا تصرف الأفعال كما أن عشرين لا تصرف الأسماء التي أخذت من الفعل وكانت بمنزلته، ولكن يقال بمنزلة الأسماء التي أخذت من الأفعال، وشبّهت بها في هذا الموضع، فنصبت درهماً؛ لأنه ليس من نعتها، ولا هي مضافة إليه، ولم ترد أن تحمل الدرهم على ما حمل العشرون عليه، ولكنه واحد بين به العدد فعملت فيه كعمل الضارب في زيد، إذا قلت: هذا ضارب زيدا؛ لأن زيادة ليس من صفة الضارب، لا محمولاً على ما حمل عليه الضارب "وبعد كل هذا يقول"، وهي: إن، ولكن، وليت، ولعل، وكأن "إلا أننا إذا تأملنا عبارة سيبويه وجدناها موجزة قوية جزلة تلحقه بأرباب البلاغة، ولهذا درج القدماء على استعظام كتاب سيبويه، فهذا المبرد[2] مثلا أثر عنه أنه كان يقول لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه: "هل ركبت البحر؟" تعظيما لكتاب سيبويه، واستعصابة لما فيه [3].

وهذا أبو عثمان بكر بن محمد المازني [4] يقول: "قرأ رجل عليّ كتاب سيبويه في مدة طويلة، فلما بلغ آخره قال لي: أما أنت فجزاك الله خيرا، وأما أنا فما فهمت منه شيئا"[5].

كما أننا نلحظ أن المصطلحات النحوية عند سيبويه مصطلحات تتأرجح بين وصف الظاهرة النحوية وبين التقعيد لها فيطول شرحها أحيانا، وربما كان له عذره في ذلك، لأنه يضع مصطلحات لم يسبق إليها، فهي على الرغم من إفتقارها إلى الدلالة المحددة، إلا إنها تؤكد استقلاليته، وأنه أول من خاض في هذه المصطلحات وحاول أن يجدها. ولا شك أنه أحسن تبويب الكتاب بالقياس إلى عصره، بل إن كتابه حوى معظم عناصر الفن من الناحية المنهجية، وحسن التعليل للقواعد، ولعله اطلع على بعض التصانيف من هنا أو هناك أعانته في تأليف كتابه وتبويبه، ومما يميز سيبويه أنه كان ذا عقلية فذة مكنته من جودة الترجيح عند الاختلاف، واستخراج الفروع من الأصول وهذا ما عج به الكتاب، فكثيرا ما يقول: والقياس كذا، أو والقياس يأباه، ويقول: سألت الخليل عن قول العرب: ما أميلحه فقال: لم يكن ينبغي أن يكون في القياس، لأن الفعل لا يحقر، وإنما تحقر الأسماء [6].

وسيبويه يضع بين يديك شخصيته المتميزة في كتابه سواء من ناحية أسلوبه، أو من ناحية استيعابه لما نقل، وهضمه إياه، فتمثله، وناقشه، وحكم عليه، وكثيرا ما نجد في كتابه قوله: قال فلان كذا، والقياس كذا، وقال النحاة

(2) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي: ص 65.
(3) محمد بن يزيد أبو العباس المبرد. إمام العربية ببغداد في زمانه صاحب كتاب المقتضب وتصانيف أخرى رائعة (ت: 285هـ)، انظر: بغية الوعاة: 271/1.
(4) نزهة الألباء: ج75، وبغية الوعاة: 366/1.
(5) إمام في العربية متسعا في الرواية لا يناظره أحد إلا قطعه، لقدرته على الكلام، له تصانيف كثيرة منها: علل النحو، وتفاسير كتاب سيبويه (ت: 248هـ)، انظر: طبقات اللغويين النحويين ص 283.
(6) مراتب النحويين: ص 78.
(7) الكتاب: 1/167 طبعة بولاق.

كذا، والصواب خلافه [1]، وحسبنا أنا نجد باباً خاصاً نقد فيه النحاة في بعض ما سلّموا به مثل قوله: "وذلك قولك ويح له، وتب، وتبا لك، وويحا، فجعلوا التب بمنزلة الويح، وجعلوا ويح بمنزلة التب، فوضعوا كل واحد منها في غير الموضع الذي وضعته العرب"[2].

وجعل سيبويه هذا الباب مشعراً بنقد صنيع النحاة فقال: "هذا باب استكرهه النحويون، وهو قبيح فوضعوا الكلام فيه على غير ما صنعت العرب"[3]، ومما يميز أسلوب سيبويه كذلك أنه لا يقرر القاعدة النحوية إلا بعد استقراء واسع الآثار، والشواهد، والنماذج اللغوية، وبعد تحليل دقيق، بحيث يترك للقارئ استنتاج القاعدة، والاقتناع بها وهو منهج تفرد به سيبويه وبرز فيه غيره من نحاة عصره.

3- أهمية الكتاب:

برع سيبويه في النحو حتى فاق أقرانه، وأصبح الإمام في هذا العلم من غير منازع ولا مدافع، وكتابه الإمام [4] للنحو، الذي كان ثمرة لبعقريته الفذة، هذا الكتاب الذي تمكن من قلوب المشتغلين باللغة، وفرض نفسه تحفة في النحو أكسبه فخراً وتخليداً أبدياً، وشاهداً لا يرقى إليه شك على سموّه وتألّقه في هذا الفن.

وعظم شأن هذا الكتاب حتى أصبح لا يعني هذا الاسم إلا كتاب سيبويه، وتسابق العلماء إليه للاهتداء به دستوراً للنحو العربي، وبلغ من الشهرة أن عُدّ أعجوبة الدّهر الخالدة، فمنذ أُلّف والعلماء يطوفون ويعكفون عليه شرحاً، وتحليلاً حتى استحوا أن يضعوا كتاباً للنحو بعده يماثله أو يقاربه، ومما لا يرقى إليه الظن أن الكتاب ثمرة لكل الجهود التي قام بها العلماء والمؤلفون منذ أبي الأسود الدولي، وحتى تأليف عيسى بن عمر الثقفي كتابه الجامع والإكمال اللذين شبههما الخليل بأنهما كالشمس والقمر للناس. إلا أن كتاب سيبويه غطّى على آثار كل ما سبقه من كتب فقد جمع سيبويه ما تفرق في كتب من سبقه، ورتبه ونظمه، وأضاف ما استنبطه بنفسه، ومن هنا يتضح لنا قول ثعلب: "اجتمع على صنع كتاب سيبويه اثنان وأربعون إنسانا منهم سيبويه"[5]. ولكن ليس معنى هذا أن الاثنين والأربعين إنسانا قد اشتركوا مع سيبويه في التأليف، بل معناه أن سيبويه قد انتفع بعلم من سبقه، وبنتائج أبحاثهم.

والكتاب إنما يدل على سعة اطلاع سيبويه، وتضلعه في اللغة، والنحو، وأنه ثمرة لهذه العبقرية الفريدة. كما تبرز قيمة الكتاب العلمية في أنه أول أثر علمي متكامل مكتوب في اللغة والنحو يصل إلى أيدي الدارسين؛ لأن كل ما سبق كتاب سيبويه لم يصل إلينا إلا عن طريق كتب السير والتراجم في شكل روايات تسرد هنا أو هناك، كما يلحظ أن ما يميز شيخ النحاة سيبويه في كتابه تحرّيه الأمانة العلمية في النقل عن الآخرين، ويتجلّى ذلك في نسبة كل ما نقله إلى أصحابه مما دفع يونس بن حبيب إلى الشك فيه قبل أن يقرأ الكتاب، تم برّأه، ونوّه به واصفاً ايّاه بالصدق في كل ما نقل وذلك بعد أن جيئ له بالكتاب واطّلع عليه.

هذا وقد أشاد كل العلماء الذين يعتد بأرائهم بكتاب سيبويه، ولقد مر بنا قول المازني: "من أراد أن يؤلف كتاباً

---

(2) على سبيل المثال: أورد سيبويه رأي الخليل - أستاذه - في إعراب (أمس) فقال: "وزعم الخليل لاه أبوك، ولقيته أمس إنما هو على: الله أبوك ولقيته بالأمس، ولكنهم حذفوا الجار والألف تخفيفاً على اللسان "الكتاب: 2/163،162"، إلا أن سيبويه رفض هذا التخريج قائلا: "ولا يقوى قول الخليل في أمس، لأنك تقول: ذهب أمس بما فيه"، المصدر نفسه: 164.

(3) الكتاب: 1/334.

(4) المصدر نفسه.

(5) انظر: تاج العروس مادة (مج): 1/305.

(6) الفهرست لابن النديم: ص 76.

واسعاً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي"، ويقول أبو الطيب اللغوي صاحب كتاب مراتب النحويين في ثنايا حديثه عن سيبويه: "أعلم النّاس بالنحو بعد الخليل، وألّف كتابه الذي سماه الناس قرآن النحو"[1].

وهذا أبو سعيد السيرافي يقول عن كتاب سيبويه: "وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله، ولم يلحق به من بعده"[2].

والكتاب سجلّ صادق لأقوال من تقدمه، أو عاصره من العلماء كأستاذه الخليل، ويونس بن حبيب، وأبي الخطاب الأخفش، وأبي عمرو بن العلاء وغيرهم.

والقارئ لكتاب سيبويه يقف إجلالا لهذا العالم الفذ؛ لأنه يجد نفسه أمام كتاب ضخم، جامع، مانع لكل أبوب النحو، والصرف، وعلم الأصوات والبلاغة والنقد ولا أعدو الصواب إذا قلت: إنّ هذا الكتاب من مفاخرة الحضارة العربية والإسلامية الذي يجعل قارئه يقف وقفة الخشوع أمام هذا الجهد العبقري الجبار، ليرى ضرورة وأهمية إنصاف أولئك الروّاد الأوائل، وألاّ نغامطهم حقوقهم فيما صنعوا بل نزنه بميزان الحق والوفاء.

وكتاب سيبويه –كما أسلفت– جمع القواعد النحويّة، والصرفيّة، والصوتيّة والبلاغيّة، والنقديّة، والموسيقيّة الشعريّة ... إلخ. وهو مقسم إلى أبواب كثيرة كلّ باب منها يعالج ناحية من نواحي اللغة، متميزّاً بالاستنباط، وحسن التعليل، والبرهنة في علاج موضوعاته، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب من استنباط، أو تعليل يأتي به، أو برهان يقيمه، أو تفريع يذكر أحكامه المختلفة مما يدل على سعة اطّلاع، وشخصية متميزة وعبقرية نادرة، لا تكتفي بالنقل، والتقليد. ولهذا احتفى المغاربة بالكتاب وكان له أثر في الأندلس لا يقل عن أثره في المشرق، ولاقى هناك الترحيب والتقدير وانكب العلماء عليه يفعلون به مثلما فعل المشارقة من شرح ونقد وتبويب وتعليق[3].

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على قيمة الكتاب التي عرف مقدارها العلماء والدّارسون القدامى والمحدثون.

4– شواهد الكتاب:

لا يفوتني أن أنوّه بشواهد الكتاب التي مصدرها القرآن الكريم، وكلام العرب، من حرّ أشعارهم، وأمثالهم، وحكمهم، ومن الواضح أن سيبويه بذل جهده في تخيرها وأخذها عن الجاهلين كزهير، والنابغة، والمخضرمين كحسان والحطيئة والإسلاميين كجرير والفرزدق، وقد تثبّت في اختيار تلك الشواهد، والتي بلغت ألفا وخمسين بيتاً من الشعر، وما يربو على الثلاثمائة آية، عدا الأقوال والحكم والأمثال، حتى ليقال إنها أوضح شواهد العربيّة؛ لأنها معزوة إلى من يحتج بلغتهم من العرب، وقد اتفق العلماء على الثقة بهذه الشواهد، حتى الخمسين التي قيل: إنها مجهولة القائل، لاقتناع العلماء بأن سيبويه يتحرى في الأخذ، والنقل، فجعلوا نقله لهذه الشواهد بمنزلة عزوها إلى من يحتج بلغتهم؛ لأنّ التحري في الأخذ والدقة هما السّمة التي تميز مدرسة البصرة عامة، وبخاصة شيخها الخليل بن أحمد الفراهيدي.

إنّ سيبويه على سبيل المثال إذا ما تناول الآيات القرآنية فإنه يحللها لغويّاً تظهر فيه عبقريّته، يقول الدكتور إبراهيم رفيده – عليه الرحمة–: "أما تعرضه للآيات القرآنية، وتحليله لها لغويّاً، فقد ذكرته من قبل، واعتبرته فاتح هذا الباب، ومشرعه على مصراعيه، باعتبار كتابه أقدم كتاب وصل إلينا يحمل فكرة لغوية عالية، ويضم بين دفتيه

(2) مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي: ص 65.
(3) أخبار النحويين البصريين: ص 48.
(4) جاء في بغية الوعاة: 110/2، أن عبد الملك بن سراج القرطبي عكف على كتاب سيبويه ثمانية عشر عاما لا يعرف سواه.

نماذج غير قليلة من الآيات المفسرة والمحللة لغويّاً سار العلماء على ضوئه، وانتفعوا به أيما انتفاع"[1].

وبمثل هذا التحليل اللغويّ للآيات تمتاز باقي الشواهد اللغوية في كتاب سيبويه.

خلاصة واستنتاج

أ- إنّ الكتاب صورة واضحة المعالم لآخر ما أنتجته العقلية الإسلامية في البحث العلميّ النحويّ واللغويّ خلال القرن الثاني الهجري.

ب- الكتاب صورة تعكس ما كانت عليه دراسة النحو، واللغة في ذلك الوقت من التعليل والقياس والفروض، والاستنباط.

ج- هذا الكتاب يعدّ من أنفس المصادر الوثيقة التي يجب أن ينطلق منها المتخصص ثم يعود إليها في مجالسه.

د- إنّ هذا الكتاب هو الأصل الذي انطلق منه غيره لم يستطيع أحد أن يزيد عليه؛ بل وقف العلماء عنده، وكل الذين جاءوا من بعده جعلوه أساساً لدراستهم باستثناء المتأخرين الذين وضعوا بعض المصطلحات التي كانت تنقص الكتاب أحياناً، وكذلك ترتيب بعض أبوابه وعنواناته.

هـ- إن الطبقة التي تلت كتاب سيبويه كانت طبقة الشرح، والتكميل، والتنظيم، ثم جاءت طبقة اكتفت بذكر القواعد من غير أن تقرنها بعللها، وأسبابها، ثم انتهى الأمر إلى المختصرات، أو المتون التي احتاجت إلى شروح مطوّلة واحتاجت الشروح إلى حواشٍ مصدرها جميعاً كتاب سيبويه.

وهكذا يتضح لكل قارئ منصف أن كتاب سيبويه مصدر ثريّ يجب معاملته على هذه الرؤية، وأن يُحمل أساساً للدراسة اللغوية بجميع فروعها.

وبذلك نسهم في تطوير الدراسة النحوية تأليفاً، وتوسّعاً، وتهذيباً، وتقريباً لأذهان الشّادين من طلاب العربيّة في كل صقع من أصقاع العالم.

(1) النحو وكتب التفسير ابراهيم رفيده: 1245/2.

المراجع

1- أخبار النحويين البصريين لأبي سعيد السّيرافي، تحقيق: دز محمد الزيني وآخر، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1374هـ.
2- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لجمال الين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: د. محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتاب المصرية 1950م.
3- الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، تحقيق: د. محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
4- بغية الوعاة في طبقات اللغويين النحاة للسيوطي، تحقيق: د. محمد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت لبنان.
5- تاج العروس للزبيدي، تحقيق: د. علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 1994م.
6- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، مكتبة الحياة، بيروت، (لا ت).
7- الفهرست، للنديم الفرج بن إسحاق، مطبعة الاستقامة 1969م.
8- الكتاب لسيبويه، تحقيق: د. عبد السلام هارون، دار القلم، القاهرة، 1996م.
9- مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي، تحقيق: د. محمد أبي الفضل إبراهيم، دار النهضة، مصر ط2، 1974م.
10-نزهة الألباء في طبقات الأُدباء، لابن الأنباري، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1405هـ - 1985م.
11-النحو وكتب التفسير، د. إبراهيم عبد الله رفيدة، ط1، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس ليبيا 1980م.
12-طبقات النحويين واللغويين للزّبيدي، تحقيق: د. محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، (لا ت).
13-وفيات الأعيان لأبي العباس بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، ط3، 1974م.
14-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الشام للتراث، بيروت لبنان، 1982م.
15-معجم البلدان لياقوت الحموي، طبعة دار المأمون.
16-الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، منشورات دار مكتبة الحياة – دار الفكر بيروت 1955م.
17-الإحصاء للأستاذ علي الجندي، دار صادر بيروت.
18-مجالس العلماء، ابو القاسم الزجاجي، تحقيق: مازن المبارك، الطبعة الثانية، 1393هـ، 1973م بيروت.

مدى مواءمة مخرجات التعليم الجامعي لمتطلبات سوق العمل في ليبيا

د. عبدالله محمد عبدالله اشحيمه
قسم علم الاجتماع
كلية التربية – جامعة الزيتونة

خلاصة

هدفت الدراسة إلى محاولة التعرف على مدى مواءمة المخرجات الجامعية لمتطلبات سوق العمل في ليبيا , أهم الجوانب التي أسهمت في خلق فجوة كبيرة بينهما وما أهم الخطوات التي يجب أتباعها لتغلب على الصعوبات التي تواجه عملية المواءمة بين مخرجات التعليم الجامعي ومتطلبات سوق العمل؛ سواء من حيث تحسين جودة المخرجات أو ربط التعليم الجامعي بمتطلبات سوق العمل؛ من خلال وجهة نظر المدراء و المسئولين بالقطاعات التي تشرف وتدير مؤسسات سوق العمل, وتشرف على توظيف مخرجات التعليم الجامعي . وقد تم استخدم المنهج الوصفي في تناول موضوع الدراسة , ومن أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة: لا توجد مواءمة وتكامل بين التعليم الجامعي وسوق العمل أدت إلى عدم القدرة على خلق فرص عمل جديدة – ضعف المقررات وعدم تطوير المناهج التعليمية جعل المخرجات غير قادرة على مجاراة المهن التي يحتاجها سوق العمل – عدم امتلاك معظم المخرجات الجامعية للمهارات المطلوبة, خصوصا استخدام التقنية الحديثة والقدرة على الاستجابة السريعة للتغيرات التي تطرأ على أساليب العمل – افتقاد المخرجات الجامعية لعنصر التدريب والممارسة العملية أثناء الدراسة بالجامعة, وما ترتب عليها من تحديات كارتفاع مستوى البطالة بين الخريجين.

الكلمات المفتاحية: التعليم الجامعي، المخرجات، سوق العمل، المواءمة

المقدمة

زاد الاهتمام بدور وأهمية التعليم الجامعي في مختلف جوانب الحياة حتى أصبحت كل الأنظار في المجتمع تتجه نحو مؤسسات التعليم الجامعي عند ظهور أي ظاهرة أو مشكلة تشكل تحدياً يواجه المجتمع , وينتظر الناس وضع حلول للمشكلات التي تعصف بأركانه المختلفة وتقوض طموح وتطلعات أفراده , كما يرتبط ظهور معظم هذه المشكلات وأثارها السلبية على المجتمع في نظر المجتمع بجوانب الضعف التي تكتنف النظام الجامعي , وما ينتج عنها من صعوبات وتحديات نتيجة لضعف مخرجاته , والتي تظهر بوضوح أثناء التوظيف وممارسة هذه المخرجات لعملها, وما يترتب عليها من تدني جودة مؤسسات سوق العمل, أو عندما لا تجد هذه المخرجات سوق عمل لاستيعابها بسبب ضعف التأهيل.

وهذا يعزى غالباً إلى ضعف التكامل والانسجام في العلاقة التي تربط بين التعليم الجامعي واحتياجات سوق العمل، في الوقت الذي يجب أن تكون هذه العلاقة أكتر ارتباط لتلبية المتطلبات المتغيرة التي تفرضها طبيعة التحولات التي فرضها التطور العلمي والذي تعيشها البشرية في وقتنا الحاضر.

لقد تميزت العقود الأخيرة بالتركيز على مسألة الجودة، والتي أصبحت المعيار الذي على أساسه تقاس الفروق بين المؤسسات المختلفة سواء على الصعيد المحلي أو الدولي، وقد أدى ذلك إلى زيادة التنافس وتشعب العلاقات بين هذه المؤسسات على كل المستويات، وتنوعت التخصصات وتعددت المهام بين المنظمات وتزايدت مطالب الناس كماً وكيفا؛ مما جعلها تعمل كل ما في وسعها من أجل تحقيق مستوى مطلوب من الجودة حسب الوظيفة التي تؤديها كل مؤسسة خدمية كانت أو إنتاجية لنيل رضاء العملاء والمستفيدين. وتمثل الجودة في النظام التعليمي الجامعي قضية أساسية في إعداد وبناء المخرجات الجامعية التي يتطلبها سوق العمل؛ لان جودة هذه المخرجات تؤكد مدى ارتباط التعليم الجامعي بسوق العمل الذي يتطلب مخرجات ذات مهارات وقدرات عالية ترفع من مستوى خدمة وجودة وإنتاج مؤسساته؛ حسب نشاط ونوع العمل التي تؤديه كل مؤسسة، وتقلل من مستوى البطالة وما يترتب عليها من سلوكيات غير مقبولة ومخاطر على الأفراد والمجتمع.

وهكذا فأنه لكي تحقق المخرجات الجامعية متطلبات سوق العمل وتلبي احتياجاته من العاملين؛ تتطلب منذ بداية قبول الطلاب للدراسة، وأثناء فترة الأعداد والدراسة بالجامعة ضرورة التركيز على جوانب معينة؛ تمثل في مجملها مجموع الخصائص والمعايير التي ترتبط بالمدخلات والمخرجات والعمليات والتي تتحقق من خلال الاستخدام الفعال للعناصر المكونة للعملية التعليمة سواء كانت بشرية أو مادية.

أولا: مشكلة الدراسة:

تمثل الجامعات المؤسسات الهامة في أي مجتمع من المجتمعات لما تمثله من أهمية لمختلف مؤسسات الدولة والتي تعتمد عليها في مد هذه المؤسسات بالكفاءات والعناصر المؤهلة للعمل في هذه المؤسسات , ويتوقف عليها مدى قدرة ونجاح هذه المؤسسات في أداء وظائفها و تحقيق أهدافها , فالجامعات أصبح دورها أوسع سواء من حيث العمل على تطوير الاستراتيجيات العامة وتنفيذها لضمان نجاحها أو في تزويد سوق العمل باحتياجاته ومتطلباته المتزايدة والمتغيرة، والتي زادت من أهمية ارتباط نوع التعليم بسوق العمل نتيجة لتنوع متطلبات سوق العمل المتنامية والمتجددة, و التي فرضتها ظروف التطور العلمي في مختلف الميادين.

إن التعليم الجامعي في ليبيا، نظراً لظروف التي تمر بها البلاد وما أفرزته من أوضاع ضاعفت من حجم التحديات المتمثلة في الصعوبات تعليمية، ومالية، والإدارية، والرقابية، وما ترتب عليها من زيادة ضعف تأهيل المخرجات الجامعية، وعدم الاهتمام بتحقيق المواءمة بين التخصصات العلمية، وما يتطلبه سوق العمل من وظائف أترث على الجامعات في أداء دورها وتحقيق أهدافها التي من أهمها توفير مخرجات ذات جودة عالية ومحققة لمتطلبات سوق العمل من الكفاءات والأيدي العاملة الماهرة التي تحتاجها

مؤسسات سوق العمل، والتي فرضتها ظروف التطور المعرفي والتكنولوجي الحالي في مختلف جوانب الحياة؛ ليس على المستوى المحلي فحسب بل على المستوى العالمي، ومن هنا برزت الضرورة لدراسة هذا الجانب من أجل معرفة مدى قدرة المخرجات الجامعية على مواءمة سوق العمل في ليبيا.

ثانيا: أهداف الدراسة:

1- تهدف الدراسة إلى معرفة مدى مواءمة مخرجات التعليم الجامعي لمتطلبات سوق العمل.

2- التعرف على أهم الصعوبات التي تحيل دون حصول الخريجين على فرص عمل.

3- معرفة إلى أي حد أسهم التعليم الجامعي في خلق فرص عمل جديدة.

ثالثا: تساؤلات الدراسة:

1- ما مدى مواءمة مخرجات التعليم الجامعي لمتطلبات سوق العمل؟

2- ما أهم الصعوبات التي تواجه الخريجين في الحصول على فرص عمل؟

3- إلى أي حد أسهم التعليم الجامعي في خلق أسوق عمل جديدة؟

4- ما الحلول التي تساعد في خلق المواءمة بين مخرجات التعليم الجامعي ومؤسسات سوق العمل؟

رابعا: أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة من أهمية دور الجامعات في تأهيل وخلق الكفاءات القادرة على تلبية احتياجات المجتمع من العاملين و مواءمة التطور في جوانب سوق العمل المختلفة , كما تبرز أهمية الدراسة في التعرف على دور الجامعة في القدرة على الاستجابة للمتغيرات التي تحدث في سوق العمل ومدى قدرة الجامعة على اخذ ذلك بعين الاعتبار , كما تساعد الدراسة على زيادة اهتمام المسئولين وواضعي السياسات التعليمة بمؤسسات التعليم الجامعي ووزارة التربية والتعليم ومؤسسات سوق العمل بالتركيز على أهمية تحقيق جودة مخرجات التعليم الجامعي للارتقاء بمستوى جودة المخرجات وتحقيق الهدف من إنشائها.

كما تفيد هذه الدراسة أيضا الباحثين والمهتمين في مجال التعليم الجامعي ومؤسسات سوق العمل؛ حيث تفتح أمامهم أفاق جديدة للدراسات والمساهمة في تطوير رؤى تخلق المواءمة بين التعليم الجامعي ومؤسسات سوق العمل، وترفع جودة المخرجات وتوضح الأدوار وتعزز التكامل بين القطاعين.

خامسا: مصطلحات ومفاهيم الدراسة:

1- مواءمة التعليم الجامعي لسوق العمل : تعني قدرة التعليم الجامعي على الانسجام مع احتياجات سوق العمل المتغيرة والمتطورة, وذلك من خلال القدرة على التنبؤ بالتغيرات التي تحدث على سوق العمل من خلال المرونة في جعل السوق أكثر قدرة على تجاوز الصعوبات وتلافي العراقيل الناتجة عن التغيرات معتمدة على تنوع المهارات والإعداد المناسب المرتبط بمتطلبات سوق العمل , وتوعية القائمين على إدارة مؤسسات سوق العمل بأهمية وضع سعادة ورفاهية الناس في المحل الأول للنمو الاقتصادية وليس الحصول على أكبر قدر من الاستفادة المادية فقط (الزهراني, 2010).

2- **مخرجات التعليم الجامعي:** تتمثل في ما يتم تحقيقه أو يتحصل عليه الطالب أثناء دراسته من معارف ومهارات وقدرات نظرية وعملية تمكنه من تطبيق كل ذلك، والاستفادة منه بشكل جيد في عمله بعد التخرج والحصول على المؤهل العلمي (تعريف إجرائي) .

3- **سوق العمل:** المقصود بسوق العمل في هذه الدراسة هو المؤسسة أو الجهة التي توجد فيها فرص عمل للباحثين عن العمل، الذي يتكون من المؤسسات الخاصة والعامة، وسوق العمل يشتمل على: الباحث عن العمل، وفرص العمل.

سادسا: منهجية الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ومنهجية البحث الكيفي , حيث تم اعتماد المقابلة Interview كأداة لجمع البيانات والتي تعتبر من أهم الوسائل للحصول على المعلومات , والتي تتناسب مع هذه الدراسة, وقد تم اعتماد إحدى أنواع المقابلة وهي (المقابلة شبه المبنية) , وقد اشتملت على 6 أسئلة رئيسية وانبثقت عنها أسئلة أخرى فرعية أثناء إجراء المقابلة مع كل مبحوث على حدة للإحاطة بكل جوانب الموضوع , ولتعرف على مدى مواءمة مخرجات التعليم الجامعي لمتطلبات سوق العمل ؛ فقد تم تحديد العينة التي تكونت من 10 أفراد من الإداريين والمسئولين في عدد من الإدارات بالمؤسسات الإنتاجية والخدمية في مدينة طرابلس, وهي المؤسسات التي تمثل مؤسسات سوق العمل التي تستوعب المخرجات الجامعية ومسئولة عن توظيفها.

وقد اشتملت الدراسة الميدانية على عدة محاور منها (التعليم الجامعي وواقع سوق العمل في ليبيا – الصعوبات التي تواجه المخرجات الجامعية وسوق العمل , وكذلك الحلول – الآراء حول كيفية ربط التعليم الجامعي بسوق العمل وتحقيق المواءمة بينهما).

سابعا: مجالات الدراسة:

1- **المجال الزماني:** أجريت الدراسة في يناير 2020.

2- **المجال المكاني والبشري:** اقتصرت هذه الدراسة على عدد من المسئولين والمدراء بالمؤسسات الإنتاجية والخدمية داخل مدينة طرابلس.

ثامنا: الدراسات السابقة:

قام الباحث بمراجعة عدد من الدراسات المرتبطة بموضوع الدراسة والمتعلقة بمدى مواءمة مخرجات التعليم الجامعي بمتطلبات سوق العمل، والتي تم استعراضها فيما يلي:

أجري منير بن مطنير التعيبي (2010)، دراسة بعنوان: مدى ملائمة مخرجات التعليم العالي لاحتياجات سوق العمل السعودي: دراسات تحليلية. عملت الدراسة على وصف وتحليل مسألة عدم التوافق بين مخرجات التعليم العالي واحتياجات سوق العمل. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، كما اعتمدت على المقابلة الشخصية كأداة لجمع البيانات مع عينة من مديري التوظيف. وقد والتحليل والتقويم والقدرة على الاستفادة من استخدام المعرفة التي أكتسبها في حل المشكلات واتخاذ القرارات والتكيف مع المتغيرات. وأخيرا ضرورة الاهتمام بالجودة النوعية للطلاب بتخريج كوادر ذات قدرات ومهارات مناسبة تمحورت حول العوامل المحددة لتوظيف خريجي التعليم العالي، وبخاصة مخرجات كليات إدارة الأعمال. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، من أهمها: ضرورة

تخريج كوادر ذات قدرات ومهارات تتلاءم مع سوق العمل، وأن ما يتطلبه القطاع الخاص من مؤسسات التعليم العالي أهمية تعزيز المعارف والمهارات بخبرات ميدانية ولا يكون الاعتماد فقط على التحصيل النظري لتلك المعارف والمهارات هو الرصيد العلمي للخريج فقط، وأن تقوم المؤسسات التعليمية بنقل الاتجاهات الحديثة المرتبطة بميدان العمل المتوقع للخريج إلى داخل أروقة المؤسسات التعليمية، وأن يتجاوز الخريج مرحلة الحفظ والاسترجاع إلى مراحل الإبداع.

أجرى كل من مصطفي الصغير التركي , وأحمد محمد النقراط (2013) دراسة بعنوان : قراءات في نتائج دراسة خريجي المؤسسات التعليمية والتدريبية ومتطلبات سوق العمل من خلال تحليل نتائج دراسة الشركات الخاصة الوطنية والأجنبية.

استهدفت الدراسة محاولة تقييم أداء خريجي المؤسسات التعليمية والتدريبية، وربط التقييم مع متطلبات سوق العمل، وتحسين جودة ومخرجات التعليم الثانوي والجامعي وتحديد المعايير المطلوبة لربط المقررات والمناهج الدراسية والخطط التدريبية بمتطلبات سوق العمل .وقد تم الاعتماد على الاستبيان والمقابلة والملاحظة كأدوات لجمع البيانات، وأجريت الدراسة على عينة مكونة من 116شخص يمثلون المدراء، ومدراء الشئون الإدارية والموارد البشرية لمجموعة من الشركات الخاصة الوطنية والأجنبية .وقد وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج يمكن حصرها فيما يلي:

1- أن الصعوبة الأكبر التي تواجهها مؤسساتهم هي النقص في القوي العاملة المؤهلة والمدربة، والتي تمثل المشكلة الأساسية بين مخرجات المؤسسات التعليمية الثانوية والجامعية ومتطلبات سوق العمل.
2- تتطلب المؤسسات التعليمية في ليبيا وضع وتحديد استراتيجية قائمة على مناهج وبرامج تدريبية واضحة المعالم والأبعاد تستطيع توفير متطلبات الرئيسة لسوق العمل وترتقي بمستوى خدماته.
3- تمثل مسألة ضعف التأهيل عامل أساسي في ارتفاع نسبة البطالة بين الخريجين سواء من مؤسسات التعليم الثانوي أو الجامعي؛ حيث عدم إجادة اللغات الأجنبية وتقنيات الحاسوب، وعدم الاهتمام بالتعليم الفني والمهني من حيث المناهج والبرامج التدريبية التي يحتاجها سوق العمل، مما ساعدا في فسح المجال أمام العمالة الأجنبية للعمل في ليبيا.
4- تأثير العوامل الاجتماعية في تحديد الوظيفة؛ حيث يبحث جزء كبير من خريجي هذه المؤسسات التعليمية عن وظيفة ذات شروط معينة ويبتعدون عن الأعمال ذات المهارات والكفاءات، وهناك النقص في المهارات والكفاءات المطلوبة للحصول على عمل في إحدى الشركات والمؤسسات الوطنية والأجنبية،
5- وعدم وجود سياسات تعليمية وتدريبية واضحة تربط بين مخرجات التعليم واحتياجات سوق العمل.
6- فيما يتعلق يرى أفراد العينة أن خريجي الجامعات هم الأفضل فيما يتعلق بالكفاءات والمهارات ثم يليهم خريجو المراكز المهنية العليا، مما يؤكد ضعف مهارات وكفاءات خريجي المراكز المهنية المتوسطة وخريجي المدارس الثانوية.

دراسة أمين (2012) بعنوان : التعليم العالي ومتطلبات سوق العمل في سلطنة عمان , وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة مواءمة مخرجات التعليم العالي لمتطلبات سوق العمل, وقد تم إجراء مسح للمديرين التنفيذيين

في عدد من الشركات وكان عددهم 168 مديرا وكانت نسبة الاستجابة عالية موزعة على الشركات كبيرة ومتوسطة وصغيرة من حيث عدد الأفراد العاملين بها .وأوضحت نتائج الدراسة أن هناك فرص عمل لخريجي الجامعات في القطاع الخاص, وقد أكدت الدراسة على ضرورة تقديم الحوافز للخريجين من أجل تشجيعهم على الالتحاق بسوق العمل في هذا القطاع, كما أكدت الدراسة أيضا على إن الخريجين يعانون من ضعف في مهارات مختلفة مثل مهارات القدرات والاتصالات و المهارات التنظيمية.

دراسة أزهار، وآخرون (2016) بعنوان: درجة مواءمة مخرجات التعليم العالي الأردني لحاجة سوق العمل، هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة مواءمة مخرجات التعليم العالي لحاجة سوق العمل، وقد اشتملت عينة الدراسة على (380) فردا من الإداريين العاملين بمؤسسات المجتمع، وتوصلت الدراسة إلى أن درجة مواءمة مخرجات التعليم العالي لحاجة سوق العمل كانت متوسطة.

دراسة زقاوة محمد (2017) هدفت الدراسة إلى معرفة مدى استجابة برامج ومناهج التعليم العالي لاحتياجات سوق العمل من وجهة نظر الطلبة الجامعيين وقد اعتمد الاستبيان على عدة محاور: محور محتوى البرامج، المواءمة، الكفاءات والمهارات، المشروع المهني، وقد أجريت الدراسة على عينة متكون من 230 طالب وطالبة، وأوضحت النتائج أن استجابة البرامج التعليمية لاحتياجات سوق العمل كانت ضعيفة بالنسبة للدرجة الكلية للأداء.

دراسة مصطفى إبراهيم (2014) هدفت الدراسة إلى التعرف على العوائق التي تواجه التعليم الجامعي في المجتمع الليبي ومدى ارتباط مناهج التعليم الجامعي بمتطلبات التنمية واحتياجات سوق العمل دراسة تحليلية لخريجي جامعة المرقب خلال الفترة من (2001 – 2011) وقد توصلت الدراسة إلى بعض النتائج تمثلت في تزايد إعداد الخريجين من جامعة المرقب وهذا يؤكد انه لا توجد سياسة تربط بين ما يتطلبه سوق العمل ومخرجات التعليم الجامعي في ليبيا مما جعل عدد كبير من الخريجين بدون وظائف في كثير من التخصصات.

كما أوضحت الدراسة بان هناك حاجة للاهتمام بإدخال التقنيات و الوسائل الحديثة في التعليم , والاهتمام بالتطبيق العملي حيث يعاني الخريجين من ضعف التأهيل والحاجة إلى تطوير جودة التعليم. وإعادة النظر في سياسة التعليم الجامعي ومواكبة متطلبات سوق العمل وعدم ازدحام الطلاب في بعض التخصصات تفوق حاجة سوق العمل كما أن التوسع في المؤسسات الجامعية ينبغي أن يراعي واقع احتياجات التنمية وسوق العمل .

تاسعا: الإطار النظري:

تمثل الجامعة الحلقة الأهم والمسئول الرئيسي عن تزويد سوق العمل بكوادر مؤهلة للعمل والتطوير ومواكبة التغيرات التي تطرأ على مؤسسات العمل ومجارات التطور وكذلك من معايير جودة التعليم الجامعي القدرة على فتح أسواق عمل جديدة وخلق فرص متنوعة أمام الخريجين من خلال القدرة على ربط التخصصات العلمية بحاجة سوق العمل والتي تعتمد إلى حد كبير على قدرة المتخصصين على التنبؤ باحتياجات السوق من القوى العاملة الحالية كما ونوعا, وفي المستقبل القريب على الأقل , وهذا بدوره يعزز العلاقة والترابط بين مخرجات التعليم الجامعي كمصدر أساسي لتأهيل القوى العاملة , وسوق العمل, ويترتب على هذا الانسجام والتناغم تحقيق أهداف المجتمع التنموية ومواجهة التغيرات التي تحدتها التطورات العلمية ,والتي تؤثر على برامج سوق العمل على المستوى المحلي والدولي , وقيام الجامعات بتطوير خططها وبرامجها وفقا لهذه المتطلبات مع ضرورة اخذ كل

المؤسسات الاقتصادية والخدمية بأتباع هذه البرامج والمقترحات لتحقيق التقارب والمواءمة بين مخرجات التعليم ومتطلبات سوق العمل.

ومن بين التحديات التي تواجه خلق نوع من المواءمة بين التعليم وسوق العمل ليس فقط نوع التخصصات الموجودة ومدى جودة المخرجات وحسب, وإنما أيضا ما تشهده مؤسسات التعليم الجامعي من ضعف وعراقيل في إجراءاتها وعدم الرجوع في اتخاذ كثير من القرارات التي تصدرها للمتخصصين وأصحاب الخبرة من أعضاء هيئة التدريس في الأقسام العلمية , والذين يهمهم نوع وجودة المخرجات الجامعية, الأمر الذي لا يجعل الاتصال ووضع الخطط وتنفيذ القرارات داخل المؤسسات يتم بطريقة سلسة تجعل من الصعب خلق التنافس بين المؤسسات وعدم القدرة على تألق مؤسسات التعليم الجامعي وتميز بعضها في وضع سياسات من شانها القدرة على مواكبة التطور العلمي وتحقيق الترجمة العملية لهدا التطور في القدرة على مساعدة سوق العمل على فتح أسواق عمل جديدة قادرة على استيعاب المخرجات , وهذا يعتمد كثيرا على فاعلية التعليم الجامعي سواء من حيث تنوع التخصصات وبناء المهارات التي يتطلبها سوق العمل (دمنهوري: 2013).

وقد أثر عدم مواءمة مخرجات التعليم الجامعي لاحتياجات سوق العمل على عدم التوسع في توظيف المخرجات في القطاع الخاص وبالرغم من التوسع في افتتاح العديد من الجامعات والتخصصات الجديدة إلا أن ذلك لم يحقق ما يحتاجه سوق العمل بالشكل المطلوب نتيجة ضعف جودة وفعالية النظام التعليمي الجامعي، ويعزى ذلك غالبا إلى ضعف المدخلات (مخرجات التعليم المتوسط) والتي ترتبط إلى حد كبير بضعف مخرجات التعليم الجامعي، وما يترتب عليه بعد ذلك من تفشي ظاهرة البطالة في المجتمع وعدم القدرة على متطلبات سوق العمل.

عاشرا: نتائج الدراسة:

أولا: التعليم الجامعي (الواقع – الصعوبات – الحلول)

1– وجهة نظر المبحوثين حول سياسة التعليم الجامعي في التوظيف وتحقيق الجودة في ليبيا:

معظم إجابات العينة حول السؤال المتعلق برأي المبحوثين حول ما أذا كان التعليم الجامعي يعمل من أجل تلبية طلب طموح الخريجين في الحصول على شهادة جامعية تمكن الخريج من الحصول على فرصة عمل بالقطاع العام (وظيفة)، أو أنه يهدف إلى تحقيق مستوى عالي من الجودة واكتساب المهارات، أكدوا أفراد العينة بان سياسة التعليم الجامعي الحالية لا تهدف إلى تأهيل مخرجات ذات جودة ومهارة عالية.

2– واقع التعليم الجامعي في ليبيا:

من خلال الإجابة على مدى رضا المسئولين عن مستوى التعليم الجامعي في ليبيا تبين إن أغلب المبحوثين كانوا غير راضيين عن مخرجات التعليم الجامعي، كما أكدوا على أن هناك صعوبات تواجه التعليم الجامعي في ليبيا.

في هذا الصدد، ومن خلال طرح السؤال على المبحوثين والمتعلق بأهم الصعوبات التي يعاني منها التعليم الجامعي، فقد أكدوا على أن هناك العديد من الصعوبات والتحديات المرتبطة بجوانب مختلفة، والتي يمكن توضيح أبرزها في الأتي:

أ- عدم وجود علاقة تربط التعليم الجامعي بسوق العمل.

يعتبر عدم ربط التعليم الجامعي بسوق العمل من أكبر التحديات التي تحدث عنها المبحوثين حيث لم يتمكن التعليم الجامعي في ظل عدم وجود علاقة تربطه بمؤسسات سوق العمل من القدرة على خلق فرص عمل جديدة أمام الخريجين، بالإضافة إلى عدم قدرة سوق العمل على تحديد نوع التخصصات التي يحتاجها أو يتطلبها.

وقد أوضح المبحوثين بان من بين التحديات التي ترتبط بالتعليم الجامعي عدم تأهيل المخرجات بشكل مناسب خصوصا فيما يتعلق بالجانب العملي الذي يسهم إلى حد كبير في تأهيل المخرجات للعمل بالمؤسسات المختلفة، حيث من بين الأسباب التي أدت إلى زيادة نسبة البطالة بين الخريجين هي عدم التأهيل والتدريب الكافي وصقل المهارات أثناء فترة الدراسة بالجامعة التي يتطلبها سوق العمل. وهذا يتفق مع ما أكدت عليه نتائج دراسة (منير, 2010) أن تقوم المؤسسات التعليمية بتجاوز مخرجاتها مرحلة الحفظ والاسترجاع إلى مراحل الاستنتاج والإبداع

ب-نظام التعليم وطبيعة المناهج والمقررات الدراسية:

أوضح المبحوثين إن نظام التعليم الجامعي في ليبيا لا زال يشهد جمودا في طرقه ووسائله التعليمية, حيث استمرار اعتماد السياسة التعليمية على التلقين والحفظ في مختلف التخصصات وانعدام الاعتماد على الفهم واستخدام طرق التفكير التي تسهم في الرغبة والحث على الإبداع ، كما أن التعليم الجامعي يفتقر إلى عدم القدرة على تطوير مناهج وطرق التدريس واستخدام التقنيات الحديثة في التعلم ؛ بسبب عدم وجود هذه التقنيات الحديثة في معظم المؤسسات , وكذلك عدد كبير من أعضاء هيئة التدريس تنقصهم المعرفة الكاملة بأهمية وأبعاد هذه التقنيات على تطور العملية التعليمية ورفع مستوى الجودة, بالإضافة إلى نقص المعرفة, وعدم القدرة لدى الكثيرين على استخدامها.

في هذا السياق أكدا عدد كبير من المبحوثين أيضا على أن التعليم الجامعي في ليبيا أصبح يزداد ترديا سوء ولا يستطيع تحقيق الحد الأدنى من أهدافه وواجباته بسبب الفساد المالي والإداري المتفشي في مؤسساته بشكل خاص وعلى مستوى الدولة بشكل عام، والذي زاد من حجم المعاناة

للطالب والأستاذ الجامعي الذي أصبح لا يتناسب دخله الشهري مع متطلبات الحياة الأساسية، بالإضافة إلى عدم وجود المعامل والمعدات، والمكتبات، وعدم تطبيق اللوائح والقوانين التي تنظم العملية التعليمية؛ كل ذلك أثر على جودة المخرجات التي أصبحت غير قادرة على مواكبة التطورات الحالية التي يتطلبها سوق العمل في ظل العولمة والتطور التكنولوجي. وهكذا فقد أدى هذا الوضع إلى هدر الموارد المادية والطاقات البشرية المتمثلة في ازدياد عدد العاطلين من الخريجين نتيجة لتخلف النظام التعليمي وضعف التحصيل ونقص الإمكانيات أثناء الدراسة، وعدم الحصول على وظائف بعد التخرج، بسبب عدم مواءمة المخرجات الجامعية لمتطلبات سوق العمل، وأيضا محدودية فرص سوق العمل أمام الزيادة المستمرة في أعداد الخريجين كل سنة من جهة، وكذلك ضعف تأهيل المخرجات وعدم قدرة التعليم الجامعي على مواكبة احتياجات سوق العمل وتنوع التخصصات من جهة أخرى.

ثانيا: أهم الآراء ووجهات نظر المبحوثين حول تحسين جودة المخرجات الجامعية

أكد المبحوثين على أهمية إعادة النظر بشكل جدي في كيفية ربط التعليم لجامعي بسوق العمل، واعتماد كل منهما على الأخرى في وضع وتنفيذ السياسات المتعلقة بالمجالين.

وقد اقترح المبحوثين ضرورة العمل على تحسين جودة المخرجات وتناسب عدد الخريجين مع ما يتطلبه سوق العمل؛ لكي تتم الاستفادة منهم بعد التخرج مباشرة وممارسة وظائفهم، وعدم ضياع الوقت في البحث عن فرص عمل؛ ربما لا تتماشى مع تخصص الخريج ورغباته، كل ذلك يقلل من فرص الانحراف لدى الشباب وهدر الطاقات التي تمثل الأساس الحقيقي لبناء الدولة والنهوض بالمجتمع.

ومن أهم الحلول المقترحة لرفع مستوى المخرجات الجامعية وفقا لأراء عينة الدراسة التركيز على مجموعة من القضايا والتي من أهمها:

1- العمل على خلق برامج للتوأمة بين الجامعات الليبية والجامعات في دول أخرى لها مكانتها في التصنيف الدولي للاستفادة من كوادرها وخبراتها في تطوير الجامعات الليبية وتحسين مخرجاتها؛ خصوصا فيما يتعلق منها باستخدام التقنيات الحديثة في التعليم وتطوير مهارات الطلاب، واعتماد مقاييس أفضل في قبول الطلاب الراغبين بالدراسة في مختلف أقسام وكليات الجامعات، والتي من أهمها القبول حسب الرغبة والميول، وكذلك اختبارات نظرية وعملية لضمان تناسب تخصصه مع رغباته لتنمية قدراته ومهاراته.

2- العمل على توفير الإمكانيات بالجامعات والكليات من كتب وأجهزة ومعدات تساعد في الحصول على المعلومة وتخفف من حجم المعاناة على الطلاب وأعضاء هيئة التدريس، وتوفير الوسائل الترفيهية ودعم الأنشطة والبرامج العلمية والثقافية والرياضية لأهميتها في تكوين شخصية الطلاب في هذه الفترة الهامة من حياتهم وصقل شخصياتهم وتأهيلهم للمساهمة والانطلاق في بناء المجتمع.

ثالثا- واقع سوق العمل الليبي والتحديات التي تواجه الخريجين:

إن من خصائص سوق العمل الحالي وفقا لإجابات المبحوثين حول السؤال المتعلق بمدى ارتباط التعليم الجامعي بسوق العمل أن جميع المبحوثين يؤكدون على عدم وجود مواءمة أو ارتباط بين نوع المؤهل الجامعي ونوع العمل حيث أكدوا على أن هناك أعداد كبيرة من الخريجين لا يعملون بمهن مرتبطة بتخصصاتهم وكثير منهم لا يحصلون على فرص عمل، في حين انه يتم قبول آخرين لا ينتمون إلى هذه الوظيفة أو ذاك لا من قريب ولا من بعيد من حيث التخصص أو المهارة، ومنهم من لا يحمل مؤهل جامعي.

وهذا أدى إلى انعدام الثقة لدى الكثير من الطلاب الذين مازالوا يدرسون بالجامعات في أهمية التخصص بالنسبة للحصول على فرصة عمل، وما ترتب على ذلك من ضياع للوقت والمال دون الحصول على عائد يذكر من ذلك سواءً للدولة أو للفرد، وانتشار الظواهر السلبية والمرضية مثل ارتفاع مستوى البطالة في البلاد دون مبرر، وانتشار الأمراض الاجتماعية والنفسية والانحراف وتصدع البناء الاجتماعي للمجتمع وانعدام الثقة في المسئولين والمؤسسات الرسمية للدولة.

كما أعطى المبحوثين عند السؤال عن الخصائص التي يجب أن يتصف بها الخريج ليتمكن من الحصول على فرصة عمل (وظيفة) أولوية للمهارات المختلفة مثل القدرة على استخدام الحاسوب بشكل جيد، والتعمق والفهم في الجوانب المعرفية المرتبطة بالتخصص من الناحية النظرية والعملية، وإجادة إحدى اللغات الحية على الأقل إلى جانب اللغة العربية.

وفي هذا السياق أكدوا المبحوثين إن العمل على تحقيق المواءمة بين مخرجات التعليم وسوق العمل أمر في غاية الأهمية ولا يحتمل التأجيل وهذه المسألة وفقا لأراء المبحوثين تحتاج إلى تحقيق عدد من القضايا والتي من أهمها:

1. التركيز على الاهتمام بالتدريب العملي كجانب أساسي من المقررات الدراسية في المرحلة الجامعية، ويعتمد كل قسم أو كلية على برنامج يتضمن خطط تدريبية مرتبطة بالمقررات الدراسية وملبية لاحتياجات سوق العمل المحلي؛ من خلال ترجمة الدراسات النظرية إلى برامج عملية أثناء فترة الدراسة بالجامعة، ويتم تطبيقها على ارض الواقع عند الحصول على وظيفة؛ مع أخذ متطلبات سوق العمل في الاعتبار.

هذه السياسة لا يجب أن تقتصر على المرحلة الجامعية وحسب بل تبدأ من المراحل التي تسبق المرحلة الجامعية, خصوصا المرحلة الثانوية والتي تعد مرحلة إعداد وتأهيل الطالب للمرحلة الجامعية التي يكون فيها الطالب أكثر قدرة في الاعتماد على نفسه وشق طريقه العلمية والمرآة التي تعكس ملامح شخصيته المستقبلية , كما أن المرحلة الثانوية هي الأكثر أهمية من حيث القدرة على اكتشاف رغبات وميول الطلاب التي تحدد مساراتهم ونوع التخصص الذي يناسبهم في المرحلة الجامعية, وفقا لهذه الخصائص , وهو ما يحقق الانسجام والمواءمة والتكامل بين المراحل التعليمية المختلفة من جهة, وبين المخرجات الجامعية وسوق العمل من جهة أخرى.

2. العمل على الاهتمام ودعم القطاع الخاص في خلق فرص عمل للخريجين وعمل تواءمه مع التعليم الجامعي لتدريب الطلاب والعمل على استيعاب الخريجين والتوسع في فتح فرص عمل جديدة والعمل كشريك حقيقي للقطاع العام , وقيام الدولة بوضع شروط واليات تضبط برامج سوق العمل الخاص و تحمي المستثمرين والعاملين على حد سوء ؛ مثل تأمين وحماية أصحاب العمل والعاملين من حيث الحقوق والواجبات , كما أن أشراك القطاع الخاص اليوم لم يكن ترفا بل ضرورة ملحة تفرضها طبيعة التحولات الاقتصادية, وسياسة سوق العمل في زمن التكنولوجيا وتعدد الاحتياجات.

وخلق ثقافة تشجع على الرفع من مستوى الثقة لدى الخريجين في العمل بالقطاع الخاص، وتمنع ثقافة التسلط والاحتواء من جانب أصحاب الشركات والمؤسسات الخاصة، ورجال الأعمال في النظر إلى العمل والعاملين من زاوية واحدة هي تحقيق المكاسب المادية الشخصية والسريعة دون أخذ المصلحة العامة في الاعتبار.

رابعا: أهم الخطوات التي ينبغي إتباعها لتحسين المخرجات الجامعية ودور الدولة في التعامل معها.

حول ردود أفراد العينة على السؤال المتعلق بأهم التدابير التي يجب اتخاذها لتلبية احتياجات سوق العمل وتحقيق متطلبات التطور الحالي من الأيدي العاملة المهارة والمدربة، ورفع مستوى جودة مخرجات التعليم الجامعي فقد أشار معظم أفراد العينة إلى أهمية التوسع في الكليات الجامعية بما يتناسب وحاجة البلاد إلى ذلك، والعمل على تنوع التخصصات العلمية التي تواكب التطور العلمي سواء على مستوى العلوم التطبيقية أو العلوم الاجتماعية. فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية تم التأكيد على أهمية تطوير وسائل البحث وتنوع أدواته واستخدام التقنيات الحديثة والمتطورة في الدراسة وتوظيف ذلك في خدمة وتوعية وتوجيه الناس لتحسين أوضاعهم ومساعدتهم على حل مشكلاتهم الاجتماعية من خلال التوسع والاهتمام في دراسة أحوال

المجتمع وتداعيات التطور التكنولوجي على ظروفهم الاجتماعية والصحية والنفسية التي تضمن حياة أكثر أمنا ورفاهية لشرائح مختلفة من المجتمع، وكذلك تفتح أفاق فرص عمل جديدة تقلل من نسب البطالة والتذمر والانحرافف

بين عدد كبير من الشباب وخصوصا من حمله الشهادات الجامعية.

كما أكدوا على أهمية الاهتمام بالتوسع في دراسة العلوم العصرية، والتي على رأسها التكنولوجيا المتطورة والبرمجيات لما لها من أهمية في مواكبة التغيرات التي حدثت على العلوم في مختلف المجالات، كما أشار المبحوثين في السياق إلى أهمية التوسع والاهتمام بالتعليم المهني والتقني الذي يسهم في خلق مهن جديدة وخلق مهارات تسهم في خلق وظائف للخريجين وتحقق زيادة الاعتماد على المنتجات والصناعات المحلية.

في هذا السياق أيضا أشار عدد كبير من المبحوثين إلى ضرورة تكريس الجهود في الاهتمام بالتوسع في التخصصات العلمية المتعلقة بالتكنولوجيا لما لها من أهمية وتوظيفها في المجالات الحيوية المرتبطة بتطوير جوانب الحياة المختلفة والتي من أهمها الإنتاج الصناعي ؛ مثل الصناعات الغذائية والدوائية والكيميائية والتقنية وغيرها من الصناعات, وكذلك الإنتاج الزراعي , والاستفادة من الموارد البيئية والمائية والطاقات المتجددة التي تسهم بشكل فعال في خلق فرص عمل جديدة وتساعد على توطين المعرفة وتسخير البيئة المحيطة في خدمة الإنسان, وتحسين المستويات المعيشية للسكان بالاعتماد على أكثر من مصدر للدخل.

إن من أهم واجبات أي مجتمع نحو أفراده للنهوض ومواكبة التطور هو ضـــرورة اضـــطلاع الدولة بمســؤولياتها اتجاههم, ونظرا لان خريجي الجامعات يمثلون شـــريحة هامة في المجتمع ؛ حيث أنهم ينتمون إلى فئة الشـــباب الحاصـلين على مؤهلات جامعية, وهذا الوصـف تضـمن شـريحتان هامتان هم (الشـباب – الخريجين)؛ حيث لا يتحقق ازدهار وتطور أي مجتمع في الحاضـــر أو في المســـتقبل ؛إلا بالاهتمام بتربية وتعليم وتدريب وتأهيل أبنائه, وكذلك توفير فرص عمل تتناســب مع قدراتهم وميولهم وتخصــصــاتهم من جهة ,واحتياجات المجتمع من الوظائف الإنتاجية والخدمية من جهة أخرى.

في هذا الصدد أشار عدد كبير من المبحوثين إلى أن المسئولين في الدولة الليبية تجاهلوا والى حد كبير مسئولياتهم اتجاه الخريجين, فالدولة يجب إن تتعامل مع هذا الملف باهتمام كبير سواء من حيث وضع سياسة مدروسة واليات توظيف الخريجين , أو من حيث الابتعاد عن الوساطة والعشوائية في التوظيف , والعمل على إعادة بلورة سياسة التوظيف بما ينسجم ومتطلبات البلاد من القوى العاملة كما ونوعا حتى لا يزداد حجم بطالة الخريجين , ومنع تجاوز المعايير الأساسي في التوظيف (الجودة والتخصص), والعمل على عدم استمرار هدر الطاقات البشرية الشابة , والمادية التي تم توظيفها في تعليمهم وإعدادهم دون تحقيق نتائج ملموسة تعزز النمو الاقتصادي والرفاه الاجتماعي, وتعمل على تأسيس قاعدة ثقافية ومادية وبشرية تسهم في توطين المعرفة وتواكب التغيرات على كل المستويات وتصمد في وجه الأزمات على المدى القريب والبعيد الطبيعية منها أو الممنهجة والتي تعمل على استمرار تكريس التخلف وضمان التبعية لمجتمعات أخرى.

ملخص نتائج الدراسة:

أوضحت الدراسة بأن التعليم الجامعي يعاني من جملة من التحديات التي أثرت على مستوى جودة المخرجات وقد أوضح المبحوثين؛ بان التعليم الجامعي في ليبيا أصبح لا يهتم بتحقيق مستوى عالي من الجودة بقدر ما هو وسيلة للحصول على مؤهل (شهادة جامعية) تمكن صاحبها من الدخول إلى سوق العمل الذي هو الأخر لا يعتمد الجودة كمعيار في التوظيف. كما أن التعليم الجامعي لا يرتبط بأي علاقة مع سوق العمل، وبالتالي فان التعليم الجامعي لا يسهم في خلق أسواق عمل جديدة أمام الخريجين آو يساعد في توسيع نطاق فرص العمل الإنتاجية والخدمية التي يحتاجها المجتمع في ظل تعدد الاحتياجات التي فرضتها ظروف التغير المادي والتكنولوجي، وما أنتجته من خدمات أصبحت من الضروريات، وليس كما يعتقد الكثير بأنها مسائل ترفيه ليست بالضرورة توفيرها.

وقد بينت الدراسة إن مؤسسات سوق العمل في ليبيا لم تستطيع تحديد نوع وعدد المخرجات التي تحتاجها, كما أن مسالة ضعف تأهيل المخرجات بشكل جيد يتناسب والدور الذي ينتظر الخريج في أداء وظيفته في سوق العمل ؛ يعتبر من اكبر المشكلات التي تواجه المخرجات الجامعية , وهذا التحدي ناتج عن **أولا:** ضعف المقررات الدراسية وعدم تطوير مناهجها لمواكبة التغيرات التي تحدث في مختلف جوانب الحياة , **وثانيا:** ضعف إعداد المخرجات من ناحية بناء القدرات والمهارات المختلفة والتي من بينها استخدام التقنية الحديثة, وكذلك مهارات القراءة والكتابة , وهذه العملية تشترك فيها الجامعة مع المراحل الدراسية التي سبقتها , **ثالثا:** الإعداد والتأهيل العملي الذي يعتمد على التدريب والممارسة العملية أثناء فترة الدراسة بالجامعة ويعتبر أكثر الجوانب التي يفتقدها الخريج وتقف عائق حقيقي في وجه تكامل النظام الجامعي مع متطلبات سوق العمل , وأدت إلى ارتفاع نسبة البطالة بين الخريجين, وغيرت نظرة المجتمع اتجاه الخريجين والتعليم الجامعي بشكل عام, وخاصة في مدى قدراتهم على أداء أدوارهم ووظائفهم بمؤسسات سوق العمل.

وهكذا فان هذه الجوانب حسب ما أكدت عليه الدراسة ترتبط بتخلف نظام التعليم الجامعي , وعدم قدرته على مواكبة التطورات التي أنتجتها التغيرات في زمن العولمة , لذلك فان التعليم الجامعي يحتاج إلي تطوير الطرق والوسائل التعليمية , والتركيز على عنصر الجودة في التعليم, والابتعاد عن أسلوب التلقين ؛ خصوصا في التخصصات التي تتطلب الاعتماد بشكل أساسي على الفهم واستخدام طرق التفكير, كما أن النظام التعليم الجامعي يحتاج إلى استخدام تقنيات حديثة في التعلم والإيمان بأهميتها في رفع مستوى المخرجات , والعمل على تدريب أعضاء هيئة التدريس على استخدامها وقيام وزارة التعليم بحث ومطالبة الدولة على توفيرها .

ولتحقيق المواءمة بين المخرجات الجامعية ومتطلبات سوق العمل فقد أكدت الدراسة ضرورة توسيع دائرة سوق العمل لاستيعاب المخرجات؛ ليشمل القطاع الخاص مع ضرورة وضع آليات واضحة تضمن حقوق العاملين وتساعد على بناء جسور الثقة بينهم وبين مؤسسات العمل الخاص, وتسهم في خفض البطالة, وتساعد على تغيير ثقافة ونظرة المجتمع نحو العمل والعاملين في القطاع الخاص ؛ بحيث يكون شريك فعلي إلى جانب القطاع العام في توظيف الخريجين وتطوير المؤسسات الإنتاجية والخدمية بما يتناسب ومتطلبات التنمية والتطور في مختلف المجالات؛ للرفع من مستوى الخدمات التي يتطلبها الفرد والمجتمع. كما دعت الدراسة إلى أهمية وضرورة تركيز الدولة على ملف الخريجين والتعامل معه بجدية لما لهذه المخرجات من أهمية في بناء المجتمع وتطوره والحد من

بطالة الخريجين ؛ من خلال إتباع سياسة ناجحة تقرب بين نوع التعليم والتخصصات الجامعية واحتياجات سوق العمل , وتعمل على قطع الطريق عن الوساطة في الحصول على الوظائف, بحيث تكون مرتبطة بحاجة سوق العمل من الخريجين ؛ سواء من حيث نوع المهن أو عدد العاملين بها للمساهمة في خلق المواءمة والانسجام بين مؤسسات التعليم الجامعي ومؤسسات سوق العمل, وبالتالي , عدم الاستمرار في هدر الموارد المادية والبشرية في البلاد.

التوصيات

1. العمل على تعزيز التكامل وتوطيد العلاقة بين الجامعات ومؤسسات سوق العمل من خلال وضع برامج لقاءات بين لجان من المسئولين والخبراء من الطرفين من أجل التشاور ومعرفة احتياجات قطاعات العمل المختلفة من الخريجين ونوع المهن والمهارات التي يحتاجها سوق العمل في كل سنة وتحديد احتياجاته من الوظائف والمهن في المستقبل.
2. الاهتمام بالتدريب العملي أثناء سنوات الدراسة بالجامعة واعتماد نتائج التدريب العملي وجعلها إحدى الشروط للحصول على فرص عمل بعد التخرج.
3. قيام الدولة بفتح أسواق عمل جديدة بناءٍ على متطلبات سوق العمل، وحاجة المجتمع إلى خدمات تتناسب والتطور في مختلف الجوانب، وبالتشاور مع الخبراء والمهنيين في قطاعات العمل وأعضاء هيئة التدريس بالجامعات، ومع رجال الأعمال والمسئولين بالدولة، كما يتم الاستعانة بالجهات التي تمتلك الدعم المادي والفني والخبرة والتشجيع سواء من داخل البلاد أو من خارجها.
4. اعتماد خطط وبرامج تأهيل وتدريب للاستفادة من خبرة منظمات ذات علاقة في تحقيق شراكة ناجحة بين الجامعات ومؤسسات سوق العمل.
5. التأكيد على أهمية ربط المقررات والمناهج الدراسية في مختلف التخصصات بما يتماشى مع احتياجات المجتمع ومتطلبات سوق العمل المتجددة والمتطورة؛ مع ضرورة اخذ أراء ووجهات نظر الخبراء والمهتمين وأصحاب المهن في الاعتبار عند وضع المناهج الدراسية خصوصا المتعلقة بالناحية العملية والتدريب.
6. وضع لوائح وقوانين تلبي احتياجات سوق العمل وتشجع على تحسين المخرجات الجامعية، وتسهم بشكل واضح في طمأنة كل من الخريجين على مستقبلهم الوظيفي، وأصحاب القطاع الخاص على استمرار وتطوير استثماراتهم من أجل استيعاب الخريجين وجعل القطاع الخاص شريك حقيق للقطاع العام، وذلك من خلال بنود محددة وواضحة لا تختلف عن المعمول بها في القطاع العام؛ سواءٍ من حيث الحقوق والواجبات أو الامتيازات للطرفين
7. الاتجاه نحو فتح مراكز تدريب وتأهيل للشباب وخصوصا من الخريجين تحت أشراف الدولة بمساعدة الشركات والمؤسسات العامة و الخاصة؛ يتم التعاقد معها لتسهم في توظيف عدد كبير من الخريجين في الوظائف والمهن المختلفة حسب احتياجات سوق العمل المتنامية ,والتي يفرضها التطور في مختلف المجالات , ويكون ذلك وفقاَ لنوع التخصص وامتلاك المهارات لا على الوساطة والمحسوبية؛ ويعمل على منح العناصر الوطنية

الأولوية في التوظيف لتحل محل العناصر الأجنبية, ووضع آليات تربط بين هذه المراكز ومؤسسات سوق العمل الخاصة والعامة , ووضع برامج تشجع وتساعد كل الأطراف على تحقيق ذلك.

8. ضرورة العمل من خلال مدراء مكاتب الجودة بالجامعات بمطالبة وتوجيه أعضاء هيئة التدريس بأجراء دراسات علمية للاستفادة منها في تحقيق التكامل والانسجام بين الجامعات وسوق العمل , باعتبارهم المعنيين بجودة وتطوير المناهج والمخرجات , وهذه الدراسات التي يتم اختيارها وتقديمها ؛ يجب أن تكون شاملة ودقيقة توضح الكيفية التي تخلق مواءمة حقيقية بين المخرجات الجامعية وسوق العمل , وتكون قابل للتطبيق ويتم اعتمادها بشكل رسمي , و تزويد الجهات المسئولة مثل وزارة التعليم العالي ومركز ضمان الجودة , ووزارة العمل بنتائج هذه الدراسات والعمل على تطبيقها.

المراجع

1 – إبراهيم, مصطفى خليفة: مخرجات التعليم الجامعي واحتياجات سوق العمل في المجتمع الليبي, مجلة الدراسات الاجتماعية, العدد الثالث, مركز الدراسات الاجتماعية, طرابلس, 2014.

2– أحمد, زقاوة: البرامج الجامعية ومدى استجابتها لاحتياجات سوق العمل, مجلة التنمية الاجتماعية, العدد 7– مارس 2017, المركز الجامعي غليزان, الجزائر.

3 – التعيبي, منير بن مطني: مدى ملاءمة مخرجات التعليم العالي لاحتياجات سوق العمل السعودي :دراسات تحليلية، المجلة التربوية مجلد 24 ، ع 94 الرياض، .2010

4 – أمين, هناء: التعليم العالي ومتطلبات سوق العمل: تجربة سلطنة عمان, المؤتمر الخامس للجمعية الاقتصادية العمانية, التحولات الديموغرافية وسوق العمل الخليجي, مسقط, 7– 8 /2012/1

5 – الزهراني، عبد الواحد بن سعود :ضعف مواءمة مخرجات التعليم العالي السعودي من القوى البشرية المؤهلة لاحتياجات سوق العمل" الواقع، والأسباب"، عالم التربية– مصر المجلد 10، العدد,30 2010.

6– الصغير التركي، مصطفي, النقراط، أحمد محمد, قراءات في نتائج دراسة خريجي المؤسسات التعليمية والتدريبية ومتطلبات سوق العمل (GTZ): من خلال تحليل نتائج دراسة الشركات الخاصة الوطنية والأجنبية، مجلة الجامعة، مركز البحوث والاستشارات العلمية والتدريب – جامعة الزاوية –العدد الخامس عشر –المجلد : الثاني، الزاوية –ليبيا،.2013

7– داغر, أزهار خضر، وآخرون: درجة مواءمة مخرجات التعليم العالي الأردني لحاجة سوق العمل، دراسات، العلوم التربوية، المجلّد 43 ، ملحق5 , .2016

8 – دمنهوري، هند محمد شيخ: أسباب عدم مواءمة مخرجات التعليم العالي لمتطلبات سوق العمل السعودي، جامعة الملك عبد العزيز :مركز النشر العلمي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز, الاقتصاد و الإدارة، المجلد – 27 ، العدد 1, 2013.

الهجرة غير الشرعية عبر الأراضي الليبية الأسباب والمآلات

د. أبوبكر عبد الدائم الديلي
قسم الخدمة الاجتماعية
كلية العلوم الاجتماعية / جامعة الزيتونة

المقدمة

إن التحولات العميقة والمتسارعة التي يشهدها عالمنا المعاصر في السنوات الأخيرة غيرت مجريات كل المفاهيم والتصورات والأنساق، وانهارت تحت إكراهاتها القيم والمعتقدات والأفكار. فأصبحت مشاكل الهجرة والمهاجرين في طليعة الانشغالات الأمنية لدول العبور والاستقبال ولم تعد المشكلة تثير الكراهية والعنصرية ضد المهاجرين فحسب، بل أصبحت تثير المخاوف من تفاقم المشاكل المترتبة عنها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر مطلع القرن الحالي، ولتطويق المشكلة قامت الدول المعنية بها باعتماد مجموعة من الاستراتيجيات، وسن ترسانة قوية من القوانين، والاعتماد على الأساليب الأمنية، و على الرغم من أهميتها وفعاليتها في بعض الأحيان، إلا إن هذه الإجراءات والتدابير الأمنية لا تزال قاصرة، ولم تستطيع حل المشكلة من جدورها وأسبابها الحقيقية، المتمثلة في الفقر والبطالة وسوء الأحوال المعيشية والأمنية [1] التي تعيشها منطقة شمال المتوسط.

إن الهجرة بأشكالها المختلفة من البلدان النامية، وبلدان الربيع العربي بشكل خاص، إلى بعض الدول التي تتمتع بالازدهار الاقتصادي والاستقرار السياسي والاجتماعي، أصبحت مطلبا للشباب والعائلات وأصحاب رؤوس الأموال، غير أن هذا المطلب صعب المنال في ظل وجود شروط يصعب تلبيتها واتفاقيات تمنع مغادرة الشباب وغيرهم من طالبي الهجرة إلى بلدان المهجر، وحتى نكون موضوعيين فإنه ليس هناك مجال للشك بأن زيادة أعداد المهاجرين غير الشرعيين في أي بلد تعد ظاهرة لها انعكاساتها وتأثيراتها في جوانب الحياة المختلفة، سواء على الصعيد الوطني أو الإقليمي أو الدولي.

فإذا كانت الهجرة في مفهومها البسيط تعني انتقال الشخص من بلد إلى آخر فإنها توصف بالقانونية أو المشروعة إذ تمت بمقتضي القانون أما إذا تمت بالمخالفة للقانون المنظم لعملية الدخول والإقامة المشروعة ببلد ما سميت بالهجرة غير شرعية أو غير القانونية، وفي هدا السياق ساهمت منظمة الهجرة الدولية بوضع قاموس خاص بمصطلحات الهجرة في محاولة منها لإيجاد لغة تفاهم مشتركة على صعيد التعاون الدولي، ولدعم توجهها في

1 - علي الحوات، مجلة دمشق، العدد الأول،2008، ص41 .

مجال قانون الهجرة الدولية [1]ونظرا لتعدد تعريفات الهجرة وأسبابها لذا نُشير فقط إلى ما يخدم بحثنا وهي الهجرة غير الشرعية عبر الأراضي الليبية، فالهجرة الدولية بشكل عام هي حركة انتقال فردية أو جماعية من مكان إلى آخر أو من بلد إلى آخر بحثا عن وضع اقتصادي أو سياسي أو اجتماعي أو امني أفضل أما الهجرة غير الشرعية أو غير القانونية أو السرية أو الحرق كما أصطلح على تسميتها في شمال المتوسط، هي مخالفة وخرق لوائح وقوانين دخول البلاد أو دخول البلد بطريقة شرعية تم تجاوز مدة الإقامة فيها، و على الرغم من قدم المشكلة والاهتمام العالمي بها، إلا أنها بعد ثورات الربيع العربي أصبحت من أكثر المفردات شيوعاً، حيث تنظر كل دولة إليها وفقا لاحتياجاتها ومصالحها الوطنية [2]

لقد شهدت ليبيا ما بعد ثورة 17فبراير 2011 اضطرابات أمنية سببت في تحول شواطئها إلى مواني لتهريب ألاف المهاجرين من الجنسيات المختلفة، و طالت المشكلة أيضا الليبيين أنفسهم، و قدرت المنظمة الدولية للهجرة أعداد المهاجرين المتواجدين في ليبيا بحوالى669 الف مهاجر ينحدرون من 42 جنسية مختلفة موزعين بين أكثر من 100بلدية، ومع انتشار مشكلة الهجرة غير الشرعية انتشرت عصبات تهريب البشر، وأمتهنت النشاط الإجرامي الذي يعد أحد صور الجريمة المنظمة، الأمر الذي ساهم في تحول الساحل الليبي إلى ممر مزدحم لعبور المهاجرين إلى دول أوروبا، هذا الوضع المتصف بالهشاشة أو المتردي أمنياً أدى إلى استغلالهم من قبل عصابات التهريب والزج بهم في رحلات غير أمنه عبر البحر، أدت إلى إزهاق أرواح المئات من الأطفال والنساء والرجال، وفي هذا الصدد سجل تقرير المنظمة الدولية للهجرة سنة 2018غرق نحو 1130 مهاجرا و ذكرت ان خفر السواحل الليبية ساهم في انقاد 13 الف مهاجر [3]

وعلى عكس ما هو متوقع من قبل المهاجرين الناجين يعاني بعض من المهاجرين غير الشرعيين في بلدان المهجر تحديات وإكراهات زمنية تضعها الدولة المهاجر اليها كشروط لتقديم طلبات الإقامة، أو تجديد وثائق الإقامة، أو التصريح بالعمل، الذي في الغالب يجدون انفسهم مستغلينهم فيه، كما يضطر المهاجرين في محيط المجتمع المستقبل إلى التكييف مع الظروف والمناسبات الوطنية والدينية والثقافات المختلفة ، وفي بعض الأحيان يكون الأمر صعب عليهم ، مما يؤدي إلى أثار وانعكاسات على المهاجرين [4]

إن الأعداد الكبيرة من المهاجرين الذين تشهدهم منطقة المتوسط أدى إلى ظهور مشكلات سياسية بين دول العبور مثل ليبيا وإيطاليا ودول المقصد،(الدول الأوروبية) وعلى الرغم من الاتفاقيات الخاصة بالهجرة بين الدول، إلا أن موجة الهجرة غير الشرعية الكبيرة عبر الأراضي الليبية أدت إلى رفض بعض الدول الأوروبية استقبال حصتها

1 - المنضمة الدولية للهجرة ، قاموس مصطلحات الهجرة الدولية ، العدد 42الاصدار الثاني ، 2013 ، ص 57 .
2 - هشام بشير، الهجرة العربية غير الشرعية ألي أوروبا: أسبابها تداعياتها سبل مواجهتها، السياسة الدولية، العدد 179،2010م، ص 170.
3 - منظمة الهجرة الدولية، 2018م.
4 - مختار الهراس، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العددالأول،2008

من المهاجرين، ما ترتب عليه ظهور أزمات سياسية بين الدول المعنية، والركون إلى حلول على حساب السيادة الليبية، حيث يفرض عليها ملف الهجرة غير الشرعية تحديات أمنية وصحية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وليس بالأمر الخفي أن الدولة الليبية تئن تحت ظروفها الأمنية الصعبة منذ أكثر من ثمان سنوات. من ذلك نحدد إشكالية هذه الدراسة في التساؤل الرئيسي الآتي:

ما أسباب الهجرة غير الشرعية عبر الأراضي الليبية ؟ وما الآثار المترتبة عليها؟

محاور البحث :

المحور الأول: الأسباب السياسية والأمنية للهجرة غير الشرعية عبر الأراضي الليبية.

المحور الثاني: الأسباب الاقتصادية للهجرة غير الشرعية عبر الأرضي الليبية.

المحور الثالث: الأسباب الاجتماعية للهجرة غير الشرعية عبر الأراضي الليبية ومخاطرها.

التوصيات التي يمكن ان تساهم أو تحد من مشكلة الهجرة غير الشرعية.

المحور الأول : الأسباب السياسية والأمنية للهجرة غير الشرعية عبر الأراضي الليبية.

إن هجرة البشر من مكان إلى أخر ظاهرة إنسانية قديمة قدم الأنسان والتاريخ، حيث كانت الظروف المعيشية والمناخية تفرض على الفرد الانتقال المستمر، فالمجاعة والفقر، والزلازل، والفيضانات، وانتشار الأمراض، والحروب خاصة الحروب الأهلية كلها عوامل فرضت على الأنسان الهجرة من الموطن الرئيسي إلى دول ومناطق أخرى[1] ، وفي ظل الوضع الراهن وما تشهده ليبيا من تفكك للمؤسسة العسكرية بعد ثورة 17من فبراير 2011 وتدخل حلف الناتو وتدميره للمعسكرات ما أدى إلى ضعف السيطرة على الحدود وانتشار السلاح والمجموعات المسلحة ، ليصبح العامل السياسي والأمني من أبرز العوامل التي ساهمت بشكل مباشر على إقدام الناس على الهجرة غير الشرعية أو الشرعية، وذلك هربا من الاضطهاد الأمني ، والسياسي والاقتصادي ، والاجتماعي ، الذي تمارسه بعض من الجماعات المسلحة على الأفراد والجماعات في بعض من المدن سواء على الليبيين انفسهم أو الأجانب، و تحول الصراع السياسي إلى صراع عسكري دموي جهوي و قبلي، مما دفع الذين لا قدرة لهم أن يكونوا طرفاً في الصراع إلى الهجرة داخلياً أو خارجياً [2] غير أن علينا العودة يإلى ما قبل ثورة فبراير 2011، فقد شهدت معدلات الهجرة عبر الأراضي الليبية مد وجزر فترة حكم النظام الليبي السابق ، فنتيجة لتبني القذافي الأفكار القومية ودعم حركات التحرر وبعض الحركات الانفصالية، وقضايا الوحدة العربية ساءت علاقاته مع الغرب فعمل على تسهيل حركة الهجرة كورقة ضغط على الدول لأوربية، وكذلك عندما شرع القذافي في محاولة منه امتلاك

1 - سعيد عبدولي، الأسباب والعوامل المحفزة على الهجرة غير الشرعية في بلدان القارة الإفريقية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية – تونس، الموقع https://platform.almanhal.com/6/4/2019

2 - مصباح عياد أبو خشيم، و آخرون، أسباب ظاهرة الهجرة غير الشرعية عبر ليبيا إلى أوروبا، المجلة الدولية للبحوث الإسلامية والإنسانية المتقدمة، المجلد الرابع، العدد السابع، يوليو 2014م. ص82.

السلاح النووي، بلغ التوتر ذروته بين الغرب وليبيا، الأمر الذي دفع الدول الغربية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لإعلان العداء مع القذافي إلى درجة إعلان الحرب ومحاصرته، وتصنيف ليبيا دولة داعمة للإرهاب، ما دفع القذافي لتغيير سياسته فعمل على أغلاق ممر الهجرة عبر الأراضي الليبية، ووصل الأمر إلى قيامه بألقاء القبض على المهربين والزج بهم في السجون، كما عرفت سنة 2009 انعطافاً في معدلات الهجرة، فحسب الإحصاءات التي بتها جهاز "**فرونتيكس**" تراجع وصول المهاجرين غير الشرعيين عبر الحدود البحرية الأوروبية انطلاقا من السواحل الجنوبية للمتوسط .

لتنحدر الأمور بشكل خطير مع بداية 2011 عندما قام الغرب بدعم الحراك السياسي داخل ليبيا عاد القذافي من جديد ليفتح بوابة العبور للمهاجرين عبر الأراضي الليبية على مصرعيها، فبحسب المنظمة الدولية للهجرة غادرو سواحل ليبيا وتونس 60 الف مهاجر، وفي عام 2012 يسجل رقم قياسي جديد، حيث بلغ عدد المهاجرين 70 الف مهاجر عبروا شواطئ المتوسط إلى السواحل الأوروبية، وأدى هدا السيل إلى إضعاف الدولة الليبية المنهمكة في إقامة مؤسساتها الانتقالية، مما جعلها عاجزة عن مواجهة متطلبات ذلك الإقبال الكثيف من المهاجرين عبر أرضيها وحدودها، حتى أصبح في بعض الأحيان من الصعب تقدير حجم المهاجرين الموجودين داخل ليبيا لاسيما بعدما غادرتها غالبية المنظمات غير الحكومية الدولية والسفارات بسبب المعارك بين الجماعات المسلحة التي ما تلبت ان تهدأ إلى ان تنفجر من جديد، فيما تتجدد الكوارث كل يوم في مياه البحر المتوسط حاملة في طياتها مئات الضحايا من البشر.

إذن الهجرة غير الشرعية تعد واحدة من بين الآفات، التي سببتها مظاهر التوتر السياسي والأمني، فمن المشروعية ان نبحث في أهم الدوافع الكامنة ورائها من عوامل الطرد أو الجدب، فليبيا اليوم أصبحت أكبر احد ممرات العبور عبر أراضيها والهجرة منها، مسببة نتائج كارثية على الفرد والمجتمع الليبي، فتدهورت الأوضاع السياسية والأمنية، فأندفع الأفراد للهجرة من ليبيا وعبر أراضيها ومن بلدان أخرى نحو أوروبا وخصوصاً المانيا، وتبعاً لذلك ونظرا للتدفق غير المسبوق للاجئين إلى المانيا فإن مؤسسة **هانس زايدل** الألمانية ركزت مجال اهتمامها على موضوع الهجرة وأقرت ان عام 2016 هو عام الهجرة .

وتشكل الهجرة غير الشرعية أخطر القضايا الاجتماعية، التي لا تزال تؤرق المجتمع الدولي، وهي مشكلة شديدة الحساسية لكونها تمس جميع شرائح المجتمع فالظاهرة لم تعد تقتصر على الذكور فقط بل شملت أيضاً الإناث لتتوسع إلى جميع فئات المجتمع، تاركة آثاراً سياسية وأمنية سلبية على المجتمع الليبي [1]

1 - موسى محمد ميلاد دبوبة، الاستيطان الإيطالي وأثره على الحياة الاجتماعية في ليبيا ظاهرة الهجرة نموذجاً، مجلة جامعة الزيتونة، العدد الثالث، صيف – 2012م، ص 200-201

إن تردي الأوضاع السياسية والأمنية في ليبيا وفي الدول التي تجاورها،. زاد من تدهور أوضاع المهاجرين، خاصةً وسط احتدام المعارك بين الجماعات المسلحة، واحتجاز بعضهم في مراكز تجميع غير إنسانية لذلك كان لا مفر من الهجرة غير الشرعية عن طريق قوارب الموت عبر البحر إلى أوروبا بأي ثمن [1] ، والأمر الذي دفع شبكات التهريب لزيادة نشاطها وتوسيع نطاق تهريبها للبشر. وتشير التقديرات التقريبية بأن أربعة ألاف شخص قد فقدوا حياتهم مع أواخر سنة 2014م، وقدرت المفوضية الأوروبية للاجئين في العام نفسه عدد المهاجرين غير الشرعيين بأكثر من 200 ألف مهاجر عبروا البحر المتوسط لأوروبا معظمهم قد عبروا من خلال الساحل الليبي، ويصعب على السلطات الليبية في الوقت الحالي السيطرة على نشاط الهجرة غير النظامية أو تحديد أعدادها، وذلك نظراً لوضعها السياسي و الأمني الهش كما اسلفنا الذكر [2] ، وتشير تقارير المنظمة الدولية للهجرة أن حوالي 16,806 مهاجر وصلوا إلى أوروبا خلال عام 2017، ويقابلهم 11,6005 مهاجر خلال عام 2016، ووصول أكثر من 10 آلاف مهاجر إلى أوروبا عبر البحر المتوسط منذ بداية العام 2018م ، نصفهم إلى إيطاليا والباقي إلى اليونان وإسبانيا. فيما لقت أعداد كبيرة من المهاجرين حتفهم في البحر خلال محاولتهم الوصول إلى الأراضي الأوروبية [3] ، وهنا أقولها بصراحة أن بعض من الدول الأوروبية هي السبب الرئيس في صناعة الهجرة بكل مقاييسها والآن يحاولون الزج بالأراضي الليبية من خلال مبادرات أوروبية جديدة لحماية المهاجرين في ليبيا، أو بالأحرى توطينهم بصفة دائمة، ومن ثم فلترتهم حتى يتسنى لأوروبا الاستفادة منهم فيما بعد، حيث أن في أواخر العام 2018 هناك جهود مكثفة من الجانب الأوروبي وخاصه إيطاليا، وذلك بمساعدة السلطات الليبية بمنع القوارب من الوصول إلى السواحل الإيطالية مما انعكس ذلك على نقص أعداد المهاجرين إلى سواحلها، ولكن الأعداد على الأراضي الليبية مازالت تتزايد ، ولم يعد للمهاجرين الوصول إلى أوروبا كما في السابق ، ولكنهم يقبعون في ليبيا ولا يزالو يتدفقون من الحدود الجنوبية للبلاد بسبب الانفلات الأمني وعدم سيطرة السلطات الليبية الرسمية على المنطقة الجنوبية، وازدادت أعداد المهاجرين بشكل كبير لتجد السلطات الليبية نفسها عاجزة أمام هذه الأعداد الكبيرة لعدم توفر الإمكانيات لإيوائهم، ليجدو انفسهم بين أيدي السماسرة والمهربين، ومن ثم يواجهون الجحيم داخل مراكز الاحتجاز الغير رسمية، ومن بعد يطلب فدية من أهاليهم ليتم إخراجهم، وبالتالي فإن هناك ظروف وأعمال مريبة يتعرض لها المهاجرين، في حين تحاول المنظمات عمل شيء، ولكن بنسب قليلة وهو تسفير بعض منهم إلى أوروبا.

إذن ما يمكن ان نلاحظه من خلال تتبعنا للأسباب السياسية والأمنية، التي تعصف ببلدي هو تزايد أعداد المهاجرين عبر أراضيها، وأنه كلما زادت القيود المفروضة على الهجرة المنظمة، والتشديد في الإجراءات والقوانين التي

1 - مولدي الأحمر، الأطر القانونية والتنظيمية لمكافحة الهجرة غير النظامية في ليبيا، مجلة شؤون ليبية، المركز المغاربي للأبحاث، تونس، العدد الأول- يوليو 2016، ص 18- 20.

2 - جمال المبروك علي، ليبيا والهجرة غير النظامية، مجلة شؤون ليبية، المركز المغاربي للأبحاث، بتونس، العدد الأول، يوليو، 2016م، ص 71- 72.

3 - https://www.infomigrants.net-6-4-2019

تحكمها. كلما ارتفعت وثيرة الهجرة غير الشرعية ونشطت الجماعات والأفراد القائمة بعملية التهريب وازداد الطلب عليها، ويرتفع معها أعداد الضحايا من المهاجرين عبر الصحاري والبحار.

المحور الثاني : الأسباب الاقتصادية للهجرة غير الشرعية عبر الأراضي الليبية :

يعتبر البحث عن حياة أفضل من ضمن أهم الأسباب، التي تؤدي إلى هجرة العديد من المواطنين لأوطانهم خاصة في الدول التي تعاني من أزمات اقتصادية إلى الدول المستقرة اقتصاديا، ففي ظل الافتقار لخطط التنمية البشرية والاقتصادية، بسبب غياب الديمقراطية، وانتشار الفساد، والجهل، والتطرف، والانهيار الاقتصادي والسياسي في الدول النامية، والطابع الشمولي الذي تتسم به حكومات تلك الدول وعدم احترامها لحقوق الإنسان، وفساد البنية الاقتصادية، وجعل مستوى دخل الفرد متدنيا لا يتوافق ومتطلبات الفرد الأساسية لاستمرار حياته، وكذلك تنامي معدلات البطالة ، وفقدان فرص العمل أمام الشباب، كل ذلك يعد من المنظور الاقتصادي والإنساني، من العوامل التي تدفع الشباب وعلى مختلف الشرائح للهجرة بحثا عن العمل والعيش الكريم فعندما تصل البطالة في المجتمع لدرجات عالية تصبح مدمرة للاقتصاد الوطني، ولتوازنه الاجتماعي [1] ، وترتبط بالعديد من المشكلات الأخرى التي تواجه الدول النامية وتفسر واقعها الاقتصادي بصورة عامة ، فتصبح علاقة عكسية بين البطالة، والتضخم، والأسعار، والهجرة، وقلة الدخل، وزيادة معدلات الفقر، والانحراف والجريمة، وانخفاض مستوى المعيشة، وقلة الإنتاج، وضعف الاقتصاد القومي وغير ذلك من المشكلات المتعددة الأخرى، لهذا يركز علماء الاجتماع الاقتصادي على دراسة مشكلة البطالة، ومعرفة معدلات زيادتها في دول العالم [2]

والأمر المهم الذي وجب التطرق اليه وشجع على الهجر إلى أوروبا رغم مخاطرها أنها تعاني من الندرة في اليد العاملة لتعويض العجز الديموغرافي الناجم عن انخفاض معدلات الخصوبة. وتشير تقديرات الأمم المتحدة إلى أن أوروبا ستستقبل 159 مليون مهاجر بحلول عام 2025م. وقد أفاد تقرير صدر حديثاً للجنة الدولية للهجرة GCIM أن عدد المهاجرين في العالم قد بلغ في الوقت الحاضر نحو 200 مليون نسمة مقابل 75 مليونا قبل ثلاثين سنة. ويتوقع التقرير اتساع ظاهرة الهجرة خلال السنوات القادمة. [3]

من ناحية أخرى فإن الفارق الهائل في المستوى الاقتصادي والتطور الذي تعيشه الدول الأوروبية بالمقارنة مع دول جنوب المتوسط، فإن التنمية بمختلف أنواعها لم تحقق إلا معدلات ضعيفة من الرفاهية ولفائدة فئات ضيقة من المجتمع كما أن غياب الاستثمارات المنتجة قللت من مستوى النمو الاقتصادي وعمقت من الفقر والتهميش [4] . فالعوامل الاقتصادية تشكل دافعا قويا وراء الهجرة ، إلا أن ذلك لا يعني بأنها كافية ما يعني أن قرار الهجرة

1 - علي الحوات، الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا عبر بلدان المغرب العربي، ص 42.
2 - عبدالله محمد عبدالرحمن، علم الاجتماع الاقتصادي ،مكتبة المتنبي، مصر،2016،ص394
3 - ستيفاني تسايلر، تقرير اللجنة الدولية للهجرة، GCIM، الأمم المتحدة، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
4 - محمد غربي، "من أجل مفهوم جديد لنظرية الدفاع والأمن: حالة منطقة البحر الأبيض المتوسط"، جامعة الشلف، مجلة دفاتر سياسية، 2009، ص 96

تدفع إليه عوامل أخرى تتجلى في الظروف الاجتماعية وتتعدد الأسباب وتتنوع بتعدد المهاجرين، فمعظم الدول الإفريقية تمثل بلدان طاردة تحفز الإنسان على الهجرة غير الشرعية قصد الهرب من شبح البطالة والفقر ، وتزداد في صفوف الشباب الحالم بأوضاع معيشية أفضل.

المحور الثالث: الأسباب الاجتماعية للهجرة غير الشرعية ومخاطرها.

إن ضعف الروابط الاجتماعية والتفكك الأسري داخل الدولة المصدرة للمهاجرين، وكذلك التفرقة الطائفية والفئوية وعدم التوافق مع عادات وتقاليد البلد المصدر للهجرة غير الشرعية ووجود أقارب في البلد المستقبل، بالإضافة لارتفاع معدل المشكلات الاجتماعية المتمثلة في الفقر والجوع والبطالة والأمراض، مع الصورة الذهنية المترسخة عن النجاح الاجتماعي الذي يظهره المهاجر عند عودته لبلده إذ يتفان في إبراز مظاهر الثراء وذلك وسط حشد إعلامي واسع لتلك المظاهر، مما يؤدي لوقوع الكثيرين في براثن السعي خلف الهجرة غير الشرعية خاصة مع قيام بعض الأسر بالدفع بأبنائها للهجرة دون مراعاة لما قد يحدث لهم من عواقب، بهدف تحقيق حلم النجاح الاجتماعي للفرد والأسرة بأكملها [1] ، كما أدى الانفتاح على الفضاء الخارجي بفعل تطور وسائل الإعلام خاصةً وسائل التواصل الاجتماعي(فيس بوك، توثير، انستغرام، يوتيوب) في تسهيل اكتشاف نمط العيش والرخاء الذي تعيشه البلدان الأوروبية، من خلال مشاهدتهم لعالم سحري يزرع فيهم الرغبة في الانتقال إليه عن طريق الهجرة، فتدني مستوى المعيشة من العوامل المساهمة في نحت شخصية الفرد الطامح للحراك الاجتماعي، وافتقاده لحقوقه الأساسية ، وأبسط الخدمات الاجتماعية مثل الصحة والعلاج والتعليم كلها تعد من العوامل المتسببة للهجرة بأشكلها المختلفة، ومن هنا تتحول حياته لضرب من ضروب المعاناة الدائمة، ويسعى الإنسان لتغييرها بأي شكل، خصوصاً عندما تلوح في أفقه أخيلة عوالم شبه أسطورية مما يسمعه، أو يقرأه، أو يشاهده عبر وسائل الإعلام عن الدول الأخرى [2] . أما مخاطر الهجرة غير الشرعية تبدأ منذ أن يقرر المهاجر الرحيل عن وطنه والموت يلازمه ويرافقه سواء عبر الأراضي الليبية أو عبر شواطئها، وسط خضم الأمواج العاتية، أو الموت جوعا أو عطشا أو خلف القضبان تلك التي صنعتها أو تسيطر عليها الجماعات المسلحة في ليبيا، والأدلة على ذلك ألاف الجثث التي نراها يوميا سواءً على القنوات الفضائية من قوائم المفقودين ، أو وسائل التواصل الاجتماعي أو بالعين المجردة، ولنا في مدن الساحل الليبي من زوارة إلى الخمس خير دليل، حيث تشير التقارير الواردة من مدن الغرب الليبي إن ظروف عمل المهاجرين محفوفة بالمخاطر والصعوبات ويتعرضون باستمرار للابتزاز والإهانة وأحيانًا يؤدون الأعمال تحت تهديد السلاح دون مقابل، ومعظم الميليشيات المسلحة متورطة في الإتجار بالبشر لكن الخطر الجدي الذي تراقبه دول الاتحاد الأوروبي بتوجس، هو دور ميليشيات، ما يسمى بأنصار الشريعة التي تقول التقارير الاستخباراتية بانها لا تكتفي بجني العائدات المالية من وراء الإتجار بالبشر بل تتعدى ذلك لدس عناصرها بين صفوف المهاجرين المتجهين لأوروبا؛ حيث ذكر تنظيم الدولة الإسلامية "داعش" في مواقعه الإلكترونية أنه تمكن من إرسال ما يزيد على أربعة الأف جهادي بين أعداد المهاجرين وطالبي اللجوء إلى أوروبا

1 - مراد العرضاوى، الهجرة السرية بالجنوب التونسي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، تونس، 2008م، ص82.
2 - أحمد إسماعيل، "قراءة في ظاهرة الهجرة غير الشرعية من إفريقيا إلى الغرب"، قراءات أفريقية، العدد الحادي عشر، يناير – مارس، 2012م، ص ص69-70.

خلال السنوات الأخيرة؛ الأمر الذي جعل الاتحاد الأوروبي يولي الأمر اهتمامًا كبيرًا, لاسيما بعد تزايد تهديدات داعش مؤخرًا لدول الاتحاد الأوروبي [1]

إذن تحمل الهجرة غير الشرعية في ثناياها العديد من المشاكل مما جعلها مصدر قلق لكثير من الدول وصناع القرار، وذلك لارتباطها بالجريمة والإرهاب والعنف والمخدرات والأمراض، والتردي الاقتصادي والثقافي والهوية الوطنية ومعايير التعليم وغيرها، هذه المشاكل لها انعكاسات خطيرة على استقرار الدول وأمنها، ويفرض ملف الهجرة تحديات أمنية وصحية واجتماعية وثقافية واقتصادية على ليبيا التي تئن تحت ظروفها الأمنية الصعبة منذ أكثر من ثمان سنوات.

كما تأثرت الحياة الاجتماعية في ليبيا بالجريمة المنظمة لما تمارسه تلك الجماعات من تحكم في المنظمات الاجتماعية الرسمية، وغير الحكومية عن طريق التدخل بطريقة غير شرعية، من خلال تقديم الرشوة أو المساعدات أو أي تسهيل لغرض إرساء أفكارها وتجنيد ضعاف النفوس القائمين على أمر تلك المنظمات لتنفيذ أغراضها [2] . ولا تقتصر المشاكل الاجتماعية المرتبطة بالهجرة غير الشرعية في ليبيا، على تجارة المخدرات ، بل أيضا على تنامي الأحياء العشوائية، التي أصبحت فيما بعد وكر لكل مظاهر الرذيلة والخطف والابتزاز وخير دليل على ذلك مقر الشركة الصينية في بلدية "أم الأرانب" جنوب البلاد، فالفساد وباء غادر ومرض خطير يترتب عليه نطاق واسع من الأثار الضارة, فهو يقوض الديمقراطية وسيادة القانون ويؤدى إلى ارتكاب انتهاكات لحقوق الإنسان وتدهور نوعية الحياة, ويزيد من تنامي الجريمة المنظمة والإرهاب، وغير ذلك من التهديدات والمخاطر، وخلال الخمس سنوات الأخير تحولت الجريمة إلى ظاهرة اجتماعية مؤرقة للمجتمع مستفيدة من سطوة لغة السلاح الذي "شرع" لعمليات القتل والاختطاف بأنواعها في ظل غياب أي قوة رسمية رادعة، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد أحصى جهاز البحث الجنائي التابع لحكومة الوفاق الوطني مع بداية عام2017 أكثر من 1038 جريمة قتل وأكثر من 676 عملية اختطاف في طرابلس وحدها، على يد أطراف ليبيين وأجانب، ووفقاً لتقرير الجهاز ارتفعت جريمة السرقة في العام 2017 إلى 1233 جريمة وشملت بالخصوص سرقة السيارات، وتبدو ظاهرة الجريمة المنظمة بشتى مظاهرها الذراع الميداني للتنظيمات السياسية ، سواء منها المسلحة أو غير المسلحة التي جعلت من نفسها غطاء للاغتيال والقتل والنهب والاختطاف والاغتصاب لتضفي عليها مشروعية القوة والابتزاز، هذه الجرائم صنفت بها ليبيا في المرتبة الأولى على مستوى بلدان الشرق الأوسط من حيث مؤشر الجريمة وفي المرتبة 22 عالميا، وهو تصنيف يستوجب من السلطات الليبية المعنية التعاطي معه بكل جدية وحزم لأنه لا يعكس طبيعة المجتمع الليبي بقدر ما يعكس تجربة تسع سنوات من الفوضى السياسية والأمنية وغياب سلطة القانون ممثلة في دولة ليبية قوية ومهابة قادرة على بسط نفوذها على كامل تراب البلاد. [3] .

إن مشكلة الهجرة غير الشرعية عبر الأراضي الليبية تجعلنا أمام افتراض يصل إلى حد التشكيك في تورط دول أوربية في دعم الهجرة غير الشرعية نحو أوروبا عبر ليبيا، وتشجيع تهريب البشر، ففي تصريح سابق لعميد بلدية

1 - حسن الأمام، مكافحة الهجرة غير المشروعة على ضوء المسئولية الدولية وأحكام القانون الدولي للبحار، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، الطبعة الأولي، 2014م، ص 30 -32.

2 - بدير محمد، أمامه سامي، "الهجرة غير المنظمة في مصر بين المسؤولية والواجب"، سلسلة حقوق اقتصادية، اجتماعية، العدد رقم 77 ، منشورات مركز الأرض لحقوق الإنسان، القاهرة، 2009، ص 32.

3 - https://www.afrigatenews.net/a/176871

سبها خلال نهاية العام 2018 السيد (حامد الخيالي) في معرض رده على الاتهام الموجه لليبيا، والذي تداولته منظمات ووسائل إعلام مختلفة ومفاده وجود أسواق للرقيق والنخاسة التي عفى عنها ديننا الإسلامي يتم فيها الإتجار بالبشر المهاجرين، أو تعرض المهاجرين للعنف والتعذيب بمراكز الإيواء الرسمية في ليبيا مشيرا إلى أن هناك من يسعى لتوطين المهاجرين غير الشرعيين في البلاد، ومتهماً فرنسا بالتورط في هذا الملف بما يزيد استفحال الأزمة ويفشل الجهود المبذولة لحلها عبر عدم الجدية للمساهمة في حلها والتغاضي عن أعمال مسببيها [1] ، وأخيرا فإن مشكلة الهجرة غير الشرعية أثارت العديد من القضايا، التي تتطلب الدراسة والتحليل العلمي والموضوعي المتعلقة بأسبابها ودوافعها ومعرفة التهديدات المرتبطة بها، فمن خلال ما تقدم يجب وضع دراسة حقيقية لحجم التعاون البيني بين ليبيا والدول الأوروبية في التعاطي مع المشكلة وتحدياتها وإيجاد الآليات والحلول والبدائل المناسبة لها، وفي نهاية هذه المداخلة يمكن ان نقدم بعض **التوصيات التي يمكن ان تحد من مشكلة الهجرة غير الشرعية :**

- ضرورة مطالبة الاتحاد الأوروبي وأمريكا بمراجعة سياساتهم بشكل يساهم في تسوية النزاعات المتسببة في عمليات الهجرة واللجوء.
- تفكيك عصابات وشبكات الإتجار بالبشر من خلال وضع خطط أمنية لمكافحتهم دولياً وعالمياً بشكل جدي، وليس بالشجب والتنديد وإصدار مذكرات اعتقال فقط.
- يجب إعادة وتأهيل إدارة الموارد البشرية من البلد المصدر حتى يكون للمهاجرين دور فعال بصفة عامة في التواصل بين الشعوب ونشر الثقافات ودعم الإرث الحضاري المتبادل والتفاعل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بين كافة المجتمعات البشرية.
- على وسائل الإعلام التعاطي بشكل دقيق ومدروس لمشكلة الهجرة غير الشرعية سواء من البلد المصدر مرورا بأراضي العبور إلى البلد المستضيف.
- لابد من تقارب الظروف "السياسية والاقتصادية والاجتماعية" المحيطة بمشكلة الهجرة غير الشرعية حتى يمكن التعاطي معها بإيجابية.
- لابد من تقارب امني بين الدول المصدرة للهجرة و دول الوجهة من خلال المراقبة الفعلية والجادة لمعالجة المشكلة وضمان حقوق الأنسان والحفاض على الأرواح.
- المساهمة في بناء الدول الأفريقية تنموياً وفتح آفاق العمل أمام الشباب بدل من افتعال الأزمات، والإطاحة بالأنظمة فلربما تنمية الدول تكلف اقل بكثير من الإطاحة بنظامها.
- لابد من معالجة الجدور الحقيقة للهجرة وبشكل جدري وهي البطالة والفقر والمساهمة في دعم الأنظمة الضعيفة حتى يعمَ الأمن والاستقرار.
- التأكيد على ان الديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الإنسان والحريات المدنية شرط من شروط الاستقرار السياسي والأمني

1 - احلام محمد الكميشي libyaalmoustakbal@gmail.com إعلامية وكاتبة صحفية ليبية،2019/04/libya-al-mostakbal.org/.6 الهجرة غير الشرعية

المراجع

1. علي الحوات، مجلة دمشق، العدد الأول ،2008م.
2. المنضمة الدولية للهجرة، قاموس مصطلحات الهجرة الدولية، العدد 42الاصدار الثاني، 2013
3. هشام بشير، الهجرة العربية غير الشرعية ألي أوروبا: أسبابها تداعياتها سبل مواجهتها، السياسة الدولية، العدد 179،2010م.
4. مختار الهراس، مجلة جامعة دمشق، المجلد 24، العددالأول،2008.
5. سعيد عبدولي، الأسباب والعوامل المحفزة على الهجرة غير الشرعية في بلدان القارة الإفريقية كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس.
6. مصباح عياد أبو خشيم، وآخرون، أسباب ظاهرة الهجرة غير الشرعية عبر ليبيا إلى أوروبا، المجلة الدولية للبحوث الإسلامية والإنسانية المتقدمة، المجلد الرابع، العدد السابع، يوليو 2014م
7. موسى محمد ميلاد دبوبة، الاستيطان الإيطالي وأثره على الحياة الاجتماعية في ليبيا ظاهرة الهجرة نموذجاً، مجلة جامعة الزيتونة، العدد الثالث، صيف – 2012م.
8. **مولدي الأحمر**، الأطر القانونية والتنظيمية لمكافحة الهجرة غير النظامية في ليبيا، مجلة شؤون ليبية، المركز المغاربي للأبحاث، تونس، العدد الأول –يوليو 2016 .
9. جمال المبروك علي، ليبيا والهجرة غير النظامية، مجلة شؤون ليبية، المركز المغاربي للأبحاث، بتونس، العدد الأول، يوليو، 2016م.
10. علي الحوات، الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا عبر بلدان المغرب العربي.
11. عبدالله محمد عبدالرحمن، علم الاجتماع الاقتصادي، مكتبة المتنبي، مصر،2016.
12. ستيفاني تسايلر، تقرير اللجنة الدولية للهجرة، GCIM، الأمم المتحدة، نيويورك، الولايات المتحدة الأمريكية.
13. محمد غربي، من أجل مفهوم جديد لنظرية الدفاع والأمن: حالة منطقة البحر الأبيض المتوسط"، جامعة الشلف، مجلة دفاتر سياسية، 2009.
14. مراد العرضاوى، الهجرة السرية بالجنوب التونسي، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، تونس، 2008م.
15. أحمد إسماعيل، "قراءة في ظاهرة الهجرة غير الشرعية من إفريقيا إلى الغرب"، قراءات أفريقية، العدد الحادي عشر، يناير– مارس، 2012م.
16. حسن الأمام، مكافحة الهجرة غير المشروعة على ضوء المسئولية الدولية وأحكام القانون الدولي للبحار، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، الطبعة الأولي، 2014م.
17. بدير محمد، أمامه سامي، "الهجرة غير المنظمة في مصر بين المسؤولية والواجب"، سلسلة حقوق اقتصادية، اجتماعية، العدد رقم 77، منشورات مركز الأرض لحقوق الإنسان، القاهرة، 2009.
18. احلام محمد الكميشي libyaalmoustakbal@gmail.com إعلامية وكاتبة صحفية ليبية،libya-al-mostakbal.org/6/04/2019 الهجرة غير الشرعية

- https://platform.almanhal.com/6/4/2019
- . https://www.infomigrants.net-6-4-2019

دور الممارس العام للخدمة الاجتماعية في التعامل مع مشكلات المرأة العاملة المتزوجة

د. صلاح عبدالسلام الضعيف
قسم الخدمة الاجتماعية

مشكلة البحث

تعمل المرأة أياً كان موقعها داخل أو خارج المنزل، ولكن يختلف هذا العمل باختلاف الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية المحيطة بها، وقد أتاحت الثورة الصناعية والمعلوماتية والتقنية الفرصة أمام المرأة للالتحاق بالعمل خارج المنزل، والمساواة بالرجل والحصول على أجر نظير هذا العمل، وبالتالي المشاركة الإيجابية في ميزانية الأسرة وفي دفع عجلة التنمية الاجتماعية والاقتصادية للبلاد ، وعلى الرغم من تحسن أوضاع المرأة في العمل ودخولها الى معظم القطاعات ، الا أنها تواجهها الكثير من المشكلات والصعوبات ، فقد توصلت العديد من البحوث والدراسات مثل دراسة (محمد 2011م)[1] ودراسة (أسماء 2009م)[2] ، و(كلثوم 2000م)[3] ، أن المرأة تعاني الكثر من المشكلات والصعوبات منها : عدم استقرار المناخ الأسري واضطرابه ، والتأثير السلبي على النمو الجسدي ، والنفسي ، وضعف التحصيل الدراسي للأبناء ، وصعوبات في تأدية الواجبات الاجتماعية بسبب الخروج للعمل ، ومنها ما يرتبط بالجانب الشخصي مثل : المعاناة من الإرهاق الجسدي والضغط النفسي الناجم عن الجمع بين العمل المنزلي ، والعمل الوظيفي ، والصعوبة في التوفيق بين عملها في الوظيفة وعملها بالبيت ، ويزيد ذلك قلة مشاركة الزوج لها بالأعمال المنزلية ، ومشكلات أخرى تتعلق بالجانب التنظيمي مثل : ما تتعرض له المرأة من التميز بينها وبين الرجل ، والنظر للمرأة على أنها أقل قدر وكفأه من الرجل في أداء العمل وعدم التكافؤ بينهما في الفرص ،... كل ذلك وغيره من الصعوبات والعقبات خلق لدى المرأة مشكلات في تكيفها مع ذاتها ، ومع الأخرين لتعدد أدوارها ما بين الأسرة ، وباقي مؤسسات المجتمع ؛ الأمر الذي يدفع لدراسة هذه المشكلات ، بهدف توصيفها ، وتوصيف الدور المهني للأخصائي الاجتماعي في كيفية التعامل معها.

أهمية البحث

- يسعى إلى توفير البيانات والمعلومات الميدانية عن طبيعة الأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة
- قلة البحوث المنجزة – حسب علم الباحث– التي تناولت دور الخدمة الاجتماعية في التعامل مشكلات المرأة العاملة في المجتمع الليبي.

1 - محمد حسن، (2001م) ، المرأة العربية العاملة التحديات والحلول، مجلة التربية القطرية ، العدد الأول ، ص66-89
2 - أسماء الخضري، (2009م) ، دور التأهيل والتدريب في تمكين المرأة البحرينية ، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة التحديات التي تواجه المرأة العاملة، 7-9 ابريل .
3 - كلثوم علي الغانم ، (2000م) ، المرأة والتنمية في المجتمع القطري، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، جامعة الكويت، المجلد(109)، (95) ، ص ص82-114 .

– قد تُفضي نتائج البحث إلى بحوث ودراسات لاحقة، تقترح أساليب ، يمكن للأخصائيين الاجتماعيين استخدامها لمساعدة النساء العاملات في التخفيف من المشكلات والصعوبات الناجمة عن التحاق المرأة بالعمل الوظيفي.

أهداف البحث

1. التعرف على الأدوار المهنية التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة.
2. التعرف عما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير عينة البحث للأدوار التي بقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة تبعاً لمتغير الفئة العمرية .
3. التعرف عما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير عينة البحث للأدوار التي بقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة تبعاً لمتغير المؤهل العلمي.
4. التعرف عما إذا كانت هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير عينة البحث للأدوار التي بقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة تبعاً لمتغير عدد الأبناء .

تساؤلات البحث

التساؤل الأول : ما هي الأدوار التي بقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة ؟

التساؤل الثاني : هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير عينة البحث للأدوار التي بقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة تبعاً لمتغير الفئة العمرية ؟

التساؤل الثالث : هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير عينة البحث للأدوار التي بقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة تبعاً لمتغير المؤهل العلمي؟

التساؤل الرابع : هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير عينة البحث للأدوار التي بقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة تبعاً لمتغير عدد الأبناء ؟

منهجية البحث

انطلاقاً من طبيعة البحث رأي الباحث أن المنهج المناسب هو المنهج الوصفي ، والذي يعرف على أنه " عبارة عن طريقة تتبع في التعرف على صفات ظاهرية موجودة في الزمن الحاضر ، وهذه الصفات يعترف بالتعبير عنها وفق المعلومات المجمعة في استمارة مقابلة ، أو استبيان ، أو مشاهدة سلوك " [1]

مجتمع البحث

يتمثل مجتمع البحث في جميع النساء العاملات في مجال التعليم بمدارس سوق الجمعة بمدينة ترهونة.

1 - عقيل حسين عقيل ، (1995م) ، فلسفة مناهج البحث العلمي ، منشورات ELGOA ، فاليتا ، ص 79 .

عينة البحث

تم اختيار عينة عشوائية من (51) معلمة، من مدارس (المصابحة ، عمار بن ياسر) الواقعة داخل نطاق منطقة سوق الجمعة بمدينة ترهونة ، والجدول التالي يبين خصائص عينة البحث :

جدول (1)

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب المتغيرات الشخصية

المتغير	فئات المتغير	ك	%
الفئة العمرية	من 25 الى أقل من 30 سنة	5	9.8
	من 30 الى أقل من 35 سنة	18	35.3
	من 35 الى أقل من 40 سنة	18	35.3
	من 40 الى أقل من 45 سنة	6	11.8
	من 45 سنة فأكثر	4	7.8
المؤهل العلمي	متوسط	6	11.8
	جامعي	42	82.4
	دراسات عليا	3	5.9
سنوات الخبرة في العمل المهني	من 3 إلى أقل من 6 سنوات	11	21.6
	من 6 إلى أقل من 10 سنوات	20	39.2
	من 10 إلى أقل من 15 سنة	17	33.3
	من 15 إلى أقل من 20 سنة	1	2.0
	من 20 سنة فأكثر	2	3.9
مدة الزوج	أقل من 4 سنوات	12	23.5
	من 5 – 9 سنوات	35	68.6
	أكثر من 10 سنوات	4	7.8
عدد الأبناء	طفل واحد	9	17.6
	من 2 - 3 أطفال	30	58.8
	أكثر من 4 أطفال	12	23.5

فيما يتعلق بالفئة العمرية لعينة البحث يتضح من الجدول أن (35.3%) ، من أفراد العينة تتراوح أعامرهم من 30 الى أقل من 35 ، ومن 35 الى أقل من 40 سنة ، تليهم الفئة العمرية من 40 الى أقل من 45 ، بنسبة وصلت إلى (11.8%) ، مقابل (9.8%) ، من فئة 25 الى أقل من 30 ، وأخيراً بنسبة لم تتعدى (7.8%) ، ممن تقع أعمارهم من 45 سنة فأكثر ، وبالنسبة لمتغير المؤهل العلمي فإن غالبية عينة البحث وبنسبة وصلت إلى 82.4% من حملة المؤهل الجامعي ، وبالنسبة لسنوات الخبرة في مجال العمل المهني فقد جاءت في المرتبة الأولى ممن خبرتهم من 6 إلى أقل من 10 سنوات بنسبة بلغت 39.2% ، أما عن مدة الزواج فإن نسبة 68.6% تتروح بين من 5 – 9 سنوات ، وبالنسبة لعدد الأبناء فإن أكثر من نصف عينة البحث وبنسبة 58.8% عدد أبنائهم يتراوح ما بين 2 – 3 أبناء .

أداة البحث :

لتحقيق أهدف البحث فقد تم بناء أداة البحث (استمارة الاستبيان) ، بالاعتماد على الأدب وعدد من الاستبانات المستخدمة في الدراسات السابقة ذات العلاقة ، واشتملت أداة البحث على أربعة محاور هي :

- المحور الأول : المتغيرات الديموغرافية ويتضمن : (العمر، المؤهل العلمي ، سنوات الخبرة في العمل المهني ، مدة الزواج ، وعدد الأبناء) .

- المحور الثاني : الأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من مشكلات المرأة العاملة وعددها (11) فقرة .

وتم تصنيف الإجابات وفق مقياس (ليكرث الثلاثي) ، وأعطيت الإجابات درجات من (1 – 3) ، بحيث تدل الدرجة (3) موافق ، والدرجة (2) موافق إلى حد ما ، ودرجة (1) لغير موافق .

الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث

تم استخدام مجموعة من الأساليب الإحصائية بقصد تحليل النتائج وإمكانية تفسيرها وهي :

- التكرارات ، والنسب المئوية (%) ، لوصف خصائص عينة البحث ، وحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للإجابة عن تساؤلات البحث .
- تحليل التباين الأحادي (Anova Way One) ، لاختبار تأثيرات المتغيرات الشخصية ، في تصورات العينة إزاء متغيرات البحث .

التعريفات الإجرائية لمصطلحات البحث :

1. الدور

يعرف الدور بأنه " نمط للسلوك يتوقع من فرد في جماعة، أو في موقف معين، وتحدد الأدوار ما يجب أن يؤديه الفرد من مناشط في جماعته في ضوء الثقافة السائدة " [1]

وفي هذا البحث يعرف الدور إجرائياً على أنه الممارسة المهنية التي يقوم بها الأخصائي الاجتماعي لمساعدة المرأة العاملة للتخفيف من حدة المشكلات الناجمة عن العمل والتي قد تعيق تكيفها النفسي والاجتماعي مع بيئتها المحيطة

2. الممارس المهني

يعرف (السيد، وهناء) الممارس المهني بأنـه " الشخص المهني الذي تكامل إعداده علمياً ، وعملياً ، ونظرياً ليعمل في ميادين الخدمة الاجتماعية ليكون مؤثراً بمهارته تأثيراً إيجابياً في تغيير الناس ، أفراداً، وجماعات، ومجتمعات" [2] .

وبالتالي يمكن تعريف الممارس المهني في هذا البحث على أنه الشخص المعد إعداداً علمياً، وعملياً لمساعدة النساء العاملات على مواجهة المشكلات التي قد تعيق تكيفهن مع بيئتهن وذلك من خلال استخدام موارد المجتمع المتاحة ، أو الممكـن إتاحتها.

3. الخدمة الاجتماعية

1 -إقبال بشير ، إقبال مخلوف ، (ب ت) ، الخدمة الاجتماعية ورعاية المعوقين ، الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث) ،ص 7 .
2 - السيد عبدالحميد، هناء حافظ، (1991م) ، الخدمة الاجتماعية ومجالاتها التطبيقية ، الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث، ص 97 .

تعرف الخدمة الاجتماعية على أنها ممارسة مهنية فنية تعمل من ناحية على مساعدة الفراد، أو جماعة للتغلب على مشكلاتها ، كما تعمل من ناحية أخرى على إزالة العوائق التي تحول دون تمكن الأفراد من استثمار أقصى ما لديهم من قدرات. [1]

وتعرف الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية في هذا البحث إجرائياً بأنها أساليب التدخل المهني التي يمارسها الإخصائي الاجتماعي، القائمة على مبادئ وقيم المهنة لمساعدة النساء العاملات، ممن يعانون مشكلات لمواجهتها وصولاً إلى التكيف السليم.

4. مشكلات المرأة العاملة

تعرف المشكلة بأنها " ظاهرة تتكون من عدة أحداث، أو وقائع متشابكة، وممتزجة بعضها مع بعض لفترة من الوقت، ويكتنفها الغموض، واللبس تواجه الفرد، أو الجماعة " [2]

وتعرف اجرائيا في هذا البحث بأنها الصعوبات، والتحديات ، والمشكلات التي تواجه المرأة العاملة سوء كانت شخصية ، أو أسرية ، أو اجتماعية .

الدراسات السابقة:

1. دارسة تماضر بعنوان : (تأثير عمل المرأة على التماسك الأسري في المجتمع) 1993: [3]

هدفت الدراسة إلى التعرف على آثار خروج المرأة للعمل على الأسرة وقد شملت (157) سيدة عاملة متزوجه وقد توصلت إلى نتائج منها : تواجه المرأة العاملة صعوبات ذاتية متمثلة في عدم المقدرة على التخلص من الدور التقليدي وعوائق خارجية تتمثل في صعوبة التوفيق بين متطلبات العمل الخارجي ومتطلبات العمل المنزلي.

2. دراسة نجوى بعنوان : (اتجاهات المتعلمين نحو عمل المرأة في مصر) 1997م: [4]

تهدف هذه الدراسة للتعرف على اتجاهات عينة من المبحوثين نحو عمل المرأة. ومساهمتها في العملية الانتاجية والتنمية الاجتماعية الاقتصادية، وتوصلت الدراسة الى نتائج التالية:

- أن المرأة العاملة المتزوجة تساعد على التقدم المستمر في تحسين المستوى الاقتصادي والاجتماعي والحياة الثقافية.
- وجدت الباحثة إن أثر تفرغ المرأة لتربية الأولاد بدون عمل مساهم في زيادة عدد الأولاد في الأسرة.
- نسبة 46% من العينة ترى عمل المرأة يؤدي إلى الخلافات الزوجية نتيجة ارهاقها في العمل ونتيجة إهمالها لرعايتها لأولادها.

3. دراسة رحمة بعنوان: (الآثار الاجتماعية والنفسية لعمل المرأة على أدوراها الأسرية) 2000م [5]

هدفت هذه الدراسة الي الكشف عن أتر عمل المرأة خارج المنزل على واجباتها، وأعمالها، أدوراها الأسرية، والتعرف علي أهم العوامل التي تؤثر في الادوار الأسرية للمرأة العاملة، وتلخصت النتائج فـي :

---

1. خليل أحمد خليل، (1996م) ، معجم مفاهيم علم الاجتماع، معهد الاتحاد العربي، بيروت، ص64.
2 - أحمد خورشيد النوره ، (1990م) ، مفاهيم في الفلسفة والاجتماع ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ص 228 .
3 - تماضر حسون،(1993م) ، تأثير عمل المرأة على التماسك الأسري في المجتمع العربي، دار النشر بالمركز العربي ، الرياض.
4 - نجوى زكي ، (1997م) ، اتجاهات المتعلمين نحو عمل المرأة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة المنصورة ، قسم علم النفس .
5 - رحمة ميلاد محمد، الآثار الاجتماعية والنفسية لعمل المرأة على أدوارها الأسرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الفاتح، طرابلس، 2000.

- أن عمل المرأة يؤثر في مستوي أدائها لأدوارها الأسرية.
- يؤثر عمل المرأة علي اهتماماتها بزوجها من حيث عدم تمكنها من مشاركته اهتماماته ومشاكله.
- كشفت النتائج أن أغلب النساء العاملات يؤثر عملهن خارج المنزل على مستوى أدائهن للأعمال المنزلية، بسبب عدم حصولهن على الوقت الكافي لتلك الأعمال.
- محاولة أغلب الأمهات التغلب علي الأثر الذي يحدثه عملهن خارج المنزل علي اهتمامهن بأطفالهن وذلك بتعويضهن عن ساعات غيابهن عنهم، وقد حددت تلك الآثار التي تقع علي الطفل من جراء عمل والدته.

4. دراسة حنان بعنوان: (القيادة النسائية من وجهة نظر المرأة الليبية في الادوار العليا) 2011م: [1]

سعت الدراسة الى التعرف على المشكلات التي تواجه المرأة الليبية أثناء توليها المناصب العليا، وإلى أثر الثقافة على وجهة نظر المرأة الليبية حول القيادة النسائية في ليبيا، وظهرت الدراسة النتائج الاتية:

- العلاقات الاجتماعية في المجتمع الليبي القائمة على أساس الوساطة والتحيز للعنصر الذكوري لها الاثار السلبي على تولى المرأة لليبية للمناصب العليا.
- الثقافة السائدة بين أفراد المجتمع الليبي تعيق المرأة في التفكير توليها مناصب قيادية عليا.
- الصعوبات الأسرية أحد اهم المعوقات التي تعيق المرأة في التفكير توليها مناصب قيادية عليا.

5. دراســـة مريم بعنوان: (بعض المشـــكلات التي تواجه المرأة في المجتمع الليبي ودور الخدمة الاجتماعية في الحد منها) 2013م: [2]

هدفت الدراسة الى محاولة التعرف على أهم المشكلات التي تواجه المرأة في المجتمع الليبي من وجهة نظر الخريجات اللواتي لا يعملن، حيث اشملت على عينة من طالبات الدراسات العليا كلية الآداب، جامعة طرابلس للعام الجامعي (2012م)، وكان عدهن (159) طالبة واستخدمت الباحثة في جمع المعلومات اداة الاستبيان ، وقد أظهرت النتائج أن أكثر المشكلات التي تواجه المرأة : عدم وعي المرأة بحقوقها ، ضعف المستوى الثقافي للمرأة ، تعدد الادوار المطلوبة من المرأة ، انتشار البطالة ، قلة المشاريع المناسبة للمرأة ، عدم وضع الخطط المناسبة لتوفير فرص العمل للمرأة ، عدم وضوح اليات توفير فرص العمل للمرأة ، عدم التزم الدولة بتعيين الخريجين ، عدم تشجيع المرأة على إقامة مشاريع اقتصادية صغيرة ، وأخيراً أن للخدمة الاجتماعية دوراً فعالاً في العامل مع مشكلات المرأة.

الإطار النظري للبحث

أولاً: الممارسة المهنية للخمة الاجتماعية:

ماهية الممارسة المهنية:

الممارسة المهنية للخدمة الاجتماعية مرت بمراحل وأطوار مختلفة استطاعت خلالها اكتساب الخبرات والمهارات والقدرة على مساعدة المجتمع في مواجهة مشكلاته والسعي نحو التنمية الاجتماعية والاقتصادية وخلال جهود

1 - حنان معمر العباني، القيادة النسائية عن وجهة نظر المرأة الليبية في الأدوار العليا، دراسة تطبيقية بوزارة التعليم ووزارة الصحة ، رسالة دكتوراه غير منشورة، بريطانيا، 2011.

2 - مريم علي عمر، بعض المشكلات التي تواجه المرأة في المجتمع الليبي ودور الخدمة الاجتماعية في الحد منها،(2013) ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم الخدمة الاجتماعية، جامعة طرابلس.

مهنة الخدمة الاجتماعية، وسعيها المستمر لمواكبة التطورات التي تعيشها المجتمعات، ورغبتها الاكيدة في تطوير علومها ومناهجها عن طريق استخدام الوسائل البحثية والعلمية [1]

وتعرف الممارسة المهنية بأنها الإطار الذي يوفر للأخصائي الاجتماعي أساساً نظرياً انتقائياً للممارسة المهنية، حيث يتناول تغير البناء لكل مستوى من مستويات الممارسة من الفرد وحتى المجتمع. [2]

ومن تم فالممارس المهني هو الشخص الذي اكتسب معارف الممارسة المهنية ومهاراتها على نطاق واسع دون الارتباط بإطار نظري معين أو طريقة معينة، أو طريقة معينة، حيث يقوم بتقدير مشكلات وإيجاد الحلول لها بصورة شمولية متكاملة تتناول جميع الأنساق التي تنظمها هذه المشكلات. [3]

خصائص الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية

- تتكون الممارسة المهنية من معارف وعلوم ومهارات وقيم مهنية يمكن التدخل المهني من خلال توظيف تلك المعارف والعلوم في المساعدة لحل مشكلات الأفراد والجماعات والمجتمعات.
- الاعتماد على النسق الايكولوجي ومدخل الحاجات.
- للممارسة المهنية إطار نظري ذو أبعاد متعددة يتضمن الاختيار الحر للنظريات ونماذج التدخل المهني، حيث يتم التركيز على المشكلة والتركيز على الإنسان في البيئة والتي تعكس التدخل بين المشكلة ومواقف الحياة والظروف الاجتماعية.
- تقدير المشكلة وأبعادها الاجتماعية، حيث يوجه هدا التقدير نحو الفردية ونوع نسق العملاء والثبات ولا يتقيد هذا التقدير بإطار نظري معين ولا نسق معين.
- مراعاة حاجات التنوع البشري بمؤسسات الرعاية الاجتماعية الإيوائية وفق مراحل النمو المختلفة فهده الحاجات تتمثل في الثقة في الذات والاستقلال الشخصي والتفاعل مع الآخرين.

أهداف الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية:

وتتمثل هذه الاهداف في الاتي:

- تحقيق العدالة والمساواة بين مختلف أنماط السكان من ناحية وبين مشاركتهم بطريقة كاملة.
- تمكين أنساق العملاء سوء بشكل فردي وجماعي لكي يتمكنوا من حل مشكلاتهم وإشباع حاجاتهم واستثمار قدراتهم.
- التأثير في السياسات الاجتماعية القائمة لرعاية الإنسان ومحاولة تنمية متطلبات اجتماعية جديدة لصالح الانسان.
- تشجيع تبادل المعلومات والخبرات والموارد بين مختلف الأنساق المؤسسية.
- تبني وجهة نظر علمية وعامة للقضايا الإنسانية، وأيضاً إيجاد حلول للمشكلات.

1 - حسن حسين سليمان وآخرون، (2005م) ، الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية مع الفرد والأسرة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، جامعة حلوان، ص24.
2 - هشام سيد عبد الحميد،(2008م) ، المدخل إلى الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية، غير مبينة دار النشر، مصر ، ص17.
3 - المرجع السابق، ص20.

- إيجاد روابط وعلاقات بين الناس والموارد المجتمعية ومصادر الخدمات في المجتمع والمؤسسات التي تقوم برعايتهم في المجتمع. [1]

ابعاد وعناصر الممارسة المهنية:

هناك اتفاق على أبعاد وعناصر الممارسة المهنية إلا أنها ليست نهائية، حيث إن الأمر يتأثر بدرجة كبيرة بظروف المجتمع الذي نمارس فيه المهنة والإطار الايديولوجي ودرجة تطور المهنة وغيرها من الأسس التي يمكن أخذها في الاعتبار عند تحليل تلك الابعاد، إلا أنه يمكن تحديد هذه العناصر في :

- القيم في ممارسة المهنة وهي الأشياء المفضلة كمعتمدات تحتفظ بها المهنة.
- الطرق المنهجية وهي الأنشطة والأساليب والعمليات التخطيطية والتنفيذية التي تقوم بها الممارس المهني.
- الاعتراف المجتمعي: تمثل في تحمل المهنة وطرقها المتحددة لمسئولياتها تجاه الأفراد والجماعات والمنظمات في المجتمع وتشترك في الاعتراف الهيئات الحكومية والخاصة في المجتمع. (2)
- القاعدة المعرفية لمهنة الخدمة الاجتماعية تساهم بشكل كبير في الأساس الانتقائي، وذلك من أجل رفع مستوي العلمي والمعرفي والمهارات لكافة الممارسين في الجانب المعرفي في بناء الاتجاه النظري للممارسة المهنية، ومن خلاله يمكن أن رسم سياسات وخطط تنموية للأخصائيين في مختلف مجالات الممارسة المهنة للخدمة الاجتماعية.

ثانياً: المرأة والعمل

احتلت المرأة مكانة اجتماعية، واقتصادية، وسياسية، متميزة في مختلف العصور، ولعبت دوراً فعالا في شؤون الحياة، كما تباينت أشكال هذا الدور وهذه المكانة باختلاف الأزمنة والأمكنة عبر مراحل التاريخ، وفي الوقت الحاضر هناك مجموعة من العوامل ساعدت المرأة على دخول ميدان العمل يمكن أن نوجز بعضها فــي :

- إلزامية التعليم للذكور والإناث وهو ما جعل المرأة تحظى بنصيب وافر منه.
- التوسع في إنشاء المعاهد المتنوعة من تعليمية واجتماعية وصحية ونفسية ورياضية مع التوسع في دور الرعاية الاجتماعية ودور الحضانة ومراكز التأهيل والتدريب الإداري والتي نالت المرأة نصيبها في هذا النوع من التعليم.
- تدعيم النشاط النسائي وتدليل الصعاب التي تواجهه كلما أمكن ذلك بتسخير الامكانيات لدعمه.
- توعية المرأة بأهمية دورها في بناء المجتمع والمحافظة عليه.
- التحرر من التبعية المادية للرجل حيث مساهمة المرأة في أعباء الحياة وشاركت في الدخل للأسرة وكان لها مردود إيجابي في ذلك.
- بناء علاقات اجتماعية مختلفة عن ذلك التي كانت توجد في محيط العائلة سابقا.

1 - المرجع السابق، ص23.
2 - حسن حسين سليمان واخرون، مرجع سبق ، ص114.

- إرضاء الذات وذلك بأن تختار المرأة العمل الملائم لطبيعتها، وهو ما يجعل العامل النفسي مهما في هذا المجال.
- تنوع الوظائف والأعمال خارج المنزل وكثرة التخصصات كل حسب رغبتها واختيارها الوظيفة التي تؤهلها، وهو ما أدى إلى بروز مجموعة من النتائج كإنماء شخصية المرأة ومساعدة الأسرة في تحسين الدخل. [1]

مشكلات المرأة العاملة

عمل المرأة خارج منزلها كما أظهرت نتائج الكثير من الدراسات يجلب لها الاحترام والتقدير ويضعها في مكانة اجتماعية عالية في داخل الأسرة وفي محيطها الاجتماعي، ويعزز من ثقتها بنفسها، ويقدم لها الاستقلالية الاقتصادية عن الرجل، إلا أن المرأة العاملة تواجهها العديد من المشكلات أثناء حياتها والتي تنعكس سلبًا عليها وعلى أسرتها وعلى علاقتها الاجتماعية ، ومن هذه المشكلات :

1- صعوبة التوفيق بين الواجبات المنزلية والواجبات الأسرية : من أكثر الصعوبات التي تواجها المرأة العاملة فهي تبذل جهود مضاعفة من أجل تخصيص أوقات للأطفال وتربيتهم وتنشئتهم ورعايتهم وحتى تعليمهم، ولديها واجبات وظيفية ومهنية تعمل بها خارج المنزل والتي قد تتعارض مع واجباتها المنزلية .

2- مشكلة تربية الأطفال للمرأة العاملة : فالمرأة العاملة تضطر للبقاء بعيدة عن أطفالها طوال فترة العمل خارج المنزل، ومن تم فقد يتعرض الأطفال إلى الإهمال وهي تبقى قلقة على أطفالها طوال فترة عملها بما ينعكس سلباً على تركيزها في عملها وانخفاض إنتاجيتها .

3- ضعف مستوى الخدمات التي تُقدم للمرأة العاملة بالمؤسسة التي تعمل بها مثل : الحضانة والتعليم لأطفالها والإشراف عليهم خلال فترة غيابها .

4- عدم استقرار المناخ الأسري مثل توتر العلاقة بين المرأة وزوجها والذي قد يعود في جزء منه إلى غياب المرأة عن بيتها وزوجها لساعات العمل وتعرضها للتعب والإرهاق والملل، مما يؤدي إلى انشغالها عن حياتها الزوجية والأسرية.

ومن تم عليها التوفيق بين دورها المهنيّ، ودورها في المنزل كأمّ فعليها تنشئة أبنائها والتواصل مع زوجها بشكل جيد إضافة إلى قيامها بالأعمال المنزليّة، وكذلك الاعتناء بنفسها لتتمكّن مِن الاستمرار في العطاء لكي تحقّق التوازن بين العمل والمنزل.

ثالثاً: عرض نتائج البحث :

أجري البحث الحالي بهدف التعرف على دور الممارس العام للخدمة الاجتماعية في التعامل مع مشكلات المرأة العاملة المتزوجة، لدى عينة من النساء العاملات بقطاع التعليم، وسنعرض للنتائج التي أسفر عنها ومناقشتها وتفسيرها، وذلك في ضوء الإطار النظري، ونتائج الدراسات السابقة المتعلقة بالبحث الحالي، وذلك على النحو التالي :

1 - زهير حطب، عباس مكي، (1998م) ، الطاقات النسائية العربية ، معهد الاتحاد العربي، بيروت ، ص 62.

التساؤل الأول: ما هي الأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة؟

وللكشف عن ترتيب ومستوى الأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة بحسب عينة البحث، فقد تم حساب التكرارات والنسبة المئوية، والمتوسط الحسابي، وكذلك الانحراف المعياري، وجاءت النتائج كما هي موضحة في الجدول التالي :

الجدول (2)

الأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من مشكلات المرأة العاملة

ت	أدوار الممارس العام	الاستجابات						المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	المستوى
		موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق					
		ك	%	ك	%	ك	%				
.1	وضع الحلول المناسبة لمشكلات بعض الأسر وإرشادها إلى أفضل الحلول	15	29.4	26	51.0	10	19.6	2.10	.700	5	متوسط
.2	يسهم الممارس العام في حل المشكلات التي قد تنشأ بين المرأة وزملائها في العمل	16	31.4	20	39.2	15	29.4	2.02	.787	7	متوسط
.3	تعريف المؤسسات والجمعيات المختلفة باحتياجات ومشكلات المرأة العاملة	18	35.3	22	43.1	11	21.6	2.14	.749	4	متوسط
.4	تعريفهن بالخدمات التي تقدمها الجمعيات والمؤسسات المجتمعية وكيفية الحصول عليها والاستفادة منها في حل مشكلاهن	12	23.5	21	41.2	18	35.3	1.88	.765	9	متوسط
.5	عقد دورات تدريبية للنساء لمساعدتهم في التعامل مع ضغوط العمل مشكلاته	10	19.6	29	56.9	12	23.5	1.96	.662	8 م	متوسط
.6	يقوم الممارس العام بالتخفيف من حدة المشكلات والضغوط التي تتعرض لها المرأة العاملة	22	43.1	22	43.1	7	13.7	2.29	.701	1	عالي
.7	عقد ندوات ومحاضرات في المجتمع للتوعية بخطورة المشكلات التي تتعرض لها المرأة العاملة	11	21.6	21	41.2	19	37.3	1.84	.758	10	متوسط
.8	تعديل اتجاهات المجتمع نحو المرأة وعدم تهميشها في جميع مناشط الحياة	23	45.1	17	33.3	11	21.6	2.24	.790	2	متوسط
.9	وضع برامج توعية تهدف إلى حماية الأسرة من الآثار السلبية الناتجة عن عمل	14	27.5	25	49.0	12	23.5	2.04	.720	6	متوسط
.10	زيارة الأسر التي تعاني من مشكلات أسرية لتقرير حقيقة وضعها الاجتماعي	17	33.3	25	49.0	9	17.6	2.16	.703	3	متوسط
.11	مساعدتهن على تحديد مشاكلهن بدقة وتعليمهن كيفية حل مشاكلهن بأنفسهن	11	21.6	27	52.9	13	25.5	1.96	.692	8 م	متوسط
	المتوسط العام الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من مشكلات المرأة العاملة							2.05	.723		متوسط

يتبين من الجدول أن المتوسط العام بلغ (2.05)، وانحراف معياري قدره (.723) وهذا يعني أن دور الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من مشكلات المرأة العاملة ذا مستوى متوسط.

وبتحليل أبعاد الجدول تأتي في المرتبة الأولى العبارة التي تنص على " يقوم الممارس العام بالتخفيف من حدة المشكلات والضغوط التي تتعرض لها المرأة العاملة " بمتوسط حسابي (2.29) وانحراف معياري(701.) ، تليها الفقرة " تعديل اتجاهات المجتمع نحو المرأة وعدم تهميشها في جميع مناشط الحياة " بمتوسط حسابي (2.24) ، وانحراف معياري (790.) ، ثم في المرتبة الثالثة "زيارة الأُسر التي تعاني من مشكلات أسرية لتقرير حقيقة وضعها الاجتماعي" بمتوسط حسابي (2.16) وانحراف معياري (.703) ، وفي المراتب الأخيرة جاءت على التوالي الفقرات (4) التي تنص على " تعريفهن بالخدمات التي تقدمها الجمعيات والمؤسسات المجتمعية وكيفية الحصول عليها والاستفادة منها في حل مشكلاهن" ، والفقرة (7) التي تنص على "عقد ندوات ومحاضرات في المجتمع للتوعية بخطورة المشكلات التي تتعرض لها المرأة العاملة" ، بمتوسطات حسابية قدرها (1.88) ، و(1.84) ، وانحراف معياري (765.) ، (758.) .

وبناء على ما تقدم نلاحظ وجود دور إيجابي للممارس العام في التخفيف من مشكلات المرأة العاملة يمكن وصفه بأنه ذو مستوى المتوسط نسبياً، ويأتي هذا التقييم من العينة التي شملها البحث، وقد يرجع الى أسباب منها :

- ضعف الاعداد المهني للأخصائي الاجتماعي وخاصة الجانب الميداني المرتبط بالممارسة المهنية مع المجال الأسري.
- قلة الامكانيات المادية التي قد تشكل عائق أمام قيام الأخصائية الاجتماعية بتنفيذ بعض البرامج.
- اتجاه الاخصائيين الاجتماعيين للعمل الإداري الروتيني اليومي وترك الممارسة المهنية.
- قلة عدد الأخصائية الاجتماعية العاملات بالمؤسسات التعليمية.
- قلة الدورات التدريبية والتأهيلية للأخصائيات الاجتماعيات في مجال الممارسة العامة.

التساؤل الثاني : هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير عينة البحث للأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة تبعاً لمتغير الفئة العمرية ؟

الجدول (3)

تحليل التباين لدلالة الفروق في الأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة تبعاً لمتغير الفئة العمرية

الفئة العمرية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ف	القيمة الاحتمالية	الدلالة الاحصائية
من 25 الى أقل من 30 سنة	7	22.00	2.449	.537	.709	غير دالة
من 30 الى أقل من 35 سنة	17	23.82	4.157			
من 35 الى أقل من 40 سنة	17	21.94	5.202			
من 40 الى أقل من 45 سنة	7	21.71	4.855			
من 45 سنة فأكثر	3	23.33	3.215			

تشير المعطيات الإحصائية في الجدول إلى عدم وجود فروقات معنوي ذات دلالة إحصائية في الأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة تبعاً لمتغير الفئة العمرية وذلك بسبب انخفاض قيم (ف) المحسوبة عن قيمتها الجدولية ، حيث بلغت(.537)، ومستوى دلالة (.709) ، وهي غير دالة معنوياً عند مستوى ($\alpha \leq 0.05$).

التساؤل الثالث : هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير عينة البحث للأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة تبعاً لمتغير المؤهل العلمي؟

الجدول (4)

تحليل التباين لدلالة الفروق في الأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة تبعاً لمتغير المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ف	القيمة الاحتمالية	الدلالة الاحصائية
متوسط	7	24.57	1.512	.952	.393	غير دالة
جامعي	41	22.41	4.696			
عليا دراسات	3	21.00	3.000			
المجموع	51	22.63	4.359			

من الجدول نلاحظ أن قيمة (ف) تساوى (.952)، والقيمة الاحتمالية للدلالة وأن احتمال الدلالة يساوى (.393) وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05)، وعليه لا توجد فروق معنوية دالة احصائياً ما بين متوسطات درجات إجابات عينة البحث حول في الأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية بمنطقة سوق الجمعة – ترهونة، وفقاً لمتغير المؤهل العلمي.

التساؤل الرابع : هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في تقدير عينة البحث للأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة تبعاً لمتغير عدد الأبناء بالأسرة ؟

الجدول (5)

تحليل التباين لدلالة الفروق في الأدوار التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة تبعاً لمتغير عدد الأبناء

عدد الأبناء	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة ف	القيمة الاحتمالية	الدلالة الاحصائية
طفل واحد	8	22.88	2.588	.062	.940	غير دالة
من 2 – 3 أطفال	31	22.45	4.552			
أكثر من 4 أطفال	12	22.92	5.035			
المجموع	51	22.63	4.359			

أظهرت نتائج الجدول عدم وجود فروق معنوي ذات دلالة إحصائية بالنسبة للأدوار والممارسات المهنية التي يقوم بها الممارس العام للخدمة الاجتماعية للتخفيف من المشكلات الناتجة عن عمل المرأة تبعاً لمتغير عدد الأبناء بالأسرة بحسب أفراد عينة البحث، حيث بلغت قيمة (ف) (.062) والقيمة الاحتمالية لدلالة (.940) ، وهي أكبر من مستوى المعنوية (0.05) .

المراجع

1. أحمد خورشيد النوره، (1990م)، مفاهيم في الفلسفة والاجتماع، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد
2. أسماء الخضري، (2009م)، دور التأهيل والتدريب في تمكين المرأة البحرينية، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة التحديات التي تواجه المرأة العاملة، 7–9 ابريل.
3. إقبال بشير، إقبال مخلوف، (ب ت)، الخدمة الاجتماعية ورعاية المعوقين، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث).
4. تماضر حسون، (1993م)، تأثير عمل المرأة على التماسك الأسري في المجتمع العربي، دار النشر بالمركز العربي، الرياض.
5. حسن حسين سليمان وآخرون، (2005م)، الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية مع الفرد والأسرة، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، جامعة حلوان.
6. حنان معمر العباني، القيادة النسائية عن وجهة نظر المرأة الليبية في الأدوار العليا، دراسة تطبيقية بوزارة التعليم ووزارة الصحة، رسالة دكتوراه غير منشورة، بريطانيا، 2011.
7. خليل أحمد خليل، (1996م)، معجم مفاهيم علم الاجتماع، معهد الاتحاد العربي، بيروت.
8. رحمة ميلاد محمد، الآثار الاجتماعية والنفسية لعمل المرأة على أدوارها الأسرية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الفاتح، طرابلس، 2000.
9. زهير حطب، عباس مكي، (1998م)، الطاقات النسائية العربية، معهد الاتحاد العربي، بيروت
10. السيد عبد الحميد، هناء حافظ، (1991م)، الخدمة الاجتماعية ومجالاتها التطبيقية، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث.
11. عقيل حسين عقيل، (1995م)، فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات ELGOA، فاليتا، ص 79
12. كاميليا عبد الفتاح، (ب ت)، مستوى الطموح والشخصية، بيروت، دار النهضة العربية، ط2.
13. كلثوم علي الغانم، (2000م)، المرأة والتنمية في المجتمع القطري، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، جامعة الكويت، المجلد (109).
14. محمد حسن، (2001م)، المرأة العربية العاملة التحديات والحلول، مجلة التربية القطرية، العدد الأول.
15. مريم علي عمر، (2013) بعض المشكلات التي تواجه المرأة في المجتمع الليبي ودور الخدمة الاجتماعية في الحد منها، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم الخدمة الاجتماعية، جامعة طرابلس.
16. نجوى محمد زكي، (1997م)، اتجاهات المتعلمين نحو عمل المرأة في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة قسم علم النفس التعليمي، كلية التربية، جامعة المنصورة.
17. هشام سيد عبد الحميد، (2008م)، المدخل إلى الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية، غير مبينة دار النشر، مصر.

أثر الخصائص السكانية على توزيع وتطور الخدمات الصحية بمدينة بنغازي

د. ابراهيم الهادي دخيل
قسم الجغرافيا - كلية التربية
جامعة الزيتونة

الملخص:

اهتم البحث بدراسة واقع الخدمات الصحية في مدينة بنغازي وإمكانية تطويرها، اعتماداً على نظم المعلومات الجغرافية لبيان التوزيع الجغرافي لأنواع الخدمات وفقاً للخصائص السكانية من حيث كثافتهم وتوزيعهم على الأحياء السكنية في المدينة، من خلال الرفع والتوقيع الميداني للمنشآت الصحية وتحديد أهميتها في تقديم الخدمات، ناهيك عن اقتراح أنسب المواقع لإقامة منشآت صحية جديدة تخدم أكبر عدد من السكان. – بلغ عدد مرافق الخدمات الصحية بمدينة بنغازي في عام 2013 نحو 414 مرفقا صحيا ، هذه الأعداد من الأنواع المختلفة من المرافق الصحية بمدينة بنغازي لا تتناسب والحجم السكاني للمدينة وهى قليلة على الإطلاق ، وقليلة عندما نقارنها بمدينة طرابلس العاصمة الليبية ، فمقارنة الوضع الحالي للمرافق الصحية لمدينة بنغازي عام 2013 بنظيرتها طرابلس عام 2005 يتبين أن الفارق كبير على المستويين الكمي والنوعي ، فمن الناحية الكمية للأرقام المطلقة فإن العدد الإجمالي للمرافق الصحية بمختلف أنواعها بطرابلس بلغ أكثر من 800 مرفق وهو يفوق ما هو كائن ببنغازي بنسبة تقترب من الضعف ، هذا إذا تجاهلنا البعد الزمني فلا شك أن طرابلس قد أضيف إليها عددا آخر من المرافق الصحية يجعل المسافة بين نصيب المدينتين اكبر.

هذا كشف المسح الميداني للخدمات الصحية في المدينة عن عدم وجود عدالة في التوزيع بين الأحياء السكنية من ناحية ، وكذلك سوء التوزيع المتعلق بنوع الخدمة الصحية من ناحية أخرى ، فهناك مثلاً بعض الأحياء التي تخلو من كل الخدمات ما عدا نوع واحد منها فقط ، ورغم توفره بكثرة توحي من ناحية العدد أن هذا الحي لا يحتاج للخدمات الصحية ، نجده في الوقت نفسه في أمس الحاجة إلي توفر الخدمات الصحية من نوع اخر, على سبيل المثال لا الحصر وصل عدد المستشفيات العامة إلي 23 مستشفي ومركز صحي ، وهو ما نسبته 6 % من مجموع الخدمات الصحية بالمدينة ، وتُظهر هذه النسبة نقصاً حاداً في هذه الخدمة ، فهي ضرورية لجميع سكان الأحياء لما لها من أهمية في النواحي العلاجية والإيوائية المجانية ذات الجودة والاهتمام, وبالنظر الى توزع هذه الخدمة بين أحياء المدينة نلاحظ العدد الأكبر من المستشفيات والمراكز الطبية العامة تتركز في حي الهواري وحيي الفو يهات وسيدي يونس، وبذلك تستحوذ الأحياء الثلاثة على أكثر من نصف 52% من مجموع هذه الخدمة بالمدينة, مما يظهر عدم عدالة التوزيع, وحُرم عدد ثمانية عشرة حياً وبنسبة 60% من أحياء المدينة من

هذه الخدمة التي تعد في امس الحاجة اليها, إن سوء هذا التوزيع جعل 16.7% من أحياء المدينة تسيطر على ما نسبته 70% من مجموع هذه الخدمة. كما سجلت هذه الدراسة إن أعلى نسبة للخدمات الصحية واكثرها انتشاراً بين احياء المدينة كانت في الصيدليات والتي سجلت نسب 22 % من اجمالي الخدمات الصحية بالمدينة ويعزى ذألك كونه نشاط تجاري مربح. وقد خلصت الدراسة أن هناك خلل نوعي وكمي في توزع الخدمات الصحية بين احياء المدينة, ولا توجد عدالة في التوزيع تتناسب مع حجم وكثافة السكان.

الكلمات المفتاحية:

الخدمات الصحية – معدل النمو – مؤشر الكفاءة– الخدمة العلاجية والايوائية–

المقدمة

ويعد المجتمع الليبي أحد المجتمعات التي تمر بمرحلة التحول الصحي والديمغرافي، فقد كان للتقدم الاقتصادي والاجتماعي الذي شهدته ليبيا خلال العقود الثلاثة الأخيرة، انعكاسات مباشرة على مستوى تطور وأداء الخدمات الصحية بصورة عامة، ومن ثم على معدلات النمو السكاني، حيث ارتفع معدل العمر المتوقع للفرد وانخفضت معدلات وفيات الأطفال والأمهات.

ومما لاشك فيه أن تلك التغيرات الديمغرافية جاءت نتيجة لانحسار العديد من الأمراض بسبب التقدم الصحي والاهتمام بالتحصينات الدورية ضد الأمراض خاصة الوبائية، ورغم كل هذا التطور في المجال الصحي الذي شهدته وتشهده البلاد فإن هناك خللاً في نظام التوزيع المكاني للخدمات الصحية العامة، كما أن هناك قصوراً في جودتها وكفاءتها، بالإضافة إلى نقص هذه الخدمات بشكل عام.

تتفاوت أهمية تأثير العوامل البشرية في توزيع وتطوير الخدمات الصحية؛ ويعد العامل الديموغرافي واتجاهات النمو فيه، وعلاقته بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية وتراكيب السكان من العوامل الأساسية المهمة التي تؤثر وتتأثر بتوزيع وتطور تلك الخدمات.

وتعد البيانات السكانية بمثابة الركيزة الأساسية التي تبين مقدار الطلب على الخدمات الصحية، كما أن اتجاهات النمو السكاني تعد إحدى العوامل المهمة التي تؤثر على ذلك الطلب وارتباطاتها بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية المختلفة، وتقدير حجم الخدمات الصحية وتوزيعها الجغرافي بما يتلاءم مع حجم السكان وتوزعهم داخل الأحياء، وذلك بالتناسب مع حركة السكان المصاحبة للتطور العمراني لمدينة بنغازي.

مشكلة البحث:

ان المتتبع لتطور النمو السكاني في ليبيا، يلاحظ بوضوح أن معدل النمو السكاني استمر في التزايد خلال النصف الثاني من القرن العشرين، اذ بلغ معدل نموهم خلال الفترة 1954–1964 حوالي 3.7% في حين بلغ خلال الفترة 1964–1973م حوالي 4.4% سنويا، ويعد هذا المعدل مرتفعا جداً اذا ما قورن بالمعدل العام لنمو السكان في العالم. وأن مرد هذا الارتفاع يعود إلى ارتفاع معدلات المواليد وانخفاض معدلات الوفيات الناجم عن الاهتمام

بالصحة وارتفاع مستواها سواء في الطب العلاجي أو الطب الوقائي لاسيما التحصينات واللقاحات وتحسن المستوى المعيشي والغذائي للسكان.

وعلية فإن مشكلة هذا البحث تتمحور حول التساؤل عن مدى تناسب وتطور الخدمات الصحية بمدينة بنغازي مع الزيادة السكانية بالمدينة؟ وهل يوجد توزيع عادل للخدمات الصحية بين أحياء المدينة وفق الكثافة والحجم؟

أهداف البحث :

يسعى البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- دراسة التوزيع الجغرافي للمنشآت الصحية من خلال الدراسة الميدانية باستخدام جهاز تحديد المواقع G.P.S .

2- دراسة وتقييم الوضع القائم لمدى كفاءة الخدمات الصحية في منطقة الدراسة، ومقارنتها بنظيراتها على مستوى البلاد.

3- قياس حجم الخدمات الصحية من خلال دراسة عدد الأسّرة وعدد المترددين على المراكز الصحية.

4- دراسة العلاقة بين توزيع مراكز الخدمات الصحية وتوزيع السكان، ومدى نفوذ الخدمات الصحية وفقاً للمساحة المأهولة في منطقة الدراسة.

5- تحديد الاحتياجات المستقبلية للسكان من الخدمات الصحية من خلال مدى مواكبة نمو الخدمات الصحية للنمو السكاني المتزايد.

أهمية البحث ومدى الحاجة إليه:

تعد الخدمات الصحية من المحاور الأساسية التي تمس حياة أفراد المجتمع وتطورهم، من خلال ما يرتبط بها من أهداف تنموية يسعى المجتمع إلى تحقيقها. ووفقاً لزيادة الطلب على الخدمات الصحية باستمرار في ظل النمو السكاني المتزايد باتت الحاجة ملحة إلى تكثيف أعداد وأنواع الخدمات الصحية، ومراقبة جودتها وتطورها وتقييم وضعها الحالي والمستقبلي.

لقد برزت أهمية الخدمات الصحية في الوقت الحاضر بوصفها أحد أهم الأولويات التي يجب أن تكثف الجهود للرقي بمستواها وتحسين أدائها. وهذا لا يتأتى إلا من خلال دراسة واقع الخدمات وإمكانية الاستفادة منها بكفاءة عالية.

منطقة الدراسة:

تقع منطقة الدراسة في شمال شرق ليبيا بين حطي طول 03َ 20ْ و 11َ 20ْ شرقاً ودائرتي عرض 01َ 32ْ و 10َ 32ْ شمالاً و يبلغ إجمالي مساحة مدينة بنغازي123847 كم^2 شكل (1) ويبلغ إجمالي عدد سكانها وفقا لنتائج تعداد 2006م نحو 674951 نسمة يمثلون نحو 11.9 من إجمالي سكان الدولة الليبية آنذاك، وبلغ عددهم في عام 2015 نحو 853850 نسمة وفق معدل النمو المسجل خلال الفترة 1995-2006م. ومن ثم فإن الكثافة السكانية العامة لمدينة بنغازي بلغت نحو 6.9 نسمة/ كم^2.

شكل (1) موقع منطقة الدراسة

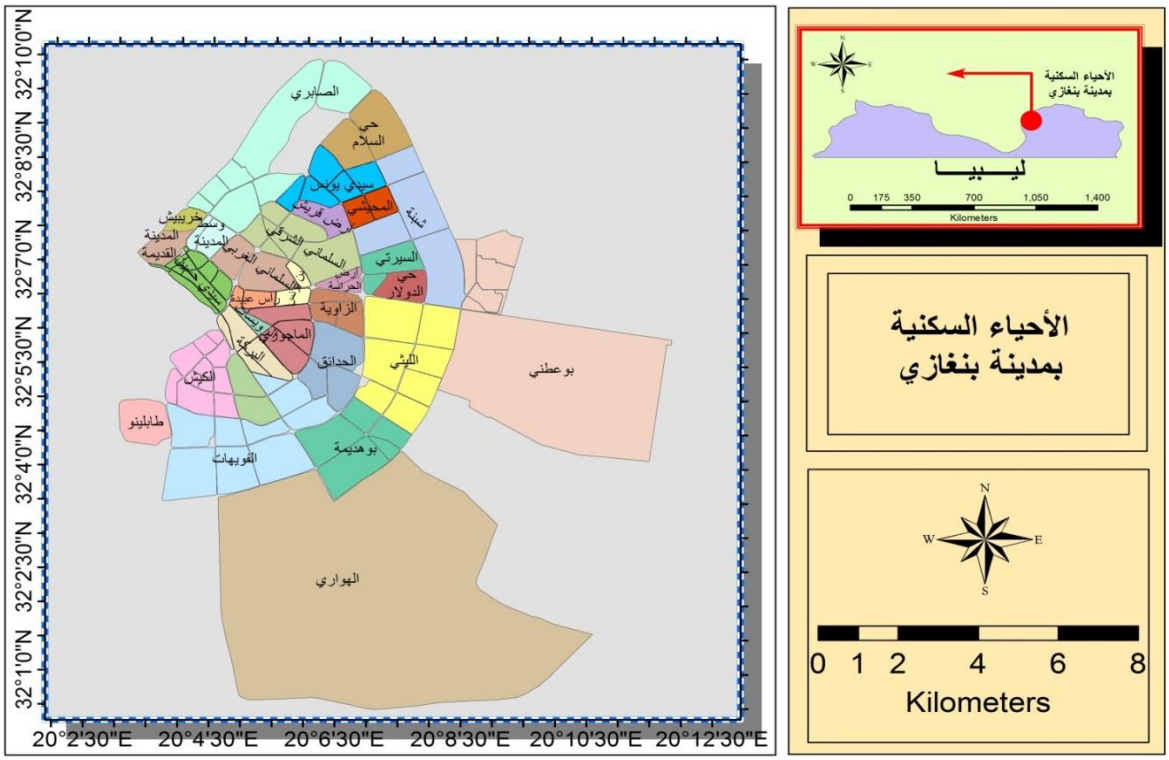

المصدر: – مصلحة التخطيط العمراني، فرع بنغازي.

– دراسة ميدانية 2015م.

العوامل المؤثرة في تطور الخدمات الصحية في مدينة بنغازي وتوزيعها:

أولاً: العوامل الديموغرافية وأثرها في تطور الخدمات الصحية.

تعد البيانات السكانية الركيزة الأساسية التي تنطلق منها جميع الأبحاث والدراسات المتعلقة بالتخطيط الاقتصادي والاجتماعي، حيث تشتمل على وصف كمي دقيق لجميع الخصائص

السكانية التي يتصف بها أفراد المجتمع[1]. وانطلاقاً من ذلك تأتى أهمية دراسة السكان باعتبارها أحد أهم العوامل المؤثرة في توزيع وتطور الخدمات الصحية، لارتباطها بتوزيع وتطور السكان وخصائصهم، فعلى سبيل المثال يتخذ عدد الأطباء للمرضى كمؤشر لكفاءة الخدمات الصحية، ذلك لأن السكان هم وعاء الحياة الاقتصادية والاجتماعية في أي من البلدان وهذا الوعاء هو الذي يقدم الصورة الواضحة عن شكل تلك الحياة وسائر صفاتها[2]. لذلك تتطلب التغيرات في حجم وتوزيع السكان، تغيرات في حجم الخدمات الصحية وتوزيعها بإنشاء المزيد من المستشفيات والمرافق الصحية، وزيادة أعداد الأسرّة مع مراعاة أعداد الأطباء والمستلزمات الطبية المساعدة وذلك بما يتناسب مع توزع السكان وأعدادهم ومعدلات نموهم.

1 - مكتب التربية لدول الخليج العربي، متطلبات التخطيط التربوي، عملية التخطيط التربوي الوحدة الثانية، قسم السياسة التربوية والتخطيط (اليونسكو) المملكة العربية السعودية (الرياض) 1991 ص2 .

2 - عبد الدائم عبد الله، التخطيط التربوي، أصوله وأساليبه الفنية وتطبيقاته في البلاد العربية، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ص164

ويرتبط توزيع وتطور الخدمات الصحية ارتباطا وثيقا بعناصر النمو السكاني، لأن التوسع في تطور هذه الخدمات يتطلب معرفة اتجاهات ذلك النمو، ومدى زيادة نسبة استيعاب المؤسسات الصحية حسب خطة التنمية، حيث يرتبط تخطيط المؤسسات الصحية بخطط التنمية وبصافي الهجرة بسبب حاجة السكان إلى هذه الأنواع من الخدمات ، لقد شهدت مدينة بنغازي زيادة واضحة في عدد سكانها وفقا لبيانات الجدول رقم (1) والشكل رقم (2) إذ يتضح من خلالهما أن عدد السكان بالمدينة قد زاد بما يقارب الضعف في الفترة 1954 – 1964، ثم تكررت هذه الزيادة في الفترة 1964–1973، حيث زاد إجمالي السكان من نحو 137295 نسمة إلى نحو 266196 نسمة خلال الفترة المذكورة. ثم تراجعت نسبة الزيادة السابقة في الفترة 1984– 1995، وعادت للارتفاع وفقا لبيانات التعداد السكاني الأخير 2006، شكل (2).

جدول (1) تطور سكان مدينة بنغازي 1954– 1995.

سنة التعداد	عدد السكان	معدل النمو السنوي
1954	69718	–
1964	137295	9.7
1973	266196	10.0
1984	399572	5.0
1995	506375	2.4
2006	674951	2.6
*2015	853850	2.6

المصدر: مصلحة الإحصاء والتعداد، التعدادات العامة للسكان 1954، 1964، 1973، 1984، 1995، 2006.

***– من حساب الباحث.**

شكل رقم (2)التطور العددى لسكان مدينة بنغازى خلال الفترة من 1954- 2006

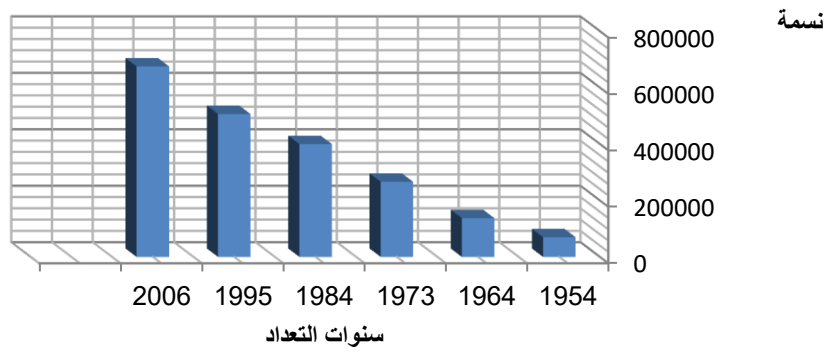

المصدر: بناء على بيانات الجدول رقم (1).

ومن غير شك فإن هناك عوامل جغرافية بعينها هي التي يمكن أن تفسر هذه الطفرة، وتفسر كذلك سبب التراجع في هذا المستوى من الزيادة السكانية الضخمة التي شهدتها مدينة بنغازي.

ونظرا لحداثة اهتمام الدولة الليبية بشؤون الإحصاءات والتعدادات الديموغرافية فيمكن أن يكون هذا الأمر مسؤولاً جزئياً عن تفسير التضاعف الرقمي لسكان المدينة خلال العشر السنوات الأولى (1954–1964)، وكذلك فإن

التغير النوعي والاقتصادي الذى شهده المجتمع الليبي كان له دور في تكرار نفس النسبة تقريبا من الزيادة خلال الفترة 1964–1973 إذ أصبح السكان أكثر وعياً ودراية فيما يتعلق بتسجيلات المواليد والوفيات، وهو ما يسهم في تفسير هذه الزيادة، بالإضافة إلى العوامل الاقتصادية التي اقترنت باستفادة الدولة من عوائد النفط وفتح المجال لاستقبال وافدين أسهموا في هذه الزيادة السكانية.

ووفقا لنفس المعطيات يمكن أن نفسر سبب الانخفاض الواضح في معدلات النمو السكاني الذي شهدته المدينة في الفترات اللاحقة؛ إذ بلغ عدد السكان سنة 1984 نحو 399572 نسمة، بزيادة سنوية 50% عن التعداد السابق (1973). بينما في سنة 1995 بلغ عدد السكان 506375 نسمة.

تقوم دراسة النمو السكاني لأي مجتمع على عنصرين أساسيين هما الزيادة الطبيعية (الفارق بين معدلي المواليد والوفيات) والزيادة غير الطبيعية (الهجرة). وبطبيعة الحال فإن أهمية كل من هذين العنصرين تختلف من مجتمع لآخر، وفقا للمعطيات الاقتصادية والسياسية التي يعيشها هذا المجتمع؛ ففي حالة مدينة بنغازي تأتى أهمية العنصر الثاني المتمثل في الزيادة غير الطبيعية، ومع هذا لا يمكن إنكار أهمية دور العنصر الأول الخاص بالزيادة الطبيعية، وإن كان تأثيره أقل وضوحا في حالة مدينة بنغازي، ولعل ما يؤكد أهمية عنصر الهجرة بالنسبة للنمو السكاني لمجتمع مدينة بنغازي أن النتائج النهائية لتعداد 2006 أشارت إلى أن إجمالي سكان بنغازي بلغ نحو 674951 منهم 25803 نسمة من غير الليبيين، أي ما يقدر بـ (3.8%) من جملة سكان المدينة.

ومن خلال الجدول رقم (2) يمكن ملاحظة أن هناك تأرجحا واضحا بين الزيادة والنقصان في معدل المواليد وهو التأرجح الذي يمكن تفسيره جزئيا بطبيعة الظروف الاقتصادية التي مر بها المجتمع الليبي خلال النصف الثاني من القرن العشرين، فإن المعدلات خلال الفترة من 1973 حتى 1995 تجاوزت 40 في الألف ولكنها تراجعت تراجعا ملفتا في بداية التسعينيات نظرا لطبيعة الظروف الاقتصادية والحصار الاقتصادي الذى كان مفروضا على الدولة، مما أسهم في تردى الأوضاع الاقتصادية للسكان. ويبدو هذا التفسير منطقيا إذا ما لاحظنا عودة معدلات المواليد إلى الارتفاع في السنوات التالية، حيث بلغ المعدل 35 في الألف عام 2008.

جدول (2) تطور معدلات المواليد والوفيات والزيادة الطبيعية لسنوات مختارة بمدينة بنغازي /بالألف

السنة	معدل المواليد	معدل الوفيات	الزيادة الطبيعية
1973	46.9	8.7	38.2
1979	42.2	5.6	36.6
1984	46.1	6.1	40
1992	41.5	8	33.5
1995	28.6	48	23.8
2006	35.1	3.6	31.5

المصدر: أمانة اللجنة الشعبية العامة للتخطيط، مصلحة الإحصاء والتعداد، 1980، طرابلس، 2006م، ص 3.

أما معدلات الوفيات في مدينة بنغازي فقد مرت بالأطوار الطبيعية للمجتمعات التي تبدأ فيها المعدلات مرتفعة، ثم تأخذ في التراجع والانخفاض متأثرة بتحسين الظروف الصحية وإتاحة العلاج والخدمات لفئتي الأطفال الرضع وكبار السن، مما يزيد من أمد الحياة بالمجتمع، ويعطى مؤشرا ايجابيا عن مستواه الصحي والمعيشي. فمن الجدول (2) يلاحظ أن معدلات الوفيات بلغت أقصاها في عام 1973 بمعدل بلغ 8.7 في الألف، ثم أخذت في الانخفاض فيما بعد، وإن كانت سجلت ارتفاعا ملحوظا خلال الثمانينيات وأوائل التسعينيات (ربما يمكن تفسير ذلك بحالة الحصار التي كانت تعاينها البلاد، ومن ثم عدم توفر العناصر العلاجية والطبية التي تحد من مستويات الوفيات ولاسيما بين الأطفال وكبار السن) وعادت المعدلات إلى الانخفاض فيما بعد مع انتهاء الحصار وانفتاح الأسواق والمجتمع الليبي على العالم سواء باستقدام الطواقم الطبية والمعدات والأدوية، أو حتى بسفر المرضى أنفسهم لتلقي العلاج خارج البلاد، مما أسفر في النهاية عن تراجع معدلات الوفيات التي انخفضت في 2008 إلى 3.6 في الألف، كما هو واضح في الشكل (3).

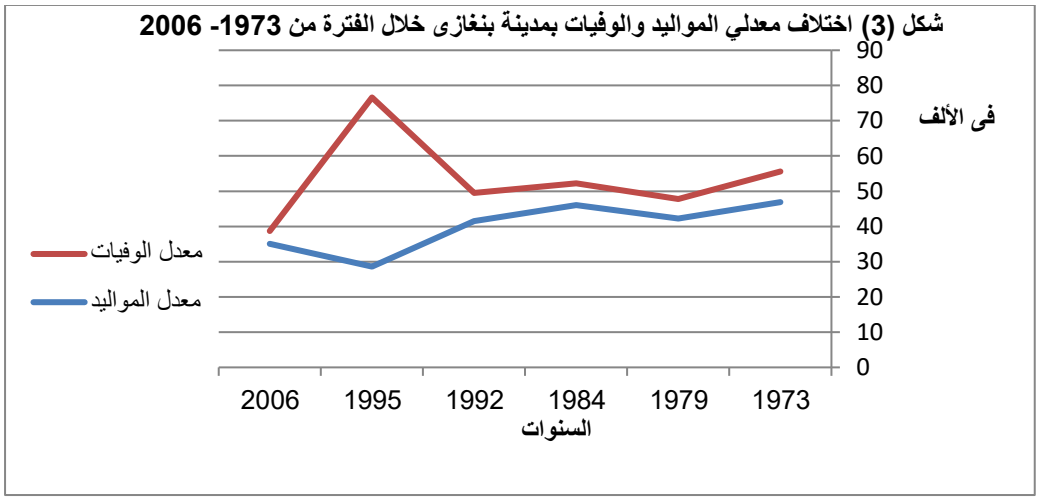

المصدر: بناء على بيانات الجدول رقم (2).

ثانياً: توزيع السكان بمدينة بنغازي وأثره على التوزيع الجغرافي للخدمات الصحية:

إن حجم وتوزع السكان يعد من أهم العوامل المؤثرة في تحديد نوع وحجم الخدمات الصحية، ومدى كفايتها للسكان، لذلك فإن دراسة تطور توزع السكان وكثافتهم في مدينة بنغازي، ككل وفي أحيائها تعد من الدراسات المهمة التي تعطي صورة واضحة عن خريطة التوزيع الجغرافي المنشآت الصحية التي ينبغي أن تخصص لكل حي، وذلك حسب حجم وكثافة سكانه.

شهدت مدينة بنغازي اختلافا في توزيع السكان بين الأحياء السكنية بداخلها وفقا لمستوى الخدمات، وتوفر سبل العيش وسهولة المواصلات والاتصالات، وطبيعة المجتمع والخصائص الاقتصادية والاجتماعية داخل كل من هذه الأحياء، ويمكن من خلال الشكل (4) الخروج بمجموعة الملاحظات:

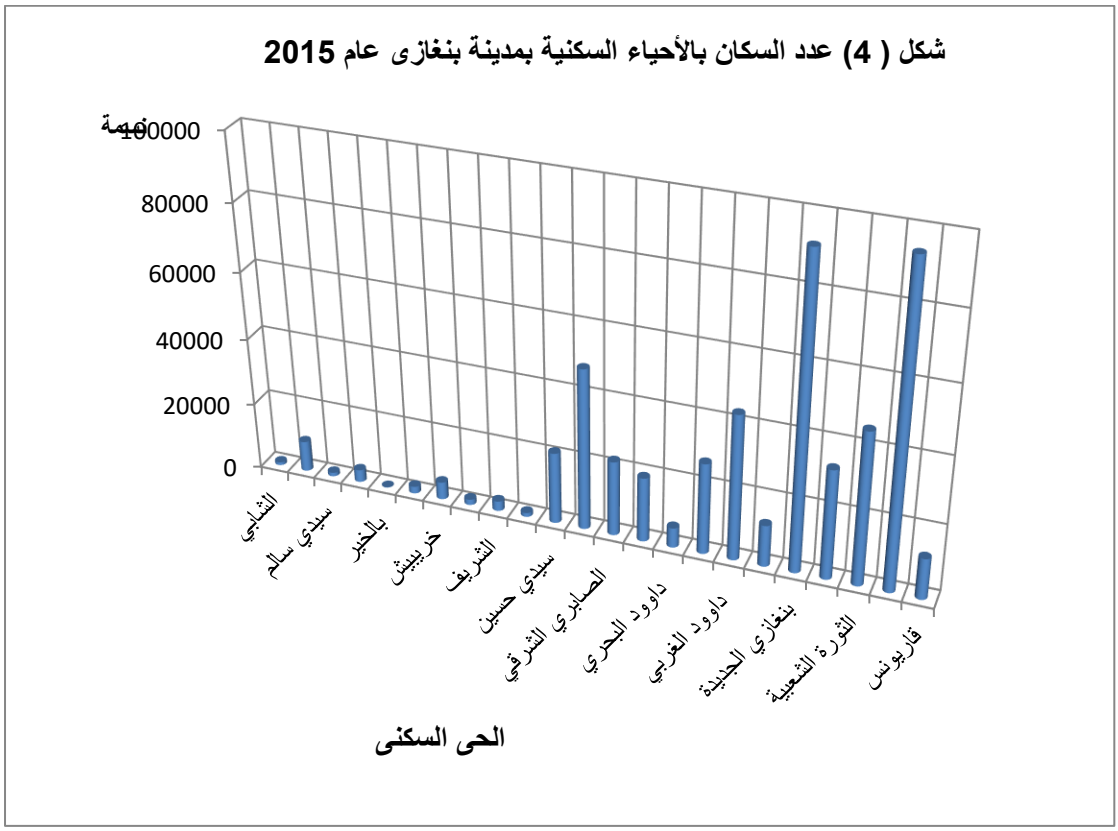

المصدر من إعداد الباحث بناء على بيانات الملحق رقم (1).

1- يأتي حي المختار على رأس القائمة بين أحياء مدينة بنغازي من حيث العدد السكاني إذ يمثل مجموع سكان هذا الحي نحو 18.6% من جملة سكان مدينة بنغازي.

2- تأتى "بنغازي الجديدة" في المرتبة الثانية من حيث حجم السكان ممثلة 18.2% من إجمالي سكان المدينة.

3- هناك خمسة محلات عمرانية كبري يمثل سكانها 63.9% من إجمالي سكان مدينة بنغازي وهذه المحلات الخمس هي: "المختار، بنغازي الجديدة، الثورة الشعبية، الصابري الشرقي، السلماني الغربي".

4- هناك مجموعة محلات عمرانية قزميه من حيث الحجم السكاني وهي "الشابي، الجزيرة، سيدي سالم، بالخير " وهذه مجتمعة لا تمثل أكثر من0.64% من جملة سكان مدينة بنغازي.

5- وتأتى باقي المحلات العمرانية كما يبينها الشكل السابق في مرحلة متوسطة بين الفئتين الأولي والأخيرة سابقة الذكر؛ كما هو الحال بالنسبة لإحياء: الفويهات، وداود الغربي والشرقي، قاريونس وغيرها.

تعد الكثافة السكانية في أبسط صورها بمثابة تعبير عن العلاقة الرقمية أو الحسابية بين كل من إجمالي عدد السكان المنطقة ومساحتها. حيث بلغ إجمالي عدد السكان وفقا لنتائج تعداد 2006 نحو 674951 نسمة يمثلون نحو 11.9 من إجمالي سكان الدولة الليبية، وبلغ إجمالي مساحة مدينة بنغازي123.847 كم^2، ومن ثم فإن الكثافة السكانية العامة لمدينة بنغازي بلغت نحو 5.44 نسمة/كم^2. ومن أهم الملاحظات التي يمكن تسجيلها بالنسبة لاختلاف قيم الكثافة السكانية بمدينة بنغازي أن المتوسط العام للكثافة وفقا لتعداد السكان عام 2015م واعتمادا على تحديث حدود الأحياء السكنية التي أجراها الباحث عام 2015 فإن هذه القيمة يبلغ 6.9 نسمة/كم^2.

هذا وقد ترتب على تخطيط الأحياء وإعادة ترسيم حدودها ومسمياتها مؤخرا – وهو ما قام الباحث بالتحقق منه ميدانياً – أن اختلفت قيم الكثافة كثيراً عن هذا المتوسط فظهرت أحياء سكنية مسجلة نحو خمسة أضعاف هذا المتوسط مثل حي السلماني الغربي الذى بلغت فيه قيمة الكثافة السكانية نحو 25.5 نسمة/كم^2، وانخفضت في أحياء أخرى مثل حي خريبيتش وحى الوحشي فسجلتا 12 نسمة/كم^2، ثم 12.3 نسمة/كم^{2}عل التوالي. وارتفعت قليلاً في سيدي حسين لتصل الى 14.1 نسمة/كم^2.

ثالثاً: العلاقة بين النمو السكاني وتطور أعداد المرافق الصحية في الفترة الممتدة بين عامي 1990 – 2015 م بمدينة بنغازى:

لقد شهدت المرافق الخدمية الصحية تطوراً ملحوظا خلال العقدين الماضيين، ويمكن ملاحظة هذا التطور من خلال بيانات الجدول (4) التي توضح الزيادات التي طرأت على أعداد مختلف عناصر المرافق الصحية بمدينة بنغازي خلال الفترة من 1990– 2015.

ويمكن من خلال الجدول المذكور استنتاج عددا من الملاحظات أهمها:

1– تطورت أعداد المستشفيات والمراكز الطبية العامة من 18 إلى 23 مستشفى بين عامي 1990 و2015 وهي زيادة محدودة لا تتناسب واحتياجات السكان الذين تزايدت أعداهم بشكل كبير خلال الفترة المذكورة.

2– حققت أعداد المراكز الطبية الخاصة قفزة عددية كبيرة تقترب من الضعف خلال فترة الدراسة، وهو ما يعكس انفتاح المجتمع الخدمي على استثمارات القطاع الخاص التي نجحت في تغطية أوجه النقص في الجوانب التي لم يشملها القطاع الحكومي بدرجة كافية.

جدول (4) تطور أعداد الخدمات الصحية بمدينة بنغازي خلال الفترة من 1990– 2015

نوع المرفق الصحي	1990 (*)	2015 (**)
المستشفيات والمراكز الطبية العامة	18	23
المراكز الطبية الخاصة	9	15
المصحات الإيوائية الخاصة	8	14
العيادات الخاصة	17	24
المستوصفات والعيادات العامة	9	11
عيادات الأسنان	11	29
الصيدليات	150	271
المختبرات	13	27
المجموع	**235**	**414**

المصدر: (*) أمانة الصحة، مركز التوثيق والمعلومات، بنغازي، بيانات غير منشورة 1990

(**) من واقع العمل الميداني للباحث، فبراير 2015.

1– شهدت عيادات الأسنان تطورا كبيرا خلال فترة الدراسة تجاوز الضعف، وهي الزيادة التي تلفت النظر إلى أهمية دور القطاع الخاص في تغطية هذه الخدمات الحيوية.

2- تعد الصيدليات أكثر المرافق الخدمية الصحية التي حققت تطورا كبيرا على المستوى العددي بمدينة بنغازي فقد قفز العدد من 150 صيدلية عام 1990 الى 271 صيدلية عام 2015 وهي آخذة الزيادة لأسباب كبيرة تتعلق بالربحية والبعد الاقتصادي أكثر من كون توفير الخدمة الطبية هدفا في حد ذاته.

رابعاً: توزيع الخدمات الصحية في مدينة بنغازي.

استمر المسح الميداني للخدمات الصحية بمدينة بنغازي خلال الفترة الممتدة من 1- 14 فبراير 2015م. وقد تضمن المسح الشامل كافة المنشآت والمرافق الصحية بالمدينة، وقد وصل إجمالي ما تم حصره خلال الفترة 414 خدمة صحية متنوعة؛ وقد تضمنت المستشفيات والعيادات المجمعة العامة، والعيادات والمراكز الطبية الخاصة، بالإضافة إلى عيادات الأسنان والصيدليات ومعامل التحاليل الطبية.

وقد كشف المسح الميداني للخدمات الصحية في المدينة عن عدم وجود عدالة في التوزيع بين الأحياء السكنية من ناحية، وكذلك سوء التوزيع المتعلق بنوع الخدمة الصحية من ناحية أخرى، فهناك مثلاً بعض الأحياء التي تخلو من كل الخدمات ما عدا نوع واحد منها فقط، ورغم توفره بكثرة توحي من ناحية العدد أن هذا الحي لا يحتاج للخدمات الصحية، نجده في الوقت نفسه في أمس الحاجة إلى توفر الخدمات الصحية أخرى.

وفيما يلي عرض للمنشآت الصحية التي تم حصرها وترتيبها وتوزيعها حسب أعدادها على الأحياء السكنية:

1- المستشفيات والمراكز الطبية العامة :

يوضح الجدول (5) المستشفيات والمراكز الطبية العامة بالأحياء السكنية بمدينة بنغازي ومنه يمكن تبيان الحقائق الآتية :

1- وصل عدد المستشفيات العامة إلى 23 مستشفى ومركز صحي، وهو ما نسبته 5.6 % من مجموع الخدمات الصحية بالمدينة، وتظهر هذه النسبة نقصاً حاداً في هذه الخدمة، فهي ضرورية لجميع سكان الأحياء لما لها من أهمية في النواحي العلاجية والإيوائية المجانية ذات الجودة، والاهتمام.

2- تركز العدد الأكبر من المستشفيات والمراكز الطبية العامة في حي الهواري بنسبة بلغت 26.1 % وهي تزيد عن ربع هذه الخدمة، وتلاه في المرتبة الثانية حي الفويهات وسيدي يونس بنسبة بلغت 13.0 % لكل منهما، وبذلك تستحوذ الأحياء الثلاثة على أكثر من نصف 52.2 % هذه الخدمة مما يظهر عدم عدالة التوزيع. كما جاء حيي خريبيش والبركة في المرتبة الثالثة بنسبة 17.4 % من مجموع هذه الخدمة.

3- حرم عدد ثمانية عشرة حياً من أحياء المدينة من هذه الخدمة، بينما ضمت باقي الأحياء الأخرى والبالغ عددها سبعة أحياء 30.5 % من إجمالي المستشفيات والمراكز الصحية العامة بالمدينة.

4- كشف ما سبق عن سوء التوزيع الجغرافي من ناحية، ونقص هذه الخدمة في الغالبية العامة من أحياء المدينة من ناحية أخرى. فقد سيطر سدس 16.7 % من الأحياء السكنية على ما نسبته 69.6 % من مجموع هذه الخدمة ، في حين حرم 60 % من أحياء المدينة من هذه الخدمة، وهذا يشير إلى تردي التوزيع وعدم كفاءته، رغم قلة هذا النوع من الخدمة مقارنة بباقي الخدمات الأخرى.

الجدول (9) المستشفيات والمراكز الطبية العامة

الحي السكني	العدد	%
الصابري	1	4.34
خريبيش	2	8.69
الهواري	6	26.16
البركة	2	8.69
الحدائق	1	4.34
أرض الحراسة	1	4.34
الزيتون	1	4.34
بن يونس	1	4.34
سيدي حسين	1	4.34
وسط المدينة	1	4.34
سيدي يونس	3	13.04
الفويهات	3	13.04
المجموع	**23**	**100**

المصدر : المسح الميداني 1 – 14 فبراير 2015 م .

2- **المراكز الطبية الخاصة:**

يكشف الجدول (6) عن طبيعة توزيع المراكز الطبية الخاصة في مدينة بنغازي، وقد تبين مايلي:

1- بلغ إجمالي عدد المراكز الطبية الخاصة 15 مركز بنسبة 3.6%، من مجموع الخدمات الصحية بالمدينة، ويبدو أن هذه الخدمة هي الأخرى تعاني من النقص الشديد، مقارنة بباقي الخدمات.

2- جاء حي الفويهات في المرتبة الأولى، إذ تحصل على خمس 20% من هذه الخدمة، تلاه في المرتبة الثانية حي البركة والحدائق بنسبة 13.3% لكل منهما، وتسجل الأحياء الثلاثة مجتمعة قرابة نصف 46.7 % من مجموع المراكز الصحية الخاصة بالمدينة.

3- في الوقت الذي حرم فيه عدد تسعة عشر حياً من هذه الخدمة، نجد أن باقي الأحياء السكنية بالمدينة والواصل عددها إلى ثمانية أحياء تسجل نسبة بلغت 53.5 %، بواقع 6.7 % لكل حي منها.

4- يتبين مما سبق أن المدينة تعاني بشكل عام وفي كافة أحيائها السكنية من نقص هذه الخدمة، رغم توفرها في عدد قليل جدا منها، ويتكشف سوء التوزيع الجغرافي في حرمان ما نسبته 63.3% من إجمالي الأحياء السكنية بالمدينة. وكذلك تركز نسبة 46.3 % من هذه الخدمة فيما يصل نسبته إلى 10% من إجمالي الأحياء. ويعزى سوء التوزيع هذا إلى سياسة الدولة السابقة، والتي لم تضع في حسابها التوزيع العادل لهذه الخدمة، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى ساهم النقص الحاد في خدمة المراكز الطبية الخاصة في حرمان الأغلب الأعم من الأحياء السكنية في المدينة، ناهيك عن سوء ما تقدمه هذه المراكز الطبية من خدمة، فأغلب

ما تقدمه يتمثل في الكشوفات الطبية عند المختصين وإجراء بعض التحليلات الطبية المتعارف عليها والمتوفرة في المستشفيات والمراكز الطبية العامة.

الجدول (6) المراكز الطبية الخاصة

الحي السكني	العدد	%
الليثي	1	6.66
الصابري	1	6.66
الكيش	1	6.66
البركة	2	13.33
الحدائق	2	13.33
أرض الحراسة	1	6.66
الماجوري	1	6.66
سيدي حسين	1	6.66
وسط المدينة	1	6.66
سيدي يونس	1	6.66
الفويهات	3	20.06
المجموع	**15**	**100**

المصدر : المسح الميداني 1 – 14 فبراير 2015 م .

3- المصحات الإيوائية الخاصة :

أوضح الجدول (7) أن هناك تباين في خدمة المصحات الإيوائية بين الأحياء السكنية وهى كالآتي:

1- يزداد نقص الخدمات الصحية في المدينة حدة الواحدة تلو الأخرى، حيث نلاحظ أن تسجل المصحات الإيوائية الخاصة ما نسبته 3.4 % من إجمالي الخدمات الصحية في المدينة، وهي نسبة تقل عن الخدمتين الصحيتين السابق الحديث عنهما، ومن هنا تزداد خطورة نقص الخدمات الصحية التي تمس وبشكل مباشر صحة السكان بجميع فئاتهم العمرية.

2- استحوذ حي أرض الحراسة على 21.4 % من مجموع هذه الخدمة في المدينة، وقد جاءت أحياء الكيش والحدائق وحي الدولار بنسبة 14.3 % لكل منهم، وبالتالي تسجل الأحياء الأربعة نسبة تصل إلى 64.3 % من مجموع هذه الخدمة بالمدينة.

3- واحد وعشرين حياً من أحياء المدينة تفتقر إلى هذه الخدمة، وهذا ناتج عن سوء التخطيط الحضري وتوزيع استعمالات الأراضي بشكل متوافق مع التوزيع المثالي، قد نتج عنه هذا الحرمان وما صاحبه من معاناة لسكان هذه الأحياء من التنقل إلى أحياء سكنية أخرى بحثاً عن هذه الخدمة، والتي قد لا تتوفر بشكل ملائم حتى في الأحياء التي تتركز فيها.

4- ضمت الخمسة أحياء المتبقية نسبة وصلت إلى 35.7 % من مجموع هذه الخدمة، بواقع 7.1% لكل منها.

5- مما سبق نلاحظ اتساع هوة سوء التوزيع بين الأحياء، فبينما سيطر 13.3 % من أحياء المدينة على ما نسبته 64.3 % من هذه الخدمة، حرمت نسبة 70% من أحياء المدينة من نفس الخدمة.

الجدول (7) المصحات الإيوائية الخاصة

الحي السكني	العدد	%
الكيش	2	14.28
الحدائق	2	14.28
أرض الحراسة	3	21.46
شبنة	1	7.14
الرويسات	1	7.14
الماجوري	1	7.14
حي الدولار	2	14.28
بن يونس	1	7.14
طابلينو	1	7.14
المجموع	**14**	**100**

المصدر : المسح الميداني 1 – 14 فبراير 2015 م .

4- العيـــــادات الخاصة :

يبين الجدول (8) توزيع العيادات الخاصة على الأحياء السكنية، ومن خلال هذا التوزيع يتضح ما يلي:

1- احتلت هذه الخدمة الواصل عددها إلى 24 ما نسبته 5.8 % من مجموع الخدمات الصحية في المدينة. وهي وإن زادت قليلا عن ما سبقها من خدمات، فإنها تعد مقارنة بالخدمات الأخرى منخفضة ولا تؤدي الغرض، وعليها الطلب بشكل متواصل، وذلك لارتباط جل المرضى بها، لكونهم اعتادوا التردد على العيادات العامة، واعتادوا على خدماتها، وهذه قريبة من تلك الخدمة.

2- جاء حي البركة والسلماني الشرقي في المرتبة الأولى حيث سجلا نسبة بلغت 16.7 % لكل منهما، بينما استحوذت أحياء الليثي والصابري، والسلماني الغربي والماجوري والفويهات على المرتبة الثانية بنسب متساوية بلغت 8.3 % لكل منهما. وقد سجلت الأحياء السبعة مجتمعة نسبة وصلت إلى 74.8% من مجموع هذه الخدمة بالمدينة.

الجدول (8) العيـــــــــادات الخاصـــــــــة

الحي السكني	العدد	%
الليثي	2	8.32
الصابري	2	8.32
البركة	4	16.72
الحدائق	1	4.16
السلماني الغربي	2	8.32
السلماني الشرقي	4	16.72
رأس أعبيده	1	4.16
الرويسات	1	4.16
الماجوري	2	8.32
سيدي حسين	1	4.16
حي الزاوية	1	4.16
الفويهات	2	8.32
طابلينو	1	4.16
المجموع	**24**	**100**

المصدر : المسح الميداني 1 – 14 فبراير 2015 م .

3- لا يقل عدد الأحياء التي حرمت من هذه الخدمة عن تلك التي حرمت من نوع آخر من الخدمات الصحية اللهم إلا بفارق بسيط جداً، فقد لوحظ أن عدد الأحياء المحرومة وصل إلى سبعة عشرة حياً، كما سجلت باقي أحياء المدينة نسبة وصلت إلى 25.2 % من مجموع هذه الخدمة.

4- من ملاحظة ما سبق يبدو أن سوء التوزيع ملازم لأحياء المدينة في كل الخدمات الصحية، فهنا نشاهد أنه في الوقت الذي تتركز فيه ثلاثة أرباع هذه الخدمة في قرابة ربع 23.3 % الأحياء السكنية بالمدينة، في المقابل نلاحظ أن أكثر من نصف 56.7 % أحيائها قد حرم من هذه الخدمة.

الجدول (9) المستوصفات والعيادات العامة.

الحي السكني	العدد	%
بوعطني	1	9.09
الليثي	1	9.09
الصابري	1	9.09
الكيش	1	9.09
رأس أعبيده	1	9.09
الماجوري	1	9.09
سيدي حسين	2	18.19
السيرتي	1	9.09
المحيشي	1	9.09
الفويهات	1	9.09
المجموع	**11**	**100**

المصدر : المسح الميداني 1- 14 فبراير 2015 م

5- المستوصفات والعيــادات العامة :

يوضح الجدول(9) توزيع المستوصفات والعيادات العامة في مدينة بنغازي، ومنهما يتبين ما يلي:

1- انخفض عدد هذه الخدمة إلى أدنى حد في الخدمات الصحية بالمدينة، فقد سجلت عدد بلغ 11 خدمة، وبنسبة مئوية وصلت إلى 2.7 % وهي نسبة لا تفي باحتياجات سكان المدينة، خاصة أولئك من ذوي الدخل المحدود والذين لا يستطيعون دفع مبالغ كبيرة للعيادات والمراكز الطبية الخاصة على العلاج والأدوية.

2- سجل حي سيدي حسين نسبة بلغت 18.2 % من مجموع هذه الخدمة بالمدينة، بواقع عدد خدمتين منها فقط، ورغم أن هذا الحي قد تحصل على أكبر نسبة بالمدينة، فهي لا تكاد تسد حاجة سكانه لها، فقلة العدد قد صاحبها الاحتياج الشديد.

3- تحصّل عدد سبعة أحياء على نسبة بلغت 81.8 % من إجمالي هذه الخدمة، وحرم باقي أحياء المدينة منها، والبالغ عددها اثنان وعشرين حياً سكنياً.

مما سبق يتبين أن هناك عدم وجود عدالة في توزيع خدمة المستوصفات والعيـادات العامة_جغرافياً بين الأحياء السكنية في المدينة، ففي الوقت الذي استحوذت فيه نسبة 23.3 % من الأحياء على نسبة 81.8 % من هذه الخدمة، نجد أن قرابة ثلاثة أرباع 73.3 % الأحياء السكنية حرم من الخدمة نفسها، ناهيك حصول 3.3 % من الأحياء على قرابة خمس 18.2 هذه الخدمة، وقد انعكس سوء التوزيع هذا على سكان المدينة الذين يعانون أشد المعاناة من شح العدد وسوء التوزيع.

6- عيـــــادات الأســـــنان:

من خلال مشاهدة الجدول (10) يمكن التعرف على مجموعة من الملاحظات نوجزها فيما يلي:

1- ارتفعت نسبة خدمة عيادات الأسنان قليلاً عن سابقاتها من الخدمات الصحية الأخرى، فقد سجلت عدد تسع وعشرون خدمة، وبنسبة مئوية وصلت إلى 7% من مجموع الخدمات الصحية في المدينة، وهذه أيضاً تعد قليلة ولا تسد حاجة سكان المدينة.

2- سيطر حي الليثي على المرتبة الأولى من هذه الخدمة بنسبة وصلت إلى 13.9% من إجمالي هذه الخدمة، وجاءت أحياء الكيش والبركة والسلماني الغربي في المرتبة الثانية بنسبة بلغت 31%، وسجلت الأحياء الأربعة مجتمعة نسبة 44.9 %. وجاءت أحياء بوعطني والحدائق، وسيدي حسين ووسط المدينة، بنسبة بلغت 27.6% بواقع 6.9 % لكل منها.

3- بينما سجلت باقي أحياء المدينة وعددها ثمانية أحياء نسبة بلغت 27.5 % من مجموع هذه الخدمة، في حين لم يتحصل عدد أربعة عشرة حياً عليها، ويعزى ذلك لسوء التوزيع الذي يبدو انه يمس كل الخدمات.

4- مما سبق يتبين أن عدد ثمانية أحياء وتشكل نسبة 26.7% من جملة أحياء المدينة تستحوذ على ما نسبته 72.5% من هذا النوع من الخدمات الصحية في المدينة، في الوقت الذي حرمت فيه نسبة 46.7% من أحياء المدينة من هذه الخدمة، وتشير هذه النسب المعبرة عن نتائج المسح الميداني إلى هذا التفاوت المكاني في توزيع هذه الخدمة.

الجدول (10) عيـــــــــادات الأســـــــــــنان

الحي السكني	العدد	%
بوعطني	2	6.89
الليثي	4	13.9
حي السلام	1	3.44
الكيش	3	10.34
البركة	3	10.34
الحدائق	2	6.89
السلماني الغربي	3	10.34
أرض الحراسة	1	3.44
بوهديمة	1	3.44
رأس أعبيده	1	3.44
الزيتون	1	3.44
شبنة	1	3.44
الرويسات	1	3.44
الماجوري	1	3.44
سيدي حسين	2	6.89
وسط المدينة	2	6.89

الحي السكني	العدد	%
المجموع	29	100

المصدر : المسح الميداني 1- 14 فبراير 2015 م

7- الصيـــــدليات :

أوضح الجدول (11) التوزيع المكاني للصيدليات بأحياء مدينة بنغازي، ومنها تتبين الحقائق التالية:

1- تعد خدمة الصيدليات من أكثر الخدمات انتشاراً في أحياء المدينة من حيث التوزيع، كما تعد من أكثرها غزارة من حيث أعدادها التي تقع في كل حي سكني، وقد بلغ عدد الصيدليات في مدينة بنغازي ما يصل إلى مائتين وإحدى وسبعون صيدلية، وبنسبة مئوية بلغت 65.5 % من إجمالي الخدمات الصحية بالمدينة.

2- جاء حي الليثي في المرتبة الأولى، حيث سجل نسبة بلغت 9.5%، تلاه في المرتبة الثانية حيي بوعطني وشبنة بنسبة بلغت 6.3 % لكل منهما، وبالتالي تسجل الأحياء الثلاثة أكثر من ربع 28.6 % هذه الخدمة، أما المرتبة الثالثة فقد احتلها حي السلام بنسبة 5.9%، والمرتبة الرابعة جاء بها حيي السلماني الشرقي ورأس أعبيده بنسبة بلغت 5.5 % لكل منهما.

3- سجلت باقي أحياء المدينة والبالغ عددها أربعة وعشرين حياً نسبة وصلت إلى 54.5 % من إجمالي هذه الخدمة، وتعد خدمة الصيدليات هي الخدمة الصحية الوحيدة التي لم يحرم منها أي حي سكني بالمدينة.

4- مما سبق يتبين أن هذه الخدمة قد غطت كل الأحياء السكنية رغم وجود بعض التفاوت في التوزيع بين الأحياء السكنية، فبينما نلاحظ أن 20% من الأحياء السكنية استحوذت على 45.5 % من خدمة الصيدليات، نجد أن 80 % من مجموع الأحياء ضم ما نسبته 54.5% من هذه الخدمة.

الجدول (11) الصيدليـــــــــــات

الحي السكني	العدد	%
بوعطني	17	6.27
الليثي	26	9.74
حي السلام	16	5.9
الصابري	12	4.42
خريبيش	2	0.73
المدينة القديمة	4	1.47
الكيش	10	3.69
الهواري	8	2.95
البركة	9	3.32
الحدائق	8	2.95
السلماني الغربي	4	1.47
السلماني الشرقي	15	5.53
أرض الحراسة	11	4.05
بوهديمة	7	2.58

الحي السكني	العدد	%
رأس أعبيده	15	5.53
الزيتون	2	0.73
شبنة	17	6.27
الرويسات	6	2.21
الماجوري	7	2.58
حي الدولار	3	1.1
بن يونس	4	1.47
سيدي حسين	6	2.21
وسط المدينة	14	5.16
حي الزاوية	5	1.84
السيرتي	4	1.47
سيدي يونس	9	3.32
المحيشي	2	0.73
أرض قريش	12	4.42
الفويهات	13	4.79
طابلينو	3	1.1
المجموع	**271**	**100**

المصدر : المسح الميداني 1- 14 فبراير 2015 م

النتائج:

1- إن تأثير العوامل البشرية في توزيع وتطوير الخدمات الصحية تتفاوت في أهميتها ويعتبر العامل الديموغرافي واتجاهات النمو فيه، وعلاقته بالمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية من العوامل الأساسية المهمة التي تؤثر وتتأثر بتوزيع وتطور تلك الخدمات.

2- لقد شهدت مدينة بنغازي زيادة واضحة في عدد سكانها فقد زاد بما يقارب الضعف في الفترة 1954 – 1964، ثم تكررت هذه الزيادة في الفترة 1964–1973، حيث زاد إجمالي السكان من نحو 137295نسمة إلى نحو 266196 نسمة خلال الفترة المذكورة. ثم أصبحت الزيادة بمعدلات أقل مما كانت عليه فيما بعد، إذ زاد السكان بمقدار نصف ما كانوا عليه في الفترة التالية 1973–1984 مقارنة بالفترة السابقة، ثم تراجعت نسبة الزيادة السابقة في الفترة اللاحقة وهي 1984– 1995، وعادت للارتفاع وفقا لبيانات التعداد السكاني الأخير 2006.

3- تمثل الزيادة الطبيعية الفرق بين معدل المواليد ومعدل الوفيات في الكتلة السكانية، إذ إن معدلها بلغ في مدينة بنغازي نحو 3.82% سنة 1973 ثم ارتفعت إلى 4% سنة 1984 ثم انخفضت بشكل مفاجئ ليصل إلى3.35% سنة 1992 واستمرت هذه المعدلات في الانخفاض حتى منتصف التسعينات إذ بلغت نحو (2.38%) سنة 1995، ثم عادت للارتفاع في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين مسجلة 3.15%.

4- هناك نمو سكاني داخل مدينة بنغازي لا يتوافق مع عدد الأسرّة المتوفرة في المستشفيات والمراكز الصحية، كما أنه لا يتلاءم مع الفئات الطبية المختلفة، ويشير ذلك إلى إهمال النقطة الثانية التي تؤكد على توفير الخدمات الصحية والرفع من مستواها.

5- بلغ عدد مرافق الخدمات الصحية بمدينة بنغازى فى عام 2013 نحو 414 مرفقا صحيا ، هذه الأعداد من الأنواع المختلفة من المرافق الصحية بمدينة بنغازى لا تتناسب والحجم السكانى للمدينة وهى قليلة على الإطلاق.

6- يتبين مما سبق أن المدينة تعاني بشكل عام وفي كافة أحيائها السكنية من نقص المصحات الطبية الخاصة، رغم توفرها في عدد قليل جدا منها ، ويتكشف سوء التوزيع الجغرافي في حرمان ما نسبته 63 % من إجمالي الأحياء السكنية بالمدينة . وكذلك تركز نسبة 46 % من هذه الخدمة في ما يصل نسبته إلي 10% من إجمالي الأحياء.

7- نلاحظ أن سوء التوزيع ملازم لأحياء المدينة في كل الخدمات الصحية ، فهنا نشاهد أنه في الوقت الذي تتركز فيه ثلاثة أرباع العيادات الخاصة في 23% من الأحياء السكنية بالمدينة، نجد أكثر من نصف 57 % أحيائها قد حرم من هذه الخدمة .

8- انخفض عدد المستوصفات العامة إلي أدنى حد في الخدمات الصحية بالمدينة ، فقد سجلت عدد بلغ 11خدمة، وبنسبة مئوية وصلت إلي 3% وهي نسبة لا تفي باحتياجات سكان المدينة ، خاصة من ذوي الدخل المحدود والذين لا يستطيعون دفع مبالغ كبيرة للعيادات والمراكز الطبية الخاصة على العلاج والأدوية

التوصيات:

من واقع النتائج السابقة يمكن طرح عدد من التوصيات ربما تسهم في إيجاد حالة أفضل للعلاقة بين الخدمات الصحية والسكان بمدينة بنغازي، وتتمثل هذه التوصيات فيما يلي:

1- الاهتمام بتسجيل الإحصاءات الحيوية الخاصة بالمواليد والوفيات وحالات الزواج والطلاق بما يسهم في إيجاد قاعدة بيانات موثوق بها تخدم كل العمليات التنموية بالمدينة محل الدراسة.

2- ضرورة عمل مسح شامل لمختلف المرافق الصحية بمدينة بنغازي التي تعانى إهمال واضح في هذا المجال، وهذا الإحصاء من شانه أن يضع بين يدي صانعي القرار الحالة الفعلية للقيم العددية لهذه المرافق.

3- الاهتمام برفع المستوى النوعي للخدمات الصحية من حيث استحداث المرافق الضرورية التي تفتقدها المدينة مما يضطر السكان للبحث عنها خارج حدود الدولة الليبية.

4- إعادة النظر في توزيع المرافق الصحية الحكومية على الأحياء السكنية وفقا لأعداد سكان كل منها بما يخلق حالة من التوزيع العادل للخدمات، ولا يصبح هناك تكريسا للمركزية في هذه الخدمات الحيوية لكل السكان.

5- الاهتمام بأعمال الصيانة الدورية للمرافق الصحية وألا يقتصر الأمر على الإحصاء العددي للمرافق.

والاستعانة بالخبرات الأجنبية فيما يتعلق بتأسيس المستشفيات وإداراتها من الناحية العلاجية حتى يتم تأهيل كوادر وطنية تتكفل بهذا الدور.

6- توفير الخدمات الصحية والرفع من مستواها والوصول إلى المعدلات المثلى في عدد الأسرة والفئات الطبية المختلفة مع توفير الأدوية والتجهيزات والمعدات ومراعاة التغطية الشاملة للسكان والمنشآت بالخدمات الصحية الوقائية والعلاجية ومنح الأولوية للمناطق النائية.

7- إجراء الدراسات والبحوث واتخاذ الوسائل التنظيمية والإدارية والتشريعية التي تكفل الترابط والتنسيق بين الخدمات الصحية والخدمات الأخرى المكملة. لها أو المرتبطة بها مثل خدمات التغذية والإسكان وإصحاح البيئة وتوفير المياه الصالحة للشرب والمجاري والتخلص من القمامة والفضلات ومراقبة الأغذية وتوفير خدمات الأمن الصناعي.

المراجع

1. إبراهيم احمد سعيد، أسس الجغرافية البشرية والاقتصادية (حلب: منشورات جامعة حلب، 1997) .
2. إبراهيم الهادي دخيل، توزع الخدمات الصحية وتطورها في مدينة طرابلس- ليبيا ما بين (1984-2004) م، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الجغرافيا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق، سوريا.
3. المهدوي محمد، جغرافية ليبيا، ط2، (بنغازي: منشورات جامعة بنغازي، 1990).
4. أمانة الصحة، بيانات غير منشورة ،2012.
5. الأمم المتحدة، تقرير المؤتمر الدولي بالسكان، مكسيكو 6-14 أغسطس 1984.
6. رشيد محمود، خطوات على طريق التنمية، مجلة الهندسة، العدد 22المجلد الأول ،199.
7. عبد الدائم عبد الله، التخطيط التربوي، أصوله وأساليبه الفنية وتطبيقاته في البلاد العربية، دار العلم للملايين بيروت لبنان، الطبعة الثالثة.
8. اللجنة الشعبية العامة للصحة والضمان الاجتماعي، الخدمات الصحية والاجتماعية خلال ثلاثين عاماً من عمر الثورة 1969-2000 م دار الكتب الوطنية بنغازي
9. محمد السيد غلاب، محمد صبحي عبد الحكيم، السكان جغرافياً وديموغرافيا، مكتبة الانجلو المصرية، الطبعة الرابعة 1978
10. محمد العماري، دراسة القوى العاملة في ليبيا (رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافيا، كلية الآداب) جامعة قاريونس، بنغازي ،1989.
11. محمد صافينا، البنية التحتية ودورها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بحث غير منشور، الندوة الجغرافية الثالثة دمشق , 1999م
12. مستشفى الأطفال ببنغازي، بيانات غير منشورة،2013.
13. مصلحة الإحصاء والتعداد، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان 1973-1995م
14. مصلحة الإحصاء والتعداد، تعداد سكان 1995م
15. - مكتب التربية لدول الخليج العربي، متطلبات التخطيط التربوي، عملية التخطيط التربوي، الوحدة الثانية، قسم السياسة التربوية والتخطيط (اليونسكو) المملكة العربية السعودية (الرياض) 1991.
16. - منصور الكيخيا، السكان في الجماهيرية دراسة في الجغرافيا (تحرير)الهادي أبو لقمة، سعد القزيري، بنغازي، جامعة قاريونس ط1 1989.
17. 15-الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، مصلحة الإحصاء والتعداد السنوي لعام 1984، 1995، 2006
18. الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات، تقرير التنمية البشرية 1999م طرابلس 1999
19. الهيئة الوطنية للتوثيق والمعلومات، الكتيب الإحصائي 2003م طرابلس.

ملحق رقم (1)

توزيع إجمالي السكان الليبيين وغير الليبيين حسب النوع والمحلات في مدينة بنغازي 2015

المحلة	الذكور	الإناث	المجموع
الشابي	453	437	890
غريبيل	4892	4318	9210
سيدي سالم	614	488	1102
الدراوي	1971	1750	3721
بالخير	82	56	138
الوحيشي	1103	980	2083
خريبيش	3077	2179	5256
بن عيسى	907	764	1671
الشريف	1771	1175	2946
الجزيرة	781	424	1205
سيدي حسين	11251	10260	21511
السلماني الغربي	24682	23567	48249
الصابري الشرقي	12346	10150	22496
الصابري الغربي	9886	9494	19380
داوود البحري	3087	2857	5944
خالد بن الوليد	13817	13521	27338
داوود الغربي	22192	21287	43479
الفويهات الغربية	6490	6025	12515
بنغازي الجديدة	47640	44403	92043
داوود القبلي	16828	16010	32838
الثورة الشعبية	23395	22257	45652
المختار	49192	45149	94341
قاريونس	6597	5770	12367
المجموع	443562	410288	853850

المصدر: من اعداد الباحث بناء علي النتائج النهائية للتعداد العام لسكان منطقة سهل بنغازي: 1995 ، (طرابلس: مصلحة الإحصاء والتعداد، 1998)، ص 105_109_113_120

حالة التصحر في ليبيا : أهم الأسباب وجهود المكافحة في ظل الحاجة إلى إدارة مستدامة للأراضي

د. حسين محمد الجديع / جامعة الزنتان / كلية التربية الزنتان،
د. عرفات المهدي قرينات / جامعة الزيتونة / كلية العلوم الاجتماعية
د. علي منصور سعد / جامعة الزنتان / كلية التربية الرياينة

المستخلص

تهدف هذه الورقة لدراسة حالة التصحر في ليبيا وأهم العوامل المسببة وجهود المكافحة خلال العقود الماضية، كما تهدف أيضا لإبراز أهمية التخطيط السليم والإدارة الرشيدة في نشر مبدأ التنمية المستدامة لإدارة الأراضي مما قد يوفر أساساً ثابتاً تبنى عليه القرارات السياسية المستقبلية لمكافحة التصحر في البلاد، ليبيا بلد ذو بيئة صحراوية فأكثر من 97% من مساحتها أراضي صحراوية أو شبه صحراوية، وقد تفاقمت عمليات التصحر فيها بسبب الأنشطة البشرية غير الرشيدة المقترنة بالظروف المناخية القاسية مما جعل مشكلة التصحر من أكبر المشاكل التي تؤثر على البيئة ومواردها الطبيعية، فالاستغلال المفرط لموارد البيئة الطبيعية، والتخطيط السيئ لاستخدام الأراضي، وقلة الموارد المائية بمناطق التركز السكاني، إضافةً إلى تذبذب كميات الأمطار وارتفاع درجات الحرارة ونسب التبخر؛ تعتبر العوامل الرئيسية المؤدية لتفاقم ظاهرة التصحر وتدهور الأراضي في البلاد. يعتبر دمج الإدارة المستدامة للأراضي والتخطيط السليم المبني على أسس علمية حلاً قابلاً للتطبيق لتخفيف آثار التصحر وترشيد استهلاك الموارد الطبيعية، ومع ذلك يجب تطوير طرق ومؤشرات رصد وكشف التصحر وتدهور الأراضي عن طريق استخدام بيانات الأقمار الاصطناعية إلى جانب البيانات الأخرى لإنشاء نظام فعال لإدارة التصحر في الأماكن الأكثر حساسية، علاوة على ذلك، يجب معالجة الآثار البيئية والمعيشية لمشكلة التصحر من أجل تعزيز التنمية الاقتصادية المستدامة.

الكلمات المفتاحية : التصحر، تدهور الأراضي، الإدارة المستدامة للأراضي، ليبيا.

Desertification in Libya: The Most Important Causes, Manifestations and Control Efforts in Light of the Need for Sustainable Land Management

Abstract This paper aims to study desertification in Libya in terms of the most important causative factors, and control efforts that have been done during the past decades. It also aims to highlight the importance of proper planning and rational management in promoting the principle of sustainable development for land management, which may provide a stable basis upon which future political decisions to combat desertification in the country may be built. Libya is a desert environment country with more than 97% of its area is desert or semi-desert lands. Desertification processes have been exacerbated by irrational human activities associated with harsh climatic conditions in a way that makes the problem of desertification as one of the biggest environmental problems that affects the environment and its natural resources.

The improper planning, scarcity of water resources, irrational human activities, drought, and the climatic conditions are all considered the as the main factors leading to the aggravation of the phenomenon of desertification and land degradation in the country. Integrating sustainable land management and proper planning based on scientific foundations is considered a viable and an applicable solution to undermine the effects of desertification. However, methods and indicators for monitoring and detecting desertification and land degradation by using satellite data along with other data must be developed to create an effective system for managing desertification in places. Moreover, the most sensitive environmental and livelihood effects of the problem of desertification must be considered and dealt with in order to maintain sustainable economic development.
Keywords: desertification, land degradation, sustainable land management,Libya.

المقدمة

تعتبر الأرض من بين أهم الموارد الطبيعية المتاحة للبشر؛ لما تحويه من ترب زراعية ومياه ومصادر نباتية وحيوانية، وتلعب الموارد الأرضية دوراً هاماً في الإبقاء على حياة البشر ورفاهية الشعوب وقوة اقتصاد الدول، وفي الوقت الذي يواجه فيه العالم طلباً متزايداً على الغذاء بسبب الزيادة الهائلة في أعداد البشر خلال القرنين الماضيين فإن مورد التربة الموفر الرئيسي لغذاء سكان العالم يتعرض لجملة من الظروف الطبيعية وغير الطبيعية تتسبب لها في العديد من المشاكل ابتداءً من انخفاض انتاجيتها وتدهور نوعيتها وصولاً إلى جفافها وتصحرها وعدم صلاحيتها لإنتاج الغذاء اللازم لبلايين البشر الذين يعيشون فوقها.

يعاني العديد من بلدان العالم حاليًا من مشكلة التصحر التي تعد مشكلة بيئية عالمية تنطوي على تدهور الأراضي في المناطق الجافة وشبه الجافة وشبه الرطبة نتيجة لعوامل مختلفة تشمل: التغيرات المناخية، والأنشطة البشرية (UNEP, 1991). فالتصحر يهدد سبل عيش الملايين من البشر في أكثر من ثلثي دول العالم حيث تشير التقديرات إلى أن حوالي 150 كيلومترًا مربعًا من التربة في جميع أنحاء العالم تفقد خصوبتها أو يتناقص انتاجها بسبب التصحر كل عام، في حين تقدر المناطق المعرضة للتصحر أو المهددة به نتيجة لسوء الاستخدام بحوالي 30 مليون كيلو متراً مربعاً أي ما يعادل 19٪ من سطح اليابس، يسكنها ما يقرب من سدس سكان العالم، ومع الزيادة السكانية السريعة فمن المرجح أن تتفاقم المشكلة وتزداد خطورتها مستقبلاً (نحال، 1987)؛ لذلك، يجب اتخاذ التدابير المناسبة من أجل مكافحة التصحر؛ ويعد الرصد المستمر أمرًا ضروريًا وقد ثبت أن استخدام تكنولوجيا الاستشعار عن بعد لرصد التصحر النهج أو التقنية الأكثر كفاءة بالوقت الحاضر (Hassan, 2004).

يعاني الوطن العربي كغيره من أقطار العالم من خطر التصحر، وتضم الدول العربية حوالي ثلث الأراضي المتصحرة في العالم (اكساد، 2004)، في حين أن المناطق الجافة وشبه الجافة تشكل حوالي 90٪ من إجمالي مساحته التي تقدر بحوالي 14 مليون كيلومتر مربع (Hassan, 2004)، منها حوالي 9.9 مليون كم^2 تستقبل أقل من 100 ملم من الأمطار سنويًا، وحوالي 2.9 مليون كم^2 تقع تحت متوسطات تتراوح بين 100–400 ملم من الأمطار سنوياً، وتستقبل بقية المنطقة والتي تقدر مساحتها بحوالي 1.6 مليون كم^2 كميات أمطار تتجاوز

400 ملم كل عام، حيث تتركز غالبية المراكز الحضرية والاقتصادية في الجزء الأخير الذي يعد أيضًا مركزًا للغابات ومزارع الفاكهة (البلوشي، 2003).

بسبب موقعها الجغرافي ووقوع معظم أراضيها ضمن المناخ الصحراوي شديد الجفاف والتطرف؛ تعاني ليبيا من مشكلة خطيرة تتمثل في تدهور الأراضي الزراعية وتصحرها، حيث أكدت العديد من الدراسات أن الأراضي الزراعية تتعرض للتقلص والتراجع والانكماش بسبب المشكلة قيد الدراسة (سعد وأبوغليليشة، 2016)، وتشير الدراسات أيضاً إلى أنه لا توجد أي مؤشرات تدل على تراجعها خلال المدى المنظور حيث تُظهر تنبؤات تغير المناخ لشمال إفريقيا بما في ذلك ليبيا أن هناك اتجاه عام نحو ارتفاع درجات الحرارة مع تأثيرات كبيرة محتملة على المناطق التي تعاني بالفعل من نقص في المياه والغذاء (IPCC، 2007). يعد التوسع الحضري المقترن بفقدان التربة الخصبة، والاستغلال المفرط للموارد المائية، والرعي الجائر، وتدمير الغطاء النباتي الطبيعي والتغير في استخدام الأراضي من الأسباب المهمة للمشاكل البيئية في ليبيا (سعد، 2016)، فعلى الرغم من مساحة البلاد الشاسعة إلا أن معظم هذه المساحة تقع ضمن المناخ الصحراوي الحار الذي يسود معظم الجزء الشمالي من القارة الأفريقية حيث تغطي الصحراء 98٪ من أراضيها (بن خيال، 1995)، الاستثناء الوحيد هو شريط ساحلي ضيق يمتد على طول الساحل الجنوبي للبحر الأبيض المتوسط وبعض المناطق الجبلية في شمال البلاد حيث يكفي هطول الأمطار لنمو الغطاء النباتي الطبيعي وزراعة بعض المحاصيل والأشجار المثمرة، وعلى الرغم من قلة عدد سكان البلاد إلا أن تركزهم في المنطقة الشمالية أحدث ضغوطاً بشرية على موارد المنطقة، خاصة في المناطق الهامشية مما أدى إلى حدوث مشاكل بيئية خطيرة مثل: تدهور وانخفاض مستويات المياه الجوفية، وتسرب مياه البحر إلى المياه العذبة، وتدهور الأراضي الزراعية، وانخفاض إنتاجية الكثير من المحاصيل الزراعية (El–Tantawi، 2005).

تشكل الممارسات الزراعية الخاطئة والظروف المناخية القاسية ومحدودية الري قيودًا صارمة على الإنتاج الزراعي في ليبيا، ورغم إنشاء الحكومات الليبية لعددًا من مشاريع البحوث الزراعية لتعزيز التنمية الزراعية واستصلاح الأراضي في البلاد، إلا أن الباحثين حذروا من أن ارتفاع درجات الحرارة وتذبذب هطول الأمطار بسبب تغير المناخ قد يؤدي إلى المزيد من فقدان النيتروجين في النظم البيئية الجافة وجعل الترب القاحلة أكثر عقمًا وغير قادرة على دعم معظم الحياة النباتية، كما أظهر تقييم الوضع العالمي الحالي للتصحر أن البيانات الدقيقة، التي من شأنها أن تسمح بتوضيح مستويات أو معدلات التصحر الذي يحدث في مختلف أنحاء العالم لا تزال غير متوفرة (Mamdouh، 1999). يعرض هذا البحث خصائص التصحر والمعلومات المتوفرة حول العوامل والأسباب والجهود المبذولة لمكافحة التصحر في ليبيا، كما يسلط الضوء على الحاجة الماسة إلى تعميم الإدارة المستدامة للأراضي عند التخطيط لاستخدام الأراضي، الأمر الذي يمكن أن يوفر أساسًا متينًا تبني عليه القرارات السياسية المستقبلية لمكافحة التصحر بطريقة مستدامة.

مشكلة الدراسة:

تعتبر ليبيا إحدى أفقر الدول في مواردها الزراعية نتيجة للطابع الصحراوي الغالب على البلاد، فبالرغم من مساحة البلاد الشاسعة والتي تبلغ نحو 1.600.000 مليون كيلو متر مربع؛ إلا أن المساحة القابلة للزراعة لا تتعدى ما نسبته 2.07% أي حوالي 36.5 ألف كيلو متر مربع (أبوغليليشة وسعد، 2019)، وبالرغم من صغر المساحة

الزراعية في ليبيا كما تعكسها الأرقام والنسب إلا أنها تتعرض للانكماش المستمر نتيجة لعوامل متعددة أهمها: التصحر، وسوء الإدارة، والزحف العمراني واستنزاف المياه الجوفية، ومن هنا جاءت الحاجة لهذه الدراسة لتسليط الضوء على حالة التصحر في ليبيا في محاولة للتعرف على الوضع الراهن للمشكلة وأهم الأسباب والمظاهر؛ وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية:

1. ما هو الوضع الراهن لحالة التصحر بليبيا؟ وما هي أهم المظاهر والأسباب الرئيسية الكامنة وراء المشكلة قيد الدراسة؟
2. ما أهم الجهود المبذولة لمكافحة التصحر في ليبيا خلال العقود الماضية؟

أهداف الدراسة : تهدف الدراسة لما يلي:

1. دراسة حالة التصحر في ليبيا والتعرف على أهم العوامل المسببة لها وأهم مظاهرها وجهود مكافحتها خلال العقود الماضية.
2. إبراز أهمية التخطيط السليم والإدارة الرشيدة في نشر مبدأ التنمية المستدامة لإدارة الأراضي مما قد يوفر أساساً ثابتاً تبنى عليه القرارات السياسية المستقبلية لمكافحة التصحر في البلاد.

أهمية الدراسة :

تكتسب الدراسة أهميتها من أهمية المشكلة المدروسة، فهي تسلط الضوء على مشكلة من أهم المشاكل التي تواجه البيئية الطبيعية والأراضي الزراعية التي تمثل أهم مصادر الإنتاج، ورافداً من روافد الأمن الغذائي في البلاد؛ ألا وهي مشكلة التصحر، وبالتالي فإن أهمية الدراسة تتمثل في قرع جرس الإنذار ولفت انتباه الجهات المسئولة وذوي الاختصاص في البلاد لما تتعرض له الأراضي الزراعية بشكل خاص والموارد الطبيعية بشكل عام من استغلال جائر وهدر يستدعي اتخاذ كافة التدابير والسبل للوقوف دون تفاقم المشكلة وزيادة خطورتها مستقبلاً.

منهجية الدراسة وأدواتها:

لقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لوصف المشكلة المدروسة وتحليل أبعادها المختلفة بغية الوقوف على الوضع الراهن لمشكلة التصحر في ليبيا وأهم أسبابها ومظاهرها. وقد تم جمع البيانات الخاصة بالدراسة من الإحصائيات والتقارير الرسمية التي تصدرها الجهات العامة ذات العلاقة المحلية والدولية وغيرها من المؤسسات الحكومية، بالإضافة للكتب والدوريات العلمية والمراجع المختلفة.

المناقشة

ليبيا لمحة موجزة

تحتل ليبيا مساحة كبيرة من الجزء الشمالي من القارة الأفريقية وكما هو مبين بالشكل 1 فهي تمتد بين خطي طول 18° و 33° شمالاً ودائرتي عرض 18° و 25° شرقاً وتبلغ مساحتها حوالي 1.600.000 كيلومتراً مربعاً (مجلس التخطيط العام، 2003)، يحدها شمالاً البحر الأبيض المتوسط بساحل يبلغ طوله حوالي 1900كم يمتد من الشرق إلى الغرب، وتحدها كل من مصر والسودان من الناحية الشرقية وتشاد ومالي من الناحية الجنوبية والجزائر وتونس من الناحية الغربية، (أبو لقمة، 1995). وبلغ عدد سكان ليبيا في عام 2006 حوالي 5،657،692 مليون نسمة

حسب التعداد العام للسكان وتشير التقديرات إلى أن عدد سكان البلاد وصل حوالي 6103000 مليون نسمة سنة 2014 (مصلحة الإحصاء والتعداد ليبيا، 2006، 2015).

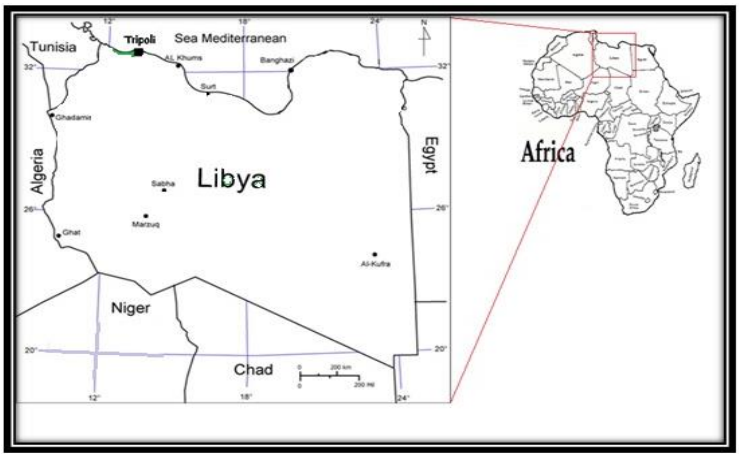

المصدر/ الأطلس الوطني، 1978م.

تقف كل من: المساحة الشاسعة للبلاد، والبيئة الطبيعية الصعبة، وقلة السكان عائقاً دون تطوير الجزء الأكبر منها، كما أدت ندرة المياه والظروف المناخية القاسية إلى خلق حواجز أعاقت توسع النشاط البشري والتنمية، ونتيجة لذلك، فإن المساحات المزروعة والمأهولة بالسكان صغيرة ومحدودة مقارنة بإجمالي مساحة البلاد، حيث يسود المناخ الصحراوي الجزء الأكبر من البلاد، باستثناء شريط ضيق يمتد على طول سواحل البحر الأبيض المتوسط يشمل السهول الساحلية والمرتفعات الشمالية حيث تكون الأجواء باردة نسبيًا وممطرةً خلال فصل الشتاء مع موسمين انتقاليين هما الربيع والخريف، ومع ذلك، فإن معظم ليبيا تشهد شهورًا طويلة قاحلة شديدة الجفاف وشهورًا رطبة قليلة جدًا، وتتراوح درجات الحرارة بين مرتفعة إلى مرتفعة للغاية خلال الصيف ومعتدلة إلى باردة خلال الشتاء، حيث تصل درجة الحرارة أعلى مستوياتها في أغسطس صيفاً، بينما تسجل أدنى المستويات في يناير شتاءً، ويهطل حوالي 90٪ من الأمطار السنوية خلال النصف البارد من العام، ويسقط ما يقرب من نصف هذه الكمية خلال شهري يناير وفبراير (امقيلي، 1995)، بسبب هذا النمط المتقطع المتذبذب لسقوط الأمطار؛ فإن الإنتاج الزراعي في ليبيا يعتمد بشكل كبير على الري، ومع ذلك فلا تنتج البلاد ما يكفيها من المحاصيل الزراعية المختلفة فعلى سبيل المثال، يتم إنتاج 32٪ فقط من القمح، و38٪ من الشعير، و25٪ من التمور، و29٪ من البقوليات، و34٪ من الخضار، و24٪ من الزيتون (FAO، 2005). وبالتالي، فإن الظروف المناخية تحد بشدة من الإنتاج الزراعي في ليبيا، ويتبين من الجدول (1) الذي يوضح متوسط توزيع الأمطار السنوي في الأراضي الليبية، أن ليبيا مثل العديد من مناطق البحر الأبيض المتوسط تعاني من الجفاف الشديد وعدم كفاية المياه التي تلعب دورًا رئيسيًا في عملية التصحر، فقد أظهرت الدراسات وجود عجز مائي يتضاعف باستمرار بسبب ارتفاع درجات الحرارة وانخفاض هطول الأمطار، وقد أدى ذلك إلى انخفاض الغطاء النباتي وزيادة تآكل التربة وتدهور الأراضي على نطاق واسع ووضع المنطقة في أعلى مخاطر التصحر، حيث يبلغ معدل التبخر السنوي حوالي 1700 ملم بالقرب من البحر و6000 ملم في المناطق الوسطى والجنوبية.

تعتبر المياه الجوفية المصدر الرئيسي لإمدادات المياه في ليبيا وتصنف إلى مياه جوفية متجددة ومياه جوفية غير المتجددة، وتمثل أكثر من 97٪ من إجمالي المياه المستهلكة للأغراض المختلفة، ويقدر استخراج المياه الصالحة للشرب بحوالي 3000 مليون متر مكعب في السنة (فضل وأبولقمة، 1995) وتقع في خمسة أحواض مياه رئيسية. يوضح الجدول 2 الوضع المائي في ليبيا من 1990 إلى 2025. بشكل عام، تعتبر ليبيا واحدة من المناطق ذات الكثافة المنخفضة للنباتات الطبيعية بسبب المعدلات السنوية المنخفضة والتوزيع غير المنتظم لهطول الأمطار، وقد أدى الجفاف الذي شهدته البلاد خلال العقود الماضية إلى زيادة حدة المشكلة وبالتالي، ساد الرعي الجائر، مما أدى بدوره إلى زيادة عملية تدمير الغطاء النباتي الطبيعي وتدهور الأراضي في أجزاء كثيرة من البلاد.

جدول (1) متوسط توزيع الأمطار السنوي في الأراضي الليبية

معدلا تساقط الأمطار السنوية (مم)	مساحة الأراضي (ألف كم^2)	نوعية الأراضي	النسبة المئوية من المساحة الكلية %
أقل من 50	1589	جافة جداً	%90.8
50 – 200	130	جافة	7.4
200 – 400	26	شبه جافة	1.5
أكثر من 400	5	شبه رطبة	0.3
المجموع	1750		100.0

المصدر/ مجلس التخطيط العام (تقرير حول السياسات الزراعية)، ص 68

جدول (2) الوضع المائي في ليبيا من 1990 إلى 2025

السنة	كمية المياه المتاحة (مليون متر مكعب)	اجمالي الطلب (مليون متر مكعب)	العجز (مليون متر مكعب)
1995	3820	2885	65-
2000	3820	4493	673-
2005	3820	5128	1308-
2010	3820	5794	1974-
2015	3820	6495	2675-
2020	3820	7236	3416-
2025	3820	8022	4202-

المصدر/ مجلس التخطيط العام (تقرير حول السياسات الزراعية)، ص 57-58

أسباب ونتائج التصحر

التصحر هو شكل من أشكال تدهور الأراضي في المناطق الجافة وشبه الجافة والجافة شبه الرطبة ينتج عن عوامل عدة تشمل التغيرات المناخية والأنشطة البشرية (United Nations Convention to Combat Desertification، 1996)، شهدت ليبيا في العقود الأخيرة تطورا كبيراً في مختلف المجالات ولا سيما في قطاعي الزراعة والصناعة، ومع ذلك، فقد أحدث هذا التطور آثارًا سلبية على النظم البيئية المحلية، خاصة في المناطق الحساسة والهشة بسبب التغير في أنماط الإنتاج، والحاجة إلى توفير الاحتياجات الغذائية للسكان المتزايدين، ونتيجة لذلك؛ زاد الضغط على الموارد الطبيعية المحدودة أصلاً مما فاقم من مشاكل تدهور الأراضي والتصحر، فقد أظهرت الدراسات أن هناك العديد من العوامل الطبيعية والبشرية التي تسبب تدهور الأراضي في ليبيا، تشمل العوامل الطبيعية التغيرات في المناخ، وخاصة الأمطار والرياح ودرجات الحرارة، حيث يختلف المناخ من مكان إلى آخر استجابة للتغيرات في التأثيرات الخارجية والداخلية في نظم الهواء (امقيلي، 1993)، فقد حدثت تغيرات مناخية كبيرة خلال الأزمنة الجيولوجية في القارة الأفريقية، وتعاقبت العصور الرطبة والجافة بالقارة؛ وأدت العصور الجافة إلى ظهور الصحراء، ويعد المناخ الحالي للمنطقة استمرارًا للمناخ الجاف الذي بدأ منذ ظهور الصحراء، مع اتجاه عام نحو مزيد من فترات الجفاف في السنوات الأخيرة؛ لذلك، فإن التعرية بفعل الرياح والمياه من العوامل الطبيعية والأساسية التي تسبب تدهور الأراضي والتصحر في ليبيا (امقيلي، 2003). وعلى الرغم من أن العوامل المناخية تلعب دورًا مهمًا في انتشار ظاهرة التصحر، إلا أن النشاط البشري يتسبب في تعميق آثار الجفاف على الموارد البيئية وعلى البشر على حد سواء، حيث تساهم العديد من العوامل البشرية في تدهور الظروف البيئية وحدوث التصحر في ليبيا، فقد أدى الضغط المتزايد للسكان على الموارد الطبيعية (المياه والتربة والنباتات)، وسوء الإدارة والاستغلال المفرط للموارد الطبيعية من قبل الكيانات أو الأفراد، بشكل أساسي إلى التصحر، ويمكن حصر العوامل البشرية التي تتسبب في تدهور التربة والغطاء النباتي في ليبيا بما يلي: الإفراط في استغلال الموارد المائية، استغلال الأراضي الهامشية في الاستخدامات الزراعية، إزالة الغابات وإزالة الغطاء النباتي الطبيعي، الرعي الجائر في المناطق الهامشية والزحف العمراني على الأراضي الزراعية الخصبة (El-Tantawi, 2005 , Saad, 2013) يؤدي التصحر إلى تدهور المناطق الريفية والطبيعية والرعوية ويسبب إفقار البدو والرعاة والمزارعين في المناطق الجافة، كما تؤدي هذه العملية إلى هجرة الرعاة والبدو وسكان المناطق الريفية إلى المدن بحثًا عن سبل العيش والرغبة في حياة أفضل، ويؤدي ذلك إلى زيادة الضغط على المدن والموارد ويؤثر على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للقبائل البدوية (نحال، 1987). وينتج عن التصحر أيضاً مجموعة متنوعة من الآثار السلبية البيئية والاقتصادية والاجتماعية بشكل مباشر أو غير مباشر، وبالتالي فإن إنتاجية المراعي الطبيعية والغابات والأراضي الزراعية تأخذ في التناقص خصوصاً في فترات الجفاف المتتالية، وقد أظهرت الدراسات التي قام بها المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (اكساد) أن مشكلة التصحر وتدهور الأراضي في العالم العربي تعتبر حادة، فقد انخفضت إنتاجية الهكتار الواحد من الحبوب في المناطق الجافة والهامشية بشكل كبير، علاوة على ذلك، يؤدي تدهور البيئة الرعوية إلى انخفاض إنتاجية الثروة الحيوانية وبالتالي تقليل إنتاجية اللحوم والألبان، كما يصاحب التصحر تدهور في خصوبة التربة وتغير في خواصها

الفيزيائية والكيميائية والتعرض لتعرية المياه (جامعة الدول العربية، 2003)، وقد يؤدي هذا بدوره إلى انخفاض حجم الموارد الزراعية وانخفاض الأراضي الصالحة للزراعة مما يؤدي في النهاية إلى عواقب اجتماعية واقتصادية سلبية منها: تقلص مساحات الغابات والمراعي الطبيعية وعدم قدرة المراعي على توفير حاجة الحيوانات من الغذاء مما يؤدي إلى استيراد العلف الحيواني من الخارج، وبالتالي يتسبب في خسائر اقتصادية كبيرة، وبالمثل فإن تدمير الغابات والمحميات الطبيعية يلحق الضرر بالدخل القومي نتيجة لفقدان عائدات المنتجات (نحال، 1987)، كما يتسبب التصحر في العديد من الآثار البيئية السلبية مثل تشكل الكثبان الرملية وزحفها على الطرق والسكك الحديدية بالمناطق الحضرية والزراعية، كما يؤدي التصحر إلى تلوث الهواء بالغبار وتقليل التنوع البيولوجي وآثار بيئية سلبية أخرى.

جهود مكافحة التصحر في ليبيا

منذ أوائل الستينات من القرن الماضي، اتخذت إجراءات جادة لمكافحة التصحر في ليبيا بأفضل الطرق الممكنة (بن محمود، 2000)، كانت هذه الإجراءات جزءًا من سياسة واسعة في إطار الخطة الوطنية للتنمية الزراعية التي تأخذ في الاعتبار أهداف التنمية المحلية من جهة، والظروف البيئية القاسية السائدة في البلاد من جهة أخرى، وتشمل هذه الإجراءات الحد من زحف الكثبان الرملية بزراعة وإنشاء مصدات الرياح وإعادة تشجير أراضي الغابات البور، وقد شهدت البلاد حركة تشجير واسعة النطاق خلال النصف الثاني من القرن الماضي شملت أغلب الأراضي المتصحرة والمتدهورة بفعل التأثيرات السلبية للأنشطة البشرية والعوامل المناخية المختلفة، وقد استهدفت حركة التشجير هذه تحقيق التوازن البيئي الطبيعي وإعادة تأهيل تلك الأراضي وإدخالها ضمن سلسلة الإنتاج الزراعي بفعل مساهمة الغابات في تكامل هذه السلسلة من خلال الحماية التي توفرها الغابات للأراضي الزراعية كمصدات رياح وأحزمة وقائية والمساهمة في عدم تسرب مياه البحر إلى الداخل (مجلس التخطيط العام، 2003) اتخذت ليبيا الكثير من الإجراءات للحد من التصحر خلال العقود الماضية، ونفذت مجموعة من المشاريع المتنوعة من قبل الحكومات المتعاقبة في العديد من المجالات (مثل الغابات والمراعي وتثبيت الكثبان الرملية والحفاظ على التربة والمياه ومقاومة الانجراف والتنمية الزراعية المتكاملة)، ويمكن تلخيص الاستراتيجيات الرئيسية لمكافحة التصحر في ليبيا بما يلي:

1- أولت ليبيا اهتمامًا كبيرًا لتنمية الموارد المائية والحفاظ عليها من خلال تبني سياسة صارمة قصيرة الأجل وطويلة الأجل لمنع الاستنزاف الخطير لموارد المياه.

2- اتخذت العديد من الإجراءات التي من شأنها أن تساهم في حماية التربة وتحافظ على خصوبتها، مثل: اتباع طريقة تناوب المحاصيل (الدورة الزراعية) خاصة في مناطق التوسع في زراعة الحبوب للمحافظة على خصوبة التربة؛ وإعادة تشجير الأراضي البور، وحماية المراعي الطبيعية وتحسينها، وتشجيع إنشاء أنشطة اقتصادية غير زراعية، خاصة في المناطق المهددة بالنضوب الزراعي أو تدهور الجودة، كما انشأت المصاطب لمكافحة تآكل التربة، وتقليل أثر مياه الأمطار على الأراضي الزراعية المنحدرة (نحال، 1987).

3- أولت ليبيا اهتماما كبيرا لتحسين وتطوير المراعي فأقيمت مشاريع رعوية تعتمد على الأساليب العلمية لضمان الحفاظ على التوازن البيئي، وبذلت محاولات حكيمة لتنظيم الرعي وإعادة تأهيل الأراضي المتدهورة من خلال تنفيذ مجموعة من البرامج بهذا الشأن.

4- بذلت جهود كبيرة لإعادة تشجير الأراضي المهددة بالتعرية وزحف الصحراء؛ من أجل الحفاظ على التوازن البيئي الطبيعي، وتشمل هذه: حماية الأرض والتربة، وإنتاج بعض متطلبات المنتجات الحرجية، ومكافحة القطع الجائر للغابات، وتطوير الغابات الموجودة لزيادة إنتاجيتها، وإنشاء مشاتل لتلبية احتياجات مواطني المشاتل، ودعم زراعة الغابات الصغيرة، ومصدات الرياح، والحواجز الوقائية، وكذلك تلبية احتياجات المشاريع العامة عند إنشاء غابات جديدة، وسد متطلبات تشجير الطرق، علاوة على ذلك، فإن تحديد حقوق الاستغلال ومنع قطع بعض الأنواع وحمايتها من أضرار الحشرات، وتنظيم الرعي في الغابات الطبيعية هي من بين المبادرات الهامة (مجلس التخطيط العام، 2003).

وبالرغم من تلك الجهود التي بذلت في السابق، وتلك الإنجازات التي تحققت في كثير من قطاعات التنمية الزراعية، والتي كان لها علاقة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بمكافحة تدهور الأراضي وتصحرها، إلا أنه يوجد العديد من التحوطات المستقبلية التي يجب أخذها بجدية أكثر مما سبق، ذلك أن ظاهرة تدهور الأراضي وتصحرها سببت كثيراً من الكوارث البيئية في السنوات القليلة الماضية، وتعتبر ليبيا الآن من ضمن مناطق العالم المعرضة للتصحر، وأن الجهود التي تبدل حالياً في مقاومة تدهور الأراضي وتصحرها ضئيلة جداً مقارنة بسرعة التدهور واتساع رقعته، وأن الدراسات الفنية القائمة في الوقت الحاضر حول هذه الظاهرة غير كافية لإعطاء صورة واضحة على خطورة الموقف تحت قسوة الظروف الطبيعية غير المواتية، من نقص للمياه وتدهور مستمر في نوعيتها، وانخفاض في درجة إنتاجية التربة، وتدهور الغطاء النباتي (مصلحة التخطيط العمراني، 2005).

تأسيس المبادئ القانونية

إن إنشاء شبكة عالمية من المرافق المؤسسية والتقنية الوطنية والإقليمية والدولية للتقييم والرصد المستمر للتصحر قد نوقش بفعالية في العديد من منتديات البحوث البيئية، وخلص إلى أن هناك حاجة ملحة ومستمرة لتطوير القوانين والتشريعات لتكون بمثابة إطار عام للجهود المبذولة لمكافحة التصحر وتحقيق أهداف ومتطلبات التنمية المستدامة، وفي عام 1977م اعتمد مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالتصحر (UNCOD) خطة عمل لمكافحة التصحر (PACD)، كما دعا مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية (UNCED) في (ريو دي جانيرو) عام 1992 الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى إنشاء لجنة تفاوض حكومية دولية لوضع خطط استراتيجية لمكافحة التصحر في البلدان المتضررة، لا سيما في أفريقيا.

صادقت ليبيا على اتفاقيات دولية مهمة في مجال البيئة، مثل التنوع البيولوجي وتغير المناخ والتصحر، وأصدرت العديد من التشريعات لحماية البيئة والموارد الطبيعية بما في ذلك الزراعة والمراعي والتنمية الحضرية وتقنين استخدام المياه والتربة وحماية الموارد الطبيعية المتجددة وغير المتجددة وما إلى ذلك، وتعتبر ليبيا من الدول القليلة بالمنطقة التي تحضي بوجود تشريعات متطورة لغرض تقنين استغلال الموارد الطبيعية للبلاد ندكر منها:

قانون 26 لسنة 1972 بشأن إنشاء هيئة عامة للمياه تختص باقتراح السياسات والتشريعات العامة المتعلقة بالمياه، ومتابعة تنفيذها، وكذلك الإشراف على متابعة المشاريع المتعلقة باستخراج المياه وحفر الآبار وطرق استخدامها، حيث صدر قانون المياه سنة 1982م وهو يعالج الجوانب المتعلقة بملكية المصادر المائية وإدارتها، ومنح التراخيص لأغراض التنقيب والاستهلاك ومراقبة التلوث والعقوبات، وبحكم القانون فإن المياه ملكية عامة ولا يمكن استغلالها إلا بترخيص يحدد كمية ومدة الاستعمال، وعند تعرض منطقة ما للاستغلال المفرط ينتج عنه هبوط حاد في المنسوب وتدهور في النوعية يتم إخضاعها إلى نظام الحضر، كما يعالج القانون مشكلة التلوث.

من التشريعات ذات العلاقة بالسياسة المائية قانون حماية البيئة، قانون حفر آبار المياه، قانون الجرائم الاقتصادية، قانون حماية المراعي والغابات، قانون التفتيش الزراعي، بالإضافة إلى عدد من القرارات الصادرة عن اللجنة الشعبية العامة واللجنة الشعبية العامة للزراعة منها: قرار أمين الزراعة لمنع حفر آبار المياه بمنطقة سهل الجفارة والمنطقة الجبلية المحيطة عام 1979م، قرار بمنع زراعة أشجار الحمضيات عام (1976م)، قرار اللجنة الشعبية العامة باتخاذ بعض التدابير لإعادة تخطيط وتنمية الشريط الساحلي عام (1981م)، قرار أمين الزراعة بتنظيم الري عام (1983م)، كما صدرت العديد من القوانين الأخرى التي تصب في هذا المجال (حماية البيئة والموارد) منها: قانون 827 لسنة 1980م والخاص بإنشاء الهيئة العامة للبحث العلمي والهيئات التابعة لها المتخصصة في مختلف المجالات، قانون 5 لسنة 1982م والخاص بحماية المراعي والغابات، قانون 7 لسنة 1982م والخاص بحماية البيئة، القانون 790 لسنة 1982م، تنظيم عمليات الحفر والحفاظ على مصادر المياه، القانون 1 لسنة 1983م والخاص بالتفتيش الزراعي، قانون 15 لسنة 1984م والخاص بحماية الحيوانات والأشجار ومنع صيد الحيوانات البرية ومنع قطع الأشجار بسبب التوسع العمراني، قانون 72 لسنة 1988م الخاص بإنشاء المركز العربي لبحوث الصحراء وتنمية المجتمعات الصحراوية، والقانون 15 لسنة 1992م الخاص بحماية الأراضي الزراعية والمراعي والغابات وتحويلها إلى أراض زراعية مروية. والعديد من التشريعات التي تهدف بالدرجة الأولى لحماية البيئة والحفاظ على الموارد الطبيعية للدولة ومكافحة التصحر. ومع كل هذا، ومواكبةً للتغيرات التي حدثت في مجالات إدارة الموارد المائية والموارد الطبيعية الأخرى فقد بات من الضروري اتخاذ التدابير اللازمة لتحديث وتطوير التشريعات الحالية والتركيز على الاجراءات الوقائية وتبني أسلوب التحفيز والترغيب والمواءمة بين المصلحة العامة والخاصة وتعويض المتضررين من جراء تطبيق التشريعات.

النتائج

مما سبق اتضح أن التصحر له عواقب إيكولوجية واجتماعية واقتصادية وبيئية خطيرة، ومن ثم فإن عدم وجود استراتيجية مناسبة لمكافحة التصحر باستخدام مختلف الطرق والوسائل وعلى جميع المستويات قد يؤدي إلى عواقب وخيمة تشمل: تدهور وتدمير الموارد الطبيعية، وتقلص مساحات الأراضي المنتجة (الزراعية والرعوية) وانخفاض الإنتاج؛ وتملح التربة وتآكلها، وتكوين الكثبان الرملية، وتفتيت الموائل وانقراض الأنواع القيمة، وحدوث عواصف ترابية لها آثار بيئية خطيرة على النباتات والحيوانات والبشر، أهمها ترك الأرياف والهجرة إلى المدن، وتتمثل النتيجة الرئيسية للتصحر على المستويين المحلي والعالمي في انخفاض التنوع البيولوجي، حيث يساهم في تدمير موائل الأنواع الحيوانية والنباتية والكائنات الدقيقة.

وعلى الرغم من الجهود والإنجازات التي تحققت، فإن عوامل وأسباب التصحر ومظاهره وآثاره الضارة تحتاج إلى اهتمام خاص في ليبيا، حيث توجد العديد من العقبات والتحديات التي يجب مواجهتها بكل الوسائل الممكنة والتي منها:

1- ندرة الموارد المائية ومواسم الجفاف المتتالية مما يحد من نجاح المشاريع الزراعية واستصلاح الأراضي والزراعة.

2- زيادة مستوى العجز الغذائي نتيجة النمو السكاني السريع، واتساع الفجوة بين معدلات الإنتاج والاستهلاك، والتوسع المستمر في المناطق الحضرية الذي يتسبب في إلحاق الضرر بالإنتاج الزراعي.

3- الممارسات الخاطئة للسكان والاستغلال غير المنظم للموارد والبيئة.

4- التطبيق غير الصحيح للأحكام واللوائح القانونية والتشريعات التي تحكم العلاقات بين المواطنين والموارد الطبيعية والبيئية.

5- عدم وجود قاعدة بيانات شاملة للموارد الطبيعية بالبلاد.

6- قلة القوى العاملة الماهرة والموظفين المتخصصين في مجال حماية الموارد الطبيعية ومكافحة التصحر

أدت التغيرات المناخية إلى نشأت ظروف مناخية قاسية في المنطقة وخصوصاً بعنصري درجة الحرارة والأمطار حيث أدى التغيرات في هطول الأمطار إلى احداث ضغوطاً على موارد المياه العذبة والغطاء النباتي وقد يزداد الوضع سوءًا إذا لم توضع الحلول المناسبة لذلك.

أكد العديد من الباحثين أن مشكلة التصحر يمكن معالجتها أو التقليل من تأثيرها والحيلولة دون تفاقمها من خلال إعادة زراعة الأشجار في أحزمة الحماية كبرامج تشجير رئيسية، وزراعة الحشائش لتثبيت التربة ووقف التعرية بفعل الرياح والماء، واعتماد سياسة تناوب المحاصيل واستخدام السماد الطبيعي.

إن إعادة تأهيل كل الأراضي المتصحرة في ليبيا عملية صعبة وغير مربحة اقتصاديًا، ومع ذلك، يجب ايقاف عمليات الإساءة في استخدام الأرض والإفراط في استغلال الموارد بما يتجاوز القدرة الاستيعابية، وتنفيذ الإدارة المستدامة للأراضي للسيطرة على التصحر في المناطق المعرضة له، وهذا يتطلب فهم عملية التصحر بشكل أكثر وضوحًا ومعرفة تفصيلية حول مكان حدوث التصحر والتدرجات المكانية والجغرافية.

الخاتمة والتوصيات

أدى الضغط المتزايد على الموارد والمناخ القاسي وانخفاض خصوبة التربة إلى جعل النظم البيئية أكثر هشاشة وعرضة للتصحر مما يجعل استعادة الغطاء النباتي في الأراضي المتصحرة والمهجورة أمرًا مستحيلًا، لذا يلزم تطبيق الادارة المستدامة للأراضي وتقديم المساعدة البشرية من خلال استصلاح التربة واستخدام الأسمدة والري والرصد الدقيق باستخدام تكنولوجيا الاستشعار عن بعد بتغطيتها متعددة الأطياف والأوقات التي تقدم معلومات قيمة عن وضعية التصحر وحجمه الحقيقي وتغيراته بمرور الوقت؛ لذلك فإن رصد مؤشرات عمليات التصحر عن طريق تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية هي طريقة فعالة لفهم الخصائص الزمنية والمكانية لعملية التصحر بطريقة أكثر تكاملاً. وفي ضوء ما سبق فإن الدراسة توصي بما يلي:

1. الاهتمام بتنمية الموارد المائية والحفاظ عليها من خلال تبني سياسات صارمة لمنع الاستنزاف الخطير لموارد المياه.
2. اتخذت الإجراءات التي من شأنها أن تساهم في حماية التربة وتحافظ على خصوبتها، مثل: اتباع طريقة تناوب المحاصيل (الدورة الزراعية) خاصة في مناطق التوسع الزراعي وإعادة تشجير الأراضي البور، وحماية المناطق المهددة بالنضوب الزراعي أو تدهور الجودة.
3. الاهتمام بتحسين وتطوير المراعي واتباع الأساليب العلمية الحديثة لضمان الحفاظ على التوازن البيئي، وتنظيم الرعي وإعادة تأهيل الأراضي المتدهورة من خلال تنفيذ مجموعة من البرامج بهذا الشأن.
4. بذل المزيد من الجهود في مجال إعادة تشجير الأراضي المهددة بالتعرية وزحف الصحراء؛ من أجل الحفاظ على التوازن البيئي الطبيعي ووقف الزحف الصحراوي
5. مكافحة القطع الجائر للغابات، وتطوير الغابات الموجودة لزيادة إنتاجيتها، وإنشاء مشاتل لتلبية الاحتياجات العامة والخاصة ودعم زراعة الغابات الصغيرة، ومصدات الرياح، والحواجز الوقائية.
6. تطبيق القوانين والتشريعات الخاصة بحماية البيئة والموارد على المخالفين وانشاء المزيد من المحميات الطبيعة للمحافظة على الأنواع النادرة من النباتات والحيوانات من الانقراض.
7. تشجع وتكثيف الدراسات العلمية والأبحاث بهذا المجال ونشر الوعي بأهمية البيئة والموارد بين السكان، واشراك المواطنين في تنفيذ برامج مكافحة التصحر.
8. وضع برنامج عمل وطني لمكافحة تدهور الأراضي وتصحرها، يهدف إلى: مسح وتقييم دقيق لحالة التصحر الراهنة في ليبيا، والتعرف بدقة أكثر على العوامل المسببة، ومراقبة تدهور الأراضي وتصحرها بشكل دوري عن طريق استخدام تقنيات الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية التي أثبتت فعاليتها في فهم الخصائص الزمنية والمكانية لعملية التصحر.

المراجع

أولاً- المراجع العربية

1. أبو لقمة، الهادي (1995)، كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا ، الطبعة الأولى، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع ، سرت ، ليبيا ، ص 17.
2. أبوغليليشة، سالم محمد ؛ سعد، علي منصور، دراسة تحليلية لتناقص المساحة الزراعية في ليبيا وأهم أسبابها، المؤتمر العلمي الثالث للتنمية المكانية للأراضي الزراعية، (2019)، كلية التربية ناصر، جامعة الزاوية، الزاوية، ليبيا.
3. أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، الأطلس الوطني،1978 شركة إيسيلت لخدمة الخرائط، استكهولم، السويد.
4. امقيلي، امحمد عياد (2003)، مخاطر الجفاف والتصحر والظواهر المصاحبة لهما، الطبعة الأولى، شموع الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الزاوية، ليبيا.
5. امقيلي، امحمد عياد، (1993)، التغيرات المناخية وأثرها على الإنسان والبيئة، العدد الأول ، مجلة الجامعة.
6. امقيلي، امحمد عياد، (1995)، فصل المناخ، كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، (تح) الهادي أبولقمة وسعد القزيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، سرت.
7. البلوشي، علي بن سعد بن سالم (2003)، التصحر في سهل الباطن- سلطنة عمان، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
8. بن خيال، عبد الحميد (1995)، فصل الزراعة والثروة الحيوانية، كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، (تح) الهادي أبولقمة وسعد القزيري، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، سرت.
9. بن محمود، رمضان ؛ القماطي، منصور (2000)، تدهور الأراضي والتصحر في ليبيا، وحدة أبحاث تدهور الأراضي والتصحر، المركز الليبي للاستشعار عن بعد وعلوم الفضاء، طرابلس ، ليبيا.
10. جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتنمية الزراعية (2003)، دراسة حول مؤشرات رصد التصحر في الوطن العربي، الخرطوم، السودان.
11. سعد، علي منصور ؛ أبوغليليشة، سالم محمد (2016)، استخدام تقنيات الاستشعار عن بعد في تقييم تدهور الأراضي الزراعية وتصحرها بالمنطقة الشمالية الغربية من سهل الجفارة، الهيئة العامة للثقافة، مجلة القلم المبين، كلية التربية الأصابعة، جامعة الجبل الغربي، العدد الأول، الأصابعة، ليبيا.
12. سعد، علي منصور، النمو السكاني والحضري وأثره على انتشار ظاهرة التصحر بالمنطقة الشمالية الغربية من ليبيا، المؤتمر العلمي الرابع للبيئة والتنمية المستدامة بالمناطق الجافة وشبه الجافة، (2016)، اجدابيا، ليبيا.

13. فضل، محمد علي، أبولقمة، الهادي مصطفى (1995)، فصل الموارد المائية، كتاب الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، (تح) الهادي أبو لقمة ، سعد القزيري ، الطبعة الأولى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، سرت، ليبيا.
14. مجلس التخطيط العام (2003)، تقرير حول السياسات الزراعية بليبيا، طرابلس، ليبيا.
15. المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (اكساد)، (2004)، حالة التصحر في الوطن العربي ووسائل وأساليب مكافحته (دراسة محدثة)، جامعة الدول العربية، برنامج الأمم المتحدة للبيئة.
16. مصلحة الإحصاء والتعداد، الكتاب الإحصائي 2015، نشرة سنوية تصدر عن مصلحة الإحصاء والتعداد، طرابلس، ليبيا.
17. نحال، ابراهيم (1987)، التصحر في الوطن العربي، المعهد العربي للتنمية، بيروت، لبنان.
18. الهيئة العامة للبنية التحتية والتنمية العمرانية إدارة التخطيط العمراني (2005). مشروع مخططات الجيل الثالث ، نطاق طرابلس التخطيطي ، تقرير العوامل البيئية.
19. الهيئة العامة للمعلومات، النتائج النهائية للتعداد العام للسكان لسنة 2006م، طرابلس، ليبيا.

ثانياً– المراجع الأجنبية

1. El Hassan I M (2004). Desertification Monitoring Using Remote Sensing Technology, international Conf. on Water Resources & Arid Environment.
2. El-Tantawi A M M (2005). Climate Change in Libya and Desertification of Jifara Plain: Using Geographical Information System and Remote Sensing Techniques, Dissertation, the Johannes Gutenberg University, Mainz, German.
3. FAO AQUASTAT database (2005). FAO's Information System on Water and Agriculture. Food and Agricultural Organization of the United Nations, Rome, Italy.
4. IPCC (2007). Climate Change 2007, IPCC Fourth Assessment Report Working Group I Report "The Physical Science Basis". Cambridge University Press, New York.
5. Mamdouh N (1999). Assessing Desertification and Water Harvesting in the Middle East and North Africa: Policy Implications, ZEF – Discussion Papers On Development Policy No. 10, Center for Development Research, Bonn, July 1999, pp. 59.
6. Saad, Ali Mansour. (2013).A Study of Desertification and Land Degradation in Northwest of Libya Using Remote Sensing. (Unpublished PhD thesis) Universiti Sains Malaysia, Benanig, Malaysia…
7. UNCCD (United Nations Convention to Combat Desertification) (1996).

8. UNCED (1992). Managing fragile ecosystems: combating Desertification and Drought (Agenda 21, Chapter 12), United Nations Conference on Environment and Development, (UNCED), Rio de Janeiro, Brazil.
9. UNEP (1991). Status of desertification and implementation of the United Nations plan of action to combat desertification. Nairobi, Kenya.

نظام تربية المماليك في الطباق تأسيسه وتطوره وانهياره

د. نعيمة عبدالسلام أبوشاقور
كلية التربية - القره بوللي - جامعة المرقب

تمهيد:

يعد نظام التربية المملوكي من بين أهم النظم المعروفة خلال المرحلة قيد الدراسة، باعتباره نموذجاً مختلفاً، أسهم في تخريج مجموعة من المختصين في مجالات مختلفة مثل: الجنود والعلماء والإداريين، وكان من بينهم من اتصف بصفات تجعل تصنيفهم الاجتماعي يصل إلى مرحلة القيادة فكان منهم الأمراء وأصحاب المناصب، ومن بين هؤلاء برز السلاطين الذين قادوا الدولة المملوكية في مراحل حاسمة من تاريخها.

وتكمن جودة مخرجات نظام تربية المماليك، في أنه اتسم بالصرامة والدقة، فنتج عنه ما يمكن اعتباره نموذجاً جيداً، بل وقادراً على تكوين قيادات قادرة على قيادة الدولة في المجالات المختلفة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وعندما دب الفساد فيه، بدأت بوادر الفوضى تعم الدولة المملوكية، وتقضى على هيبتها بالتزامن مع عوامل أخرى، لذا ستتم في هذه الورقة البحثية مناقشة تأسيس نظام تربية المماليك في الطباق وتطوره ثم انهياره.

ماهية المماليك وطرق الحصول عليهم:

المملوك لغة هو: العبد، وقد تم تصنيف العبودية إلى من مُلك ولم يُملك أبواه، أي تم سبيه، فيستعبد بعد أن كان حراً، والعبد القن: هو الذي مُلك هو وأبواه، ويقال القن المشترى: فعبوديته موروثة (ابن منظور، (د.ت)، ص 4267)، أما اصطلاحاً: المماليك يدل على دولة قامت في مصر خلال العصر العباسي الثالث وامتدت حدودها لتشمل الشام والحجاز، ودام حكمها منذ سقوط الدولة الأيوبية عام (648هـ/1250م)، واستمرت حتى عام (923هـ/1517م)، وكان لها دور جهادي مهم في محاربة المغول والصليبيين (موسوعة ويكيبيديا، مادة (الدولة المملوكية) http://ar.wikipedia.org/wiki)، ويقسم أمراء المماليك إلى أربع طبقات: أمراء المئين مقدمو الألوف، وأمراء الطبلخاناه، وأمراء العشرات، وأمراء الخمسات، أما الأجناد فينقسموا إلى المماليك السلطانية، وأجناد الحلقة (القلقشندي، 1914م، ج4، ص ص 14–16)، وقد تم تقسيمهم إلى:

1. المماليك الأسياد: وهو مصطلح يطلق على أبناء السلاطين ممن لم يستلم الحكم، وكان الواحد منهم يلقب بسيدي (حلاق، حسن، عباس صباغ، 1999م، ص 210؛ محمد أحمد دهمان، 1990م، ص 144).
2. مماليك الأمراء: وهم المماليك التابعين للأمراء مباشرة، وتتألف منهم الوحدات الحربية التي يذهب بها الأمراء مع السلطان للحرب (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 210).

3. المماليك البحرية: وهم حراس السلطان المملوكي في الليل والنهار، وسمُّوا بالبحرية لإقامتهم في جزيرة الروضة، وكانوا من أجناس مختلفة، وينتمي إليهم السلاطين حتى عام (1390م) (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 210؛ محمد أحمد دهمان، 1990، ص 144).
4. المماليك البرانية: وهم المماليك الذين ليسوا من الخاصكية، ويقابلهم المماليك الجوانية (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 210).
5. المماليك البرجية: وهي فرقة المماليك المغول والجراكسة التي أنشأها السلطان قلاوون، وأسكن أفرادها في برج القاهرة، وكان منهم السلاطين ما بين عامي (1382م–1517م) (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 210؛ محمد أحمد دهمان، 1990م، ص 145).
6. المماليك الجلبان: وهو مصطلح أُطلق على المماليك الذين يشتريهم السلطان في عهده (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 211).
7. المماليك الجوانية: وهم المماليك الخاصكية (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 211).
8. المماليك الخرج: وهم مماليك يتم استأجراهم لأداء مهام مختلفة (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 211).
9. المماليك السلطانية: وهم من أعظم الأجناد شأناً وأرفعهم قدراً، وهم المماليك الذين يشتريهم السلطان، أو ممن يبقيهم من مماليك السلاطين السابقين (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 211؛ محمد أحمد دهمان، 1990م، ص 145).
10. المماليك القراصنة (القرانصة): وهم المماليك القدامى الذين بقوا في خدمة السلطان الحاكم، ويقابلهم المماليك الجلبان الذين تم شراؤهم في عهد السلطان الحاكم (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 211؛ محمد أحمد دهمان، 1990م، ص 144).

وتكمن أهمية هذا التصنيف في تقسيم المماليك إلى مجموعات، وتسجيلهم في قوائم من أجل حصولهم على الجاميكيات والإقطاعات (النويري، 2004م، ج32، ص 174؛ الجامكية: هي مرتب خدم الدولة من العساكر والموظفين، محمد أحمد دهمان، 1990م، ص 56).

أصل المماليك:

يكتنف أصل المماليك نوع من الغموض، إذ تشير إحدى الروايات إلى أن حملات جنكيز خان في منطقتي القفجاق واللان، والتي جاءت بسبب الصراع القبلي بين قبيلتي دورت وطقصبا، كان لها دور في تزايد تجارة الرقيق في المنطقة، لأنها وفرت لهم هذه السلعة التي يتم بيعها في مناطق مختلفة (النويري، (د.ت)، ج29، ص ص 268–269؛ ابن دقماق، 1985م، ج 2، ص 51 ؛ العيني، 1987م، ج1، ص ص 64 – 65)، فيما تؤكد رواية أخرى أن بلاد القفحاق كانت مركزاً معروفاً من مراكز تجارة الرقيق قبل دخول التتار إليها، ويوجد بعاصمتها سوداق نشاط ملحوظ لهذه التجارة دون تحديد مصدر الرقيق (ابن الأثير، 2012م، ج 2، ص 2303).

ويبدو أن الرقيق الذي يتم تداوله كسلع تجارية هناك كان من العنصر التركي، إلا أنه لم يكن يشكل العنصر الوحيد الممول للرقيق، ذلك أن الإشارات التي تتناول تاريخ المماليك تبين أنهم ينتمون إلى أثنيات عرقية مختلفة (ينظر

مثلا: المقريزي، 1998م، ج3، ص 67)، فضلا عن تنوع عقائدي، حيث صنفتهم رواية ابن الأثير بأنهم من المسلمين والكفار(ابن الأثير، 2012م، ج 2، ص ص 2303، 2310)، وهو التصنيف المتعارف عليه عند المسلمين والذي تم بموجبه تقسيم البلاد بين دار إسلام ودار كفر(السرخسي، 1324هـ، ج10، ص 114؛ ابن قيم الجوزية، 1983م، ج1، ص 366).

ولئن كانت رواية كل من النويري وابن دقماق قد ربطت تجارة الرقيق بحملات المغول على مناطق القفجاق واللان (النويري، (د.ت)، ج 29، ص ص 416–417؛ ابن دقماق، 1985م، ج2، ص 51)، فإن رواية النويري انفردت بالحديث عن دور الصراعات القبلية في تحول كثير من أبناء القبائل التركية إلى رقيق، دون توضيح الجهة التي عملت على بيعهم، حيث أكدت الرواية على أن عمليات البيع كانت تتم فعلا، وأن التجار كانوا ينقلون الرقيق إلى أسواق مختلفة عن مناطق البيع (النويري، (د.ت)، ج 29، ص ص 416–417)، بينما تشير رواية ابن الأثير إلى وجود نشاط كبير لتجار الرقيق في بلاد (القفجاق)، الأمر الذي يجعلها تجارة مستمرة وغير مرتبطة بالعمليات العسكرية للمغول أو غيرهم، إلا أنها صمتت عن الحديث عن المصادر الرئيسية لتجارة الرقيق في المنطقة (ابن الأثير، 2012م، ج 2، ص 2303).

تشير الروايات المطلع عليها وجود تعاون بين دولة المماليك في عهد السلطان الظاهر بيبرس، وبعض الممالك المجاورة، والتي يُعتقد أنها قد جاءت بناءً على اتفاقيات تسهيل تجارية بين الطرفين، وتشمل تسليم التجار الذين يتهربون من استكمال عقود استيراد الرقيق المتفق عليه مع السلطان، والذي تم تسديد قيمتها سلفاً، أو في حالة تقييد حرية تاجر الرقيق، وعدم السماح له بالعودة مع بضاعته إلى مصر، فضلا عن أن الدولة المملوكية كان تعفي تجار الرقيق المترددين على بلاد القفجاق من ضرائب الصادر والوارد، ويشمل الاعفاء دولاً مجاورة مثل: مملكة بركة خان ومنكوتمر وبلاد فارس وكرمان (ابن تغري بردي، 1992م، ج7، ص ص 161–162).

كان للأحوال الاقتصادية والعسكرية السيئة دور في انتشار بيع الرقيق، حيث تتم عملية البيع بوجود وسيط –قد يكون الأب الذي يبيع أبناؤه أو الأخ الذي يبيع أخاه– ويتضمن عرض البيع صفات العبد وجنسيته، وهي عوامل مهمة في تحديد قيمة الرقيق، مع ضمان رد النقود في حالة إصابة الرقيق بالطاعون خلال ستين يوماً من تاريخ البيع (كان من أسباب بيع الآباء القفجاق لأبنائهم وبناتهم رغبتهم في الهجرة إلى إيران، العمري، 2010م، ج 3، ص 150؛ طافور، 2002م، ص ص 133–134).

إن عملية بيع الرقيق وفق ما وردت في المصادر المطلع عليها تبين وجود شبكات اجتماعية واقتصادية لها دور في تنشيط عملية البيع من خلال التنظيمات والتسهيلات التي يقوم بها التجار لترويج الرقيق، مدعمة بقبول من السلطات الحاكمة حول مكان البيع والشراء، فقد كان ملوك (القفجاق) إذا غضبوا على أحد من أتباعهم أخذوا ماله وباعوا أولاده، وإذا سرق أحدهم استحق المسروق له مال السارق وأولاده وباعهم (ابن الأثير، 2012م، ج 2، ص 2303؛ طافور، 2002م، ص ص 65، 133–140؛ المقريزي، 1997م، ج 3، ص ص 43، 54، ج5، ص 212؛ العمري، 2010م، ج3، ص 149).

ظهرت في مصر شبكة من التجار الذين لقبوا بالخواجا أو الخواجات، وهو مصطلح يدل على فئة من التجار تخصصوا في تجارة الرقيق، التي كانت رائجة آنذاك، منهم التاجر إسماعيل محمد بن ياقوت الخواجا مجد الدين

السلامي، ويُعرف بتاجر الخاص في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون حيث كان يسافر إلى بلاد التتر، ويجلب الرقيق من هناك، ويُذكر أنه ولد في السلامية من أعمال الموصل عام (671هـ/1272م)، وتوفي عام (743هـ/1342م)، والتاجر الخواجا علاء الدين السوسي الذي تخصص كذلك في تجارة الرقيق (المقريزي، 1998م، ج 2، ص 483؛ والخواجا: لفظ فارسي ومعناها السيد ورب البيت والتاجر الغني، محمد أحمد دهمان، 1990م، ص 69)، ويُعتقد أنه ينتمي إلى مدينة سوسة في إفريقية، والخواجا عثمان الذي قد يكون تاجراً تركياً، لأنه لا يعرف العربية ولا يتحدث إلا التركية (ابن تغري بردي، 1985م، ج3، ص ص 285–286؛ الصيرفي، 1970م، ج1، ص 33)، وأخيه الخواجا علي (المقريزي، 1997م، ج 5، ص 212)، والتاجر بدر الدين حسن الرومي (العمري، 2010م، ج 3، ص 151)، والخواجا عثمان بن مسافر(ابن إياس، 2006م، ص 237).

عصبية المماليك أو نظام العصبية الجديدة:

إن مقومات تأسيس دول العصور الوسطى تستند إلى عصبية قائمة على علاقة الدم، ففي رأي ابن خلدون أن تأسيس الدول لا يتم إلا من خلال حصول مجموعة من الأسباب من أهمها الغلبة التي تحتاج إلى عصبية تساعد على قيامها، وتتم من خلال الانتساب إلى بيت واحد، حيث قال:" "الرياسة لا تكون إلا بالغلب، والغلب إنما يكون بالعصبية... فلا بد في الرياسة على القوم أن تكون من عصبية غالبة لعصبياتهم واحدة واحدة، لأن كل عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم أقروا بالإذعان والاتباع" (ابن خلدون، 1992م، ج1، ص ص 140–142)، وهذ الرأي في اعتقادي قادر على تفسر استمرار دولة المماليك، وليس تأسيسها، لأن مسألة انتماء مؤسسي الدولة لفئة الموالي، أو كما تم التوافق على تسميتهم بالمماليك، لا يعطيهم أحقية تأسيس دولة قوية استناداً إلى هذا التحليل، ولكن في مراحل تالية عن مرحلة التأسيس أستعان السلاطين بعصابيتهم التي دعمتهم، فضلا عن تكوين علاقات اجتماعية دافعة ومساندة.

لذا كانت مسألة تأسيس دولة المماليك قد اتسمت بعدم شرعيتها، نتيجة غياب عنصر مهم تم التأكيد عليه منذ مرحلة الإسلام المبكر، استناداً إلى قرشية الخلافة والحرية، وهو الذي منح الدولة الأموية والعباسية منزلتهما بسبب انتماء مؤسسيهما لبيت النبوة أو لقريش، وهي معضلة كبيرة عانى منها المماليك، مما جعلهم يبتكرون أنماطاً جديدة، وتفسيراً مختلفاً للعصبية القبيلة المكونة للمُلك من خلال القرب من أصحاب النسب القائم في مصر قبل تأسيسهم لدولتهم، أو الأسرة الحاكمة من الأحرار والمتمثلة في الدولة الأيوبية، فكان من المنطقي أن نجد تسميات مثل: المماليك الكاملية نسبة للسلطان الكامل، والمماليك الأشرفية نسبة للسلطان الأشرف، والمماليك الصالحية نسبة للملك الصالح نجم الدين أيوب الذي اشتراهم (المقريزي، 1997م، ج1، ص ص 402، 405، 463، والمماليك البحرية هم المماليك الصالحية).

قام سلاطين المماليك بالبحث عن مخرج لموضوعين مهمين كانا مثار تساؤل، وهما مرتبطين بأحقيتهم في السلطنة، الأول منهما: عدم أحقية العبد تولي أمور المسلمين، والتي تم حلها من خلال فتوى الشيخ العز بن عبدالسلام خلال عهد السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وتحديداً عام (639هـ/1242م)، حيث أفتى ببيع الأمراء المماليك، وصرف الأموال التي اشتراهم بها في مصالح المسلمين (ابن إياس، 2008م، ج1، ق1، ص 274؛ عندما أبطل الشيخ العز بن عبد السلام العقود التي أبرمها المماليك لعدم جوازها، حدث اضطراب كبير داخل مصر لاسيما

بين شريحة الأمراء المماليك أنفسهم، ومن جملة ما قاله نائب السلطنة عندما عرض الشيخ العز المماليك للبيع، "كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض"، السيوطي، 2004م، ج2، ص ص 126–127)، والثاني: ضرورة حصول مباركة من الخليفة الذي ينتمي لقبيلة قريش، وهو مبدأ ترسخ منذ الإسلام المبكر كشرط لمن يحكم المسلمين، لاسيما والخلافة العباسية في بغداد قد سقطت منذ هجوم التتار عليها عام (656هـ/1258م)، حيث قام السلطان الظاهر بيبرس بإحياء الخلافة العباسية عام (659هـ/1261م)، وحصل من خلالها على مباركة الخليفة العباسي المستنصر له بالحكم (المنصوري، 1993م، ص ص 16–17؛ ابن كثير، 1992م، ج7، ص ص 220–221؛ ابن تغري بردي، 1992م، ج2، ص ص 98–102)، وهي مسألة دقيقة جداً ساعدت سلاطين المماليك من دعم سلطانهم، وتقوية دولتهم (السيوطي، 2004م، ج2، ص 75)، وعندما أصبحت دولة المماليك قوية، بدأوا يرتبطون بأسماء السلاطين الأقوياء الذين باتت قوتهم تمثل الشرعية في تلك المرحلة (مثلا المماليك الظاهرية نسبة للسلطان الظاهر بيبرس البندقداري).

أفرز جلب المماليك من مناطق مختلفة وجود تعددية في أصول ما تم جلبه منهم لاسيما في بدايات دولة المماليك، ثم بدأ التنوع يقل إذ بدأ السلاطين يميلون إلى اختيار نوعية أو أصل محدد للمماليك الذين يتم جلبهم بناء على أصل السلطان نفسه، مما أدى إلى الاتجاه إلى تكوين نوع جديد ومختلف من العصبيات القبلية، وقد بدأ الأمر بالتبلور منذ عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب عندما رغب في شراء المماليك من الأتراك، "ثم صار من مماليكه من انتهي إلى الملك والسلطنة، فمالت كل جنسية إلى الجنسية، ووقعت الرغبة في الاستكثار منهم حتى أصبحت مصر بهم آهلة المعالم... أما في زماننا (ويعني في عهد القلقشندي ت:821هـ/1418م)... فإنه منذ قام السلطان الملك الظاهر برقوق من جنس الجركس، رغب في المماليك الجراكسة حتى صار منهم أكثر الأمراء والجند، وقلت المماليك الترك من الديار المصرية حتى لم يبق منهم إلا القليل من بقاياهم وأولادهم" (القلقشندي، 1914م، ج4، ص 458).

وتكمن أهمية النص السابق في أن فكرة العصبية القائمة على الدم والأصل الواحد الذي يسهم في استمرار السلطان من جنس معين في تولى السلطنة، أو استمرار لنفس العصبية التي ينتمي إليها قائم، بل ومتزامن مع إيجاد علاقات اجتماعية جديدة، ولكن قبل الحديث عن مثل هذه العلاقات الاجتماعية التي سادت دولة المماليك، يجب الإشارة إلى الهيكلية التي ميزت مجتمعات العصور الوسطى من ناحية البناء العسكري/الاجتماعي والذي تميز بانتشار قيم الفروسية وأخلاقيات الفرسان.

نظام الفروسية وتأثيره في اختيار السلطان:

تتضح مظاهر الفروسية في ثلاثة أشياء: ركوب الخيل، والمسابقة عليها، والرمي بالنشاب واللعب بالرمح، وتشمل أنواعا هي: ركوب الخيل والكر والفر بها، والرمي بالقوس، والمطاعنة بالرماح، والمداورة بالسيوف (ابن قيم الجوزية، 1991م، ص ص 26–27).

ولئن كان مصطلح الفروسية يعني القدرة على استخدام الخيول والبراعة في امتطائها والقتال بها، أو استعمالها في الرياضات المعروفة، فإنه كان نمطاً تدريبياً أخلاقياً، يؤهل الفارس للحصول على صفات معينة تسهم في صقل شخصيته وتطوير مهاراته، وتطويع مقدراته، وتكوين علاقة مميزة بينه وبين حصانه، وهي تربية وتطويع للفارس

والحصان، واكتساب المهارات في الألعاب والحروب، وهي تحمل معاني تجسد مفاهيم الشرف والشجاعة لاسيما في القتال والرجولة وقواعد السلوك الحسن، والمعروفة بالنبل أو النبالة، مما يجعلها منظومة أخلاقية تسعى إلى تحسين الإنجاز بشكل مستمر (Abels, Richard).

وهذا النمط من التربية والتأهيل رغم ارتباطه بالنظام الاقطاعي المميز للعصور الوسطى في أوروبا (chivalry)، فإن علاقة الإنسان بالحصان علاقة قديمة، مرت بأطوار كثيرة، كما كان للعرب اهتمام كبير بقيم الفروسية لاسيّما والحروب في تلك المراحل كانت تتم باستخدام الجياد، فكان من الطبيعي أن يتم التركيز على التدريب على الفروسية بهدف اكتساب أخلاقيات الفرسان.

ولئن تمكن المماليك من الوصول إلى العرش وتكوين دولتهم وفق مبدأ الجدارة والقوة، فإن قيم الفروسية كان لها دور مهم في اختيار من يتولى العرش من بينهم باعتبارها معبرة عن جدارة السلطان وقوته، فالمماليك احتاجوا إلى الشرعية، وتمكنوا من ابتكار وسائل لدعم توليتهم عرش السلطنة باعتبارهم نواب عن الخليفة العباسي لاسيما بعد قيامهم بإحياء الخلافة لعباسية في القاهرة عام (659هـ/1261م) (المقريزي، 1997م، ج1، ص 532؛ ابن تغري بردي، 1992م، ج7، ص 102)، والذي جاء تالياً للدعوات التي تحرض على ضرورة أن يكون العرش لسلطان من البيت الأيوبي، حيث كان هناك استجابة لهذا المقترح في عهد السلطان المعز أيبك (المقريزي، 1997م، ج1، ص 464؛ ابن تغري بردي، 1992م، ج7، ص ص 5–6).

كما أن فكرة توريث السلطة للابن بعد وفاة أبيه السلطان، كانت قائمة ولكنها تغيب في الحالات التي يكون فيها الابن لا يتمتع بقيم الجدارة والفروسية، فيتم استبعاده واختيار أمير قادر على تحمل أعباء الحكم في مرحلة شديدة الأهمية مع وجود الخطر المغولي الذي يهدد الشام ومصر (المقريزي، 1997م، ج1، ص 507؛ ابن تغري بردي، 1992م، ج7، ص ص 68، 244).

أسهم البناء الاجتماعي الذي شكله السلطان الصالح نجم الدين أيوب، وسار عليه المماليك من بعده في ترسيخ أهمية المماليك في البناء العسكري للدولة، والذي ساعدهم في الوصول إلى سدة الحكم، باعتبارهم قادة عسكريين وولاة أمر وفرسان، لأننا في كل مرة نجد أن فكرة فروسيتهم تكون مسيطرة وواضحة على ما عداها من صفات لاسيما وأنه كان لهم دور مهم في محاربة الخطر الذي يهدد العالم الإسلامي آنذاك، وأعني هنا المغول وغيرهم.

لقد أسس المماليك بناءهم الاجتماعي وفق عصبية المماليك دون غيرهم، فلا نجد أهمية لعناصر من غيرهم في تولى الحكم، أو حتى القبول بفكرة تكوين شخصية قيادية قد تصل إلى سدة الحكم، مما جعل الكرسي مناطاً بهم دون غيرهم.

ومما يؤكد قيم الفروسية وأهميتها في اختيار السلطان، أنها كانت في بعض الأحيان معياراً واضحاً في استبدال حاكم بأخر، وهو ما نلمسه في اختيار السلطان قطز علي سبيل المثال، والذي وقع الاختيار عليه باعتباره "نائب الملك وزعيم الجيش وهو معروف بالشجاعة والفروسية" (العيني، 1987م، ج1، ص ص 143، 217، 220)، وبذلك تم استبدال نظام التوريث الذي كاد يصبح نظاماً متعاملاً به في دولة المماليك إلى معايير الجدارة والفروسية والشجاعة إلا أن الاستبدال لم يكن متاحاً في كل مراحل الدولة المملوكية، وبخاصة في عهد البحرية حيث كان التوريث موجوداً بين فترة حكم وأخرى، ولكنه كان محاطاً بقيم الفروسية، والمحافظة على علاقة الولاء للسلطان

الراحل (ينظر مثلا: ابن تغري بردي، 1992م، ج 7، ص ص 53، 243–244، 248– 249؛ ابن إياس، 2006م، ص ص 112–114، 127–128).

ونجد الأمر يتكرر عند الحديث عن تولية السلطان قلاوون الألفي الحكم حيث تمكن من الالتفاف على التوريث بقوة الفروسية والجدارة والنضج مقارنة بالملك العادل سيف الدين سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس (ينظر مثلا: ابن تغري بردي، 1992م، ج 7، ص ص 53، 243–244، 248–249؛ ابن إياس، 2006م، ص ص 112–114، 127–128).

الأستاذية والخشداشية:

تعبر الأستاذية والخشداشية عن علاقات اجتماعية ميزت حياة المماليك، فالأستاذية أو الأستاذ: وهو مصطلح من أصل فارسي، يعني المعلم أو المربي، وهو يدل على من يشتري المملوك بماله ويربيه ثم يعتقه عند الكبر، وتعتبر الأستاذية من أقوى الروابط بين المملوك وأستاذه (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 17؛ محمد أحمد دهمان، 1990م، ص 14).

أما الخشداش: فهو لفظ فارسي أيضا، يعني الزميل في الخدمة، وهو مشتق من خواجة بمعني السيد، وتاش لاحقة تركية تفيد المشاركة، وتُجمع على خشداشية، وهم الأمراء الذين نشأوا مماليك عند سيد واحد، فنمت بينهم رابطة زمالة، وكان لهذه الرابطة أثرها في حوادث المماليك، بسبب قلة الروابط بينهم، فكانوا يجلبون من مختلف أسواق النخاسة، وليس بينهم رابطة سوى ما يحدث لأحدهم من أمور وشؤون مثل: أن ينشأ عدد منهم عند سيد واحد (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 83؛ محمد أحمد دهمان، 1990م، ص ص 68–69).

لقد تمكن المماليك من تكوين ما يشبه العصبية القائمة على العلاقات الاجتماعية فيما بينهم كحل بديل لعلاقات اجتماعية مفقودة، فالأستاذ بديل للأب، والخشداش بديل للأخ، وعلى الرغم من أهمية هذه العلاقة المستحدثة فإنها شكلت خطورة على السلطان، لأن لخشداشية أي أمير القدرة على مساعدته فى الوصول إلى العرش وتولى الحكم، ولكنهم قادرون في نفس الوقت على إزاحته وتغييره لاسيما في حالة اعتبارهم لتصرفات السلطان انتقاصاً من حقوقهم وضرباً لمصالحهم (المقريزي، 1997م، ج 2، ص ص 479، 483 – 485 ؛ يراجع كذلك جواب الأمير علم الدين سنجر الباشقردي لسلطان الروم بعد فرارهم إليه هرباً من المعز: "إن كان الملك المعز قال في كتابه أنه أستاذنا فقد أخطأ، إنما هو خوشداشنا ونحن وليناه علينا، وكان فينا من هو أكبر منه سنا وقدراً وأفرس وأحق بالمملكة، فقتل بعضنا وحبس بعضنا وغرّق بعضنا، فمر بنا منه وتشتتنا في البلاد"، (المقريزي، 1997م، ج2، ص 458؛ ابن دقماق، 1985م، ج2، ص 95).

كما أنه أسهم في تأسيس اتفاق شفهي يتضمن بنوداً منها: عدم قدرة المملوك على استرقاق المماليك الذين تربطهم به علاقة خشداشية، وإن كان المملوك سلطاناً، أو أميراً كبيراً من أمراء المماليك (ابن دقماق، 1985م، ج2، ص 41؛ المقريزي، 1997م، ج1، ص 484، ج2، ص 31)، فضلا عن عدم الخروج على طاعة الأستاذ، أو من ينتسب له بنسب اجتماعي، مثل: أبنائه أو زوجته أو جواريه أو آل بيته (كان الصالح نجم الدين أيوب أستاذ الترك، ابن دقماق، 1985م، ص 39).

نظام التربية المملوكي:

لم يكن اقتناء المماليك حالة خاصة بالدولة المملوكية، ذلك أن الرق واسترقاق البشر كان سائداً في العصور الوسطى، وله مؤسساته وتجاره، وهناك شبكات مخصصة للقيام بهذا العمل، تعمل وفق ضوابط محددة وشروط قائمة، تتعرض للتعديل حسب حاجة السوق ومتطلبات الحصول على المملوك (الجاحظ، (د.ت)، ص ص 161-163)، ولكن ما يميز الرقيق في دولة المماليك أنهم نشأوا في ظل ظروف جيدة، وكان لهم نظام محدد في التربية له أهدافه وطرقه وأنماطه، ويظل أهم ما يميز نظام التربية المملوكي هو مخرجاته التي أدت إلى تكوين شريحة من الفرسان أصحاب الهمم العالية والطموح الكبير، والصفات التي أوصلتهم إلى سدة الحكم في منطقة شديدة الأهمية خلال مرحلة تاريخية معقدة، عانت فيها بلاد المسلمين من حملات عسكرية متتالية كان هدفها الاستيطان وتكوين الممالك ونشر الديانات ومحاربة الإسلام.

ولعل الجذور الأولى لتنظيم المماليك تعود إلى عهد الصالح نجم الدين أيوب أخر ملوك الدولة الأيوبية، إذا استثنينا ابنه الملك تورانشاه وزوجته شجر الدر، وكانت بدايته عندما أسس في جزيرة الروضة ما يشبه مكان إقامة خاص بالمماليك، وإن كانت المصادر المطلع عليها لم تنجح في تقديم معلومات كافية لماهية النظام التي تم وضع أسسه، إذ قد تكون الفكرة وليدة تجربة ابتكرها الصالح نجم الدين أيوب، أو أنه كان مطلعاً على نظام مماثل، وحاول تطبيقه في مصر لاسيّما والعلاقة بينه وبين الخوارزمية بدأت تسوء، ولم يعد له موالين وأنصار، يهتمون بمصلحة سلطانهم وولائهم له دون غيره (المقريزي، 1997م، ج 1، ص ص 384، 406، 424).

تتم تربية المماليك في الطباق، ويعرّف بأنه جمع طبقة، وهي ثكنات الجند المماليك بقلعة الجبل في القاهرة (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 144؛ محمد أحمد دهمان، 1990م، ص 105)، وتُعرف كذلك بطباق المماليك الشريفة السلطانية، وتتكون من اثنتي عشرة طبقة وذلك في عهد السلطان قلاوون (الظاهري، 2011م، ص 26)، وهذا النمط المعماري يتوافق ما كان معروفاً في مباني مدينة القاهرة، إذ كانت بيوتها تتكون من عدة طبقات (ناصر خسرو، 1993م، ص ص 106، 116؛ القلقشندي، 1914م، ج3، ص 366)، حيث كانت كل طبقة من الطباق تضم مماليك مجلوبين من بلد واحد (حسن حلاق، عباس صباغ، 1999م، ص 144؛ محمد أحمد دهمان، 1990م، ص 105)، ويعادل حجمها حارة، وهي تشمل عدة مساكن، وتتسع كل طبقة منها لألف مملوك (الظاهري، 2011م، ص 26)، وهذا الاتساع في الطباق جاء بناء على التطوير الذي قام به السلطان قلاوون، الذي كان محباً لاقتناء المماليك فقد بلغ عدد مماليكه إثني عشر ألف مملوك، فكان يجلس في الرحبة، ويخرج كل طبقة من المماليك ليتعرف على مهاراتهم القتالية (ابن دقماق، 1985م، ص 101؛ المقريزي، 1998م، ج 3، ص 213).

إن الصورة التي قدمها المقريزي لتربية المملوك تبين أنها تتم وفق نظام صارم ومحكم، حيث تبدأ من لحظة عرض التاجر المملوك على السلطان بغرض بيعه، فإذ قبل شرائه سُمح له بالإقامة في طبقة مناسبة له من ناحية أصله، ثم "سلمه لطواشي برسم الكتابة، فأول ما يبدأ تعليمه ما يحتاج إليه من القرآن الكريم، وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر إليها كل يوم، ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخط والتمرّن بآداب الشريعة وملازمة الصلاة والأذكار... فإذا شب الواحد من المماليك علمه الفقيه شيئا من الفقه، وأقرأه فيه مقدمة، فإذا صار إلى سن البلوغ

أُخذ في تعليمه أنواع الحرب من رمي السهام ولعب الرمح ونحو ذلك، فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج إليه، وإذا ركبوا إلى لعب الرماح، أو رمي النشاب، لا يجسر جندي ولا أمير أن يحدثهم أو يدنو منهم، فينقل إذنٍ إلى الخدمة، وينتقل في أطوارها رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من الأمراء" (المقريزي، 1998م، ج 3، ص ص 65–66).

ويبدو مما سبق التركيز على الجانب العقيدي من خلال تعليم المماليك القرآن الكريم وأحكام الفقه لتكون تنشئتهم على قواعد الدين الإسلامي، فضلا عن تعليمهم اللغة العربية من خلال فريق من المربين المجهزين للقيام بنظام التنشئة الذي اتسم بالصرامة والانعزالية التي أصبحت خصائص مكونة لنظام التربية المملوكي، حيث تسهم الانعزالية في عدم تأثير أي عناصر أخرى في عملية تربيتهم، والتي قد تكون تأثيراتها سلبية عليهم (عُرف هؤلاء المربين بالطواشية، وهم مجموعة من المماليك الخصيان المعينون لخدمة بيوت السلطان وحريمه، وكانت لهم حرمة وكلمة نافذة، ويرأسهم شيخ يطلق عليه شيخ الطواشية يعتبر من أعيان الناس، حسن حلاق، عباس صباغ، المعجم الجامع، ص 147؛ محمد أحمد دهمان، 1990م، ص 109).

وينبغي التنويه إلى أن تربية المملوك أسهمت في إفراز مقاتلة من نوع فريد، يتسمون بقدرات قتالية جيدة، لأن من بين أهم أسباب تأسيس نظام التربية المملوكي، تكوين جيش قوي قادر على الدخول في مواجهات عسكرية مع القوى المعادية للدولة المملوكية التي كانت تقوم بدور مهم في الدفاع عن الإسلام والمسلمين أمام أشد خطرين آنذاك وهما المغول والصليبيين، لذا كان من المنطقي أن يكون نظام التنشئة نظاماً محكماً وقوياً، لتكون له مخرجات جيدة لاسيّما وحروب المماليك مع المغول والصليبيين كانت طويلة ومرهقة، ومعروف أن الحروب الطويلة تستنزف القدرات العسكرية والمالية مهما كانت إمكانيات هذه الدول، إذ أن حروب دولة المماليك مع المغول على سبيل المثال استمرت خلال مراحل طويلة من تاريخها، إذ لم يكن انتصار المماليك في عين جالوت عام (658هـ/1260م) نهاية للحرب بينهما، كما أنها لم تكن الحرب الوحيدة أو الأخيرة، وإنما استمرت خلال المراحل التاريخية التالية، كما واجهت الدولة خطرا مغوليا آخر عام (802هـ/1399م) متمثلا في حملة تيمورلنك على العراق والشام (ملك الأمير تيمورلنك مدينة دلهه في الهند عام (802هـ/1399م)، وبدأ حملته على العراق والشام عام (803هـ/1400م)، وكان على المماليك بقيادة السلطان الناصر فرج بن الظاهر برقوق (802–808هـ/1399–1405م)، حيث رغب في مهاجمة مصر ولكن وفاته (عام 807هـ/1404م) حالت دون ذلك (ابن إياس، 2008م، ج1، ق2، ص ص 591–603، 709–710).

لقد ظل الصراع مع الصليبيين مستمراً حتى بعد تحرير عكا عام (690هـ/1291م)، حيث كان يهدد مصر والشام وبقية المنطقة، وكان على الدولة التركيز على الجهود العسكرية حتى تستطيع الدفاع عن ممتلكاتها لاسيما المسؤولية عن حماية الأماكن المقدسة (للاستزادة ينظر: سيد علي الحريري، 1985م، ص ص 352–355؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، (د.ت)، ج2، ص ص 355– 368، 372 – 387 ؛ ستيفن رنسيمان، 1997م، مج3، ق2، ص ص 693–713؛ فائز علي بخيت، 2013م، مج 7، ع 13، ص ص 4–14).

والملفت للنظر أن نظام التربية داخل الطباق لم يفرز أمراء ومقاتلين وعسكريين، والتي من شروط بلوغها أن يكون المملوك مهذب وأخلاقه عالية، وجمّ الأدب، وله مهارة في الفنون القتالية، فهو نظام مؤهل ليكون مكاناً لتخريج

الفقهاء والأدباء والمحاسبيين الجيدين (المقريزي، 1998م، ج3، ص 66)، مما جعله مدرسة متكاملة يتم فيها تلقى مختلف العلوم، وليس العلوم العسكرية فحسب، وذلك وفق ضوابط محددة ومراقبة صارمة من الطواشية ورؤوس النوب والخدم (المقريزي، 1998م، ج3، ص 66).

أسس نظام التربية المملوكي:

إن المتتبع لنظام التربية المملوكي يلاحظ أنه قد بدأ بصورته التي أوردها المقريزي في خططه في عهد السلطان قلاوون، حيث إنه كان شغوفاً بشراء المماليك بأعداد كبيرة، إذ قيل أن عددهم قد بلغ اثني عشر ألفاً، وتمت تنشئتهم وفق النظام المتبع، فصار منهم الأمراء الكبار والنواب، وتسلطن منهم عدة سلاطين، كما أنه لم يكن يفضّل جنساً من مماليكه عن الآخر، بل يميل لمن اتصف بالنجابة، حتى قيل أنه لو لم يكن من محاسنه إلا تربية مماليكه، وكف شرهم عن الناس لكفاه الله ذلك (ابن تغري بردي، 1992م، ج7، ص ص 277–278).

إن ما سبق يوضح أن نظام التربية وفق ما تمت الإشارة إليه، قد تم تطويره في عهد السلطان قلاوون، وذلك بعد استجلاب أعداد الهائلة من المماليك في عهده، والذين تربوا وفق النظام المتبع في الطباق، وهي التي شكلت خبر جلب المماليك في مراحل صغيرة من عمرهم، والذي يمكن اعتباره محاولة لاستدراك ما حدث في المراحل السابقة، لاسيّما عندما حاول البحرية الالتفاف على سلطنة عز الدين أيبك وعزله، أو عندما قاموا بقتل السلطان قطز (عن مقتل السلطان قطز؛ ينظر: المقريزي، 1997م، ج1، ص 519؛ ابن إياس، 2008م، ج1، ق1، ص ص 307–308)، فكان نظام التربية الصارم محاولة لتحسين أداء المماليك، وجعل ولائهم كاملا للسلطان الذي اشتراهم واهتم بتربيتهم (أشار ابن تغري بردي إلى مدى التزام المماليك وحسن تربيتهم في عهد السلطان قلاوون، 1992م، ج7، ص 278)، لاسيما بعد قيام السلطان قلاوون بالتخلص من خشداشيته (ابن دقماق، 1985م، ج2، ص 95؛ ابن إياس، 2006م، ص 129).

إن التطوير الذي قام به السلطان قلاوون يجعله المؤسس الحقيقي لنظام تربية المماليك، لأن الشواهد التاريخية بينت أن مماليك الملك الصالح نجم الدين أيوب والذين عُرفوا بالبحرية، لم يتم جلبهم في سن مبكرة، وبالتالي لم يتم إخضاعهم لنظام التربية المذكور (يُذكر أن الملك الصالح نجم الدين أيوب استكثر من مشترى المماليك الأتراك وقد بلغ عددهم ألف مملوك ضاقت بهم القاهرة وضج الناس بهم فبنى لهم قلعة الروضة وأسكنهم بها وسماهم المماليك البحرية وأجرى عليهم ما يكفيهم من اللحوم والجراية والجوامك (الأرزاق)، ابن إياس، 2008م، ج1، ق1، ص ص 269 – 270؛ ينظر كذلك: ابن تغري بردي، 1992م، ج6، ص 294)، ومما يؤكد أهمية نظام التربية وقوته، أن السلطان قلاوون قام في عام (680هـ/1281م) بإعطاء كيس من المال يحتوي على ألف دينار لكل مملوك قبل شن الحرب على التتار، وبعد انتهائها لم يُفقد شيئا من المال الذي أعاده المماليك كما هو (المقريزي، 1997م، ج 2، ص ص 146، 148).

إن العلاقة الرابطة بين السلطان ومماليكه تشبه إلى حد كبير، العلاقة بين الأب وأبنائه، وهو المثال الذي نجده قد بدأ منذ عهد الصالح نجم الدين أيوب ومماليكه، حيث تشير الشواهد إلى أنه عندما حدث صراع بين الملك العادل وأخيه الملك الصالح نجم الدين أيوب، لم يبق معه سوى ثمانين من مماليكه وعشرين من خواصه وذلك عام

(637هـ/1238م)، فقّدر لهم وقوفهم معه حين تفرق عنه مماليكه (الأكراد)، وهو الذي جعله يقرر شراء مماليك جدد من الأتراك، فجعل منهم أمراء دولته وبطانته (المقريزي، 1998م، ج 3، ص 236).

وتبرز هذه العلاقة المميزة بشدة عند الحديث عن علاقة السلطان قلاوون بمماليكه، فمن الملفت للنظر أن السلطان قلاوون قد عمل على إحداث تغيير في نظام التربية، بما يمكن اعتباره تجربة مختلفة، وذلك عندما فصل عدد ثلاثة آلاف وسبعمائة من مماليكه ممن ينتمون إلى الآص والجركسة في أبراج القلعة وسماهم البرجية (المقريزي، 1997م، ج2، ص 218).

وقد يكون سبب التعديل محاولته إثراء تجربة تربية المماليك، وتجاوز السلبيات التي تمت خلال المراحل السابقة من خلال نظام جديد يستدرك الخلل الذي قد طرأ على نظام التربية عن طريق تحديد جنس المماليك الذين تتم تربيتهم معا (مما يدل على الخلل الموجود في نظام التربية انعكاسه على تصرفات المماليك الذين أسهموا في تولية وعزل السلاطين من أبناء قلاوون فضلا عن محاولات قتل الأمراء وأصحاب المناصب، ينظر: ابن دقماق، 1985م، ج 2، ص ص 173–260)، إلا أن التجربة أسهمت في إحداث ضمور في نظام التربية خلال عهد المماليك البرجية، والذي نتج عنه زيادة تفعيل النعرة العصبية، مما أدى إلى كثرة المؤامرات ضد السلاطين، وأسفر عنه في بعض الأحيان عزلهم أو قتلهم (ينظر مثلا: ابن دقماق، 1985م، ج 2، ص ص 273 وما بعدها)، الأمر الذي أثّر على درجة الكفاءة.

فيما جعلت رواية أخرى أن ذلك جاء نتيجة الفتن التي حدثت في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وذلك عندما اتفق المماليك البرجية مع الوزير سنجر الشجاعي الذي تمكن من استمالتهم بالأموال، فكان ذلك سبباً في تغيير مكان إقامتهم عن طريق إنزالهم من الطباق، وتوزيعهم على أبراج القاهرة ومنعهم من الاختلاط (ابن إياس، 2006م، ص ص 141–143)، ويُعتقد أنه يمثل بداية تأزم نظام التربية المملوكي، وعدم قدرته على معالجة المشكلات، لتبدأ مرحلة الانحدار، والتي اشتدت خلال عهد المماليك البرجية، لاسيّما بعد قيام السلطان كتبغا بجلب مماليك في سن متقدمة، عُرفوا بالمماليك الجلبان، وكان أولهم المماليك الاويراتية (المقريزي، 1997م، ج2، ص ص 265–266؛ فتحي سالم حميدي، فائز علي بخيت، 2009م، م8، ع4، ص 268) .

وقد يكون من المنطقي اعتبار أن المرحلة الأخيرة من اختلال نظام التربية، وعدم تمكنه من القيام بالدور الذي تم تكوينه لأجله وانهياره، كانت عندما تولى السلطان برقوق عرش السلطنة، الأمر الذي أسفر عنه دعم وصول المماليك البرجية إلى سدة الحكم، كما كان له دور مهم في تغيير بنية نظام المماليك من ناحيتين: الأولى الاعتماد على عنصر جديد في تولي قمة الهرم السياسي (كان السلطان برقوق يحب الاستكثار من المماليك ويقدم الجراكسة على غيرهم، كما عمل بعد أن استتب الأمن على ترقية مماليكه، ابن تغري بردي، 1985م، ج 3، ص 319، 336)، والثانية تزايد دخول المماليك الجلبان (عن المماليك الجلبان ينظر: فتحي سالم حميدي، فائز علي بخيت، 2009م، م8، ع4، ص ص 265 وما بعدها؛ ينظر كذلك: هدية إمام علي عبدالرحيم، 2003م، ص ص 19، 21 – 25، 304–209)، فتم بذلك القضاء على ما تبقى من نظام التربية.

وقد رافق ذلك ظهور فئة جديدة عرفت بأولاد الناس، وهم أجناد الحلقة الذين ليس لديهم رزق في الدواوين الشريفة، ولا عليهم خدمة إلا في المهمات العظيمة التي تحتاج إلى كثرة العسكر، ولم تزل الملوك العادلة ترعاهم لضعف

حالهم، وهم أبناء المماليك الذين كانوا يعملون في التجارة وإدارة المشاريع الصغيرة والكبيرة معتمدين على علاقات النسب والقربى من العناصر العسكرية المملوكية الحاكمة وهم المتحكمون في البنية الاقتصادية الأساسية في المدن، فمنهم الحمامي والصيرفي وغيرهم، كما كان منهم العلماء والتجار وأصحاب الأراضي (ابن كنان، 1991م، ص ص 110–111).

إن حياة المماليك في الطباق وفق ما صممه القائمون عليه، والذي جعل كل طبقة من طبقاته تحتوي على جماعات من المماليك من نفس الأصل، أسهم في تنشئة المماليك في مجموعات متجانسة اجتماعياً، ودعم بذلك فعالية ما تم اقتراحه من تكوين نوع من العصبية المبنية على الانتماء للأصل الواحد، فضلا عن أنها قد تكون في ذات الوقت حملت معنى رمزي للتراتبية التي تكون منها نظام التربية المملوكي، وتعني طبقات (طباقات) فوق الأخرى، وفق منزلة كل طبقة منها، بناءً على معطيات محددة في النظام، ولعل هذه الجزئية منحت النظام المملوكي قوته، انطلاقا من دفع التلاميذ داخل الطباق إلى احترام البناء المؤسس والتفاني في خدمته والمحافظة عليه (سنرى أن هذا النظام في مراحل تالية لم يحافظ على نسقه مما أسهم في سقوطه ونتج عنه اختلال نظام الدولة لاسيما بعد جلب المماليك في مراحل متقدمة من العمر، والذين يصفهم ابن تغري بردي بضعف البنية وعدم الشجاعة وإساءتهم للرعية وعدم خروجهم في الحملات العسكرية، ابن تغري بردي، 1992م، ج7، ص 278).

لقد تبين من خلال ذلك حرص السلاطين على جعل نظام التربية محكماً متكاملاً، يحقق الهدف الذي رُسم لأجله، فالمماليك أُعدوا ليكون منهم الأمراء، وأصحاب المنـاصب والجنود، لذا كان من المنطقي احتواء النظام على دروس في تعاليم الإسلام، وتحفيظ القرآن والسنة النبوية والفروسية، إلا أن المماليك الذين تم شراؤهم من مصادر بيع الرقيق، كانوا قد جلبوا معهم شيئا من عاداتهم الاجتماعية وأخلاقهم التي تربوا عليها في بلادهم التي وفدوا منها، وبالتالي فإن نظام التربية وإن حاول تغيير أنماط تفكيرهم وعاداتهم الاجتماعية، فإن ذلك لا يعني بالضرورة قدرته على القضاء عليها تماما، لاسيما والطباق كان يحتوى على أعداد كبيرة منهم، ممن يحمل ذات القيم والعادات التي يمكن عودتها بسهولة عن طريق الحوارات التي تحدث بين المماليك في الطباق.

ساعد نظام التربية بشكل كبير في تكوين شخصيات قوية، قادرة على معالجة الأزمات بناء على تفكير واقعي، الأمر الذي يعبر عن فهم كبير من المماليك للأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية السائدة آنذاك، وهذا في حد ذاته يمثل إنجازاً مهماً لنظام تمكن بجدارة من تكوين شخصيات سلاطين أقوياء سواء في مرحلة المماليك البحرية أم البرجية، دون الاعتماد على وجود القبيلة أو العصبية المعتمدة على الأصل الواحد، وإنما تكوين عصبية جديدة معتمدة على نظام التربية.

ولكن السؤال الذي يلح علينا في هذه الجزئية، والذي يعد محاولة لفهم حدود تطبيق نظام التربية المملوكي، هو هل تم تطبيق النظام بشمولية، وأعنى بذلك أنه كان نظاماً إلزامياً لكل مملوك يدخل إلى أراضي الدولة المملوكية؟ أم أنه كان مقتصراً على فئة محددة ممن يشتريهم السلطان؟.

إن طرح السؤال السابق يعتبر منطقياً لاسيّما والمصادر المطلع عليها، وإن لم تتناول علاقات المماليك وحياتهم، فإنها تبين أن اقتناء المماليك لم يكن مقتصراً على السلطان وحده، إذ أن الأمراء كان لديهم مماليكهم الذي اشتروهم

من مالهم الخاص، فلا توجد تشريعات تحدد موضوع الحصول على المماليك، لذا كان كل من لديه القدرة المالية الكافية والرغبة في اقتناء المماليك يستطيع الحصول عليهم.

كما أن نظام التربية له ضوابطه ومحدداته، فالمماليك الذين يتربون في الطباق يحصلون على خدمات يشرف عليه السلطان بنفسه، ولعل أهم مثال تطرحه المصادر المطلع عليها يتمثل فيما كان يقوم به السلطان قلاوون من تفقد جودة ما يتم طبخه من لحوم وطعام، حتى أنه كان يشتد في معاقبة المشرف والأستادار في حالة تقصيرهم في مراقبة عملية إعداد الطعام (المقريزي، 1998م، ج3، ص 65).

ظل المماليك يحصلون على الامتيازات المالية بعد استكمالهم لنظامهم التعليمي مثل: الجوامك، فضلا عن الرواتب الجارية التي تمنح يومياً، وتشمل اللحوم والتوابل والخبز والعليق والزيت، ولأعيانهم الكسوة والشمع (القلقشندي، 1914م، ج4، ص 51)، بالإضافة إلى حصول المماليك السلطانية على إقطاعيات تقل في قيمتها عن اقطاعيات الأمراء، وقد يشترك اثنان في إقطاعية واحدة، ويحصل أجناد الحلقة على بلد واحد وفق حال المقطعين (القلقشندي، 1914م، ج3، ص ص 457–458)، مع ملاحظة أن الأمراء يتم تأميرهم من طبقة المماليك السلطانية (القلقشندي، 1914م، ج4، ص 15)، وهم بذلك يتحصلون على امتيازات تفوق امتيازاتهم، وهم في طبقة المماليك السلطانية، والتي تشمل الاقطاعات والرواتب الجارية (القلقشندي، 1914م، ج4، ص ص 50–51).

كان نظام التربية في الطباق يمثل نموذجاً جيداً لتكوين كوادر عسكرية وإدارية مدربة وقادرة على العمل بروح جماعية، وضمن نطاق الجيش المملوكي الذي انيطت به مسؤوليات عديدة، فكان هذا النظام محكماً ومتمكناً من استيعاب حاجات الدولة المملوكية، إلا إن الدراسة اثبت أن تطبيقاته لم تكن بذات الصورة في كل مراحل الدولة المملوكية، ويُعتقد أن فترة رواج هذا النظام إنما كانت خلال عهد كل من السلطان قلاوون، والسلطان الناصر محمد بن قلاوون، وهي فترة زمنية طويلة، ويرجع سبب اختيار التوقيت إلى عدة أسباب اعتبرها منطقية أهمها: أن المصادر عندما تحدثت عن نشأة نظام التربية المملوكي، ربطته بالسلطان قلاوون الذي اعتبر هذا العمل من بين أهم إنجازاته، إذ ينسب إليه قوله: "كل الملوك عملوا شيئا يذكرون به ما بين مال وعقار، وأنا عمّرت أسواراً، وعملت حصوناً مانعة لي ولأولادي وللمسلمين وهم المماليك (المقريزي، 1998م، ج3، ص 65).

كما أشاد ابن تغري بردي بنظام تربية المماليك في عهد السلطان قلاوون حيث قال: "لو لم يكن من محاسنه إلا تربية مماليكه وكفّ شرهم عن الناس لكفاه ذلك عند الله، فإنه كان بهم منفعة للمسلمين، ومضرة للمشركين وقيامهم في الغزوات معروف، وشرهم عن الرعية مكفوف" (ابن تغري بردي، 1992م، ج7، ص 278)، وهذا النص يربط نظام التربية بالسلطان قلاوون، ويبين أن من أسباب تأسيسه تخريج جنود مدربين أكفاء.

فيما ذكر المقريزي أنه تم تأسيس الطباق في عهد السلطان محمد بن قلاوون، وأسكنها المماليك وعمّر حارة تختص بهم، وكان هناك تدقيق في عملية التربية والتعليم تصل إلى متابعة الخدم ورؤوس النوب لهم، ومعاقبة كل من يخالف النظام المعمول به، وقد ربط بين دقة النظام والالتزام به، وبين قدرة المماليك ممن تتلمذ في الطباق على تدبير الممالك، وقيادة الجيوش والجهاد في سبيل الله (المقريزي، 1998م، ج3، ص ص 65–66)، كما يتضح من نص لليوسفي أن السلطان الناصر كان حريصاً على متابعة مماليكه، ومعاقبة من يخالف النظام المتبع في الطباق (اليوسفي، 1986م، ص ص 230–231).

إن المتتبع للالتزام الذي طبقه السلاطين في الطباق يلاحظ أن انتهاكات كانت تتم بين الحين والآخر، تمس بعض القواعد الملزمة فيه، مثلما حدث عندما سمح الملك الأشرف خليل بن قلاوون للمماليك بالنزول من القلعة نهاراً على ألا يبيتوا بغيرها، كما وافق السلطان الناصر محمد بن قلاوون على نزول المماليك للحمام مرة في الأسبوع، فكان نزولهم يتم صباحاً بالنوبة، ويعودون مساءً، وظل العمل بهذا النسق حتى انقراض نسل قلاوون من الحكم (المقريزي، 1998م، ج3، ص 65).

كما ينبغي التنويه إلى أنه ليس كل من وجد في مصر من مماليك كان قد تتلمذ في الطباق، إذ أن الحصول على فرصة التعلم في الطباق إنما كانت لمشتروات السلاطين لاسيّما السلطان قلاوون والسلطان الناصر محمد بن قلاوون بسبب دورهم في تأسيس نظام التربية المملوكي، وطول فترة حكمهم وشغفهم بشراء المماليك، ومن هؤلاء المماليك كان الأمراء الذين حرص كل واحد منهم على أن يكون له مماليكه الخاصين (ينظر مثلا: اليوسفي، 1986م، ص ص 233، 237، 239)، مما يجعل مسألة تربية مماليك الأمراء في الطباق غير ممكنة، لأن التربية في الطباق مخصصة لمماليك السلطان، ومما يؤكد ذلك أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون قد بلغه أن جماعة من المماليك لديهم أتباع من أبناء الناس ومن أولاد الأوراتية، وقد فسد حالهم فأنكر ذلك، وسارع إلى تسفيرهم إلى صفد (اليوسفي، 1986م، ص ص 230–231).

ضعف نظام التربية وسقوطه:

ربط المقريزي بين نظام تربية المماليك وقدرة سلاطينهم وأمرائهم على تدبير الملك حيث ذكر أنهم "كانوا سادة يدبرون الممالك، وقادة يجاهدون في سبيل الله، وأهل سياسة يبالغون في إظهار الجميل، ويردعون من جار أو تعدى" (المقريزي، 1998م، ج3، ص 66)، كما أن حصولهم على رواتب وجامكيات ساعدهم على الحصول على الهيبة والكرم، فتمكنوا من توسيع أحوال غلمانهم، ومنحوا العطايا على كل من قصدهم (المقريزي، 1998م، ج3، ص 66) .

إن العناية التي أولاها السلاطين لمماليكهم تراجعت بشكل ملحوظ، وبدأ الخلل يتسرب لنظام التربية، لاسيّما خلال فترة حكم السلطان برقوق الثانية، حيث سمح لهم بتجاوز نظم الطباق من خلال إعطاء الأذن لهم بالسكن في القاهرة والزواج من نسائها، إذ أُعتبر سبباً في اعتيادهم على البطالة بسبب تغيير عاداتهم المتبعة في الطباق، وقد قلّ عددهم في عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق، انقطعت عنهم الرواتب من اللحوم وغيرها عنهم، واختلفت نوعية الأطعمة المقدمة إليهم (المقريزي، 1998م، ج3، ص 66).

لئن كانت كل العوامل السابقة قد أضعفت نظام تربية المماليك بما أثر على سلوكياتهم ومعاملاتهم، فإن الانهيار الحقيقي للنظام المملوكي تجسد في الاستعانة بالمماليك الأجلاب، وهم مشتروات السلاطين من المماليك ممن لم يكن بسن صغيرة عندما تم جلبه، وكان المماليك الجلبان يعملون في مهن متنوعة في بلادهم بعضهم كان ملاح سفينة أو وقاد تنور خباز أو محول ماء في غيط وغيرها من المهن، وقد استقر رأي الناصر فرج بن برقوق على الامتناع على تسليمهم للفقيه لتعليمهم، لأن ملاحظته بينت له إن ذلك يساعد في زيادة سوء أخلاقهم (المقريزي، 1998م، ج3، ص 67؛ عن المماليك الجلبان ينظر: فتحي سالم حميدي، فائز علي بخيت، 2009م، م8، العدد 4، ص ص 266–281).

وقد أورد المقريزي نصاً مهماً يبين فيه حال المماليك السلطانية إذ قال: "فبدّلت الأرض غير الأرض وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم، وأخسهم قدراً وأشحهم نفساً، وأجهلهم بأمر الدنيا وأكثرهم إعراضاً عن الدين، ما فيهم إلاّ من هو أزنى من قرد، وألص من فأرة، وأفسد من ذئب، لا جرم أن خربت أرض مصر والشام من حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات بسوء إبالة الحكام، وشدّة عبث الولاة، وسوء تصرف أولي الأمر، حتى أنه ما من شهر إلا ويظهر من الخلل العام ما لا يتدارك فرطه" (المقريزي، 1998م، ج3، ص 67)، ورغم أن النص يبدو مبالغاً في وصف حال المماليك، إلا أنه ينبه إلى الأحوال التي صار إليها حالهم.

الخاتمة:

تبين من خلال البحث والتدقيق أنه لم توجد قناة معروفة لجلب المماليك إلى مصر في الفترة قيد الدراسة، وإنما كان هناك مجموعة معروفة من التجار ممن تخصص في شراء المماليك وجلبهم إلى مصر وبيعهم بها، إذ أن تجارة الرقيق كانت واسعة الانتشار بسبب استخدام الرقيق في أعمال متنوعة، على أن وجود عملية تبادل تجاري أساسه الرقيق لا يدخل ضمن نطاق هذه الدراسة، ولكن عندما نتحدث عن الرقيق نربطه بالجهات العليا من الدولة، وأعني بذلك السلاطين لاسيّما من كان منهم محبّاً لشرائهم، فإن الحديث عندئذ يكون على نظام تربية المماليك الذي هو موضوع هذه الدراسة.

من هذا المنطلق، يمكن القول بأنه توجد تصنيفات كثيرة للمماليك المتواجدين بمصر آنذاك، إنما لا تنطبق عليهم جميعا شروط التربية في الطباق، فهي كانت مخصصة فقط لمماليك السلطان دون غيرهم، مما يجعل المماليك الذين يملكهم الأمراء وغيرهم، لا يندرجون ضمن نطاق المماليك الذين تلقوا تربيتهم في الطباق، ومن تم فإن كل أمير من الأمراء، وهم الشخصيات المسؤولة في الدولة وأصحاب المناصب يملكون مماليك خاصين بهم، ويشكلون عصبية مساندة لأمرائهم، الذين كونوا مع خشداشيتهم عصبة أخرى داعمة لهم، وموافقة لقرارتهم ومساندة لهم، الأمر الذي يفسر من وجهة نظري وجود الصراعات الكثيرة بين الأمراء وطموحهم الكبير من أجل الفوز بكرسي السلطنة في حالة وجود سلطان ضعيف، وأحيانا تنشأ صراعات بين أصحاب الطموح من الأمراء وخشداشية ومماليك السلطان الأب المتوفي، الذي جلس ابنه على عرش السلطة في الفترات التي اعتمد فيها على تطبيق نظام التوريث.

إن نظام التربية المملوكي والذي تم تأسيسه وفق أهداف محددة، لم يتمكن من الصمود فترة طويلة نتيجة الخلل الذي أصابه، كما أن أسباب الصراعات القائمة في دولة المماليك، وكما سبق وذكرت، ترجع إلى تكوين عصبيات داعمة لشخصيات نافذة يحمل بعضها طموحاً سياسياً، الأمر الذي لم يمكّن نظام التربية من تجاوز المشكلات القائمة بسبب أنه لم يكن مطبقاً على كل المماليك المتواجدين بمصر، كما أنه كان قد جعل الولاء للسلطان المؤسس لنظام التربية، ولعله هو الذي يفسر طول فترة حكم كل من السلطان قلاوون، والسلطان الناصر محمد بن قلاوون باعتبارهما من عملا على تأسيس النظام وتطويره.

قام نظام التربية بدور مهم في تأسيس هيكلية الجيش المملوكي في مراحل معينة من تاريخ دولة المماليك، ولكنه مثل أي نظام تعرض للخلل وسوء الإدارة لأسباب عديدة منها: تغليب عصبية معينة على أخرى عند شراء المماليك،

أو الامتناع عن شراء المماليك الصغار وتربيتهم في الطباق، أو الاخلال بالنظام المتبع في تنشئة المماليك بما أثّر على النظام كله.

لقد انعكس الخلل الناشئ في نظام التربية على قدرة الجنود العسكرية، وتزايد مشاكلهم داخل القاهرة، فضلا عن تمردهم وثورتهم على أحوالهم المعيشية، بالإضافة إلى انخفاض مستوى الخدمات المقدمة لهم، الأمر الذي ساعد في ضعف نظام التربية ومن ثم سقوطه.

المصادر:

1- ابن الأثير، علي بن محمد، الكامل في التاريخ، بيت الأفكار الدولية، الأردن، السعودية، 2012م.

2- ابن إياس، محمد بن أحمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ط 3، تحقيق: محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2008م.

3- ابن إياس، محمد بن أحمد، جواهر السلوك في أمر الخلفاء والملوك، تحقيق وتعليق: محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2006م.

4- ابن تغري بردي، يوسف جمال الدين، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1985م.

5- ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

6- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن إيدمر، الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1985م.

7- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، أحكام أهل الذمة، دار العلم للملايين، 1983م.

8- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، الفروسية، تحقيق: سمير حسين حلبي، ط1، دار الصحابة للتراث، طنطا، 1991م.

9- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: محمد عبدالعزيز النجار، ط2، دار الغد العربي، القاهرة، 1992م.

10- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط1، تقديم: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1992م.

11- ابن كنان، محمد بن عيسى، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق: عباس صباغ، ط1، دار النفائس، بيروت، 1991م.

12- ابن منظور، جمال الدين أو الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت).

13- الجاحظ، عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).

14- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، مطبعة السعادة، مصر، 1324هـ.

15- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، حُسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ط1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2004م.

16- الصيرفي، علي بن داود، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق وتعليق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1970م،

17- طافور، بيرو، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر، ترجمة وتقديم: حسن حبشي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2002م.

18- علوي، ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة: يحيى الخشاب، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1993م،

19- العمري، أحمد بن يحيى، مسالك الأبصار في مسالك الأمصار، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، لبنان، 2010م.

20- العيني، بدر الدين محمود، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1987م.

21- القلقشندي، أبي العباس أحمد، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م.

22- المقريزي، أحمد بن علي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة مدبولي،1998م.

23- المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق : محمد عبدالقادر عطا ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م.

24- المنصوري، بيبرس، مختار الأخبار، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993م.

25- النويري، أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004م.

26- النويري، أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).

27- اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر، (1986م)، تحقيق ودراسة: أحمد حطيط، عالم الكتب، بيروت.

المراجع:

1- الحريري، سيد علي، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، ط3، الزهراء للإعلام العربي، بدون مكان نشر، 1985م.

2- حلاق، حسن، عباس صباغ، المعجم الجامع في المصطلحات المملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية الفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م.

3- دهمان، محمد أحمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط 1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1410هـ/1990م.

4- رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، 1997م.

5- عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ط 9، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د.ت).

6- عبدالرحيم، هدية إمام علي، المماليك الجلبان ودورهم في عصر دولة المماليك الجراكسة من سنة (784-922هـ/1382- 1517م)، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 2003م.

المقالات والمعاجم والموسوعات:

1- بخيت، فائز علي، المماليك الجراكسة في مواجهة الحصار الاقتصادي الصليبي على مصر، (مجلة كلية العلوم الإسلامية، مصر، 2013م)، مج 7، ع 13.

2- حميدي، فتحي سالم، فائز علي بخيت، المماليك الجلبان ودورهم في الأوضاع الداخلية للدولة المملوكية (678-922هـ/1279-1516م)، (مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الموصل، 2009م).

3- موسوعة ويكيبيديا، مادة (الدولة المملوكية) http://ar.wikipedia.org/wiki.

المقالات الأجنبية:

Abels, Richard, MEDIEVAL CHIVALRY,

http://www.usna.edu/Users/history/abels/hh315/Chivalry.htm

The New International Encyclopaedical, Vol V (New York: Dodd, Mead & Co, 1920), p 250. http://www.dromo.info/chivalry.htm

أحكام عقد التأجير التمويلي بين التشريعات الليبية والمجامع الفقهية

د . سليم عبدالدائم بشينة
كلية الشريعة والقانون/ الجامعة الأسمرية

المقدمة

رغم وحدة مفهومه في أغلب الأنظمة القانونية، فإن صوره متعددة؛ الأمر الذي سبب اختلافاً في أحكامه من تشريع إلى آخر.

وإذا أبعد القانون رقم (15 لسنة 2010) بشأن التأجير التمويلي بمادتيه (2 ، 8) الصور الممنوعة لعقد التأجير التمويلي التي نص عليها قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم (4/12/110 لسنة 2000) في الفقرة الثانية في البنود (أ ، ب ، جـ)

فنصت المادة الثانية على أن التأجير التمويلي هو:

(عقد يلتزم فيه المؤجر بأن يمكن المستأجر من الانتفاع، لمدة معينة، ولقاء أجرة معلومة)

ونصت المادة الثامنة على أنه:

(مع عدم الإخلال بأحكام المادة (2) من هذا القانون، للمستأجر الحق في اختيار شراء المال المؤجر كله أو بعضه في الموعد وبالثمن المحدد في العقد، على أن يراعى في تحديد الثمن مبالغ الأجرة التي أداها، وفي حالة عدم اختياره شراء المال المؤجر يكون له الحق في رده إلى المؤجر أو تجديد العقد، وذلك بالشروط التي يتفق عليها الطرفان).

وبالتالي أبعدت الصور الممنوعة التي نص عليها القرار المذكور وهي:

- **الصورة الأولى** (عقد إجارة ينتهي بتملك العين المؤجرة مقابل ما دفعه المستأجر من أجرة خلال المدة المحددة، دون إبرام عقد جديد، بحيث تنقلب الإجارة في نهاية المدة بيعاً تلقائياً).
- **الصورة الثانية** (إجارة عين لشخص بأجرة معلومة، ولمدة معلومة، مع عقد بيع له معلق على سداد جميع الأجرة المتفق عليها خلال المدة المعلومة، أو مضاف إلى وقت في المستقبل).
- **الصورة الثالثة** (عقد إجارة حقيقي اقترن به بيع بخيار الشرط لصالح المؤجر، ويكون مؤجلاً إلى أجل طويل محدد (هو آخر مدة عقد الإيجار)..).

وإذا أمكن تفسير المادتين الـ(2 ، 8) من القانون السابق بالبندين (1 ،2) من الفقرة الأولى من القرار المذكور وهما:

البند الأول:

(وجود عقدين منفصلين يستقل كل منهما عن الآخر زماناً، بحيث يكون إبرام عقد البيع بعد عقد الإيجارة، أو وجود وعد بالتمليك في نهاية مدة الإيجارة، والخيار يوازي الوعد في الأحكام).

البند الثاني:

(أن تكون الإيجارة فعلية وليست ساترة للبيع).

فإن هناك سؤالين يحتاجان إلى فهم وتفسير وهما:

السؤال الأول: كيف يمكن أن نفهم اختلاف القانون رقم (15 لسنة 2010) بشأن التأجير التمويلي مع قرار مجمع الفقه الإسلامي في أحكام عقد التأجير التمويلي المتعلقة بالصيانة كما جاء في المادة (13) من القانون المذكور، والبند (هـ) من الفقرة الأولى من القرار المشار إليه؟

السؤال الثاني: كيف يمكن أن نفسر اختلاف القانون مع المجمع في أحكام عقد التأجير التمويلي المتعلقة بالتأمين كما في المادة (10) من القانون المذكور والبند (جـ) من القرار المشار إليه؟

للإجابة عن هذين السؤالين نقوم بالتالي:

- نعرّف عقد التأجير التمويلي (أولاً).
- نذكر صور عقد التأجير التمويلي (ثانياً).
- نوضح التكييف القانوني لعقد التأجير التمويلي (ثالثاً).
- نوضح التكييف الشرعي لعقد التأجير التمويلي (رابعاً).
- نبيّن أحكام عقد التأجير التمويلي المتعلقة بالصيانة (خامساً).
- نبيّن أحكام عقد التأجير التمويلي المتعلقة بالتأمين (سادساً).

أولاً: تعريف عقد التأجير التمويلي:

عرّفه القانون رقم (15 لسنة 2010) بشأن التأجير التمويلي في مادته الـ(2) بأنه:

(عقد يلتزم فيه المؤجر بأن يمكن المستأجر من الانتفاع، لمدة معينة، ولقاء أجرة معلومة**(1)**.

وعرفته الندوة الفقهية الأولى لبيت التمويل الكويتي بأنه:

(عقد يرد على انتفاع المستأجر بمحل العقد، بأجرة محددة، موزعة على مدة معلومة، على أن ينتهي العقد بملك المستأجر للمحل)**(2)**.

ولقد تعددت التسميات والمصطلحات التي عرف بها هذا العقد في الأنظمة القانونية وعند فقهاء القانون؛ والسبب في ذلك يعود إلى أن هذا العقد قد نشأ وتطور مع تطور الظروف الاقتصادية والتنظيمية في العصر الحديث؛ وعليه فهو ما زال في طور التكوين والتطور؛ مما جعل الأنظمة القانونية، والنظريات الفقهية تذهب إلى اتجاهات مختلفة، كل حسب ما تمليه عليه الظروف التشريعية والاقتصادية السائدة في ذلك النظام؛ الأمر الذي أدى إلى اختلاف المفاهيم والتعاريف حول هذا العقد، ونتج عن ذلك العديد من التسميات والمصطلحات في القوانين والفقه.

(1).مدونة التشريعات الليبية ، العدد/ الثامن، السنة/ العاشرة.

(1).نقلاً عن المنهجية التجديدية، منصور ص 197.

فالفقه الأنجلو– أمريكي استقر على تسميته بـ(عقد الليزنغ) (Leasing) والفقه الفرنسي سماه (Le–Credit–Bail) وعند ترجمة هذا المصطلح إلى اللغة العربية حصل اختلاف في تعريبه؛ فأطلق عليه التأجير التمويلي، والاعتماد بالتأجير، والإيجار المالي، والائتمان الإيجاري، والإيجار الائتماني، والاستئجار المالي **(1)** والإيجار المنتهي بالتمليك **(2)**. كما نتج تعدد واختلاف في الأحكام؛ ولهذا إلى جانب أن هذا العقد له طبيعته الخاصة، فهو ليس عقد إيجار عادي حتى تنطبق عليه أحكام عقد الإيجار المنصوص عليه بالقانون المدني، وليس عقد بيع عادي حتى تنطبق عليه أحكام عقد البيع المنصوص عليه بالقانونين المدني والتجاري.

– هو عقد له صوره الخاصة أيضاً؛ الأمر الذي جعل الأحكام تتعدد وتتباين، ولهذا نص القانون رقم (15 لسنة 2010) في مادته الـ(35) على أن:

(تسري أحكام عقد الإيجار المنصوص عليها في القانون المدني فيما لم يرد بشأنه نص في هذا القانون)

فهو في معناه بيع مقسط من أجل ضمان استيفاء الحق، وفي صورته إيجار بثمن عالي حتى يحصل الطرف الأول (البائع أو المؤجر) على أمواله في أسرع وقت من الطرف الثاني (المشتري أو المستأجر).

فمن ناظر إلى المعنى، ومن ناظر إلى الصورة؛ ومن هنا جاء الاختلاف.

ثانياً: صور عقد التأجير التمويلي:

نص القانون رقم (15 لسنة 2010) بشأن التأجير التمويلي في مادته الـ(2) على أن عقد التأجير التمويلي هو:

(كل عقد يلتزم فيه المؤجر بأن يمكن المستأجر من الانتفاع، لمدة معينة، ولقاء أجرة معلومة بأي من الأموال التالية:

1– منقول مملوك للمؤجر، أو تلقاه من المورد استناداً إلى العقد.

2– عقار مملوك للمؤجر.

3– أي عقار أو منقول تكون ملكيته قد آلت من المستأجر إلى المؤجر بموجب عقد يتوقف نفاده على إبرام عقد التأجير التمويلي بينهما.

وفي جميع الأحوال يجب أن تنتهي عقود التأجير التمويلي للمساكن لليبيين بالتملك، وذلك باستثناء عقود التأجير التمويلي التي تبرمها الشركات العامة والمصارف العامة).

ونص مجمع الفقه الإسلامي الدولي في دورته الثانية عشرة/ جدة في قراره رقم (4/12/110 لسنة 2000) على الصور التالية:

1. عقد (بارة يُمكن المستأجر من الانتفاع بالعين المؤجرة، مقابل أجرة معلومة في مدة معلومة، واقترن به عقد هبة العين للمستأجر، معلقاً على سداد كامل الأجرة وذلك بعقد مستقل، أو وعد بالهبة بعد سداد كامل الأجرة، وذلك وفق ما جاء في قرار المجمع بالنسبة للهبة رقم (1/3/13).
2. عقد إجارة مع إعطاء المالك الخيار للمستأجر بعد الانتهاء من وفاء جميع الأقساط الإيجارية المستحقة خلال المدة في شراء العين المأجورة بسعر السوق عند انتهاء مدة الإجارة، وذلك وفق قرار المجمع رقم (6/5/44).

(2) .انظر التأجير التمويلي، القلاب ص 12 ، 13.
(3) .انظر مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي، العدد/ 12، جـ 313/1.

3. ج. عقد إجارة يمكّن المستأجر من الانتفاع بالعين المؤجرة، مقابل أجرة معلومة في مدة معلومة، واقترن به وعد ببيع العين المؤجرة للمستأجر بعد سداد كامل الأجرة بثمن يتفق عليه الطرفان.
4. د. عقد إجارة يمكن المستأجر من الانتفاع بالعين المؤجرة مقابل أجرة معلومة في مدة معلومة ويعطي المؤجر للمستأجر حق الخيار في تملك العين المؤجرة في أي وقت يشاء، على أن يتم البيع في وقته بعقد جديد بسعر السوق، وذلك وفق قرار المجمع السابق رقم (6/5/44) أو حسب الاتفاق في وقته) [1].

ثالثاً: التكييف القانوني لعقد التأجير التمويلي:

الطبيعة القانونية لهذا العقد محل خلاف؛ ولذلك ظهرت نظريات مختلفة حول تكيف هذا العقد وهي(2):

1. نظرية الإيجار المقترن بوعد البيع:

ذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن العقد هو عبارة عن إيجار عادي يقوم بمقتضاه المؤجر بتمكين المستأجر من الانتفاع بمحل العقد، لمدة محدودة تظهر فيه الأجرة في صورة حقيقية وليست قسطاً من ثمن البيع مع اقتران العقد بوعد بالبيع إذا أراد المستأجر ذلك.

2. نظرية القرض المقترن بنقل الملكية:

ذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن المؤجر (المقرض) يتفق مع المستأجر (المقترض) على تمليك محل العقد مقابل دفع قيمته عند انتهاء المدة، مع الاحتفاظ بالملكية ضماناً لاسترداد قيمة القرض.

3. نظرية البيع المقترن بالاحتفاظ بالملكية:

يحاول أصحاب هذه النظرية تقريبه من عقد البيع الإيجاري، أو من عقد البيع بالتقسيط، والفرق بينهما أن المستأجر يملك محل العقد في البيع الإيجاري بأثر رجعي، وفي البيع بالتقسيط تنتقل الملكية إلى المستأجر بعد مدة العقد.

4. نظرية العقد المنشئ للملكية الاقتصادية:

يرى أصحاب هذه النظرية أن المستأجر له سلطة مباشرة على الشيء المؤجر أي حق عيني.

5. نظرية العقد المركب:

يرى أصحاب هذه النظرية أن عقد الإيجارة المنتهية بالتمليك، عقد مركب من عدة عقود مختلفة اندمجت مع بعضها لتكون هذا العقد الجديد وهي: الوعد الملزم للجانبين، والوكالة، والإيجار، والوعد المنفرد بالبيع، والبيع.

6. نظرية العقد غير اللازم المتضمن خيار الشرط:

يرى أصحاب هذه النظرية أن المستأجر يحق له بعد مدة معينة إجارة العقد وتملك المأجور، أو فسخه ورد المأجور إلى صاحبه إذا لم يرغب في تملكه.

7. نظرية الطبيعة القانونية:

يرى أصحاب هذه النظرية بأنه عقد انتفاع ذو طبيعة قانونية خاصة مستقلاً عن غيره من العقود، فهو عقد مسمى قائم بذاته له مقوماته التي تميزه عن غيره.

---

(2) مجلة مجمع الفقه الإسلامي الدولي. العدد/12. ج313/1.
(3) انظر التأجير التمويلي، القلاب ص68 وما بعدها.

رابعاً: التكييف الشرعي لعقد التأجير التمويلي:

يقول العلماء المعاصرون إن هذا العقد يجمع بين عدة عناصر هي(1):

1- بيع تقسيط يقترن به شرط عدم نقل ملكية المبيع إلا بعد الوفاء بجميع الأقساط الإيجارية.

2- وعد ملزم للمصرف بتمليك العين المؤجرة للمستأجر عن طريق الهبة أو البيع في نهاية مدة الإيجارة.

3- عقد إيجار في المدة المحددة.

4- الربط بين الإيجار والبيع والوعد في عقد واحد.

فكون نقل الملكية لا يكون إلا بعد الوفاء بجميع الثمن فيه خلاف(2):

الأول: ذهب جمهور الفقهاء(3) إلى عدم جواز اشـــتراط عدم نقل ملكية المبيع إلا بعد الوفاء بجميع الثمن؛ لأنه ينافي مقتضى العقد، فعقد البيع يقتضي نقل ملكية المبيع إلى المشتري.

الثاني: ذهب بعضهم(4) إلى جواز هذا الشرط؛ لأن الأصل في العقود والشروط الإباحة وهذا القول هو الذي ترجح.

وأما كون الوعد ملزماً أم لا، فجرى خلاف في ذلك، وترجح الإلزام.

وأما اجتماع عقد الإيجار مع عقد البيع أو الهبة، أو اجتماعه بوعد بالبيع أو الهبة، فإن التأجير التمويلي، ليس مشتملاً على إيجار وبيع في آن واحد، وإنما هو قائم على أساس عقدين منفصلين مستقلين(5).

أما بالنسبة لاقتران الوعد بعقد الإيجار التمويلي، فإن الأصل الراجح في المعاملات، إباحة حرية التعاقد والاشتراط(6).

خامساً: أحكام عقد التأجير التمويلي المتعلقة بالصيانة:

يلتزم المستأجر في عقد التأجير التمويلي بالصيانة وكافة الإصلاحات وفقاً لأحكام المادة (13) من القانون رقم (15 لسنة 2010) بشأن التأجير التمويلي التي تنص على ما يلي:

1- استعمال (مال المؤجر بما يتفق مع الأغراض التي أعد لها وفقاً للأصول المتعارف عليها، والمواصفات الفنية المحددة.

2- صيانة المال المؤجر، وإجراء الإصلاحات والترميمات اللازمة لإبقائه على الحالة التي سلم بها، مع مراعاة طبيعة المال المؤجر.

3- إخطار المؤجر بما يطرأ على المال المؤجر من عوارض تمنع الانتفاع به كلياً أو جزئياً، وذلك طبقاً للإجراءات المنصوص عليها في العقد.

4- أداء الأجرة المتفق عليها في العقد وفقاً للشروط والمواعيد الواردة فيه.

5- ألا يحدث بالمال المؤجر تغيير من شأنه الإضرار بالمؤجر، مالم يكن ذلك بموافقته).

---

(2) انظر المعاملات المالية المعاصرة، شبير ص 324.
(3) انظر المصدر نفسه.
(4) انظر الملكية ونظرية العقد، أبوزهرة ص 223 وما بعدها، والمدخل الفقهي العام، الزرقا 549/1 وما بعدها.
(5) انظر المصدرين نفسهما.
(6) انظر قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي رقم (4/12/110)، والمنهجية التجديدية ، منصور ص 200.
(7) انظر الملكية ونظرية العقد، أبوزهرة ص 223 وما بعدها، والمدخل الفقهي العام، الزرقا 549/1 وما بعدها.

ويعتبر هذا النص خروجاً على حكم المادة (566) من القانون المدني؛ حيث يتحمل المستأجر جميع نفقات الصيانة والإصلاح مع أنهما في الأصل من التزامات المؤجر، وقد وضع هذا الالتزام على مسؤولية المستأجر نظراً للطبيعة الخاصة لعقد التأجير التمويلي كما تقدم في المبحث الأول.

وقد قيل في تبرير نقل الالتزام من المؤجر إلى المستأجر بالصيانة والإصلاح أن المستأجر له خيار حق تملك المأجور في نهاية مدة العقد؛ لذلك فإنه لا يوجد ما يمنع من تحمله تبعات العقد منذ بدأ انتفاعه به، وإجراء أحكام عقد البيع عليه(1).

بينما مجمع الفقه الإسلامي الدولي يلزم المؤجر بالصيانة وكافة الإصلاحات وفقاً لأحكام البند (هـ) من الفقرة الأولى من القرار رقم (4/12/110 لسنة 2000) الذي ينص:

(تكون نفقات الصيانة غير التشغيلية على المؤجر لا على المستأجر طوال مدة الإيجارة)

وقيل في تبرير هذا الحكم أن عقد التأجير التمويلي تجري عليه أحكام عقد الإيجار المقررة في الفقه الإسلامي.

سادساً: أحكام عقد التأجير التمويلي المتعلقة بالتأمين:

تضمن نص المادة (10) الآتي:

(يجب التأمين على المال المؤجر، ويحدد عقد التأجير التمويلي الطرف الملزم بالتأمين).

فيتم الاتفاق بين طرفي عقد التأجير التمويلي على تأمين الشيء المأجور كأداة لضمان استيفاء حق الأصول المؤجرة بدلاً من التأمين على الشخص المستأجر.

وفي هذه الحالة يؤمن المؤجر على أخطار هلاك الشيء المأجور أو سرقته أو حرقه أو غصبه، ويكون للمأمن مبلغ التأمين عند تحقق إحدى هذه الأخطار(2).

وقد أجاز القانون رقم (15 لسنة 2010) بشأن التأجير التمويلي في المادة (10) للمؤجر أن يشترط على المستأجر في العقد تأمين المأجور لضمان حقه في استيفاء الأجرة عن باقي مدة العقد والثمن المبيّن في العقد.

والذي جعل التأمين على المستأجر هو جواز اشتراط المؤجر ذلك في العقد دون ممانعة القانون.

بينما مجمع الفقه الإسلامي الدولي في قراره رقم (4/12/110 لسنة 2000) في البند (جـ) من الفقرة الأولى ألزم المؤجر بالتأمين؛ حيث جاء النص على أنه:

(إذا اشتمل العقد على تأمين العين المؤجرة، فيجب أن يكون التأمين تعاونياً إسلامياً لا تجارياً، ويتحمله المالك المؤجر وليس المستأجر).

وإن كان المستأجر ملزم بالتأمين بعد الاتفاق في العقد كما جاء بالقانون رقم (15 لسنة 2010)، فإنه باستطاعته ألا يلزم نفسه قبل العقد، ويلتزم بما جاء في القرار السابق.

وإذا كانت المادة (10) الخاصة بالتأمين مقيدة (بما لم يتفق الطرفان على غير ذلك) فإن البند (جـ) جاء عاماً سواء اتفق الطرفان على غير ذلك أم لا.

(2) انظر التأجير التمويلي، القلاب ص 236-237.
(1) انظر التأجير التمويلي، القلاب ص 304.

نتائج البحث:

لقد تبيّن مما سبق عرضه في البحث:

1- أن القانون الليبي رقم (15 لسنة 2010) بشأن التأجير التمويلي قد ألزم المستأجر بالصيانة في عقد التأجير التمويلي كما ورد بالمادة (13) من القانون المشار إليه.

بينما مجمع الفقه الإسلامي الدولي في قراره رقم (110/ 12/ 4 لسنة 2000) ألزم المؤجر بالصيانة في عقد التأجير التمويلي كما ورد بالبند (هـ) من الفقرة الأولى من القرار المذكور.

2- أن القانون الليبي رقم (15 لسنة 2010) بشأن التأجير التمويلي لم يلزم المؤجر أو المستأجر بالتامين في عقد التأجير التمويلي كما ورد بالمادة (10) من القانون المشار إليه وإنما جعله حسب الاتفاق في العقد.

بينما مجمع الفقه الإسلامي الدولي في قراره رقم (110/ 12/ 4 لسنة 2000) ألزم المؤجر بالتأمين في عقد التأجير التمويلي كما ورد بالبند (جـ) من الفقرة الأولى من القرار المذكور.

إن القول بأن الحقوق في هذا العقد عند بعض القوانين واجبات والعكس هي عبارة غير صحيحة؛ لأن كل نظام نظر من زاوية غير الزاوية التي نظر منها الآخر فهناك فرق واضح وكبير بين أن يكون ثمن الإيجار بثمن السوق أو أكثر، فإذا كان بثمن السوق فالصيانة على المستأجر، وإذا كان أعلى من ثمن السوق فالصيانة على المؤجر؛ لأن لكل منهما تعويض يقابله، وكذلك يقال في التأمين مثل ذلك.

هذا سبب الاختلاف؛ فالمشرع الليبي وكأنه يريد أن تكون الأجرة بثمن السوق؛ فجعل الصيانة على المستأجر حتى إذا مالم يكتمل العقد وفسخ، لا يتضرر المؤجر.

والمجمع الفقهي نظر إلى الأقساط فوجدها عالية في السوق؛ فجعل الصيانة على المؤجر حتى إذا مالم يكتمل العقد وفسخ لا يتضرر المستأجر.

كذلك التأمين ناسب خفض الأجرة المستأجر، وارتفاعها المؤجر.

المراجع

أولاً الكتب

1. المنهجية التجديدية لعقود التمويل والخدمات في المصرف الإسلامي، أبوبكر عبدالله منصور ط/1 دار الفيسيفا/ ليبيا 2010.
2. التأجير التمويلي، بسام هلال القلاب ط/1 دار الراية/ الأردن 2009.
3. المعاملات المالية المعاصرة، محمد عثمان شبير ط/6 دار النفائس/ الأردن 2007.
4. الملكية ونظرية العقد، محمد أبوزهرة، دار الفكر العربي/ مصر 1996.
5. المدخل الفقهي العام، مصطفى أحمد الزرقا ط/4 دار القلم/ سوريا 2004.

ثانياً: القوانين

1. قانون التأجير التمويلي الليبي الصادر سنة 2010.
2. القانون المدني الليبي الصادر سنة 1953.

دور الأخصائي الاجتماعي كعضو في الفريق الطبي للتخفيف من الآثار النفسية والاجتماعية الناجمة عن الاصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19"

د. عادل عبدالحفيظ الطيب أ. محمد جمعة غميض

قسم الخدمة الاجتماعية / كلية الآداب
جامعة الزيتونة

ملخص البحث

هدف البحث للكشف عن الآثار النفسية والاجتماعية الناجمة عن الإصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19" والتعرف على الدور المهني للأخصائي الاجتماعي كعضو في الفريق الطبي في التخفيف من هذه الآثار ، والوقوف على الصعوبات التي تواجه أداء الأخصائي الاجتماعي لدوره بمستشفيات العزل ، وطبقت أداة البحث على عينة قوامها (31) من المصابين بالفيروس ، وعدد (13) من الأطباء و(18) من الأخصائيين الاجتماعيين العاملين بمراكز العزل ، واظهرت النتائج أن الآثار النفسية بحسب تقدير عينة البحث ذا مستوى عالي وتتلخص أبرزها في : الخوف على أفراد الأسرة ، الشعور بالألم من نظرة الشفقة من الناس ، المعاناة من الأرق وقلة النوم ، والشعور بالاغتراب ، في حين كانت أبرز الاثار الاجتماعية تتمثل في : الضيق من القيود التي تفرضها الإصابة ، الشعور بتجنب الآخرين الحديث مع المصابين ، قلة النشاطات الاجتماعية ، ضعف العلاقات الاجتماعية ، أما الدور المهني للأخصائي الاجتماعي فتمثل في التخفيف من مشاعر الخوف لدى المصابين ، وتوعية المريض بكيفية التعامل مع الاصابة ، والقيام بحمالات للتوعية بطبيعة فايروس كورونا ، وتوعية أسر المصاب بكيفية التعامل السليم مع المريض بعد الخروج من المستشفى ، وامداد الفريق الطبي بمعلومات اجتماعية عن الحالة، أما الصعوبات التي تواجه عمل الأخصائي الاجتماعي فكان أهمها : نقص الحوافز ، وعدم إدراك بعض المرضى المصابين وأسرهم بأهمية دور الأخصائي الاجتماعي مما يؤدي إلى تجاهله ، وأن مكان العمل غير ملائم لممارسة الأخصائي الاجتماعي لدوره .

مشكلة البحث

يواجه العالم كارثة صحية والتي نجمت عن تفشى عدوى وباء فيروس كورونا المستجد "كوفيد 19" ، ووفقاً لتقديرات منظمة الصحة العالمية وقت اجراء هذا البحث بلغ عدد الإصابات المؤكدة (432,015,959) مليون حالة ، منها (5,948,212) مليون حالة وفاة ، و(361,204,565) مليون حالة شفاء ، وتعتبر الولايات المتحدة أعلى دول العالم من حيث معدلات الاصابة تليها تباعاً الهند ثم البرازيل ، وروسيا ، وألمانيا. [1] وعلى المستوى المحلى وبحسب تحديث المركز الوطني لمكافحة الامراض بلغ إجمالي الحالات المصابة بالفيروس **(492,154)** ألف حالة ، بلغ إجمالي الوفيات منها **(6,241)** حالة ، و حالات التعافي **(457,636)** وتعتبر مدينة طرابلس الأعلى في معدلات الإصابة .[2]

1 - منظمة الصحة العالمية ، (2022/2/25م) ، تقرير إحصائي لفيروس كورونا المستجد .(COVID-19)، https://www.who.int/ar
2 - احصائية صحتي لرصد الحالات الموثقة عالمياً ، تاريخ الاطلاع (2022/2/25م) الساعة 56: 9 ، https://sehhty.com/ly-covid

ويواجه المرضى المصابين بعدوى وباء فيروس كورونا المستجد "كوفيد 19" تهديداً حقيقياً لسلامتهم الجسمية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، بشكل يعيقهم عن أداء أدوارهم الاجتماعية ، والاندماج في حياتهم الطبيعية، ولتوافقهم النفسي والاجتماعي ، وهناك بعض الدراسات والبحوث العلمية التي أجريت حول هذا الجائحة وإن كانت قليلة بسبب حداثة المرض بهدف اكتشاف أبعاده ، وأثاره ، ومنها : **دراسة (الفقي ، أبو الفتوح)** والتي هدفت إلى التعرف على طبيعة المشكلات النفسية الناجمة عن كوفيد 19 لدى عينة من طلاب الجامعات المصرية (الحكومية والخاصة)، وتوصلت النتائج إلى أن أكثر المشكلات النفسية تمثلت في المخاوف الاجتماعية ، الوحدة النفسية ، الوساوس القهرية، الاكتئاب والضغط النفسي، ومشكلات قلة النوم والأرق ، كما توصل البحث إلى وجود فروق إحصائية في المشكلات النفسية تعزى لمتغيرات النوع (ذكور – اناث) في اتجاه الاناث ، والعمر الزمني لصالح الأكبر سناً، ولا توجد فروق إحصائية بحسب متغير مكان السكن (المدينة – الريف)[1] ، ودراسة حميدي (2020م) التي توصلت لنتائج ميدانية منها: إن أكثر من نصف عينة البحث وبنسبة(53%) يرجعون سبب انتشار عدوى فيروس كورونا إلى إنه عقوبة إلهية على الأفراد والمجتمعات ، وإن نصف عينة البحث وبنسبة(49.2 %) تكونت لديهم حالة من الرهاب الاجتماعي لدى سماعهم بأخبار توسع جائحة المرض. [2]

وبعد أن تطورت الرعاية الطبية واندمجت مع الرعاية الاجتماعية أصبحت مهنة الخدمة الاجتماعية في المجال الطبي مهنة رئيسة وشريكا فاعلاً في عملية العلاج فهي تتكامل مع أدوار بقية أعضاء الفريق الطبي المعالج بحيث تثمر في نهاية الأمر عن تقديم خدمات صحية متميزة ، ورعاية اجتماعية أفضل للمرضى ، فهي تعمل في نطاق المؤسسات الصحية من خلال العلاقة بين الأخصائي الاجتماعي والطبيب وهيئه التمريض ؛ بهدف مساعدة المريض على الاستفادة الكاملة من العلاج المقدم له من ناحية ، ومن ناحية أخري مساعدته على التكيف مع بيئته الاجتماعية . [3]

وترجع أهمية دور الأخصائي الاجتماعي الطبي في العمل الفريقي بالمجال الطبي إلى أن مشكلات المريض وأحواله الصحية والاجتماعية متداخل وهذا ما يؤدى إلى ارتباط عمل الطبيب والأخصائي الاجتماعي الطبي جنباً إلى جنب لتنفيذ الخطة الموضوعة لصالح المريض والتي تهدف إلي شفاؤه ، خاصة وان الخدمات التي يقدمها الأخصائيون الاجتماعيون تعتبر جزء مكمل للخدمات الأخرى بالمؤسسات الصحية. [4]

ومما لاشك فيه أن دور الأخصائي الاجتماعي بمستشفيات العزل يُعد دوراً مهما ومؤثراً وضروريا ومكملاُ للخدمات الطبية المقدمة للمرضى المصابين بفايروس كورونا "كوفيد19" ومن تم جاء هذا البحث لمحاولة إلقاء الضوء على الممارسات المهنية التي قام بها الأخصائيين الاجتماعيين للتخفيف من الآثار النفسية والاجتماعية الناتجة عن

1 - أمال الفقي ، محمد أبوالفتوح ، (2020م) ، المشكلات النفسية المترتبة على جائحة فيروس كورونا المستجد لدى عينة من طلاب وطالبات الجامعات المصرية ، المجلة التربوية ، كلية التربية ، جامعة سوهاج ، العدد (47) ص 76.

2 - المرجع السابق ، ص 119 .

3 - ماهر أبو المعاطي ، (2002م) ، الخدمة الاجتماعية في مجال الفئات الخاصة ، الكتاب الثالث والعشرون ، زهراء الشرق ، ص 40 .

4 - ماهر أبو المعاطي (1992م) ، اتجاهات الفريق العلاجي بالمستشفى نحو دور الأخصائي كعضو في الفريق ، مجلة الخدمة الاجتماعية ، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، القاهرة .

الإصابة بجائحة كورونا ، والوقوف على المعوقات والمشكلات التي قد تعترض دور الأخصائي الاجتماعي في القيام بعمله وممارساته المهنية .

أهمية البحث

1. ندرة البحوث والدراسات التي تناولت المشكلات المترتبة على جائحة كورونا نظرا لحداثة الموضوع .
2. انتشار جائحة كورونا وما وتسببت به من الآثار الصحية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية على الفرد والأسرة والمجتمع ، الأمر الذي يتطلب البحث والدراسة للخروج بتوصيات واقتراحات للتخفيف من حدتها وآثارها .
3. قد يفيد المهتمين في مجال الخدمة الاجتماعية في المستشفيات عن طبيعة ممارسة الخدمة الاجتماعية الطبية في حالة الإصابة بأمراض مثل جائحة كورونا .

أهداف البحث :

1. الكشف عن الآثار النفسية الناجمة عن الإصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19" من وجهة نظر المصابين بالفايروس.
2. الكشف عن الآثار الاجتماعية الناجمة عن الإصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19" من وجهة نظر المصابين بالفايروس.
3. التعرف على الدور المهني للأخصائي الاجتماعي كعضو في الفريق الطبي في التخفيف من الآثار النفسية والاجتماعية الناجمة عن الإصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19".
4. الوقوف على الصعوبات التي تواجه أداء الأخصائي الاجتماعي لدوره بمستشفيات العزل .

تساؤلات البحث

1. ما الآثار النفسية الناجمة عن الإصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19" من وجهة نظر بالفايروس ؟
2. ما الآثار الاجتماعية الناجمة عن الإصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19" من وجهة نظر المصابين بالفايروس ؟
3. ما الدور المهني للأخصائي الاجتماعي كعضو في الفريق الطبي في التخفيف من الآثار النفسية والاجتماعية الناجمة عن الإصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19"؟
4. ما الصعوبات التي تواجه أداء الأخصائي الاجتماعي لدوره بمستشفيات العزل ؟

المفاهيم والمصطلحات المستخدمة في البحث

الدور: يشار إلى الدور على أنه الخط المنظم أو نموذج السلوك الذي يتأثر بالمركز، أو الوظائف التي يقوم بها الفرد بالعلاقة مع شخص آخر أو أكثر من الالتزام بأداء واجب وتحمل المسؤولية . [1]

أما الدور المهني ، فيشير بصفة عامة لوصف السلوك الذى يجب أن يلتزم به الأخصائي الاجتماعي أثناء قيامة بعمله ، وفى علاقته مع الأفراد والجماعات والمنظمات والمجتمعات المحلية . [2]

1 - سامية فهمي، (1995م) ، مشكلات اجتماعية من منظور الممارسة العامة في الرعاية الاجتماعية والخدمة الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، ص80.

2 - إبراهيم عبد الرحمن وآخرون ،(1983م) ، نماذج ونظريات تنظيم المجتمع ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ص 162.

الأخصائي الاجتماعي :

هو الشخص المهني الذى تكامل إعداده عليماً وعملياً ونظرياً ليعمل في ميادين الخدمة الاجتماعية ، ليكون مؤثراً بمهارته تأثيراً إيجابياً في تغير الناس أفراداً وجماعات ومجتمعات .

ويعرفه **(حسين وآخرون)** الأخصائي الاجتماعي بأنه : الشخص المؤهل علمياً وعملياً لكي يصبح قادراً ومسؤولاً عن عملية المساعدة بكافة أبعادها. [1]

فيروس كورونا المستجد

يشار لفيروس كورونا الجديد على أنه سلالة جديدة من فيروس كورونا لم تُكشف إصابة البشر بها سابقاً ، وهو فيروس ظهرت أغلب حالات الإصـــابة به في مدينة ووهان الصـــينية على صـــورة التهاب رئوي حاد، وتتمثل الاعراض الأكثر شـيوعا في الحمى والإرهاق والسـعال الجاف وصـعوبة التنفس، وعادة ما تكون هذه الاعراض خفيفة وتبدأ بالتفاقم تدريجيا .[2]

الآثار النفسية

تتمثل في مشاعر واحاسيس سلبية ذات صبغة انفعالية يعانيها المصاب بفايروس كورونا فتجعله قلق وغير سعيد ، وغير متوافق مع ذاته ، ومع بيئته .

الآثار الاجتماعية

تتلخص في مجموعة الأحداث ، أو المواقف، والصـعوبات المصـاحبة للإصـابة بفايروس كورونا المسـتجد التي يتعرض لها المصـــاب فتحد من كفاءته وقدرته على بناء علاقات اجتماعية إيجابية مع الآخرين، وبالتالي تعيق نموه، وتكيفه مع محيطه .

الإطار النظري للبحث

أولاً : فايروس كورونا المستجد كوفيد 19

مرض كوفيد–19 هو مرض مُعدٍ يصـيب الجهاز التنفسـي. وقد يؤدي إلى التهاب وتراكم المخاط والسـوائل في مجرى الهواء وفي الرئتين ، ويسببه آخر فيروس تم اكتشافه من سلالة فيروسات كورونا. ولم يكن هناك أي علم بوجود هذا الفيروس الجديد قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصـينية في ديسـمبر 2019. وقد تحوّل كوفيد–19 الآن إلى جائحة هددت كل بلدان العالم. [3]

وينتشر الفيروس المسبب لمرض كوفيد 19 بسهولة بين الناس ، فقد أظهرت البيانات أن الفايروس ينتقل بشكل رئيسي من شخص لآخر بين الأشخاص الذين يتعاملون عن قرب ، وعن طريق الرذاذ التنفسي الذي يخرج من الشخص المصاب بالفيروس حين يسعل ، أو يعطس ، أو يتنفس ، أو يتحدث

1 - حسين حسن سليمان وآخرون، (2005م) ، الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية مع الفرد والأسرة ، مجد المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ص105.

2 - محمد رمضان ، (2007م) ، جائحة كورونا التوجهات العالمية في ظل الانتشار، المركز الديموقراطي العربي، برلين-ألمانيا ، ص28 .

3 - أمال الفقي ، محمد أبوالفتوح ، مرجع سابق ، ص 69 .

أعراض الإصابة بفايروس كورونا كوفيد 19

بحسب ما أسفرت عنه الأبحاث والدراسات تتلخص الأعراض الأكثر شيوعًا لفيروس كوفيد–19 في الحمى والسعال والتعب ، وقد يعاني بعض المرضى من فقدان حاسة التذوق أو الشم، والتهاب الملتحمة، والصداع، وآلام العضلات، واحتقان وسيلان الأنف ، والتهاب الحلق، والإسهال، والغثيان أو القيء، وأنواع مختلفة من الطفح الجلدي. وعادة ما تكون هذه الأعراض خفيفة وتبدأ تدريجيًا، ويصاب بعض الأشخاص بالعدوى ولكن لا تظهر عليهم أي أعراض ولا يشعرون بتوعك ، ويتعافى معظم الناس (حوالي 80٪) من المرض دون الحاجة إلى رعاية خاصة ، وما يقرب من 1 من كل 6 من الأشخاص المصابون بفيروس كوفيد–19 يصابون بمرض خطير ويظهر عليهم أعراض فيروس كوفيد–19 الشديدة ، والتي تشمل صعوبة ، أو ضيق في التنفس، والارتباك، وفقدان الشهية، والألم أو الضغط المستمر في الصدر، ويحتاج إلى دخول المستشفى . وان كبار السن والذين يعانون من مشاكل طبية أساسية مثل ارتفاع ضغط الدم أو مشاكل القلب أو السكري هم أكثر عرضة للإصابة بأمراض خطيرة. [1]

الفئات المعرضة لخطر الإصابة بفيروس كورونا

هناك بعض الفئات التي ربما تكون أكثر عرضة للإصابة بمرض خطير إذا التقطت فيروس كورونا كوفيد–19 تشمل هذه الفئات :

- الأشخاص فوق سن الخامسة والسبعين هم الأكثر عرضة للإصابة
- جميع الأشخاص في سن الستين فما فوق الأشخاص.
- الكبار والأطفال المصابين بحالات مرضية مزمنة، ومنهم الأشخاص المصابون بأمراض القلب والتنفس .
- الأشخاص الذين يعانون من ضعف في جهاز المناعة بسبب مرض أو عالج، ومن بينهم مرضى السرطان المرضى المصابين بأي حالة مرضية يمكن أن تؤثر على وظائف الجهاز التنفسي.
- المقيمين في دور الرعاية وغيرها من أماكن الإقامة الطويلة، بما في ذلك مراكز رعاية الأشخاص ذوي الإعاقة، ومراكز رعاية الصحة العقلية، ومراكز رعاية المسنين .
- الأشخاص الذين تجاوزوا الخمسين عاما، المقيمين في مراكز رعاية الأشخاص ذوي الإعاقات المتخصصة .[2]

ثانياً : الخدمة الاجتماعية في المجال الطبي :

الخدمة الاجتماعية مهنة ذات أبعاد إنسانية تعمل على مساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانية على تحمل مسؤوليتهم والقيام بأدوارهم الاجتماعية قياماً حسناً وتحسين أحوال المجتمعات والأفراد مادياً ومعنوياً وتنمية قدراتهم والاعتماد على أنفسهم. [3]

1 - المرجع السابق ، ص 61 .
2 - منظمة الصحة العالمية ، مرجع سابق ، ص 73 .
3 - وزارة التربية والتعليم ، (1993م) ، المعجم الوجيز ، القاهرة ، ص 578.

وعرّفها **(هربرت ستروب)** بأنها: فن توصيل الموارد المختلفة إلى الفرد، والجماعة، والمجتمع، لإشباع احتياجاتهم عن طريق استخدام طريقة علمية لمساعدة الناس على مساعدة أنفسهم . [1]

وفي المجال الطبي يعرّفها **(المليجي)** بأنها: تلك الجهود المهنية التي يبذلها الأخصائي الاجتماعي في المؤسسة الطبية، ومع البيئات المختلفة للمريض، بهدف إفادته القصوى من جهود الفريق الطبي كي يتماثل للشفاء ويحقّق أقصى أداء اجتماعي له في أسرع وقتٍ ممكن . [2]

وهي تعد احدى فروع الخدمة الاجتماعية بصفة عامة وتمارس في المؤسسات الطبية واساسها العمل المشترك كعضو في الفريق الطبي مع (الطبيب وهيئه التمريض) وتهدف الى مساعده المريض للاستفادة الكاملة بالعلاج الطبي والوقاية من الامراض المختلفة والتكيف مع بيئته الاجتماعية .

الأخصائي الاجتماعي والفريق الطبي :

على الرغم من أن الأطباء ضلُّوا مرحلةً طويلةً يمثلون الطرف الوحيد الذي يلجأ إليه المرضى لحل مشكلاتهم الصحية، إلا أن الخدمة الاجتماعية الطبية رغم حداثتها تمكن من أن يعترف الأطباء بأهميتها، وقدرتها على معاونة المرضى، ومد يد العون لهم، وهذا يعتبر حجر الزاوية في نجاحها، ولما كان الفهم الكلي للمريض يتطلب ضرورة النظر إليه نظرة كلية تكاملية كجسم، ونفس، وبيئة أدى ذلك إلى حتمية علاجه عن طريق عمل الفريق الذي يشترك فيه أكثر من متخصّص في العملية العلاجية بحيث تنصهر هذه التخصّصات في وحدة واحدة تنتهي باتخاذ قرارات موحدة يتفق عليها الجميع، وترجع أهمية العمل الفريقي إلى أنه يضم مجموعة من المتخصصين في مجالات معينة، وبالتالي يعمل كل عضو من الفريق من خلال إطار مرجعي لمعلومات تخصصه [3] ، حيث يشترك العمل الفريقي على أسس رئيسة هي :

- احترام كل عضو لعمل وتخصّص كل الأعضاء الآخرين.
- إدراك كل عضو من أعضاء الفريق لوظيفته، وتخصصه إدراكاً واضحاً.
- إتاحة الفرصة لكل عضو لإبداء رأيه، وتوضيح دوره في كل حالة فردية.
- أن تسود بين أعضاء الفريق علاقة تعاون، وتفاهم، وثقة مبنية على الاحترام المتبادل . [4]

أدوار الأخصائي الاجتماعي في المجال الطبي

يمكن تلخيص الأدوار والممارسات المهنية للأخصائي الاجتماعي بالمجال الطبي فيما يلي:

- الإرشاد والتثقيف الصحي، الذي يعتبر أحد الفروع الرئيسية في مجالات الصحة العامة ، والغرض منه تغير العادات، والاتجاهات، والمفاهيم، والممارسات غير الصحية وغير المسئولة .
- إجراء مقابلات مع المرضى أثناء مروره اليومي داخل الأقسام الداخلية بالمستشفى، وجعلهم على وعي بدور المستشفى وطمأنتهم.

1 - نظيمة أحمد سرحان، (2006م) ، الخدمة الاجتماعية المعاصرة ، مجموعة النيل العربية، القاهرة ، ص ص82-83.
2 - إبراهيم المليجي،(1991م) ، الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1991م، ص ص31-34.
3 - إبراهيم المليجي وآخرون، (2004م) ، الخدمة الاجتماعية في المجال الطبي، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 2004م ،ص80.
4 - إقبال إبراهيم مخلوف، (ب ت) ، الرعاية الطبية والصحية ودور الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ص ص108-160.

- تنظيم وإعداد برامج ترفيهية، وأكاديمية لقضاء أوقات الفراغ لدى المرضى وتسجيل ملاحظاتهم على سلوكهم.
- إعداد تقرير عن حالة المريض، قبل خروجه من المستشفى بما يفيد إتباع حالته. (1)
- إنشاء ملف اجتماعي لكل حالة داخل القسم، من بداية قيده، حتى خروجه متضمنًا جميع المعلومات عن المريض، وأعراض المرض، والمظاهر السلوكية المصاحبة له.
- مراقبة سلوك المرضى داخل الأقسام، وعلاقتهم ببعضهم البعض وكذلك علاقتهم بالفريق الطبي.
- استثمار الزيارة العائلية للمريض، في توضيح أهمية الزيارة لرفع معنويات المرضى، واستكمال
- المعلومات المتبقية لمراجعة حالتهم. (2)
- تزويد الأطباء بالمعلومات عن المريض للمساعدة في العلاج.
- تتبع الحالات بعد الخروج من المستشفى لضمان سير الخطة العلاجية كما خطط لها ومنع انتكاسة
- حالة المريض .
- اتخاذ إجراءات التحويل المناسب إلى المؤسسات الطبية الأخرى لمن تتطلب حالاتهم ذلك.
- الإسهام في البرامج الإرشادية والإعلامية لسكان المجتمع سواء داخل المؤسسة الطبية أو خارجها.
- القيام بما يسند إليه من أعمال تتعلق بحالات المريض من إدارة المؤسسة الطبية.
- القيام بعمل التدعيم النفسي لتخفيف حدة التوتر والقلق لدى بعض المرضى مثل المرضى بالسكر
- أو ضغط الدم ، أو الأمراض القلبية ، أو الالتهاب الكبدي الوبائي ، أو الفشل الكلوي...الخ
- وضع خطة تأهيلية اجتماعية ونفسية للمريض لممارسة الحياة بصورة طبيعية بعد إتمام العلاج
- توعية الأسرة بأخطار المرض وآثاره وكيفية التعامل مع المريض بصورة صحية صحيحة وكيفية
- إتباع القواعد الصحية لتفادي انتشار المرض بين أفراد الأسرة. [3]

ومن هذا المنطلق أصبح المجال الطبي ، من أهم ميادين عمل الخدمة الاجتماعية ، وأصبحت خدماتها ضرورة من ضروريات النهوض بهذا المجال في مجتمع يؤمن بأهمية العلم ، ومن تم يمكن أن نحدد دور الاخصائي الاجتماعي مع الفريق الطبي في ظل جائحة كورونا – كوفيد 19 وبحسب ما خلصت إليه بعض الأبحاث المنجزة في الآتـــي :

- تقديم المساعدات الاجتماعية والنفسية للتخفيف من حدة التوتر والخوف والقلق الذي يصيب المريض أثناء وجوده بمستشفى العزل عن طريق حثهم على تقبل الإصابة والتعايش معها كخطوة اساسية في العلاج .
- مساعدة المصابين على تعلم مهارات التكيف ، والتوافق مع المشكلات ، والتماشي معها إلى حين مواجهتها وحلها ، وكيفية استثمار إمكانياتهم وقدراتهم وتنميتها.

1 - المرجع السابق، ص ص245 – 255.
2 - قبال إبراهيم مخلوف، (1991م) ، العمل الاجتماعي في مجال الرعاية الطبية ، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، ص191.
3 - سميرة قحاص، (2007م) ، دور الخدمة الاجتماعية في المساعدة على مواجهة مرضى الفشل الكلوي، رسالة ماجستير غير منشورة ، أكاديمية الدراسات العليا ، ص ص238-239.

- العمل مع المرضى الذين يجدون صعوبة في التكيف مع ظروف الاصابة ، ومساعدتهم على تعديل أفكارها غير الصحيحة ومشاعرها السلبية وسلوكياتها غير المرغوبة ، أي السعي لإحداث تغيرات ايجابية في الذات لدى المريض .
- التدخل للمساعدة في المشاكل التي يعيش فيها المريض والتي لها رد فعل على مرضه كالمشاكل الأسرية، أو الاقتصادية، وأيضاً المشاكل الناتجة عن المرض نفسه والمشاكل التي تتعلق بالعمل أو الدراسة.
- نشر الوعى الصحى والطبي لدى اسر المرضي المصابين والمخالطين لهم عن كيفية التعامل الصحيح واتباع الاجراءات الوقائية ، بالتعاون مع الأطباء .
- تنسيق العمل بين كافة اعضاء الفريق الطبي داخل مستشفى العزل ، وامدادهم بالمعلومات اللازمة عن الحالة النفسية والاجتماعية للمريض المحجوز بقسم العزل .
- التواصل مع إدارة المستشفى لتوصيل شكاوى المرضى بقسم العزل.
- التأكيد على أهمية التباعد الجسدي للمحافظة على الصحة العامة وتجنب الإصابة بالمرض.
- مساعدة العملاء في التخفيف من حدة التغيرات المفاجئة عن فقدان دورهم الوظيفي واضطرارهم للبقاء في المنزل للمحافظة على صحتهم وسلامتهم.
- ومن الأساليب العلاجية التي يمكن ان يمارسها الأخصائيون الاجتماعيون مع عملائهم في هذه الفترات الحرجة من انتشار فايروس كورونا ومنها : مساعدة المرضى على التفريغ الوجداني من خلال إعطائهم الفرصة للتعبير عما يعتريهم من مخاوف وقلق إزاء الإصابة بالفايروس ، أو تعرضهم لأزمات مالية أو صحية نتيجة العزل المنزلي الذي قد يؤدي إلى انقطاع أعمالهم ومواردهم المالية والاقتصادية.

ثالثاً : الدراسات السابقة

تساعد الدراسات السابقة الباحث في توجيه جهوده العلمية ، من خلال تحديد ما تم بحثه ومالم يبحث بعد من جوانب مشكلة الدراسة ، فهي تساعده وتمهد له الطريق لإجراء بحثه [1] ، وفي هذا السياق أجريت بعض الدراسات والبحوث العلمية وإن كانت قليلة في محاولة لاكتشاف أبعاد جائحة كورونا كوفيد 19 وآثارها ، ومن هذه الدراسات والبحوث ما يلي : .

1. **دراسة الفقي & أبو الفتوح 2020م** بعنوان : " المشكلات النفسية المترتبة على جائحة فيروس كورونا المستجد لدى عينة من طلاب وطالبات الجامعة بمصر" [2] حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة المشكلات النفسية المترتبة على جائحة فيروس كورونا وللوصول إلى نتائج البحث تم استخدام مقياس للمشكلات النفسية لدى طلاب الجامعة، وتوصلت النتائج إلى أن الضجر والكدر النفسي من أكثر المشكلات النفسية التي يعاني منها طلاب، وبدرجة متوسطة المشكلات النفسية الأخرى مثل : الوحدة النفسية ، الاكتئاب ، الوساوس القهرية ، اضطرابات الأكل ، اضطرابات النوم المخاوف الاجتماعية ، كذلك توصلت إلى وجود

1 - العجيلي سركز ، عياد أمطير ، (2002م) ، البحث العلمي أساليبه وتقنياته ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ص77.
2 - أمال ابراهيم الفقى ، محمد كمال أبو الفتوح ، مرجع سابق .

فروق داله إحصائياً في المشكلات النفسية يعزى لمتغيري النوع والعمر الزمني لصالح الاناث ، والأكبر سناً، ولا يوجد فروق داله إحصائياً يعزى لمتغير البيئة.

2. **دراسة عبدالواحد (2020م)** حول معتقدات الأفراد واتجاهاتهم نحو المريض المصاب بفيروس كورونا المستجد في ضوء بعض المتغيرات الديموغرافية المتمثلة في (النوع ، العمر، ومكان الاقامة) ، وأجريت الدراسة على عينة قوامها (1500) فرداً من الجنسين ، وبتطبيق أداة الدراسة بشكل الكتروني عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي ، أسفرت النتائج عن حدوث تحسن واضح في المعتقدات والاتجاهات المتصلة بفيروس كورونا المستجد ، وكذلك نحو المريض المصاب به ، كما كشفت النتائج عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد العينة في الاتجاهات نحو المريض المصاب بحسب النوع لصالح الذكور، والعمر لصالح الأكبر سنا ، إضافة إلى عدم وجود فروق في تلك المعتقدات والاتجاهات ترجع إلى مكان الإقامة .[1]

3. **دراسة بومدين & جلولي 2021م** بعنوان " الصحة النفسية في ظل انتشار فيروس كورونا كوفيد–19 " [2] ، سعت الدراسة إلى التعرف على أهم المؤشرات الدالة على انخفاض الصحة النفسية في ظل انتشار فيروس كورورنا كوفيد–19 والتباعد الاجتماعي واستمرار الحجر الصحي، وتكونت عينة الدراسة من (446) شخص، وتوصل البحث إلى أن أهم المؤشرات الدالة على انخفاض الصحة النفسية هي الشعور بخوف كبير من الاصابة بالوباء، والعجز من حماية أفراد العائلة، كما أن مستوى الصحة النفسية في ظل أزمة كورونا منخفض، بالإضافة إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى الصحة النفسية في الظل أزمة كورونا تعزى لمتغير الجنس.

4. **دراسة عبدالله** بعنوان "الصحة النفسية في زمن كورونا (كوفيد 19) المستجد وتداعيات الحجر المنزلي"[3] هدف الباحث من دراسته إلى الوقوف على واقع الصحة النفسية في الجزائر في ظل انتشار جائحة كورونا (كوفيد 19) المستجد وتداعيات الحجر المنزلي، ونوعية برامج الدعم النفسي الاجتماعي التي عملت الحكومة الجزائرية على تقديمها لأفراد المجتمع من أجل التخفيف من وطأة الأزمة النفسية عليهم والتي أفرزتها الجائحة ، وتوصلت الدراسة أن الحكومة الجزائرية فشلت بالمطلق في مواكبة تداعيات الجائحة في الجانب النفسي لأفراد مجتمعها، وهو ما تترجمه وتيرة تزايد الاضطرابات النفسية لديهم على اختلافها منذ بداية انتشار الجائحة.

5. **دراسة نبار** بعنوان 2021م "الضغوط النفسية في ظل الحجر المنزلي خلال تفشي كورونا "[4] هدفت الدراسة الحالية إلى التعرف على مستوى الضغوط النفسية في ظل الحجر المنزلي لدى عينة من المجتمع الجزائري، وكذا الكشف عن الفروق ذات الدلالة الإحصائية إن وجدت في درجة الضغوط النفسية تعزى لمتغير الجنس ، والعمر ، وطبق الاستبيان على عينة قوامها (259) فرد من المجتمع الجزائري . وتوصلت نتائج الدراسة

1 - يوسف سليمان عبدالواحد ، (2020م) ، فيروس كورونا المستجد والاتجاهات نحو المريض المصاب به لدى عينة متباينة من أفراد الشعب المصري ، المجلة التربوية ، كلية التربية ، جامعة سوهاج ، العدد (75) .

2 - سنوسي بومدين ، زينب جلولي ، الصحة النفسية في ظل انتشار فيروس كورونا كوفيد-19 والتباعد الاجتماعي واستمرار الحجر الصحي ، مجلة التمكين الاجتماعي ، 2021م ، ص ص65-80 .

3 - جوزه عبدالله ، الصحة النفسية في زمن كورونا (كوفيد 19) المستجد وتداعيات الحجر المنزلي ، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية ، ص ص 201 – 231 .

4 - رقية نبار ، (2021م) ، الضغوط النفسية في ظل الحجر المنزلي خلال تفشي جائحة كورونا ، مجلة دراسات نفسية وتربوية ، ص ص 465-482 .

إلى وجود مستوى متوسط من الضغوط النفسية لدى أفراد العينة ، وإلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغيرات الجنس والعمر.

6. **دراسة أيوب & ياسمين 2021م** بعنوان "المشكلات الاجتماعية للمرأة العاملة في ظل انتشار فيروس كورونا " [1] استهدف البحث الحالي التعرف علي مستوي المشكلات الاجتماعية للمرأة العاملة في ظل انتشار فيروس كورونا وكذلك استهدف عمل مقارنة بين المشكلات الاجتماعية، للمرأة العاملة في القطاعين العام والخاص في ظل جائحة فيروس كورونا19 ، وقد تكونت عينة البحث من (260) امرأة عاملة بالمستشفيات العامة والخاصة بمحافظتي القاهرة والجيزة أعمارهن (25) سنة فأكثر وتوصلت النتائج إلى ارتفاع مستوي المشكلات الاجتماعية لدي المرأة العاملة في القطاعين العام والخاص في ظل جائحة فيروس كورونا ، وجود فروق معنوية دالة إحصائياً بين المشكلات الاجتماعية للمرأة العاملة في القطاعين العام والخاص في ظل جائحة فيروس كورونا لصالح القطاع الخاص .

.7

إجراءات البحث

يتضمن الإجراءات التي تم القيام بها لتحقيق أهداف البحث والتي تتلخص في تحديد مجتمع البحث، وكيفية اختيار العينة ، وإعداد أداة جمع المعلومات ، وتصميم فقراتها، فضلا عن الصدق ، والاساليب الإحصائية ، التي استخدمت لتحليل نتائجها.

منهجية البحث

انطلاقاً من طبيعة البحث فإن المنهج المناسب هو المنهج الوصفي ، والذي يعرف على أنه "عبارة عن طريقة تتبع في التعرف على صفات ظاهرية موجودة في الزمن الحاضر ، وهذه الصفات يعترف بالتعبير عنها وفق المعلومات المجمعة في استمارة مقابلة ، أو استبيان ، أو مشاهدة سلوك" [2]

مجتمع البحث

يتمثل مجتمع البحث في المصابين "بكوفيدا 19" كورونا ، والأطباء ، والأخصائيين الاجتماعيين العاملين بمراكز العزل .

عينة البحث

نظراً لحساسية الموضوع وحداثته تم أخذ عينة عشوائية طبقية أو فئوية، حيث تم تضييق مجتمع البحث وحصره في المصابين "بكوفيدا 19" كورونا في مدينة طرابلس ، حيث تم اختيار عينة قوامها (31) من المصابين ، وعدد (13) من الأطباء و(18) من الأخصائيين الاجتماعيين العاملين بمراكز سوق الثلاثاء وامعيتيقة للعزل .

1 - أيوب محمد ، ياسمين على (2021م) ، المشكلات الاجتماعية للمرأة العاملة في ظل انتشار فيروس كورونا ، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية ، العدد 45 ، الجزء الرابع .

2 - عقيل حسين عقيل ، (1995م) ، فلسفة مناهج البحث العلمي ، منشورات ELGOA ، فاليتا ، ص 79 .

أداة البحث

لتحقيق أهدف البحث فقد تم تطوير أداة البحث (استمارة الاستبيان) ، بالاعتماد على الأدب النظري للبحث ، إضافة إلى الاطلاع على عدد من الاستبانات المستخدمة في الدراسات السابقة ذات العلاقة ، وقد تم مراعاة أن تكون الاستبانة متكيفة مع البيئة المبحوثه ، واشتملت أداة البحث على ثلاثة استمارات هي :

- الاستمارة الأولى : خاصة بالمصابين بفيروس الكورونا "كوفيد 19" وتنقسم إلى :

  أ. الآثار النفسية الناجمة عن الإصابة بفيروس الكورونا "كوفيد 19" عدد فقراتها (9) فقرات

  ب.الآثار الاجتماعية الناجمة عن الإصابة بفيروس الكورونا "كوفيد 19" عدد فقراتها (9) فقرات .
- الاستمارة الثانية : خاصة بالأطباء العاملين بمراكز العزل وتتضمن دور الأخصائي الاجتماعي كعضو في الفريق الطبي من وجهة نظر العناصر الطبية بمستشفيات العزل بفيروس الكورونا "كوفيد 19" وعددها (13) فقرة .
- الاستمارة الثالثة : مواجهة للأخصائيين الاجتماعيين وتتضمن الصعوبات التي تواجه أداء دور الأخصائي الاجتماعي مع الفريق الطبي بمراكز العزل وعددها (18) فقرة .

صدق أداة البحث

يعنى الصدق أن " يكون الاختبار صادقاً إذا كان فعلاً يقيس ما يجب قياسه " [1] ، وتم حساب الصدق بطريقة صدق المحكمين حيث تم عرض أداة البحث (استمارة الاستبيان)على مجموعة من أعضاء هيئة التدريس بقسم الخدمة الاجتماعية بكلية الآداب جامعة الزيتونة ومن خلال ملاحظاتهم إدخال التعديلات بالحذف والاضافة للاستمارة، حتى وصلت إلى صورتها النهائية ، وتحقق بذلك الصدق الظاهرة لأداة الدراسة.

الأساليب الإحصائية المستخدمة في البحث

تم استخدام التكرارات ، والنسب المئوية (%) ، لوصف خصائص عينة البحث ، وحساب المتوسطات الحسابية ، والانحرافات المعيارية ، والوزن النسبي للإجابة عن تساؤلات البحث .

1 - أبوالنجا محمد العمري (2000م) ، الخطوات المنهجية في بحوث الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، المكتبة الجامعية ، ص 194 .

نتائج البحث :

التساؤل الأول : ما الآثار النفسية الناجمة عن الإصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19" من وجهة نظر المصابين بالفايروس ؟

وللكشف عن ترتيب ومستوى انتشار الآثار النفسية الناجمة عن الإصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19" من وجهة نظر المصابين بالفايروس ، فقد تم حساب التكرارات والنسبة المئوية ، والمتوسط الحسابي ، وكذلك الانحراف المعياري ، والوزن النسبي ، وجاءت النتائج كما هي موضحة في الجدول التالي :

الجدول (1)

يوضح ترتيب ومستوى الآثار النفسية الناجمة عن الإصابة بفيروس الكورونا "كوفيد 19"

ر.م	الفقرات	الاستجابات				الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب	المستوى
		موافق		غير موافق						
		ك	%	ك	%					
1.	اشعر بالاغتراب في جو المجتمع	25	80.6	6	19.4	1.81	.402	% 90.5	4	عالي
2.	لا أتمكن من ضبط انفعالاتي.	17	54.8	14	45.2	1.55	.506	% 77.5	6	عالي
3.	أشعر بالقلق على مستقبلي المهني.	7	22.6	24	77.4	1.23	.425	% 61.5	8	متوسط
4.	أخاف أن يحدث شيء لي ولأفراد أسرتي	30	96.8	1	3.2	1.97	.180	% 98.5	1	عالي
5.	أعاني من فقدان الاحساس بالاطمئنان النفسي.	14	45.2	17	54.8	1.45	.506	% 72.5	7	عالي
6.	تؤلمني نظرة الناس المشفقة لي	29	93.5	2	6.5	1.94	.250	% 97	2	عالي
7.	أشعر بأنني محبط ودائم التوتر	11	35.5	20	64.5	1.35	.486	% 67.5	9	متوسط
8.	اشعر باني متقلب المزاج	19	61.3	12	38.7	1.61	.495	% 80.5	5	عالي
9.	أعاني من الأرق وقلة النوم	27	87.1	4	12.9	1.87	.341	% 93.5	3	عالي
	المجموع					1.64		% 82.11		عالي

يتبين من الجدول أن المتوسط العام للآثار النفسية الناجمة عن الإصابة بفيروس الكورونا "كوفيد 19" بلغ (1.64) ، ووزن نسبي بلغ (82.11%) ، وهذا يعني أن الآثار النفسية بحسب تقدير عينة البحث **ذا مستوى عالي .**

من خلال معطيات الجدول أعلاه يتضح أن هناك تقارب في تقدير الآثار النفسية الناجمة عن الإصابة بفيروس الكورونا "كوفيد 19"، ومن ثم تم ترتيبها تنازلياً حسب إجابات أفراد عينة الدراسة عليها كالتالي :

جاءت وبدرجة عالية العبارة رقم (4) في المرتبة الأولى والتي تنص على "أخاف أن يحدث شيء لي ولأفراد أسرتي" ، حيث أجاب بالموافقة 96.8% ، بمتوسط حسابي قدره 1.97 ، وأجاب بأنها لا تشكل مشكلة لدى 3.2% من عينة الدراسة ، تليها العبارة رقم (6) التي تنص على أن " تؤلمني نظرة الناس المشفقة لي"، بالمرتبة الثانية من حيث موافقة أفراد العينة عليها بنسبة 97% وبمتوسط حسابي قدره 1.94 وانحراف معياري بلغ 250. وفي المرتبة الثالثة وبدرجة متوسطة الفقرة رقم (9) ، "أعاني من الأرق وقلة النوم" ، بمتوسط حسابي بلغ 1.87، وجاءت في المرتبة الرابعة الفقرة رقم (1) ، المتعلقة بـ "أشعر بالاغتراب في جو المجتمع" بمتوسط حسابي قدره 1.81 ، وانحراف معياري بلغ 402. ، وحلت في المرتبة الأخيرة : الفقرة (7) ، والتي تنص على "أشعر بأنني

محبط ودائم التوتر" بنسبة موافقة بلغت 35.5% ، ومتوسط حسابي قدره 1.35 ، ووزن نسبي وصل الى 67.5% وتتفق نتائج هذا البحث بشكل جزئي مع نتائج دراسة كل من الفقي & أبو الفتوح (2020م) التي أظهرت أن من بين المشكلات النفسية الناجمة عن الإصابة بفيروس الكورونا "كوفيد 19" : الشعور بالوحدة النفسية ، الاكتئاب ، الوساوس القهرية ، اضطرابات الأكل ، اضطرابات النوم، ودراسة بومدين & جلولي 2021م التي توصلت إلى انخفاض الصحة النفسية والشعور بالخوف الكبير من الاصابة بالوباء، والشعور بالعجز عن حماية أفراد العائلة، كما أن مستوى الصحة النفسية في ظل أزمة كورونا منخفض ، واختلفت مع نتائج دراسة نبار التي توصلت إلى وجود مستوى متوسط من الضغوط النفسية لدى أفراد عينة البحث .

التساؤل الثاني : ما الآثار الاجتماعية الناجمة عن الإصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19" من وجهة نظر المصابين بالفايروس ؟

وللكشف عن ترتيب ومستوى انتشار الآثار الاجتماعية الناجمة عن الإصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19" من وجهة نظر المصابين بالفايروس ، فقد تم حساب التكرارات والنسبة المئوية ، والمتوسط الحسابي ، وكذلك الانحراف المعياري ، والوزن النسبي ، وجاءت النتائج كما هي موضحة في الجدول التالي :

الجدول (2)

يوضح ترتيب ومستوى الآثار الاجتماعية الناجمة عن الإصابة بفيروس الكورونا "كوفيد 19"

ر.م	الفقرات	الاستجابات				الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب	المستوى
		موافق		غير موافق						
		ك	%	ك	%					
.1	أفتقد التواصل مع أصحابي ومعارفي	9	29.0	22	71.0	1.29	.461	% 64.5	6	متوسط
.2	لقد فقدت كل اهتمامي ورغبتي في التعامل مع الناس	11	35.5	20	64.5	1.35	.486	% 67.5	5	متوسط
.3	تضايقني القيود التي تفرضها الإصابة بالمرض	27	87.1	4	12.9	1.87	.341	% 93.5	1م	عالي
.4	أعاني من قلة النشاطات الاجتماعية	21	67.7	10	32.3	1.68	.475	% 84	2	عالي
.5	أواجه صعوبة في اقامة علاقات اجتماعية.	14	45.2	17	54.8	1.45	.506	% 72.5	4	عالي
.6	تضايقني النظرة السلبية للمصابين بالمرض	7	22.6	24	77.4	1.23	.425	% 61.5	8	متوسط
.7	أصبحت تؤثر أحداث الإصابة بالمرض على تصرفاتي وسلوكي اليومي	20	64.5	11	35.5	1.65	.486	% 82.5	3	عالي
.8	أشعر بأن الآخرين يتجنبون الحديث معي	27	87.1	4	12.9	1.87	.341	% 93.5	1 م	عالي
.9	تغيرت علاقاتي بالأصدقاء بعد الإصابة بالمرض	8	25.8	23	74.2	1.26	.445	% 63	7	متوسط
	المجموع					1.51		% 75.5		عالي

يتبين من الجدول أن المتوسط العام للآثار الاجتماعية الناجمة عن الإصابة بفيروس الكورونا "كوفيد 19"بلغ (1.51) ، ووزن نسبي بلغ (75.5%) ، وهذا يعني أن الآثار الاجتماعية بحسب تقدير عينة البحث ذا مستوى عالي .

وبتحليل أبعاد الآثار الاجتماعية ، يتضح أن الفقرات (3) التي تنص على "تضايقني القيود التي تفرضها الإصابة بالمرض "، الفقرة (8) "أشعر بأن الآخرين يتجنبون الحديث معي" احتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (1.87) ، وانحراف معياري قدره (.341) ، وبنسبة وصلت (93.5 %) ، وهي تعكس درجة موافقة عالية ، تليها الفقرة رقم (4) "أعاني من قلة النشاطات الاجتماعية" بمتوسط حسابي بلغ (1.68)، وانحراف معياري (.475) ، ووزن نسبي قدره (84%) ، وجاء في المرتبة الثالثة عبارة "أصبحت تؤثر أحداث الإصابة بالمرض على تصرفاتي

وسلوكي اليومي" بمتوسط حسابي بلغ (1.65) ، وانحراف معياري (.486)، ووزن نسبي وصل الى (82.5%) ، وفي المراتب الأخيرة جاءت على التوالي الفقرات (9) التي تنص على "تغيرت علاقاتي بالأصدقاء بعد الإصابة بالمرض "، والفقرة (6) التي تنص على " تضايقني النظرة السلبية للمصابين بالمرض " ، بمتوسطات حسابية قدرها (1.26) ، و(1.23) ، وانحراف معياري (.445) ، (.425) ، وبنسب وصلت إلى (63%) ، و(61.5%) . **وجاءت نتائج هذا البحث** متفقة مع ما توصلت إليه دراسة كل من أيوب & ياسمين 2021م إلى ارتفاع مستوي المشكلات الاجتماعية لدي المرأة العاملة في القطاعين العام والخاص في ظل جائحة فيروس كورونا ودراسة حميدي (2020م) التي توصلت وبنسبة (49.2%) تكونت لديهم حالة من الرهاب الاجتماعي لدى سماعهم بأخبار توسع جائحة كورونا .

التساؤل الثالث : ما الدور المهني للأخصائي الاجتماعي كعضو في الفريق الطبي في التخفيف من الآثار النفسية والاجتماعية الناجمة عن الإصابة بجائحة كورونا "كوفيد 19" ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل فقد تم حساب التكرارات والنسبة المئوية ، والمتوسط الحسابي ، وكذلك الانحراف المعياري ، والوزن النسبي ، وجاءت النتائج كما هي موضحة في الجدول التالي :

الجدول (3)

الدور المهني للأخصائي الاجتماعي كعضو في الفريق الطبي بمستشفيات العزل

ر.م	الفقرات	الاستجابات						الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب	المستوى
		موافق		موافق الى حد ما		غير موافق						
		ك	%	ك	%	ك	%					
.1	استقبال حالات المرضى داخل مستشفى العزل	11	37.9	3	10.3	15	51.7	1.86	.953	62 %	10	متوسط
.2	امداد الفريق الطبي بمعلومات اجتماعية عن الحالة	5	17.2	16	55.2	8	27.6	1.90	.673	63.33 %	9	متوسط
.3	التخفيف من مشاعر الخوف لدى المصابين	20	69.0	5	17.2	4	13.8	2.55	.736	85 %	1	عالي
.4	توعية المريض بكيفية التعامل مع الاصابة	18	62.1	7	24.1	4	13.8	2.48	.738	82.66 %	2	عالي
.5	مساعدة الفريق الطبي على تقبل سلوكيات وردود فعل المصاب	10	34.5	16	55.2	3	10.3	2.24	.636	74.66 %	6 م	متوسط
.6	مساعدة المصاب على تقبل العلاج الطبي	13	44.8	12	41.4	4	13.8	2.31	.712	77 %	5	متوسط
.7	مساعدة أسر المصابين على تقبل طبيعة الإجراءات التي تتبع مع مصابهم داخل مستشفى العزل	11	37.9	5	17.2	13	44.8	1.93	.923	64.33 %	8	متوسط
.8	التواصل مع أسر المصاب للاطمئنان على حالته	5	17.2	9	31.0	15	51.7	1.66	.769	55.33 %	11	متوسط
.9	القيام بحمالات لتوعية بطبيعة فايروس كورونا	17	58.6	8	27.6	4	13.8	2.45	.736	81.66 %	3 م	عالي
.10	توعية أسر المصاب بالتعامل السليم مع المريض بعد الخروج من المستشفى	19	65.5	4	13.8	6	20.7	2.45	.827	81.66 %	3 م	عالي
.11	التعاون مع الفريق الطبي لتقديم أفضل الخدمات العلاجية	15	51.7	9	31.0	5	17.2	2.34	.769	78 %	4	عالي
.12	مساعدة المصاب على تقبل خطة العلاج	8	27.6	17	58.6	4	13.8	2.14	.639	71.33 %	7	متوسط
.13	تعديل اتجاهات المرضى عن طبيعة الإصابة بفايروس كورونا	12	41.4	12	41.4	5	17.2	2.24	.739	74.66 %	6 م	متوسط
	المتوسط العام							2.19		73 %		متوسط

نلاحظ من خلال الجدول (3) مستوى الدور المهني للأخصائي الاجتماعي كعضو في الفريق الطبي بمستشفيات العزل بلغ (2.19) ، ووزن نسبي بلغ (73%) ، وهذا يعني أن مستوى الدور بحسب نتائج البحث ذا مستوى متوسط

حيث نجد قيام الأخصائي الاجتماعي بالتخفيف من مشاعر الخوف لدى المصابين احتلت المرتبة الأولى فأجاب (69.0%) بـ (موافق) و (17.2%) بـ (موافق الى حد ما) و (13.8%) بـ (غير موافق) يليها قيام الأخصائي الاجتماعي بتوعية المريض بكيفية التعامل مع الاصابة فبلغت نسبة الذين أجابوا بـ (موافق) (62.1%) ونسبة الذين أجابوا بـ (موافق الى حد ما) (24.1%) ونسبة الذين أجابوا بـ (غير موافق) (13.8%) ، وفي الترتيب الثالث يتضح دور الأخصائي في القيام بحمالات للتوعية بطبيعة فايروس كورونا ، وتوعية أسر المصاب بالتعامل السليم مع المريض بعد الخروج من المستشفى بمتوسط حسابي قدره (2.45) ، وبوزن نسبي بلغ (81.66 %) ، وجاء في المراتب الأخيرة الفقرات (2) التي تنص على " امداد الفريق الطبي بمعلومات اجتماعية عن الحالة" فقد أجاب بـ (الموافقة) و (17.2%) وبـ (موافق الى حد ما) و (55.2%) ، وبـ (غير موافق) ما نسبته (27.6%) ، وأخيراً العبارة التي تتضمن استقبال الأخصائي الاجتماعي لحالات المرضى داخل مستشفى العزل بمتوسط حسابي قدره (1.86) ، وانحراف معياري (.953) وبوزن نسبي لم يتعدى (62%) .

التساؤل الرابع : ما الصعوبات التي تواجه أداء الأخصائي الاجتماعي لدوره بمستشفيات العزل لمرضى كورونا؟

وللوقوف على هذه الصعوبات فقد تم حساب التكرارات والنسبة المئوية ، والمتوسط الحسابي ، والانحراف المعياري ، والوزن النسبي ، وجاءت النتائج كما هي موضحة في الجدول التالي :

الجدول (4)

برأيك ما الصعوبات التي تواجه أداء دور الأخصائي الاجتماعي بمستشفيات العزل

ر.م	الفقرات	الاستجابات				الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب	المستوى
		موافق		غير موافق						
		ك	%	ك	%					
.1	قلة وعي اسر المرضى بدور الاخصائي مما يؤدي إلى تجاهله.	23	88.5	3	11.5	1.88	.326	% 94	3	عالي
.2	عدم وضوح دور الأخصائي مع الفريق الطبي بمركز العزل	19	73.1	7	26.9	1.73	.452	% 86.5	6 م	عالي
.3	عدم وجود اشراف مهني لتوجيه الأخصائي الاجتماعي في المستشفى	7	26.9	19	73.1	1.27	.452	% 63.5	12 م	متوسط
.4	عدم تعاون بعض أعضاء الفريق الطبي مع الإخصائي الاجتماعي لعدم وعيهم بأهمية دوره	16	61.5	10	38.5	1.62	.496	% 81	9 م	عالي
.5	نظرة أعضاء الفريق الطبي للأخصائي الاجتماعي كمنافس وليس كمعاون لهم.	19	73.1	7	26.9	1.73	.452	% 86.5	6 م	عالي
.6	نقص الحوافز المالية لجهود الأخصائي الاجتماعي	26	100.0	-	-	2.00	.000	% 100	1	عالي
.7	موقف الفريق الطبي الذين يرون أنه لا داعي لوجود الاخصائي الاجتماعي بمركز العزل	18	69.2	8	30.8	1.69	.471	% 84.5	7	عالي
.8	عدم اقتناع الإدارة بتأثير العوامل الاجتماعية على خطة العلاج	17	65.4	9	34.6	1.65	.485	% 82.5	8	عالي
.9	قلة الرضا الوظيفي للأخصائي الاجتماعي عن عمله بالمستشفى	4	15.4	22	84.6	1.15	.368	% 57.5	13	متوسط
.10	قلة أعداد الأخصائيين الاجتماعين بالمركز	13	50.0	13	50.0	1.50	.510	% 75	11	عالي
.11	عدم تقبل تدخل الأخصائي الاجتماعي	16	61.5	10	38.5	1.62	.496	% 81	9 م	عالي
.12	عدم تخصيص مكان مناسب لعمل الأخصائي الاجتماعي بالمستشفى	19	73.1	7	26.9	1.73	.452	% 86.5	6 م	عالي
.13	عدم شعور الاخصائي الاجتماعي بالتقدير من المحيطين به لما يبذله من عمل وجهد بمركز العزل	15	57.7	11	42.3	1.58	.504	% 79	10	عالي
.14	تكليف الاخصائي الاجتماعي بمهام لا تمت بصلة لدوره	20	76.9	6	23.1	1.77	.430	% 88.5	5	عالي
.15	نقص الخبرة المهنية لدى بعض الاخصائيين الاجتماعيين	7	26.9	19	73.1	1.27	.452	% 63.5	12 م	متوسط
.16	عدم إدراك بعض المرضى المصابين لدور الأخصائي الاجتماعي مع الفريق الطبي	25	96.2	1	3.8	1.96	.371	% 98	2	عالي
.17	عدم توفر الرغبة والميل لدى الاخصائي الاجتماعي للعمل	3	11.5	23	88.5	1.12	.326	% 56	14	متوسط

ر.م	الفقرات	الاستجابات				الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب	المستوى
		موافق		غير موافق						
		ك	%	ك	%					
18.	مكان العمل غير ملائم لممارسة الأخصائي الاجتماعي	22	84.6	4	15.4	1.85	.368	% 92.5	4	عالي
	المتوسط العام					1.61		% 80.5		عالي

يتبين من الجدول أن المتوسط العام للصعوبات بلغ (1.61) ، ووزن نسبي بلغ (80.5%) ، وهذا يعني أن الصعوبات التي تواجه أداء دور الأخصائي الاجتماعي بمراكز العزل بحسب تقدير عينة البحث ذا مستوى عالي ومن نتائج الجدول يتضح أن هناك تقارب في تقدير مستوي الصعوبات التي تواجه أداء دور الأخصائي الاجتماعي بمستشفيات العزل من وجهت نظر عينة البحث ، ومن ثم تم ترتيبها تنازلياً حسب إجابات أفراد عينة الدراسة عليها كالتالي : جاءت وبدرجة عالية جداً العبارة رقم (6) في المرتبة الأولى والتي تنص على نقص الحوافز المالية لجهود الأخصائي الاجتماعي ، حيث أجاب بالموافقة كامل أفراد عينة البحث (100%) ، بمتوسط حسابي قدره (2.00) ، تليها العبارة رقم (16) التي تنص على عدم إدراك بعض المرضى المصابين لدور الأخصائي الاجتماعي مع الفريق الطبي ، بالمرتبة الثانية من حيث موافقة أفراد العينة عليها بنسبة (98%) وبمتوسط حسابي قدره (1.96) وانحراف معياري بلغ (.371) ، وفي المرتبة الثالثة وبدرجة عالية الفقرة رقم (1) ، قلة وعي اسر المرضى بدور الاخصائي مما يؤدي إلى تجاهله ، بمتوسط حسابي بلغ 1.88 ، وجاءت في المرتبة الرابعة الفقرة رقم (18) التي تتضمن أن مكان العمل غير ملائم لممارسة الأخصائي الاجتماعي لدوره حيث أجاب بالموافقة (84.6%) ، وعدم الموافقة (15.4%) ، وحلت في المرتبة الأخيرة : الفقرة (2) ، والتي تنص على "عدم توفر الرغبة والميل لدى الاخصائي الاجتماعي للعمل" بنسبة موافقة بلغت 11.5% ، ومتوسط حسابي قدره (1.12) ، وانحراف معياري (.326) ، ووزن نسبي وصل الى(56%).

وحسب هذه النتائج فالأمر يتطلب

الصعوبات التي واجهت البحث

- انتشار وباء كورونا ومراعاة الالتزام بالإجراءات الاحترازية للجائحة .
- صعوبة التواصل مع عينة البحث .
- صعوبة التردد على المستشفيات المخصصة للعزل .
- ضعف التعاون والاستجابة وبخاصة من جهة الأطباء ، والأخصائيين الاجتماعيين .

التوصيات

لقد خلص البحث الحالي إلى مجموعة من التوصيات يمكن اجمالها فـــي :

- القيام بحملات إرشادية وتوعية مكثفة لكافة فئات المجتمع لنشر الوعى الصحي وإتباع الاجراءات الوقائية في كيفية التعامل مع فايرس كوفيد 19 .
- تعزيز دور الممارسة المهنية للأخصائي الاجتماعي في التوعية الصحية المرتبطة بفيروس كورونا والخطورة المرتبطة بالإصابة بهذا الفيروس.

- العمل على تنمية معارف ومهارات الأخصائي الاجتماعي في المجال الطبي وبخاصة منها بكيفية التعامل مع الفريق الطبي ، و ذلك من خلال عقد المؤتمرات ، وتنظيم الورش ، واقامة الدورات التدريبية .
- تنمية وعى الفريق الطبي بطبيعة أدوار ومهام الأخصائيين الاجتماعيين داخل المستشفيات والمراكز الطبية لتغيير النظرة الخاطئة تجاه الأخصائيين .

المراجع

1. إبراهيم المليجي وآخرون، (2004م) ، الخدمة الاجتماعية في المجال الطبي، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية.
2. إبراهيم المليجي،(1991م) ، الرعاية الطبية والتأهيلية من منظور الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
3. إبراهيم عبد الرحمن وآخرون ،(1983م) ، نماذج ونظريات تنظيم المجتمع ، القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر 1983 .
4. أبوالنجا محمد العمري (2000م) ، الخطوات المنهجية في بحوث الخدمة الاجتماعية ، الإسكندرية ، المكتبة الجامعية .
5. احصائية صحتي لرصد الحالات الموثقة عالمياً ، تاريخ الاطلاع (2022/2/25م) https://sehhty.com/ly-covid
6. اقبال إبراهيم مخلوف، (1991م) ، العمل الاجتماعي في مجال الرعاية الطبية ، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية.
7. إقبال إبراهيم مخلوف، (ب ت) ، الرعاية الطبية والصحية ودور الخدمة الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ،
8. أمال الفقي ، محمد أبوالفتوح ، (2020م) ، المشكلات النفسية المترتبة على جائحة فيروس كورونا المستجد لدى عينة من طلاب وطالبات الجامعات المصرية ، المجلة التربوية ، كلية التربية ، جامعة سوهاج ، العدد (47) .
9. أيوب محمد ، ياسمين على (2021م) ، المشكلات الاجتماعية للمرأة العاملة في ظل انتشار فيروس كورونا ، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية ، العدد 45 ، الجزء الرابع .
10. جوزه عبدالله ، الصحة النفسية في زمن كورونا (كوفيد 19) المستجد وتداعيات الحجر المنزلي ، مجلة العلوم القانونية والاجتماعية .
11. حسين حسن سليمان وآخرون، (2005م) ، الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية مع الفرد والأسرة ، بيروت ، مجد المؤسسة الجامعية للدّراسات والنشر والتوزيع .
12. رقية نبار ، (2021م) ، الضغوط النفسية في ظل الحجر المنزلي خلال تفشي جائحة كورونا ، مجلة دراسات نفسية وتربوية .

13. سامية فهمي، (1995م) ، مشكلات اجتماعية من منظور الممارسة العامة في الرعاية الاجتماعية والخدمة الاجتماعية ن دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية.
14. سميرة قحاص، (2007م) ، دور الخدمة الاجتماعية في المساعدة على مواجهة مرضى الفشل الكلوي، رسالة ماجستير غير منشورة ، أكاديمية الدراسات العليا .
15. سنوسي بومدين ، زينب جلولي ،(2021م) ، الصحة النفسية في ظل انتشار فيروس كورونا كوفيد–19 والتباعد الاجتماعي واستمرار الحجر الصحي ، مجلة التمكين الاجتماعي .
16. العجيلي سركز ، عياد أمطير ، (2002م) ، البحث العلمي أساليبه وتقنياته ، بنغازي ، دار الكتب الوطنية
17. عقيل حسين عقيل ، (1995م) ، فلسفة مناهج البحث العلمي ، منشورات ELGOA ، فاليتا . .
18. ماهر أبو المعاطي (1992م) ، اتجاهات الفريق العلاجي بالمستشفى نحو دور الأخصائي كعضو في الفريق ، مجلة الخدمة الاجتماعية ، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، القاهرة .
19. ماهر أبو المعاطي ، (2002م) ، الخدمة الاجتماعية في مجال الفئات الخاصة ، الكتاب الثالث والعشرون زهراء الشرق .
20. محمد رمضان ، (2007م) ، جائحة كورونا التوجهات العالمية في ظل الانتشار، المركز الديموقراطي العربي، برلين–ألمانيا .
21. المعجم الوجيز ، القاهرة ، وزارة التربية والتعليم ، 1993م .
22. منظمة الصحة العالمية ، (2022/2/25م) ، تقرير إحصائي لفيروس كورونا المستجد .(COVID–19، https://www.who.int/ar
23. نظيمة أحمد سرحان، (2006م) ، الخدمة الاجتماعية المعاصرة ، مجموعة النيل العربية ، القاهرة
24. يوسف سليمان عبدالواحد ، (2020م) ، فيروس كورونا المستجد والاتجاهات نحو المريض المصاب به لدى عينة متباينة من أفراد الشعب المصري ، المجلة التربوية ، كلية التربية ، جامعة سوهاج ،
25. العدد (75) .

الهوية الوطنية الليبية بين الماضي والحاضر
(العادات والدين إنموذجاً)

د. عبدالسلام محمد علي قويدر
كلية التربية جامعة الزيتونة

ملخص البحث

يتضمن ملخص هذا البحث هوية الإنسان الليبي القديم منذ دهور ما قبل التاريخ حيث تجسدت في ذلك الموروث الحضاري الذي خلفه على جدران الكهوف والمغارات، ودلل على مسيرة حياته القديمة، وما رسمهُ ونقشهُ أصبح يمثل هويته وميزهُ عن غيره، لينتقل بعد ذلك للمراحل التاريخية التي تعايش فيها مع غيره من الحضارات استفاد منها حسب حاجته ووفق رغباته، واصبغت لمسه متطورة على هويته الوطنية.

إذ ما بحثنا عن المشكلة نجدها تتلخص في الإجابة عن السؤال التالي: هل ما وجد من موروث حضاري قديم هو من شكل الهوية الوطنية للإنسان الليبي خلال عصره الحديث، ومن منطلق هذا السؤال رأى الباحث ضرورة تتبع حياة الإنسان الليبي القديم وفق منهجية علمية يهدف من خلالها لإبراز دور ذلك الإنسان، ويثبت أن تاريخه مترابط في كل الدهور مع اختلاف المكان الذى استوطنه. من أجل إثبات ما ذُكِرَ سابقاً قُسِمَ البحث إلى عدة عناوين كانت البداية بالموقع الجغرافي وآثره على حياة الإنسان الليبي، ثم يليه السمات والشواهد المجتمعية للإنسان الليبي، وتعقبه التأثيرات الخارجية على موروث الإنسان الليبي القديم. ومن خلال تلك العناوين البحثية وما جاء في مُتونها خلص هذا البحث في نهايته لخاتمة تضمنت عدد من النتائج، جاءت وفق معطيات ومقارنات ومن ثم استنتاجات القصد منها الوصول إلى لوحة تكون شبة واضحة عن أصل الهوية الوطنية الليبية ومدى ارتباطها بالماضي واسقاط مميزاتها على حاضرنا، فتلزمنا بإصدار بعض التوصيات الهدف منها إعداد ما هو أفضل لمستقبلنا.

المقدمة

يشمل الموروث الحضاري كل تلك الأعمال التي أنتجها الإنسان بجميع النواحي المادية منها والمعنوية، وهي مرتبطة مباشرة بحياته ومدى استجابته لما تجود به الطبيعة عليه فطور تجاربه التي توارثها طيلة حياته والتي اكتسبها مضافاً إليها ما تلقاه من مؤثرات خارجية أخذ منها ما يمكن الاستفادة منه. فكانت بدايته من تلك المرحلة التي اكتشف فيها أنه يمتلك عقل ويفكر. لينعكس ذلك الاكتشاف على حياته، حيث عمل من تلك اللحظة على توفير احتياجاته، التي تساعده على العيش، فصنع أدواته من الطبيعة المحيطة به، وبذل الجهد الذى توافق مع التاريخ، وأنتج الجانب المادي الذى ترجمه فيما بعد إلى إنتاج معنوي ظهر في تلك الرسومات التي تزينت بها

جدران الكهوف والمغارات حيث قُدرت بالآلاف على امتداد الأراضي التي استوطنها، لتصبح تاريخ أجبر الباحثين على تتبع مراحله وتسمياته بمسميات تكون قريبة من واقع ذلك الإنسان، حيث بدءوا بدهور ما قبل التاريخ باعتبارها شملت جزء كبير من حياته، واستمر عقله في التفكير بل تطور حتى وصل إلى مرحلة ترجمة تلك الرسومات والنقوش إلى كتابة تدرجت من التصويرية إلى الفكرية ومنها إلى المقطعية ثم الأبجدية وهو إنجاز أخذ من الوقت الشيء الكثير، ليتفق عليه فيما بعد بالدهور التاريخية التي زادت من سرعة وتيرة التطور الفكري والمادي ونقلته إلى مصطلح العصور الذي يعبر عن فترة زمنية أقصر بكثير من الدهور. وأمام هذه التقسيمات وما جاد به الموروث الحضاري يتضح بأن الفترات المناخية كانت متشابهة إلى حد كبير في معظم المناطق التي استقر فيها.

إن المظاهر الحضارية هي صلب الموروث الذي يربط الماضي بالحاضر ويعزز الهوية الوطنية، فهي تنتقل عن طريق الانتشار الحضاري الذي يتعرض بين الحين والآخر لدرجات من التغيير حسب الظروف التي تمر بها المرحلة من حيث القوة والضعف. وبما أن الصحراء تعتبر مصدر الإنتاج الحضاري للإنسان الليبي القديم فمن الطبيعي أنه سوف ينتقل بكل صفاته ومميزاته خاضعاً لتلك التغييرات للمناطق القريبة منه في الوسط والشمال.

من المعلوم أن درجات التغيير التي تطرأ على الموروث الحضاري، تحدث اختلاف قد يكون تاما عن الأصل. وهذا الشيء لم يحدث عند الإنسان الليبي القديم، حيث أن ما صنعه الإنسان في مناطق استقراره الأولي في الصحراء كان مشابهاً لما صنعه في مناطق الوسط والشمال فقد كانت رسوماته ونقوشه تصل في البعض منها إلى درجة التطابق، بالإضافة لأن المسافات كانت قريبة بين المصدر ومناطق الانتقال الجديدة، مع تتابع التطابق الزمني ووحدة التطابق المكاني، فأن عملية التواصل كانت موجودة واستمرت عبر مراحل تطور هذا الإنسان وارتباطه بوطنه.

اختيار الموضوع

وقع الاختيار على هذا الموضوع لان واقع الإنسان الليبي الحالي يتطلب العودة به إلى ماضيه والتذكير به لأنه جزء اساسي من حياته ولا يمكن الاستغناء عنه، فهو نقطة البداية لتاريخه الطويل وعلاقته مع الغير.

مشكلة البحث

إن الهوية الوطنية الليبية الحاضرة وما ارتبط بها من موروث حضاري شمل مختلف مناحي الحياة عند انسان الليبي لابد أن تكون له قاعدة اعتمد عليها فاصبح البحث عن هذه القاعدة هي مشكلة يتطلب الامر دراستها وإظهار إسهاماتها في تثبيت الهوية الوطنية الليبية.

أهمية البحث

إنطلاقاً من أن الهوية هي ذلك البناء الاجتماعي ، يتغير دائما، على نحو من الأنحاء، من حال إلى حال في إطار علاقة حوارية مع الآخر، تأتي الأهمية متضمنة إبراز الدور الحضاري للإنسان الليبي القديم، ومدى ارتباط

الهوية الوطنية الحاضرة بذلك الموروث القديم من خلال تلك الموروثات الحضارية التي خلفها وارتباطها بحياته عبر دهور منها ما سبق تدوين التاريخ، وتواصلت خلال الفترات التاريخية وما بعدها.

فرضية البحث

تكمن فريضة هذا البحث (فيما يتمثل الموروث الحضاري الليبي القديم كجزء أساسي للحاضر ومرسخاً الهوية الليبية).

منهج البحث

اتبع هذا البحث المنهج التحليلي الذي يعتمد على السرد التاريخي للوقائع ووصف الأحداث وعمل مقارنات لتلك المعطيات من أجل الوصول لاستنتاجات نستطيع من خلالها التحقق من الفرضية .

تساؤلات الدراسة

هل كان للموقع الجغرافي دور في ترسيخ هوية الإنسان الليبي ؟

ما هي الشواهد التي دلت على تواجد الإنسان الليبي وأصبحت موروث حضاري ؟

هل اسهمت العادات والطقوس الدينية التي مارسها الإنسان الليبي القديم في تكوين الهوية الحاضرة؟

الإطار التاريخي

يحدد الإطار من خلال تلك المعطيات التي ترتبط بحياة الإنسان الليبي منذ دهوره التي سبقت تدوين التاريخ وتستمر حتى فترات تاريخية متأخرة ضمت أجزاء من العصر الروماني . بالرغم من طول الفترة موضوع البحث إلا أن ذلك الطول سوف يتبدد عندما ينحصر في الاجابة عن أسئلة تتعلق بالموروث الحضاري فقط.

الإطار الجغرافي

يرتبط بتلك الرقعة الجغرافية التي تحدثت عنها المصادر التاريخية القديمة (ليبيا) وما جاورها من صحاري لأنها كانت رقعة واحدة لا تفصلها حدود وهى مساحة شاسعة ينحصر البحث فيها على تلك المواقع التي تواجد فيها الإنسان الليبي القديم وخلف موروثاً كان هو القاعدة.

الدراسات السابقة

دونت الكثير من الدراسات السابقة موروث الإنسان الليبي القديم، في صور متفرقة منها ما دونه المؤرخ هيرودوت عن السكان الليبيين وأماكن سكنهم وبعض عاداتهم وفق معطيات زمنه، بالإضافة لكتابات بعض الباحثين من أمثال مصطفى عبدالعليم ومحمود البرغوثي ورجب الاثرم وبعض الدوريات التي خاضت مجال العلاقات الليبية مع الغير في جانبها السياسي، وكتبوا في دراساتهم عن التاريخ الليبي، ومدى تأثيره وتأثره بالغير، ولكنهم لم يحاولوا ربط ذلك الموروث بتلك المعطيات التي ظهرت إبان عصرهم، ومن هنا أصبح ربط هذا الموروث بالهوية الوطنية الحاضرة نقطة بداية لهذا البحث.

الصعوبات

إن أول هذه الصعوبات تلك الدراسات القديمة التي دونت بلغات قديمة تحتاج لعملية الترجمة والتعريب، بالإضافة لعدم وجود مقارنات سابقة يمكن الاعتماد عليها، وتركيز معظم الابحاث والدراسات عن الجانب السياسي دون الحضاري، مما يستدعي الباحث إلى محاولة استنتاج واستقصاء المعلومات من بين الأفكار والسطور للخروج بما يخدمه مضمون هذا البحث.

الموقع الجغرافي وانتماء الإنسان الليبي

إن الكتابة عن الموروث الحضاري والهوية الوطنية الليبية خاصة وتعزيزها يتطلب تقليص تلك المسافة التي تحدث عنها هيرودوت(Herodotus,TV,180) ومن بعده، بأن ليبيا تمتد من بلاد النيل شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً ومن البحر المتوسط شمالاً حتى الصحراء الكبري جنوباً، لنحصرها في الإقليم الليبي بحدوده الحاضرة، دون الاستغناء عن التأثير والتأثر، حيث تحرك الإنسان الليبي في هذا الموقع الجغرافي بدون أي موانع تعيقه وهو يبحث عن مناطق استقرار خلال تاريخه الطويل، استخدم كل ما جادت به الطبيعة عليه فصور حياته الأولى على جدران الكهوف والمغارات التي يعتقد بأنه قد استوطنها منذ العصر الحجرى القديم الأسفل(قديم، 2019 ، ص337) فرسم ونقش ما كان يقوم به من أعمال جسدت حياته اليومية، وأصبحت سجل تاريخي اطلع عليه من أتوا بعده.

ومن الممكن القول بأن وجود الإنسان في أي بقعة من الأرض كان يتطلب العديد من العوامل التي من بينها المناخ المناسب الذي توفر بالصحراء الليبية ومنطقة الشمال الإفريقي منذ فترات قديمة ومنح الإنسان الليبي القديم فرصة الاستقرار فكانت أدواته ومعداته بالإضافة لعظام بعض الحيوانات التي تعايش معها شاهدة على ذلك، وظهرت بوادرها بما يعرف بالبليستوسين أو الدهر الرابع وكان أكثر حرارة وأكثر رطوبة عاشت وتأقلمت معه بعض الحيوانات منها الفيلة ووحيد القرن وأفراس النهر (اكصيل، 2007، ص 68) وقد وجدت عظام هذه الحيوانات في مناطق عدة بالإضافة لرسوماتها الموزعة في العديد من المواقع بالجنوب (الاكاكاس)(شكل1) وبالوسط (فزان) (شكل2-3) والشمال (ترهونة) (شكل 4)وغيرها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصحراء الكبرى كانت هي نقطة البداية حيث قسمها العلماء إلى ثلاثة أقسام الأولى الصحراء الغربية والثانية الصحراء الليبية والثالثة الصحراء العربية النوبية، وإن ما يهمنا من هذه الصحاري هي الصحراء الليبية التي لم تكن بمنىء عن البقية، حيث كشف العديد من الرحالة والباحثين تلك الأعمال التي خلدها الانسان القديم فكان منهم فروبينوس Frobenius الذى وصف ما قام به الإنسان الليبي القديم من أعمال بأنها قد نُفذت من قبل أُناس كانت لهم المعرفة والخبرة الكبيرة في هذا المجال الفني (جراتسيوسي،2008، ص17) وقد طرح بعض التفسيرات وفق رأيه الخاص في هذه الرسومات (الشريف، 2010،ص60) أما الرحال بارث فقد زار عام 1850م وادي زيغن بالقرب من مدينة مرزق واطلع على النقوش الصخرية في الصحراء الليبية (البرغوثي،1971، ص 23) كما كانت بصمة كلا من أوليفر ميرز و وهانزا ونكلر واضحة عند حديثهم عن منطقة جبل العوينات والجلف الكبير(خشيم،1990، ص25)، وذكر هنري دوفيريه في عام 1860م بوجود بعض اللوحات التصويرية والنقوش الكتابية في منطقة غات بالجنوب الغربي الليبي(حارش،1992،ص23) .

ومن المرجح بأن منطقة الصحراء كانت منطقة استقطاب منذ حوالي 500.000سنة وتم الاستدلال على ذلك بتلك النباتات التي وجدت متحجرة وتحولت إلى أحفورات بالإضافة لمجاري الوديان في العديد من المواقع(A.Bard.1999.p6)، مثلت هذه الوديان بمختلف مساراتها وفروعها وامتداداتها في الصحراء الكبري أقوى تلك الشواهد على المناخ الجيومورفولوجي، وعلى نسبة الأمطار الغزيرة التي تهطل على هذه المنطقة.(غبريل، 1979 ،ص26) حيث كشف هنري لوث في دراساته لوادي الجبارين قرب مرزق على ما يقارب من حوالي 5000 لوحة ذكر بأن وجودها على تلك الجدران يمنح الاعتقاد بأن سكان هذه الكهوف كانوا مستوطنين قبل أن ينجزواها بفترات طويلة، وقد أرجعت هذه الرسومات تواجد الإنسان فيها إلى حوالي الألف الرابع ق.م. عندما كانت تلك الصحراء منطقة استقطاب واستقرار تزخر بالحياة الهادئة التي منحت إنسان تلك الفترة رسم ونقش أساليب حياته قبل أن تصيب المنطقة بتغير مناخي أجبره على الهجرة شمالاً وشرقاً(الصويعي،2013،ص ص21-25).

إن وجود بقايا الصهاريج وكذلك معاصر الزيتون في العديد من المناطق شبه الصحراوية بالأراضي الليبية في الوقت الحاضر يدلل على أن هذه المناطق تمتعت بمناخ لم يتغير منذ عصر الهولوسين(عبد ربه،ب/ت، ص 438)، مما منح فرصة استمرار التواصل بين القبائل الليبية على كامل التراب الليبي .

ومن الجائز القول بأن وجود الكثير من بقايا أشجار السنط وكذلك الجميز في المنطقة التي كانت إلى الغرب من بلاد النيل ماهو إلا دليل على وجود سافانا مفتوحة ظهرت خلال فترات شبه مطيرة، فقد كان قطر جذوع البعض منها 30-40سم، بالإضافة لحجم كثافتها إذ تصل ما بين 5-11جذعاً لكل هكتار واحد، ويلاحظ فيور Faure أن مناطق الصحراء الكبري كانت ملائمة للنشاط الإنساني، كما أن وجود الرواسب السميكة من التوفا الغنية بالكلس بالإضافة لبعض الأدوات الحجرية يدلل على تواجد الإنسان وبأعداد كثيرة(جودي،1996، ص154).

في نفس السياق فقد جاء لدى البعثة الفرنسية أن هناك انتشار لبعض الحيوانات الفقارية التي تعتمد على المياة العذبة يعتقد بأنها كانت في حفر مائية دائمة بل ومنعزلة في بعض منها، وتمتد من بسكرة حتى تبستي في الصحراء الكبري (جودي،1996، ص128)من ذلك يرجح أن منطقة الصحراء على امتدادها الطبيعي كانت منطقة استقطاب تمنح فرص العيش.

ويظهر جلياً أن تلك الرسومات والنقوش في الجنوب الليبي وعلى امتداد سلسلة الجبال من العوينات شرقاً إلى جبال تاسيلي غرباً (الصويعي،2013،ص26) وما تم رسمه ونقشه فيها يخرج من بوتقة واحدة حيث كانت خصائصه قريبة من بعضها البعض .

أن وجود العديد من الرسومات والنقوش الصخرية في العديد من المواقع الممتدة من الصحراء باتجاه الشمال ومنها واحة درج *التي تعتبر حلقة وصل باعتبارها تقع في منطقة ما دون الصحراء، وما وجد فيها من رسومات لوحيد القرن وكذلك المناظر الرعوية والعربات التي تجرها الخيول والثيران (الشريف، ب/ت، ص ص14-15)، يزيد من التأكيد على التواصل القديم بين القبائل التي كانت تقطن هذه المناطق حيث أن أسلوب الرسم والنقش يدلل على نفس الفكر ويحمل جميع خصائص الفن الصحراوي .

كما أحاطت منطقة فزان** بالجنوب الليبي الكثير من الواحات (مصطفى، 2020، ص 11) منحتها موقعاً مميزاً أصبحت من خلاله مركزاً تلتقي فيه العديد من الموروثات الحضارية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك العديد من الآراء التي تحدثت عن أصل سكان الجنوب الليبي (الجرامنت) الذين كانوا يمثلون حلقة وصل بين الجنوب والشمال ويرجح بأن الفضل كان لهم في نقل الموروث الحضاري خلال فترات تاريخية كانت متعاقبة، فهناك من ينسب هؤلاء السكان إلى شعوب البحر ومنهم إلى سكان فلسطين، غير أن ما يرجحه هذا البحث هو ذلك الرآي الذي ينادي بانتسابهم لقبيلة جرهم التي خرجت من شبة الجزيرة العربية قديماً(الدراوي، 2019، ص 545)، وهذا يتوافق مع نظرية توينبي، التي نادت بأن مصدر الهجرات كان شبة الجزيرة العربية. لا يمكن أن نتجاهل بأن قبيلة(الجرامنت الليبية) قد ذكرت عند الكثير من المؤرخين منهم هيرودوت (Herodotus,TV,183) في القرن الخامس ق.م. كذلك عند الجغرافي استرابوا وأيضاً عند بليني، حيث دونوا معلوماتهم عن هذه القبيلة وعلاقاتها مع الغير (اعبيليكة،2020، ص ص 25–26) ،واثبتوا من خلال ذلك صحة أن الجرامنت كانوا فعلاً هم حلقة الوصل بين الجنوب والشمال.

ظهرت ملامح حضارة قبيلة الجرامنت مع العصر الحجري الحديث، في أقدم موقع أثري لهم في سفوح زنككرا(دنيلز،1991،ص ص 30–31) التي من المرجح أنها سابقة لذلك، واستمروا في موطنهم بالرغم من تغير المناخ في حوالي الألف الثانية ق.م. حيث عم الجفاف الكثير من أراضي الصحراء إلا إن وادي الآجال ظل هو الموطن الأساسي لهؤلاء السكان وشاهد على حضارتهم.

ومما لا شك فيه أن هناك مجموعة من العوامل التي ساعدت هذه القبيلة(الجرامنت) لتقوم بدور الوسيط في نقل الكثير من النشاطات الإنسانية من الجنوب إلى الشمال وبالعكس، ومنها سيطرتهم على أقرب طريق تربط الجنوب بالشمال بالإضافة لعدم وجود أي موانع طبيعية تعيق تحركهم، وأيضاً وجود عدد من الواحات القديمة التي تعتبر نقاط راحة وتزود بالماء أثناء الترحال، كما استخدموا بعض الحيوانات ومنها الثيران في ترحالهم وهو ما نشاهده في الكثير من الرسومات والنقوش الصخرية القديمة التي شوهدت في الصحراء الليبية (الدراوي، 2019، ص ص 548–549).

كما احتظنت المناطق الشرقية من ليبيا حياة ذلك الإنسان الليبي القديم كغيرها من المناطق فقد وجدت العديد من المواقع دللت على ذلك منها حقفة الطيرة وكهف هوا فطيح التي احتفظت بمخلفات ذلك الإنسان وهي ترجع لفترات العصر الحجري القديم الأعلى الذي تميز بصناعة النصال (الهدار، ب/ت ، ص42).

لقد أشار هيرودوت (Herodotus,TV,182) في كتابه بأن هناك طريق كان يربط الأمونيون في واحة سيوة بواحة أوجلة التي كان يقطنها قبائل النسامونبيس الليبية ومنها تنطلق إلى الجنوب الليبي بإتجاه فزان (Abdusalm,2020,p168).

وينبغي الإشارة هنا أيضاً لقبائل الجيتول الليبية، الذين جاء ذكرهم خلال القرن الثاني ق.م وهم يقطنون المنطقة الممتدة من فزان حتى المحيط الأطلسي، ويملكون الكثير من قطعان الماشية، ويرجح بأنهم كانوا امتداداً مع أولئك الأسلاف الآوائل الذين كانوا يرعون الأبقار وفق صورهم التي ظهرت في الرسوم الصخرية بالصحراء (نور الهدى، 2019، ص16) .

تجدر الإشارة إلى أن استعمال الحيوانات في عملية جر العربات كان منذ العصر الحجري الحديث وثُبت بتلك الرسومات الصخرية التي وجدت في الصحراء الوسطي فقد أكدت على استخدام الليبيين القدماء لمثل هذه العربات، وأن الليبيين قد استأنسوا تلك الحيوانات مثل الأبقار والثيران وأستخدموها في الحروب منذ الألف الخامس ق.م(

مصطفى،2020، ص18) ، إذاً فإن هذه المنطقة كانت نقطة التقاء حضاري كبيرة جسد فيها الماضي برسوماته ونقوشه في الأكاكاس لتجد تلك الرسومات نفسها في الصحراء الوسطي ومنها إلى الشمال بمناطق عديدة.

ومن المهم الإشارة إلى الدور الذي قامت به الواحات الصحراوية التي كانت روابي ربيعية، حسب وصف هيرودوت، وكذلك لوكان الذى ذكر بأنها كانت تغذيها الينابيع في قلب الصحراء، فاستغلها الإنسان في ممارسة حرفة الزراعة فالبقايا النباتية في منطقة فزان وخاصة جبل زنككرا قد دلت على قدم هذه الحرفة (ماتينغلي، 2009، ص ص38_40) ، ويتراءى للباحث أن مثل هذا الوصف يزيد من دور هذه الواحات وأنها داعماً كبير للارتباط بين الموروث الحضاري القديم والحاضر.

إن انتشار مثل هذه الواحات في الصحراء الليبية كأوجلة وزويلة وودان ومرزق وهون وسوكنة والكفرة وغيرها يجعلها محطات تجتمع فيها القوافل التجارية وتتحول إلى ملتقي ثقافي يجمع الكثير من الثقافات (العقود،2014، ص134) ويتضح للباحث أن هذه المواقع المهمة كانت على درجة كبيرة من القدرة لتكون حلقات وصل للكثير من الموروث الثقافي وتجعله متصل بدون انقطاع وخلال فترات متعاقبة.

ومما يزيد من عملية الانتشار والارتباط الحضاري تلك العلاقات المتواصلة التي كانت ولازالت تربط قبائل(الطوارق) التي تقطن في مناطق الآيير (النيجر) بقبائل الطوارق المتواجدين في منطقة فزان بالجنوب الليبي(القشاط، 1989، ص ص 19–20). وما انتجه الإنسان الليبي القديم خلال تاريخه الطويل أصبح سمات وشواهد خاصة به.

السمات والشواهد المجتمعية للإنسان الليبي

كان للاسم الدور الكبير في تعزيز الهوية الليبية لان اشتقاقه جاء من اسم قبيلة الليبو التي برزت في وثائق ونصوص بلاد النيل، منها ما ذكر زمن الأسرة التاسعة عشر (ملك مرنبتاح) حوالي 1220ق.م عندما دون انتصاراته بجدران الكرنك على أحد القبائل القاطنة في الصحراء الليبية (بأزمة،1975،ص29) .

ومن المهم القول بأن هذا الاسم ارتبط أحياناً باسم قبيلة (الليبو أو الريبو في وثائق ونصوص بلاد النيل زمن الملك سيتي الأول) وعند البعض الآخر بموقع جغرافي (ضم من غرب بلاد النيل إلى المحيط الأطلسي) منهم المؤرخون الإغريق والرومان، فقد وجد في طرابلس نقش ترجم " قائد الجيوش فى بلاد الليبيين" (لحلو،2016، ص– ص–38 36). كذلك النقيشة التي عثر عليها في موقع المحيجيبة في ترهونة كان من ضمن نصها " أرض الليبيين"

استمر ذكر الليبيين وبلادهم بدون انقطاع فقد وجدت بعض النقائش والنصب البونية التي تعتبر من الشواهد المحلية في العديد من المواقع المجاورة منها معبد الحفرة في سيرته، وأيضاً معبد صلامبو، وكذلك وردت بعض العبارات التي مفادها بلاد الليبيين(نور الهدى،2019 ، ص12).

ومن خلال هذه الأدلة يتراءى للباحث أن ورود هذا الاسم خلال فترات متعاقبة يعد الرابط الأول والأساسي لذلك الموروث الحضاري وبالرغم من أن هذا الذكر يعتبر قد جاء متاخراً عندما يوضع في مقارنة مع تلك الرسومات الصخرية التي جسدت حياة الإنسان الليبي في جبال الاكاكاس ومناطق جنوب فزان إلا أنه يعبر عن تواصل القبائل وامتدادها ونقلها للموروث الحضاري على طول الصحراء الليبية وعرضها .

العـــــــادات

تعتبر العادات والتقاليد من أهم الروابط الحضارية التي تربط الأجيال بعضها ببعض وتعزز الهوية الوطنية بينهم ، فقد عملت القبائل الليبية كغيرها على تشكيل مجتمعاتها فكانت البداية من الأسرة المتكونة من أب وأم وأبناء ثم تطورت لتصبح قبائل اتخذت كل منها أسما خاصاً، ومجتمعات انتشرت فيما بينها عادات وتقاليد كانت من أشهرها عادة تعدد الزوجات وخاصة لدي قبيلة النسامونيس التي تحدث عنها هيرودوت(Herodotus,TV,172) .

وتجدر الإشارة هنا أيضاً لما دونه هيرودوت في كتابه الرابع بأن الليبيين كانوا يمارسون الكثير من العادات المحلية التي من بينها عادة تلتقي فيها مجموعة من الفتيات العذاري حيث يقسمن أنفسهن إلى مجموعتين يتحاربان فيما بينهن ومن تَمُت منهن فهي فاقدة لعذريتها، وهذا ما يدعو الباحث لنقد قول هيرودوت حين يقول في موضع آخر بأنهم يجعلون النساء مشتركة بينهم ولا يتزوجون، بل يعيشون كالحيوانات (Herodotus,TV,180). لأن هذه العادة ما مورست في الأساس إلا من أجل اكتشاف البنات العذاري لغرض الزواج وتكوين الأسرة.

ومن المعلوم أيضاً أن الوشم كان من بين العادات التي عرفت بها القبائل الليبية القديمة، فقد أظهرت النصوص والوثائق في بلاد النيل ذلك في مواقع كثيرة(تل العمارنة، مدينة هابو)، ويلاحظ هذا الوشم على الذراع (دانيلز،1991،ص48).والمتتبع لحياة الليبيين يلاحظ استمرار هذه العادة حتى هذا الوقت ويعترف بأنها امتداد لموروث حضارى تناقلته الأجيال المتعاقبة.

وأيضاً مارس الليبيون القدماء عادة الختان، فقد جاءت اخبارها القديمة من وثائق ونصوص بلاد النيل التي تذكر بأن معظم القبائل الليبية كانت تمارس هذه العادة.

كذلك تعتبر عادة الكي بالنار من العادات المتوارثة والتي تمثل موروثاً حضارياً قديماً فقد عرف عن الليبيين قديما هذه العادة، فقد ذكر هيرودوت أن الليبيين الرعاة كانوا يكوون أطفالهم عندما يصلون السنة الرابعة باستخدام دهن صوف الغنم، مما اكسبهم صحة جيدة في أجسادهم، وهذه من العادات التي مازالت تمارس في بعض المناطق الليبية حتى فترات متاخرة(مؤمن،2017،ص5) .

ولا يمكن تغييب عادة تصفيف الشعر فقد استمرت هذه العادة عندهم حيث ظهرت على أحد صفائح الموزايك البيزنطي في منطقة زليطن في فترات متأخرة (دانيلز،1991،ص50).

كما أن عادة استخدم العربات(شكل 3) المجرورة راجع لذلك الموروث الذي وجد مرسوماً في كهوف ومغارات أسلافهم، ولم يبق محصورا لديهم بل لوحظ عند سكان مناطق الشرق الليبي، ومنهم انتقل للإغريق الذين تفننوا في استخدام هذه العربات في السباقات التي كانوا يقومون بهـــــــا(دانيلز،1991، ص12).

ومن المفيد القول بأن ما مارسه الإنسان الليبي القديم من عادات ظهرت مرسومة على جدران الكهوف والمغارات بجبال الاكاكاس التي استخدمها كمأوى واستئناسه للحيوانات، نجدها مجسدة بمناطق الشمال مثل كهف وادي الخيل بمزدة الذي وجد فيه نقشاً لثور قريباً جداً من شكله الطبيعي(الشريف، 2010 ،ص124)، وكذلك بالقرب من وادي مرسيط حيث عثر على رسم صخري مثل الإله الليبي قرزل وهو على هيئة ثور (المياز،2001 ،ص 70) وأيضا كهف هواء افطيح في الشرق الليبي حين ذكر ماكبرني أثناء اكتشافه بأن حياة الليبيين قد حدث فيها تغير من حياة الصيادين إلى حياة الرعاة وأن هذا التغيير قد حدث حوالي 7000ق.م (عبدالعليم، 1966 ،ص20) وبوجود هذه الكهوف ومحتوياتها

سواء الجنوبية أو الشمالية ما يدلل على استيطان الإنسان لها خلال فترات متعاقبة منها ما كان قبل التاريخ وما بعده.

وبانتقال الإنسان لحياة البيوت والمعمار الجديد وما اتاحته الطبيعة له لوحظ استخدامه لتلك الكتل الطينية المأخوذة من السباخ الملحية التي بني بها العديد من البيوت، وقد أشار هيرودوت أثناء حديثه عن حزام الواحات الليبية فذكر بأن بيوتهم كانت تبني من قوالب الملح بدل الحجارة، وقد ساعدت تلك الطبيعة الصحراوية وندرة الأمطار بالجنوب الليبي في المحافظة على تلك الأبنية لفترات طويلة(الدراجي، 2015، ص ص153-156).

ومن المفيد أيضاً القول هنا بأن سكان الجنوب الليبي قد استخدموا في ملابسهم مادة الجلد التي كانت متوفرة لديهم من خلال تلك الثروة الحيوانية الهائلة التي يملكونها، ثم تطور ذلك الملبس بعد أن عرفوا القماش الذي يرجح بأنه صناعة محلية حيث عثر على آثار بعض المعدات الخاصة بالغزل والنسيج (دانيلز،1991، ص78) فكانت ملابسهم قريبة من ملابس بقية القبائل الليبية إذ تملثت في معظمها بعباءة فضفاضة تحيط بالجسم وتحتها قميص قصير يصل إلى الركبة، مع قراب ستر العورة ويتمنطقون بحزام عند الخصر ومنهم من تميز في بعض الاوقات بلبس الريشة فوق الرأس(الدراوي، 2019،ص552) .

الـديــن

تنوعت المعتقدات الدينية عند الإنسان الليبي القديم، كغيره من الشعوب المجاورة، فقد عبد بعض الظواهر الطبيعية واتخذ لنفسه آلهة وأيضاً تجسدت عنده الروحانيات بالإضافة لتقديس الأسلاف(الموتي) فكان من بين الظواهر الطبيعية عبادة القمر الذي اعتبر لديه من أوائل المعبودات، إذ ربط بينه وبين عمليات النبات والإخصاب، ويذكر هيرودوت بأنه معروف لديهم باسم الإله بيرو، وظهر في العديد من النقوش (قديم، 2019 ،ص342).

ومن المفيد الإشاة إلى أن هناك بعض من سكان الجنوب الليبي ومنهم قبائل الطوارق مازالوا يمارسون ما يعرف باحتضان الأرواح (عقون، 2008، ص ص 254-255)، كما يذكر هيرودوت (Herodotus,TV,172)أن قبائل النسامونيس كانوا يقومون بهذه الصلاة عند قبور أسلافهم ثم ينامون عندهم وأي رؤية يراها هذا النائم تعتبر وحيا منهم إليه، يلاحظ الباحث من خلال متابعته بأن مثل هذه المعتقدات وما صاحبها من طقوس مازالت تمارس بعد أن دخلت عليها بعض التطورات فنسجوا الحكايات عن كرامات هؤلاء الأسلاف وجعلوا لهم مزارات تطلب فيها البركة والمساعدة عبر الدعاء بجوار قبره. وهذا التصرف ما هو إلا طقس متوارث عبر أجيال يرجح بأنه ارتبط بعادة تقديس الأسلاف.

كما تجدر الإشارة في هذا الموضع أن الليبيين قدسوا الحجارة حيث يذكر بأن في منطقة برقة في الشرق الليبي توجد حجارة كبيرة توحي لذلك الإنسان القديم بأن من يلمسها سوف يسبب في هبوب رياح جنوبية قوية(نور الهدى،2019، ص25) قد تضر به، وهذا الاعتقاد القديم تواصل مع أولئك السكان فتطور إلى أن أصبحت الحجارة توضع مصفوفة على قبور الموتى فتكون حامية لذلك القبر من أي اعتداء واستمر ذلك الطقس بدون انقطاع تتوارثه الأجيال حتى في الزمن القريب حيث اتخذ بعضها كنذر فيما بعد .

ويلاحظ أن رمز الآلهة الليبية تانيت من بين العديد من الرموز التي استعملها الإنسان الليبي القديم والذي مازال يمارس حتى وقت قريب فقد استخدمت النساء الليبيات هذا الرمز كإبزيم(شكل4) تمسك به ملابسهن وتتزين به، بالإضافة لاتخاذه وشما أيضاً على جبهة المرأة الليبية (عقون، 2008، ص 216).

ومن المعلوم أيضاً أن الآلهة الليبية تانيت قد عُبدت على نطاق واسع واستمرت عبادتها خلال فترة الاحتلال الروماني للشمال الإفريقي تحت مسمى الآلهة سايلستيس، بالإضافة لاستخدام التوفيت أيضاً(ب. هـ . ارمنجتون،(ب/ت)ص188) .

ومن المرجح بأنه قد كان لكل قبيلة ليبية إلهها الخاص بها، ويظهر ذلك من خلال الكثير من الصور التي تبرز فيها تلك الملازمة بين صور الكبش المقدس وصور الثور في العديد من المقابر التي ترجع لدهور ما قبل التاريخ في المنطقة الممتدة من جنوب المغرب مرورا بمنطقة فزان ووصولا إلى بلاد النوبة(قديم ،2019، ص343).

بالإضافة لتلك المعبودات يذكر بأن عبادة الثور كانت لها مكانتها عند الإنسان الليبي القديم إذ يذكر قزال أن كوربيوس كتب في حوالي القرن السادس م أبيات شعرية أصبحت شاهدة على ذلك حيث قال : "إن قبيلة لكواتان Laguantan _يعتقد أنها لواتة وهي إحدى قبائل طرابلس _كان أفرادها يعبدون الثور كرزيل (Gurzil) وكان يرسل على الأعداء عند بداية كل معركة " (قديم، 2019 ، ص345)

من المهم القول بأن عبادة هذا الإله(كرزيل) قد استمرت لفترات متعاقبة، حتى زمن البكري في القرن العاشر الميلادي حين ذكر بأن قبيلة هوارة الليبية قد صنعت إله في صورة ثور ووضعته على هضبة تقدم له القرابين (المياز،2001، ص68).

كان الإنسان الليبي القديم يعتقد كغيره أن الماء هو أساس، فوجوده أصبح عنده شيء ضروري ليتحول بعد زمن إلى طقوس، واعتقد بأنه وسيلة تمنحه الأمان، ونسجت حوله العديد من الأساطير التي آمن بها وقدسها وظهرت في حياته اليومية كطقوس ارتبطت بالماء فظهر لديه ما يعرف بأبوغنجة(شكل 5) وهي عبارة عن دمية تُلعب بها بين فتيات القرية من أجل التضرع للإله أنزار لإذرار المطر(قديم،2019،ص339) ، واستمرت هذه الطقوس فقد تمثلت في تلك الحقلة التي يقوم بها الأطفال خلال هذا العصر عندما يلعبون ويطلبون فيها استدرار المطر بقولهم يامطر صبي صبي بالرغم من أنها قد وردت في الأدب الليبي متأخرا وبأحداث جديدة إلا أن جذورها كانت عميقة في الموروث الحضاري الليبي، كما يلاحظ أيضاً وجود طقس آخر ارتبط بالماء ومكانته حيث يشاهد عملية نثر قطرات من الماء عندما يهم الشخص بالسفر، وهذا راجع لاعتقاد الإنسان بأن الماء أمان.

كما تجدر الإشارة هنا إلى أن هناك معتقد استخدمه الإنسان الليبي وهو تقديم القرابين من الثيران والكباش من أجل استرضاء المعبود(نور الهدي، 2019،ص60) ، وذكر كروبيوس أن الليبيين القدماء كانوا يجسدون بقرني الكبش عبادة الإله أمون(الهادي،1988،ص16)، وهذا المعتقد استمر معه وأصبح بشكل جديد تمثل في استخدام قرون الكباش لمداراة الحسد ودرء العين عن الاشياء الثمينة والمهمة.

كما عرف الإنسان الليبي القرابين المحروقة، التي كانت تقدم للمعبودات القديمة في شكل مباخر يوضع فيها البخور، وتعطر بها الأماكن المخصصة للعبادة(نور الهدي، 2019،ص61)، وهذا ما يشاهد عند بعض القبائل الليبية في وقتنا الحاضر فقد تتم عملية قريبة جدا من تلك، وهي وضع البخور وإحراقها في المباخر أثناء عملية ذبح الأضحية، بالإضافة لاستخدام المباخر في البيوت لذر الشر والعين، وكذلك وضعها على القبور(شكل 6) كما عرفت عند الليبيين القدماء الخمسة(شكل 7) واستخدمت ايضاً لدفع العين وقد وجدت لها مكاناً في الموروث الحضاري

الليبي الحديث حيث يقال (خمسة وخميسة)(المصراتي،1962، ص28).وهذا موروث اكتسبه الإنسان الليبي القديم من اسلافه واستمر معه ورسخ ارتباطه به وعزز انتمائه له.

الخاتمة

إن ما يمكن اجماله في هذه الخاتمة هو أن حياة الإنسان الليبي القديم وموروثه الحضاري كان متأصلاً ومرتبط بحلقات تاريخية لم تنقطع وامتداد علي كامل مواطن استقراره. وقد انتهى البحث إلى مجموعة من النتائج كانت على النحو التالي:

*إن التغيرات المناخية التي دبت في مناطق الاستقرار الأولى في الجنوب الليبي وتحولها من الرطوبة إلى الجفاف، دفعت الإنسان إلى مغادرة منطقته باتجاه مناطق جديدة تكون أكثر ملائمة.

*إن ما جسده ذلك الإنسان من مناظر في مناطق إقامته الأولى أصبح موروث تناقلته الأجيال الواحد بعد الآخر

*بالرغم من أن ما قام به ذلك الإنسان في بداية حياته من رسوم ونقوش خلدت العديد من التفاصيل إلا إنها كانت في نفس الوقت شاهدة على تلك الحياة التي عاشها وتميز بها عن الغير.

* إن تواصل الفن القديم الذى استخدمه الإنسان وانتقاله معه من الجنوب إلى مناطق الوسط ومنها إلى الشمال يدل دلالة واضحة على عمق الأصالة في الموروث الحضاري وأنه ينبثق من أصل واحد.

* إن ما يمارسه الإنسان الليبي في حياته اليومية خلال هذه الحقب من عادات وتقاليد وبعض الطقوس ما هي إلا شيء متوارث عبر الأجيال ارتبط بعضه ببعض حتى وصل إليه، على الرغم من وجود بعض الاختلاف للبعض منه إلا أن مصدره واحد.

التوصيات

خلص هذا البحث في نهايته إلى مجموعة من التوصيات كانت على النحو التالي :

- ضرورة الاهتمام بالمواقع الأثرية الموجودة في الصحراء لأنها أصبحت تتعرض للتخريب وطمس بعض معالمها .
- إرسال البعثات المتخصصة من العناصر الوطنية وتقديم كافة الإمكانيات لإقامة دراسات يمكن من خلالها اكتشاف المزيد من الموروث الذي يعتقد أنه دفين الصحراء الليبية .
- العمل على ترجمة الإصدارات الجديدة التي تتحدث عن الحضارة الليبية والتي من خلالها يتم معرفة الموروث الحضاري ومدى ارتباط بعضه ببعض .
- المطالبة بإرجاع كل المقتنيات التي تخص الإنسان الليبي القديم المعروضة والغير معروضة في متاحف أوروبا والعالم، لأنها تمثل موروثه الحضاري الذي يجب أن يستفيد منه.
- تشجيع هواة السياحة الصحراوية وتسجيل زياراتهم وحفظها لأنها تمثل سجل تاريخي.

- ومن هنا يجب المحافظة على ذلك الموروث الحضاري الذي وصل إليه عن طريق الانتشار الحضاري، وأن لا يتنازل عنه أمام بعض المؤثرات التي قد تسلبه الهوية بدون أي شعور بالمسؤولية ، فمن لا ماضي له، فلا حاضر ولا مستقبل له.

في النهاية نأمل أن يكون هذا البحث خطوة أولى لعديد الأبحاث التي سوف تكشف عن الموروث الحضاري الليبي ذي الأصل الواحد والممتد على طول البلاد وعرضها.

هوامش البحث

*واحة درج، تقع هذه الواحة على مسافة 550كم جنوب غرب طرابلس، وتبعد عن منطقة غدامس بحوالي 100كم في الشمال الشرقي(الشريف، ب/ت،ص13) .

منطقة فزان** تقع بالجنوب بالليبي التي تحدها شمالاً الحمادة الحمراء وهضبة تيبستي في الجنوب ومن الشرق ما يعرف بالهروج الأبيض والأسود، وغرباً هضبة تاسيلي(مصطفى، 2020، ص 11).

المراجع

- اعبيليكة، عياد مصطفى محمد(2020) دور مدن السرتين والمملكة الجرمنتية في التبادل بين أواسط أفريقيا ومناطق البحر المتوسط، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 20، مارس.
- اكصيل، اصطيفان(2007)تاريخ شمال افريقيا، ت/ محمد التازي مسعود،ج1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
- البرغوثي، عبداللطيف محمود (1971) التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الاسلامي، ط1، منشورات الجامعة الليبية ، دار صادر، بيروت.
- الدراجي، سعدي إبراهيم(2015)جوانب من المعالجات البيئية والمناخية لعمائر الطين في الواحات الليبية، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الاول.
- الدراوي، محمد على(2019) الجرامنت ومظاهرهم الحضارية من خلال المصادر الأدبية والمعطيات الأثرية، الخمس، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة المرقب، العدد 18، مارس.
- الشريف، عزالدين احمد الفقي(ب/ت) واحة درج مستوطنة جرمنتية في منطقة ما قبل الصحراء الفعلية، مجلة الاثار، مصلحة الاثار.
- الشريف، عزالدين احمد الفقي(2010) الفن الصخري في عصور ما قبل التاريخ في المنطقة الشمالية الغربية من ليبيا، الأكاديمية الليبية، طرابلس، رسالة ماجستير غير منشورة.
- الصويعي، عبدالعزيز (2013) تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ط 1، وزارة الثقافة والمجتمع المدني، ليبيا.
- العقود، زكية بالناصر (2014) دور القوافل التجارية في التفاعل الثقافي بين ليبيا والمغرب العربي وما وراء الصحراء والسودان في العصر الوسيط، مجلة افاق الثقافة والتراث، العدد 86، يونيو، جمعية الماجد للثقافة والتراث، الإمارات.
- العقون، ام الخير(2020)صورة مملكة جرمة في ليبيا القديمة من خلال الآثار المادي والمصادر الأدبية، مجلة دراسات وابحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، م12، العدد1، جانفي، السنة الثانية عشر.
- القشاط، محمد سعيد(1989) التوارق عرب الصحراء الكبري ، ط2، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء.
- المصراتي، على مصطفى(1962) المجتمع الليبي من خلال أمثاله الشعبية،ط1، طرابلس.
- الميار، عبدالحفيظ فضيل (2001)الحضارة الفينيقية في ليبيا، ط1، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس، ليبيا.
- الهدار(ب/ت) دراسة القبور الفردية وآثاثها الجنائزي في تاوخيرا، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس.
- بازامه، محمد مصطفى(1975)ليبيا هذا الاسم في جدوره التاريخية،ط2، مكتبة قورينا، بنغازي.
- ب.هـ .ارمنجتون(ب/ت)،ص188الهجرات السامية إلى ليبيا وشمال إفريقيا.

- جراتسيوسي، باول(2008)دليل الفن الصخري في الصحراء الليبة ، بنغازي ،منشورات جامعة قاريونس.
- جودي، أندرو س(1996) التغيرات البيئية جغرافية الزمن الرابع، ت/محمود محمد عاشور، المجلس الأعلى للثقافة.
- حارش، محمد(1988) أصول عبادة أمون في المغرب القديم، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الرابع، الجزائر.
- حارش، محمد الهادي (1992) التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، مؤسسة الجزائر للطباعة، الجزائر.
- حماد، فاطمة محمد(2015) العلاقات المصرية مع القبائل الليبية من خلال المصادر النصية والأثرية خلال النصف الثاني من الالف الأول ق.م ، مصر، جامعة القاهرة، رسالة ماجستير غير منشورة .
- خشيم، على فهمي (1990) آلهة مصر العربية، م1، ط1، مطبعة إفريقيا الشرق.
- دانيلز ،تشارلز (1991) الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ت/احمد اليازوري، ط2، دار الفرجاني.
- سليمان، بن السعدي(2009)علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، أطروحة غير منشورة .
- عبدالعليم، مصطفي كمال(1966) دراسات في تاريخ ليبيا القديم،منشورات الجامعة الليبية.
- عبد ربه، مفتاح عثمان (ب/ت) زراعة الزيتون في قورينائية في العصر الكلاسيكى، مجلة الاتحاد للآثاريين العرب.
- عقون، محمد العربي(2008)الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، الجزائر، المطبوعات الجامعية.
- غبربيل، بالدور(1979) تحول الطبيعة والمناخ في الصحراء الكبري، ت ماكييل محرز، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس .
- قديم، طيب (2019) المظاهر الطبيعية والحيوانات في المعتقدات الوثنية بالمغرب القديم، الجزائر، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، المجلد 4، العدد2.
- كاندو، جويل(2009)الذاكرة والهوية، ت/ وجيه أسعد، منشورات الهيئة العامة السورية،
- ماتينغلي،د.ج (2009) منطقة طرابلس في العهد الروماني، ت/محمد الطاهر الجراري ومحمد عبدالهادي حيدر، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس.
- مصطفى، خاتمي(2020) الفجارات وعربات الركض الطائر: ومكانتها لدى المجتمع الجرمي القديم.(ما قبل الاحتلال الروماني، الجزائر، مجلة عصور الجديدة، م10، العدد1، مارس.
- مؤمن، على مؤمن إدريس(2017) المظاهر الحضارية للمجتمع الليبي القديم، بنغازي، المجلة الليبية العالمية، العدد27، سبتمبر.
- لحلو،أكسل(2016) التركيبة الاجتماعية للمغرب القديم (146ق.م–40م) كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر ، رسالة ماجستير غير منشورة.

- نورالهدي،ثليجان، واخرون(2019) الطقوس الدينية في بلاد المغرب القديم، الجزائر، جامعة بن خلدون، رسالة ماجستير غير منشورة .

المصادر والمراجع الاجنبية

- Herodotus, TV.
- Abdusal, Mahir Saab, The Garamantes"Traders of the Desert" Route Educational &Social Science Journal, Vol 7, January.
- Bates, Oric, (1914) The Eastern, Libyans, l'st, edition, MacMillan, and, Coilmited London.
- Kathryn A.Bard (1999) Paleolithic cultures, Encyclopedia of the Archaeology of Ancient Egypt, First published, London EC4P.
- Mattingly,D.J.and others(2003) The Archaeology of Fezzan, Vol. I Department of Antiquities, Tripoli , Society for Libyan Studies, London.

الملاحق

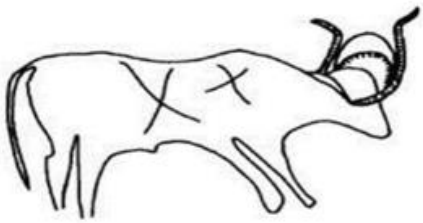

(شكل 1) رسم صخري لثور يحمل قرص الشمس بين قرنيه، منطقة الاكاكاس بالجنوب الليبي عن (حماد 2015،ص371)

(شكل)2 نقش لثور، جمعية جبل الحساونة لحماية البيئة تاريخ الاطلاع 2021/10/29

(شكل3)نقش لابقار، جمعية جبل الحساونة لحماية البيئة تاريخ الاطلاع 2021/10/29

(شكل4) صورة لنقش صخري فرس النهر بمنطقة سيدى الغريب ترهونة ليبيا. (تصوير الباحث 2014)

(شكل 5)عربات التي تجرها الخيول

قرية تلفلفت ،درج .(الشريف، 2010، ص 178)

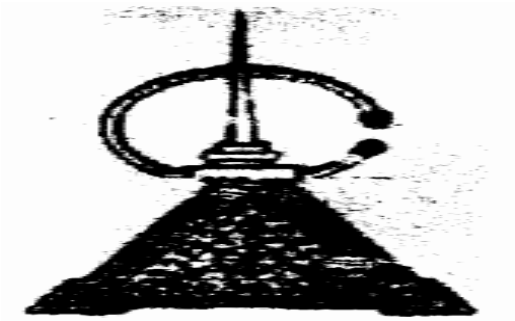

(شكل 6)الابزيم الفضي ، تعويذة الإلهة تانيت ،

العقون، 2008،ص39

(شكل 7) ديمة ابوغنجة العقون، 2008،ص239

(شكل 8) Mattingly, D.J. and others,2003, p180

أحكام تعطيل صلاة الجمعة والجماعة زمن الوباء
دراسة أصولية فقهية مقارنة

معمر بلعيد هيبلو أسامة موسى الهمص
كلية الشريعة والقانون / قسم الشريعة
الجامعة الأسمرية الإسلامية

ملخص البحث

حفظ النفس ضرورة من الضرورات الخمس.

حفظ أصل الدين مقدم على حفظ النفس، لكن حفظ النفس مقدم على مكملات حفظ الدين.

عند تغير الظروف على الإنسان فإن الأحكام الشرعية قد تتغير بتغير الظروف.

الأحكام الشرعية المتعلقة بالصلاة وأحكامها عند الضرورة تتغير، وقد تسقط هذه الأحكام، لا سيما السنن منها.

الكلمات المفتاحية: حفظ النفس، صلاة الجمعة، الضرورة، الوباء.

المقدمة

الحمد لله شرع لعباده ما يصلح أمرهم في العاجل والآجل رحمة منه وفضلا ، والصلاة والسلام على حبيبنا محمد بين رسالة ربه أتم بيان وسلم تسليما كثيرا .

وبعد :

ففي بداية هذه السنة ظهر وباء في العالم وأخذ ينتشر شيئا فشيئا يفتك بالأنفس ، وأصيبت حياة الناس بالشلل فلزموا بيوتهم بل وصل الأمر بأن أقفلت المساجد فلم تعد ثمة جمعة ولا جماعة ، وبعض المساجد ضلت مفتوحة والمصلون فيها أخذوا بالتدابير الصحية والتي من أهمها التباعد بين المصلين وفي هذه الأثناء كثرت أسئلة الناس عن الأحكام الشرعية لمثل هذه الأمور فأردنا تبيين هذه الأحكام ومعرفة المذاهب الفقهية في عرض مختصر ؛ ليستفيد منه كل من يطلع عليه من أهل التخصص ومن غيرهم فكان هذا البحث ولقد قمنا بتقسيم هذه الدراسة إلى مبحثين : الأول للدراسة الأصولية والثاني للدراسة الفقهية المقارنة ، وخاتمة تضمنت خلاصة البحث وأهم التوصيات والحمد لله أولا وآخرا .

مشكلة الدراسة :

يعالج البحث المشكلات الآتية:

هل الأحكام الشرعية تتغير بتغير الظروف؟

ما مقدار هذا التغير؟

ما الأشياء التي تسقط؟ هل السنن فقط؟ أم بعض الشروط والأركان تسقط حال الضرورة؟

ما مقدار الضرورة التي تقدر من انتشار كرونا؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الآتي

1. معرفة الأحكام الشرعية لكيفية أداء الصلاة زمن الأوبئة.
2. هل يجوز اغلاق المساجد زمن الوباء.
3. تأصيل بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالموضوع

أهمية الدراسة:

تتلخص أهمية هذا البحث في معالجته لقضية تعطيل صلاة الجمعة والجماعة في المساجد، وأحكامها الشرعية. بيان أن من يتولى هذا الأمر علماء الشـريعة، ويجب على الناس التقيد بتوجيهات الأطباء، وأن الحكم الشـرعي تبع لذلك

الدراسات السابقة ذات الصلة:

بعد ظهور جائحة كورونا وإغلاق المسـاجد كتب كثير من العلماء ومجالس الإفتاء فتاوى بشـأن الواقعة الجديدة، لكن لم أعثر على بحوث كاملة إلا في الندوة التي أقامها المجلس الأوروبي للإفتاء المنعقدة بالتقنية (zoom) التواصلية في الفترة الأولى 4 شعبان 1441هـ الموافق له 25 – 28 مارس (أذار) 2020م

المنهجية: إجراءات الدراسة والأدوات

استخدم الباحثان المنهج الاستقرائي الاستنباطي والمقارن ، فالدراسة قائمة على استقراء كلام الفقهاء في أحكام سابقة وذكر أهم اختلافاتهم واستنباط حكم شرعي للواقعة الجديدة يتماشى مع روح الشريعة الإسلامية.

المبحث الأول : التأصيل للمسألة.

المطلب الأول : بيان المقاصد الشرعية.

تكاليفٌ الشريعٌة تهدف إلى حفظ مقاصدها، ومقاصدها إما ضروريةٌ، وإما حاجيةٌ، وإما تحسينٌيةٌ.

فالضروريةٌ هي التي لا بد منها لقيام مصالح الدينٌ والدنياٌ، بحيثٌ إذا فقدت لم تجر مصالح الدنياٌ على استقامة وفي الآخرة حرم من النعيمٌ المقيمٌ.

وأما الحاجي فكما يقول الشاطبي[1] :(فمعناها أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين– على الجملة – الحرج والمشقة، ولكنه لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة)[2].

وأما التحسينات فهي الأخذ بمكارم الأخلاق التي يستحسنها العقلاء من الناس.[3]

والضرورات خمسة على ما ذهب إليه أكثر من تكلم في المقاصد وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال.

وكل واحد من هذه المقاصد له ما يكمله ويتممه ليكون بأحسن صوره.

المطلب الثاني: بيان أن حفظ الدين في مقدم هذه المقاصد

الترتيب السابق للضروريات الخمس معتبر والذي يعنينا في البحث هو الخلاف في تقديم حفظ الدين على حفظ النفس أو العكس.

فأكثر العلماء يقدمون حفظ الدين على حفظ النفس[4]، ولذلك شرع الجهاد مع ما فيه من إزهاق للنفوس لأجل إعلاء كلمة الله من جانب الوجود، وشرع حد الردة وهو حفظ للدين من جانب العدم.

ومن العلماء من قدم حفظ النفس على حفظ الدين[5]، واستدلوا على ذلك بأنه أبيح للإنسان النطق بكلمة الكفر حفاظا على نفسه، وأبيح له ترك الجمعة والجماعة إذا خاف هلاك ماله، فقالوا قدم حفظ النفس والمال على حفظ الدين.

والواقع أن من استدل بهذه الأدلة قد أخطأ فإن المقصود بحفظ الدين هو حفظ دين الأمة وليس آحاد الناس، فالواحد يجوز له أن ينطق بكلمة الكفر حفظا لنفسه، ولكن لا يجوز للأمة أن تعلن الكفر ظاهرا خوفا من القتل، بل يجب عليها الجهاد لإعلاء كلمة الله لحفظ دينها.[6]

المطلب الثالث: بيان منزلة صلاة الجمعة والجماعة

ذكرت الضروريات الخمس وذكرت أن لكل ضرورة ما هو مكمل ومتمم لها لتكون بأحسن صورها، ولا يعني قولنا أنها متممات أنها لا تكون واجبة في الشريعة بل قد تكون كذلك، لكن وصفنا لها بالمتمم يعني أنها لو لم توجد لم ينعدم أصل الشيء.

ومثال ذلك أن صلاة الجمعة واجبة على الأعيان وصلاة الجماعة إما سنة مؤكد أو واجبة على خلاف بين المذاهب وواجب إقامتها في البلد يقاتل أهل البلد لو امتنعوا من إقامتها، ومع ذلك فهي من متممات حفظ الدين، بمعنى أنها لو فقدت لم ينتقض أصل الدين ولكن ينتقض كماله.

---

1 أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية. توفي سنة 790هـ من كتبه: الموافقات في أصول الفقه، والاعتصام.
ينظر ترجمته في: معجم المؤلفين (1/ 118)، الأعلام (1/ 75).

2 الشاطبي إبراهيم بن موسى، الموافقات 21/2، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م. المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

3 المصدر السابق 23/2 بتصرف

4 ابن أمير الحاج، التقرير والتحرير في علم الأصول، 225/5، دار الفكر سنة النشر 1417هـ - 1996م. بيروت. الزركشي محمد بن بهادر البحر المحيط، 189/4 الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2000م، المحقق : محمد محمد تامر.

5 الشوكاني محمد بن علي (إرشاد الفحول) جعل حفظ الدين رابع مرتبة بعد النفس والمال والنسل130/2، الناشر: دار الكتاب العربي
الطبعة: الطبعة الأولى 1419هـ - 1999م، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا

6 ينظر الموافقات 24/2، نظرية المقاصد عند الشاطبي، ص 153، المؤلف: أحمد الريسوني الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي
الطبعة: الثانية - 1412 هـ - 1992م التقرير والتحبير ، الإحكام في أصول الأحكام، 274/3 الآمدي أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي المحقق: عبد الرزاق عفيفي
الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان

يقول الشاطبي – رحمه الله – عند كلامه على المتممات :(كُلُّ مَرْتَبَةٍ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ يَنْضَمُّ إِلَيْهَا مَا هُوَ كَالتَّتِمَّةِ وَالتَّكْمِلَةِ، مِمَّا لَوْ فَرَضْنَا فَقْدَهُ لَمْ يُخِلَّ بِحِكْمَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ ....

وَإِظْهَارُ شَعَائِرِ الدِّينِ، كَصَلَاةِ الْجَمَاعَةِ فِي الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ، وَصَلَاةِ الْجُمُعَةِ)[1].

ولما كانت الجمعة والجماعة من متممات حفظ الدين جاز تركهما إذا ترتب على فعلهما مفسدة تفوق المصلحة المترتبة من فعلهما، قال العز ابن عبد السلام (فإن رتبت مصلحة التصرف والطاعات على مصلحة الجمعة، قدم ذلك التصرف على الجمعة. لفضل مصلحته على مصلحة أداء الجمعة، فيقدم إنقاذ الغريق، وإطفاء الحريق، على صلاة الجمعة.

وكذلك يقدم الدفع عن النفوس والأبضاع على صلاة الجمعة من غير تخيير بين هذه الواجبات وبين الجمعة، بخلاف الأعذار الخفيفة المسقطة لوجوب الجمعة فإنها تخيير بين الظهر والجمعة.)[2]

المطلب الرابع: في تقديم حفظ النفوس على ما هو مكمل لحفظ الدين

إذا تبين أن حفظ النفوس من الهلاك هو من الضروريات الخمسة وأن صلاة الجمعة والجماعة هي من مكملات حفظ الدين حيث أن فقدها لا ينقض أصل الدين فإن حفظ النفوس أعلى منها مرتبة لأنه ضروري وهي مكمل، فإذا كان في الاجتماع ضرر ظاهر على النفوس لا يمكن دفعه فتركه لحفظ النفوس واجب، لأنه في صلاة الجمعة والجماعة اجتمع عندنا مصلحة مرجوحة وهي الاجتماع لأقامة شعائر الدين ومفسدة راجحة وهي تعريض النفوس للهلاك، والشريعة مبناها على جلب المصالح ودرئ المفاسد قال ابن تيمية(وتمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين وشر الشرين ، ويعلم أن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات . ويرى ذلك من الورع)[3].

المطلب الخامس: كيفية التعامل مع هذا الواقع

الشريعة الإسلامية مبناها على جلب المصالح وتكثيرها ودرئ المفاسد وتقليلها قدر الإمكان، فإذا كان بالإمكان جلب المصلح ودرء المفسد في آن واحد فبها ونعمت وإن لم يمكن فنفعل من ذلك ما استطعنا لقوله – تعالى – (فاتقوا الله ما استطعتم) فلكي لا تعطل المساجد بالكلية خشية انتشار الوباء يمكن أن تسمح وزارة الأوقاف للإمام والمؤذن أو لعدد معين من الناس ممن يخلون من المرض بأداء الصلاة جماعة في المسجد، وبأداء الجمعة بالإمام والمؤذن وشخص آخر.

المبحث الثاني : الأحكام الشرعية لتعطيل الجمعة والجماعة

المطلب الأول : حكم تعطيل الجمعة والجماعة بأمر الحاكم اجتهادا أوظلما

1 الموافقات2//24.
2 ابن عبد السلام عبد العزيز قواعد الأحكام في مصالح الأنام 108/1، المحقق : مجمود بن التلاميد الشنقيطيالناشر : دار المعارف بيروت – لبنان.
3 مجموع الفتاوى 512/10، ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، المحقق : أنور الباز - عامر الجزار، الناشر : دار الوفاء الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م.

حاكم المسلمين ومن يقوم مقامه كالقاضي والوزير والهيئات الإسلامية في البلدان غير المسلمة ،إذا أصدر أمرا بمنع إقامة صلوات الجماعة والجمعة ، فإن الأمر لا يخلو إما أن يكون ظلما وجورا أو أن يكون عن مصلحة واجتهاد :

1. في حالة المنع ظلما إما أن يكون قادرا أو غير قادر ، فإن كان قادرا على المنع وكان الضرر منه كبيرا محققا فإنه يجوز التخلف ،وأما إن كان غير قادر أو كان الضرر غير كبير (أوغير ملجئ كما يقول علماء الأصول)، فإنه والحالة هذه لا يجوز التخلف عن صلاة الجمعة ولا ينبغي التخلف عن صلاة الجماعة ، وقد توعد الله عز وجل هذا الظالم الذي يمنع الصلاة بأشد العذاب في الدنيا والآخرة فقال سبحانه : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم)[1] .

2. الحالة الثانية وهي المنع اجتهادا فإن الفقهاء مختلفون في جواز صلاة الجمعة بغير إذن الإمام ،فقد قال الحنفية بعدم جواز الصلاة ، يقول أبوبكر الحدادي الزبيدي الحنفي : " ولا تجوز إقامتها – يعني الجمعة – إلا بالسلطان ، أو من أمره السلطان ؛ وعلل ذلك بأنها تقام بجمع عظيم وقد تقع المنازعة بينهم فجعل أمرها إلى السلطان ؛لأنه أقرب إلى تسكين الفتنة والتسوية بينهم .[2]

وذهب فريق آخر من الفقهاء إلى عدم اشتراط إذن الإمام لإقامة الجمعة وحجتهم في ذلك عموم قول الله تعالى : (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله)[3]فلم تشترط الآية الكريمة إذن السلطان ، وكما لا يشترط إذنه في سائر الصلوات،[4]وهذا الدليل أقوى مما استدل به الأحناف في هـ ذه المسألة .

المطلب الثاني : أهم أدلة من قال بجواز التعطيل خوفا من الوباء

الأصل في حكم منع تعمير المساجد والصلاة فيها أنه من أعظم الظلم لقول الله – تعالى –{ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيه اسمه وسعى في خرابها } [5] ،يقول الطبري– رحمه الله تعالى – الظلم وضع الشيء في غير موضعه ومن أظلم بمعنى : وأي امرئ أشد تعديا وجراءة على الله وخلافا لأمره ، من امرئ منع مساجد الله أن يعبد الله فيها[6].

وقال – رحمه الله – في قوله سبحانه وتعالى { واجعلوا بيوتكم قبلة } [7] اجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها ،وعزا هذا التفسير لابن عباس ؛ وسبب ذلك أنهم كانوا خائفين من فرعون فأمروا أن يصلوا في بيوتهم [8] ، فكل من

1 سورة البقرة الآية 113
2 ينظر أبوبكر الحدادي العبادي الجوهرة النيرة 89/1 الناشر المطبعة الخيرية ط1 1322هـ .
3 سورة الجمعة الآية 9
4 القاضي عبد الوهاب البغدادي المعونة 222/1
5- البقرة 114
6 القرطبي أبوعبدالله محمد الجامع لأحكام القرآن 2 / 519 تحقيق أحمد شاكر الناشر نوسة الرسالة ط1 1420هـ - 2000م
7 يونس 87
8 الطبري محمد بن جرير جامع البيان في تأويل القرآن 15 / 171-172

خاف على نفسه هلاكا كانتشار الأوبئة فإنه يصلي في بيته ،قال القرطبي رحمه الله تعالى – أبيح لهم أن يصلوا في بيوتهم إذا خافوا على أنفسهم ، فيستدل به على أن المعذور بالخوف وغيره يجوز له ترك الجمعة والجماعة .[1]

ومن السنة أن ابن عباس قال لمؤذنه في يوم مطير " إذا قلت أشهد أن محمد رسول الله فلا تقل حي على الصلاة ، قل صلوا في بيوتكم ، فكأن الناس استنكروا ذلك فقال " أتعجبون من ذا ؟ فقد فعله من هو خير مني ، إن الجمعة عزمة وإن كرهت أن أخرجكم فتمشوا في الطين والدحض .[2]

وكذلك قوله – عليه الصلاة والسلام – " صلوا في رحالكم " يدل على مشروعية الصلاة في البيت عند العذر والذي منها وقت انتشار الوباء .

واستدل العلماء أيضا بالصلاة في البيت وعدم الذهاب للمسجد زمن الوباء ، بقوله – عليه الصلاة والسلام – " لا ضرر ولا ضرار " وهذا الحديث عده العلماء قاعدة فقهية ، فكل ما فيه ضرر على النفس أو ضرر على الغير يمنع شرعا استنادا لهذا الحديث .

وجاء عن الحسن – رضي الله عنه – أنه كان يرخص في الجمعة للخائف[3].

فهذه أدلة جواز التخلف عن الجمعة والجماعة زمن الوباء ، وذهب بعض أهل العلم إلى عدم جواز تعطيل المساجد وغلقها بالكلية ،بل يجب الأذان والصلاة على المؤذن والإمام [4].

وهذا لا يعارض ما سبق من الأدلة فجواز التخلف لعموم الناس ومن يخاف على نفسه ،ووجوب فتح المساجد للقائمين عليها .

المطلب الثالث : حكم إغلاق المساجد في الأوقات العادية

أغلب القائمين على المساجد اليوم يغلقونها في غير أوقات الصلاة ، وقد يوجد من يريد المكوث فيها للعبادة فربما منع بدعوى المحافظة على المسجد فما الحكم الشرعي في إقفال أبواب المساجد في غير أوقات الصلاة ؟.

ذهب جمهور الفقهاء وهو قول عند الحنفية إلى القول بجواز إغلاق المساجد في غير أوقات الصلاة صيانة وحفظا لها .

أما علماء الحنفية فذهبوا إلى تحريم إغلاق باب المسجد ؛ لأنه يشبه المنع من الصلاة والمنع من الصلاة حرام لقول الله – تبارك وتعالى : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم)[5] . [6]

تعقيبا على هذا ينبغي التفريق بين المساجد الكبيرة وسط المدن والتي يأتيها الناس حتى بين أوقات الصلاة يصلون فيها ويعمرونها بالعبادة ، فهذه الأقرب فيها قول الحنفية بمنع إقفالها ، وعلى السلطات تعيين من يحرسها ويقوم على رعايتها وبين باقي المساجد في القرى والمناطق النائية والتي لا يأتيها الناس غالبا إلا أوقات الصلاة فهذه

1. القرطبي أبوعبدالله محمد الجامع لأحكام القرآن 330/8
2 ابن خزيمة أبوبكر محمد باب أمر الإمام المؤذن بحذف حي على الصلاة والامر بالصلاة في البيوت بدله حديث رقم 1865(3 / 180) المحقق د. محمد مصطفى الأعظمي الناشر المكتب الإسلامي بيروت
3 ابن بطال علي بن خلف شرح صحيح البخاري باب الرخصة لمن لم يحضر الجمعة في المطر (2 / 492) تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر مكية الرشد – السعودية الرياض ط2 1423 هـ 2003م
4 مفتي عام ليبيا دار الإفتاء الليبية 21 رجب 1441هـ 16 /3/ 2020م
5 سورة البقرة الآية 114
6 الموسوعة الفقهية 228/37 و الجزيري عبد الرحمن الفقه على المذاهب الأربعة 263/1

يجوز إقفالها حماية لها من السرقة والحيوانات الضالة ، وقد قال العلماء إنه ينبغي ألا يمنع من يريد تعميرها والبقاء فيها ولم يخش منه فسادا وعلم ذلك من حاله.

ولعل هذا ما عناه صاحب مجموع الفتاوى بقوله : " تجب عمارة المسجد لإقامة الصلاة فيه ، ولا يحل إغلاق المساجد عما شرعت له "[1].

المطلب الرابع: ماحكم من خالف الإمام وصلى بالمسجد

إذا أصدر الحاكم أمرا بإغلاق المساجد لموجب شرعي كانتشار الوباء فما حكم صلاة من خالف هذا الأمر وصلى في المسجد ؟ ، قال المرداوي فإن خالف وصلى لم تصح صلاته على الصحيح من المذهب لارتكابه النهي [2].

وذهب فريق إلى أن من خالف – ولو نصا شرعيا – مثال ذلك الصلاة مع مدافعة الأخبثين فصلاته صحيحة ، وهذا القول هو الأقرب للصواب ولا يمنع كون صلاته صحيحة من إثمه للمخالفة والله أعلم .

المطلب الخامس: فتاوى العلماء والمجامع الفقهية

بعد انتشار وباء كوفيد 19 كورونا والذي عدته منظمة الصحة العالمية وباء عالميا ، بدأت دور الفتوى ومراكز البحوث تتلقى الأسئلة الشرعية بشأن هذه الحادثة والتي قامت بمناقشة الأمر وإصدار فتاوى والتي منها مسألة بحثنا هذه تعطيل المساجد والصلاة في البيوت .

ورد إلى المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث سؤال في هذه القضية وهذا نص السؤال " لم يعلن في مدينتي حتى الآن عن تسجيل إصابات بفيروس كورونا ولم يصدر قرار بإغلاق مساجدنا وكما يقول الأطباء قد يوجد مصابون ونحن لا نعلم حيث لا تظهر عليهم الأعراض فهل امتنع عن الذهاب إلى المسجد في هذه الحالة ؟.

فكان الجواب الآتي :

" الأصل هو الالتزام بقرار السلطات والمنظمات الصحية بمدينتك ، فإذا كانت حركة الحياة طبيعية ولم تسجل اصابات ولم يصدر قرار بمنع التجمعات فلا حرج عليك في الذهاب إلى الم

سجد ، وعليك أن تتابع المنظمات الصحية في بلدك ، فإذا أغلقت التجمعات تلزم بيتك وتؤدي صلاتك فيه الجمعة ظهرا والصلوات الخمس جماعة مع أهل بيتك ، ويجب أن يعلق الصلوات في المساجد في هذه الحالة حفاظا على أرواح الناس لقوله تعالى : { ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة } [3] .[4]

وقد أصدرت أيضا دار الإفتاء المصرية عن هذه القضية السؤال التالي : ماحكم ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد وغلق المساجد وقت انتشار فيروس كورونا ؟

فكانت الإجابة عنه على النحو "لا شك أن خطر الفيروسات والأوبئة الفتاكة المنتشرة وخوف الإصابة بها أشد خاصة مع عدم توفر دواء طبي ناجح لها ، لذا فالقول بجواز الترخص بترك صلاة الجماعات في المساجد عند حصول الوباء ووقوعه بل وتوقعه أمر مقبول من جهة الشرع والعقل وإذا أخبرت الجهات المعنية بضرورة منع

1 ابن تيمية أحمد بن عبدالحليم الفتاوى الكبرى 361/4

2 المرداوي علي بن سليمان الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف 1/ 458 دار إحياء التراث العربي الطبعة الثانية .

3 البقرة 185

4 البيان الختامي للدورة الطارئة الثلاثين للمجلس الاوروبي للإفتاء والبحوث المنعقدة بتقنية (zoom) التواصلية في الفترة الأولى 4 شعبان 1441هـ الموافق له 25 - 28 مارس (أذار) 2020م بعنوان المستجدات الفقهية لنازلة كورونا

الاختلاط في الجمع والجماعات بقدر ما وألزمت به ، فيجب حينئذ الامتثال لذلك ، ويتدرج في ذلك بما يراعي هذه التوصيات والالزامات ويبقى شعار الآذان ، والأصل في ذلك القاعدة الفقهية : لا ضرر وضرار.[1]

ولجنة الفتوى بالأزهر أصدرت فتاوى خاصة بالصلاة والمساجد زمن الوباء

« أحكام تهم المسلم بعد عودة صلاة الجمعة في زمان كورونا»

(1) لا تجب صلاة الجمعة على النساء ولا غير البالغين (الأطفال الصغار)، والأَولى عدم ذهابهم للمساجد

(2) إذا كنت تعاني من مرض في الكبد، أو الكُلَى، أو القلب، أو الصَّدر، أو تعاني من مرض مناعي، أو تعاني من الإنفلونزا، أو ارتفاع في درجة الحرارة، أو السعال، وضيق التّنفس، والتهاب الحلق؛ فلا تذهب لصلاة الجمعة في المسجد، وصلِها في بيتك ظهرًا (أربع ركعات).

(3) نزول المُسلم من بيته لأداء صلاة الجمعة متوضئا ليس إجراءً وقائيا من كورونا فحسب؛ بل هو طاعة عظيمة رغب فيها سيدنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم –

(4) اصطحِبْ معك إلى المسجد سجادتك الخاصة، وصلّ عليها.

(5) يجوز لك شهود الجمعة مرتديًا غطاء الأنف والفم (الكمامة)، ويجوز لك أن تصلي الجمعة على هذه الحال بلا كراهة، ولا يلتفت إلى قول بعض الناس إنه ممنوع ؛ لأن ضروة الوقاية من الوباء جعلته جائزا بلا كراهة

(6) تباعد المصلين وقت سماعهم الخطبة وفي صلاة الجمعة جائز، والصلاة صحيحة، ما دام أنه إجراء احترازي لمنع تفشي الإصابة بفيروس كورونا، غير أن تسوية صفوف المصلين من هذا التباعد مطلوبة على كل حال، وقد نص الفقهاء على جواز صلاة المنفرد عن الصفوف لعذر وخالف الحنابلة فأبطلوها لغير عذر ، أما في الوباء فيجوز التباعد للضرورة .[2]

(7) يجوز تعقيم المساجد بمواد كحولية قبل الصلاة أو بعدها، وتصح صلاة المصلى وعلى بدنه أو ثوبه أو مكان صلاته مواد كحولية مطهِرة؛ إذ الأصل في الأعيان الطَّهارة ما لم يدل دليلٌ على نجاستها.

(8) تستحب التهوية الجيدة للمساجد قبل صلاة الجمعة، وأثناءها، وبعدها .

(9) يستحب لأئمة المساجد الفضلاء أن يقَصروا مدة خطبتهم قدر الاستطاعة، وأن يخففوا صلاتهم، وأن يبثوا في الناس اليقين في الله سبحانه، والإيجابية حين مواجهة التحديات، وضرورة تحمل المسئولية الفردية والجماعية، واتباع إرشادات أهل التخصص من المسئولين والأطباء.

(10) أداء صلوات النوافل في البيت أفضل من صلاتها في المسجد، (ويكون ذلك آكد في زمان كورونا[3]

1 دار الإفتاء المصرية فتاوى كورونا .. تجيب عن 9 أسئلة عن الفيروس تشغل الأذهان الثلاثاء 17/مارس/2020 - 07:41

2 القرافي شهاب الدين أحمد الذخيرة 261/2

3 مركز الأزهر العالمي للفتوي الإلكترونية 26 أغسطس, 2020 عَشْرة أحكام تهم المسلم بعد عودة صلاة الجُمُعة في زمان **كورونا**

الخاتمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن تبعه

يتلخص هذا البحث في النقاط الآتية :

- إن دين الإسلام دين عام شامل فيه حل لكل مشكلة وجواب لكل سؤال .
- يجب على المسلم أن يمتثل أمر الله تعالى ما استطاع إلى ذلك سبيلا لقول الله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم
- إن شريعة الإسلام سمحة – سهلة حسنة – لا حرج ولا تعنت فيها.
- من المتفق عليه بين العلماء أن الضرورة تبيح المحظور وهذه الإباحة تقدر بقدرها .
- تتغير الأحكام الشرعية بتغير الظروف فتسقط صلاة الجماعة والجمعة إذا خاف المسلم هلاكا بانتشار وباء ونحوه.
- إن هذه الأحكام ليست هوى أو رأي لا حجة له وإنما منطلقها أصول وقواعد فقهية .
- يجب على ولي الأمر ومن تولى مسؤولية الناس أن يتقي الله فيهم وأن يقودهم إلى ما فيه صلاحهم.

يجب على المسلم أن يستحضر في نفسه أنه إذا ما انقشع الوباء وفتحت المساجد أنه سوف يعود إليها، لكي يجري له ثواب صلاة الجماعة.

المراجع

القران الكريم

1. إرشاد الفحول الناشر: دار الكتاب العربي الطبعة: الطبعة الأولى 1419هـ – 1999م، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق – كفر بطنا.
2. الإحكام في أصول الأحكام، 274/3 الآمدي أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي المحقق: عبد الرزاق عفيفي الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– لبنان
3. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف المرداوي علي بن سليمان 1/ 458 دار إحياء التراث العربي الطبعة الثانية
4. البحر المحيط الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2000م، المحقق : محمد محمد تامر.
5. البيان الختامي للدورة الطارئة الثلاثين للمجلس الاوروبي للإفتاء والبحوث – – المنعقدة بالتقنية (zoom) التواصلية في الفترة الأولى 4 شعبان 1441هـ الموافق له 25 – 28 مارس (أذار) 2020م
6. التقرير والتحبير في علم الأصول، دار الفكر سنة النشر 1417هـ – 1996م. بيروت.
7. الجامع لأحكام القرآن القرطبي تحقيق أحمد شاكر الناشر نوسة الرسالة ط1 1420هـ – 2000م
8. جامع البيان في تأويل القرآن الطبري المحقق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م
9. الجوهرة النيرة لأبي بكر الحدادي العبادي الناشر المطبعة الخيرية ط1 1322هـ .
10. الذخيرة لأبي العباس أحمد القرافي تحقيق محمد حجي وآخرون الطبعة الأولى 1994م دار الغرب الإسلامي بيروت
11. شرح ابن بطال لصحيح البخاري تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم دار النشر مكية الرشد – السعودية الرياض ط2 1423 هـ 2003م
12. صحيح ابن خزيمة المحقق د. محمد مصطفى الأعظمي الناشر المكتب الإسلامي بيروت
13. الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان الطبعة: الثانية، 1424 هـ – 2003 م
14. الفتاوى الكبرى لابن تيمية دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1408هـ – 1987م
15. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، المحقق : مجمود بن التلاميد الشنقيطي الناشر : دار المعارف بيروت – لبنان.
16. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، المحقق : أنور الباز – عامر الجزار، الناشر : دار الوفاء الطبعة : الثالثة ، 1426 هـ / 2005 م.

17. المعونة للقاضي عبد الوهاب البغدادي
18. الموسوعة الفقهية وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية بالكويت
19. الموافقات دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م. المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان.
20. نظرية المقاصد عند الشاطبي، ص 153، المؤلف: أحمد الريسوني الناشر: الدار العالمية للكتاب الإسلامي الطبعة: الثانية – 1412 هـ – 1992م
21. دار الإفتاء المصرية فتاوى كورونا ..الثلاثاء 17/مارس/2020 – 07:41

الموارد الطبيعية اللازمة لتحقيق التنمية الاقتصادية بشمال غرب ليبيا وسبل تحقيق الاستدامة

د. معتوق علي عون د. عمار محمد الزليطني
كلية الآداب– الجامعة الأسمرية

المبحث الأول الإطار النظري للبحث:

تعتبر الموارد الطبيعية سواء المتجددة او غير المتجددة من المقومات الضرورية لتحقيق التنمية, ومع ذلك لا يمكن أن تحقق التنمية هدفها و ترقي هذه الى مرتبة الاستدامة ما لم تستغل تلك الموارد بشكل أمثل ووفق أسس علمية تتماشى وتتوافق مع حاجيات الأجيال الحاضرة دون المساس بحقوق الاجيال القادمة, وبالتالي فإن التنمية المستدامة لا ترتبط فقط بحجم الموارد المتوافرة, وإنما ترتبط بألية وكيفية استغلال تلك الموارد واستخدامها وفق أسس علمية تتماشى مع أهدافها.

و تعتبر ليبيا من الدول التي تسعى لتغير هيكلها الاقتصادي الحالي المتوارث من الاقتصاد الاشتراكي الموجه المعتمد على القطاع العام, كما أن اعتمادها على تصدير النفط الخام كمصدر أساسي للدخل جعلها من دول اقتصاد الريع, مما جعل اقتصادها يتنافى مع الهدف الرئيسي للتنمية المستدامة, ولم تحاول البلاد الانتقال الى اقتصاد السوق المفتوح المعتمد على القطاع الخاص وخلق اقتصاد متنوع الدخل بدلا من النفط كمصدر وحيد للدخل. لذلك فإن هناك محاولات جادة من الخبراء المحلين ومن الجهات الحكومية المسؤولة لتغير هيكل الاقتصاد الليبي بحيث يكون قادرا على المنافسة الاقليمية كمرحلة أولى ومن ثم مواكبة الاقتصاد العالمي.

ونظرا لان منطقة شمال غرب ليبيا الممتدة من مصراته شرقا الى الحدود التونسية غربا وبعمق أقصاه 250 كيلو متر من ساحل البحر المتوسط شمالا الى أقصى أجزائها الجنوبية تعتبر من المناطق الجغرافية الهامة اقتصاديا, فموقعها الجغرافي يؤهلها أن تكون بؤرة اقتصادية محلية وإقليمية هامة, إضافة لامتلاكها العديد من الموارد الطبيعية التي تمكنها من تحقيق قفزة اقتصادية ملحوظة إذا ما تم استغلال تلك الموارد بشكل يتناغم مع متطلبات التنمية الاقتصادية المستدامة, وبالتالي تأتي هذه الدراسة لحصر أهم الموارد الطبيعية المتاحة في منطقة الدراسة من جهة, ثم دراسة الرؤية المستقبلية التي تسعى الدولة لتنفيذها من أجل تحقيق التنمية المستدامة الشاملة.

وتنبثق مشكلة الدراسة من محاولة الاجابة على التساؤلات الاتية

- ماهي أهم الموارد الطبيعية المتوافرة في منطقة شمال غرب ليبيا والتي من الممكن استغلالها اقتصاديا, بحيث يساهم في خلق تنوع اقتصادي يكون أحد الركائز الهامة لتحقيق التنمية المستدامة المأمولة بالمنطقة والبلاد ؟
- ما هي سياسة الدولة المستقبلية لتحقيق التنمية المستدامة للدولة؟ وهل يمكن لهذا الجزء من البلاد أن يساهم في تحقيق ما تطمح الدولة لتحقيقه اقتصاديا؟

أهمية الدراسة:

تستمد الدراسة أهميتها من الاهمية الاقتصادية الكبيرة لإقليم شمال غرب ليبيا من جهة, هذا إضافة إلى أهمية التنمية المستدامة التي تسعى دول العالم لتحقيقها من جهة أخرى.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة لحصر ومعرفة حجم الموارد الطبيعية المتوافرة في منطقة شمال غرب ليبيا, إضافة إلى تسليط الضوء على سلبيات اقتصاد المنطقة والبلاد, فضلا عن الحلول والمقترحات التي ستساهم في تغير الهيكل التقليدي لاقتصاد المنطقة بشكل خاص والبلاد بشكل عام.

منهجية البحث

أتبعت الدراسة المنهجين الوثائقي و الوصفي التحليلي, بالاعتماد على البيانات المتوفرة التي تناولت الموضوع, بالإضافة الي البحوث والدراسات المنشورة في المصادر المختلفة.

المبحث الثاني :

الموارد الطبيعية في منطقة شمال غرب ليبيا ودورها في تحقيق التنمية الاقتصادية فيها

تعرف الموارد الطبيعية بأنها عناصر الغلاف الجوي والصخري والغلاف المائي والغلاف الحيوي, ومنها ما يستغل استغلالا مباشرا كالمعادن والاسماك وقطع الغابات, ومنها ما يشكل عاملا أساسيا في عمليات الإنتاج الاقتصادي, كالماء والهواء والحرارة والتربة والتضاريس والتي تتحكم بالإنتاج الزراعي بشكل كبير. ويؤدي تنوع وكثرة واتساع الموارد الطبيعية لخلق ظروفا ملائمة لنمو الثروة القومية, وتحقيق نسب عالية من النمو الاقتصادي, ويضمن له الاستقلال عن المصادر الأجنبية في سد حاجاته (محمد عزيز, 1987). ووفقا لذلك سيتم التركيز دراسة وتحليل أهم الموارد الطبيعية بالمنطقة على النحو التالي:

أولا: موارد المقومات الطبيعية الجغرافية

1- الموقع الجغرافي

تقع منطقة الدراسة في شمال غرب ليبيا شكل (1) الى الشمال من دائرة عرض 31:30 تقريبا يحدها من الشمال البحر المتوسط ومن الغرب جمهورية تونس ومن الجنوب بلديات بني وليد, غريان, يفرن, جادو, و نالوت, زمن الشرق بلدية سرت, وتظم 18 بلدية[1] شكل (2) وتبلغ مساحتها (54080)كيلو متر مربع.

شكل (1) الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة

[1] التقسيم الإداري المتبع في هذه الدراسة هو التقسيم المعمول به حتى نهاية السبعينيات, نظرا لعدم ثبات التقسيم الإداري للبلاد بعد تلك الفترة.

شكل (2) التقسيم الإداري لمنطقة الدراسة

ويتميز موقعها الاستراتيجي بعدة مزايا لها تأثيرات إيجابية مباشرة وغير مباشرة على إمكانية نجاح التنمية فيها, فوقوعها في شمال غرب البلاد على ساحل البحر المتوسط وقبالة السواحل الجنوبية لأوروبا أضفى عليها مكانة إقليمية استراتيجية, وبالتالي يمكن أن تكون مركزا لتجارة العبور وحلقة وصل بين دول جنوب أوروبا والدول الافريقية جنوب الصحراء خاصة إذا ما تم تنمية طرق المواصلات البرية ما بينها وبين مناطق الجنوب الليبي. إضافة لكونها حلقة وصل بين مناطق شرق البلاد ووسطها وجنوبها من جهة ودول المغرب العربي من جهة أخرى, كما أن موقعها البحري يمنحها سهولة استثمار الموارد البحرية وبالتالي انخفاض التكلفة للصناعات السمكية.

كما أن موقع المنطقة الجغرافي والفلكي يسمح لها بتنمية صناعة السياحة فيها (سعيد الطيب 2001) فوقوعها ضمن المناطق المعتدلة الدفيئة المتميزة بعدم وندرة حدوث المتطرفات المناخية كغزارة الامطار والفيضانات المتتالية والاعاصير والثلوج أو ارتفاع درجات الحرارة بشكل كبير بدرجة تعرض حياة الانسان للخطر تعتبر أحد عوامل الجدب السياحي, كما أن موقعها في منتصف القارة الإفريقية وامتلاكها لواجهة بحرية طويلة يجعلها مركزا هاما للمواصلات ولسياحة العبور, إضافة الى إن قربها من قارة أوروبا له الأثر الفعال في تقليل تكاليف السفر فيؤثر إيجابيا في زيادة أعداد السائحين.

2- التضاريس

تتمثل أهم المظاهر التضاريسية في النطاقات التالية:

2-1- *الشريط الساحلي* *مورفولوجية الساحل:*

يتراوح اتساعه ما بين 10 – 15 كم ولا يزيد ارتفاعه كثيرا على مستوى سطح البحر والساحل منخفض رملي ومستقيم وخالي تقريبا من التعاريج والخلجان الساحلية في معظم أجزائه باستثناء بعض التجاويف البسيطة عند مصبات الأودية المحدودة التي تصل إلى البحر أو البروزات الصخرية التي استغلت لبناء الموانئ كميناء طرابلس في غرب المنطقة وميناء الخمس في وسطها وميناء مصراتة في شرقها, إضافة للعديد من البروزات الصغيرة الأخرى التي أقيمت عليها مرافئ الصيد في العديد من المدن الساحلية كزوارة والخمس وزليتن ومصراتة وغيرها, إضافة إلى وجود اللسان الرملي الذي يقع غرب مدينة زوارة مكونا جزيرة فروة (أبولقمة و القزيري 1997)

2-2- السهول الساحلية:

وتتمثل في سهلي جفارة ومصراتة وتزيد مساحة الأول عن 17000 كيلو متر مربع ويظهر على شكل مثلث يقع رأسه في مدينة الخمس شرقا ويوازي ضلعه الجنوبي الحافة الشمالية للمرتفعات الغربية, بينما يوازي ضلعه الشمالي ساحل البحر المتوسط, ويقطعه مجموعة من الأودية الجافة التي تصل مصباتها إلي البحر مثل وادي المجينين ووادي الهيرة, ويقع سهل مصراتة الي الشرق من سهل جفارة وهو أقل اتساعا ومساحة وتقطعه مجموعة من الأودية الجافة أيضا أبرزها وادي كعام ولبدة وغنيمة.

2-3- المرتفعات والهضاب الداخلية:

تخلو المنطقة من النطاقات الجبلية باستثناء بلديتي مسلاتة والخمس والتي ينتهي عندها الجزء الشرقي من منحدرات الجبل الغربي, بينما تقع الهضاب الداخلية الى الجنوب من سهل مصراتة في بلديتي زليتن ومصراتة ويصل أقصى ارتفاع لها الى 200 متر. وتنحدر العديد من الأودية من المنحدرات الشمالية لهذه الهضاب والمرتفعات باتجاه السهول الساحلية (شرف 1996).

ويتضح مما سبق إن المنطقة تخلو من النطاقات الجبلية المرتفعة والتي تكون عاملا للطرد البشري, كما أن وقوعها في أراضي سهلية مستوية تقريبا جعلها من مناطق التركز السكاني من ناحية وسهل عملية استثمار موارده الطبيعية من ناحية ثانية مما يسهل تنفيد المشاريع الاقتصادية المختلفة, كما أن وقوعها الى الشمال من منحدرات الجبل الغربي والهضاب الداخلية وفر لها المياه المنحدرة من الأودية واستغلالها ببناء السدود عليها واستغلال مياهها للأغراض المتعددة.

كما تؤثر مظاهر السطح على تحديد مسارات خطوط النقل المختلفة, فالمناطق التي تكثر بها النطاقات المرتفعة تتميز بطول خطوط النقل فيها وكثرة انحناءاتها لتجنبها المناطق المرتفعة وإتباعها النطاقات السهلية مما يزيد من تكلفة إنشائها وهذا ما يخلو وجوده بمنطقة الدراسة, كما أن خلو المنطقة من النطاقات الجبلية الشاهقة واتساع سهلها الساحلي يسهل إمكانية تشييد المطارات فيها, حيث أن لأشكال السطح دور مؤثر في تحديد مواقع المطارات والتي تبنى في المناطق السهلية بعيدا عن المرتفعات تجنبا لخطر الاصطدام بالقمم العالية (الزوكة 2000)

ونظرا لتميز شواطئ المنطقة بالاستقامة وكثرة الكثبان الرملية فإن أجزاء طويلة منها تعتبر من مناطق الجدب السياحي ومن أهمها شاطئ جزيرة فروة, وشواطئ زوارة, وشاطئ جنزور, وشاطئ صرمان, وشاطئ تاجوراء, وشاطئ زليتن وشاطئ مصراتة (الطيب 2001). ويشير (بولقمة و القزيري 1997) إن الشواطئ الليبية عموما تتميز بموقع جغرافي هام مما يشجع على تنمية السياحة البحرية ومنها وقوعها في وسط السواحل الجنوبية للبحر المتوسط, وهو موقع يساعد كثيرا على تقوية مركز ليبيا السياحي, كما أن حوض البحر المتوسط أصبح قبلة السياح الأوربيين والأمريكيين, فضلا عن وقوع الشواطئ الليبية في عروض معتدلة, إضافة الى تركز السكان في النطاق الساحلي ووجود المدن الأثرية القديمة في هذا النطاق, وأخيرا سهولة الوصول للشاطئ لامتداد الطريق الساحلي الرئيسي بشكل موازي وقريب من الشواطئ من الشواطئ البحرية.

3- التربة:

يقصد بها الطبقة السطحية من القشرة الأرضية التي ينمو فيها النبات ويمكن استغلالها بعد استصلاحها أو معالجتها في الانتاج الزراعي, وتحدد خصائصها الطبيعية والكيمائية مدى ملائمتها للإنتاج الزراعي, ويمكن تصنيف التربة في منطقة الدراسة الي:

1- التربة البنية المحمرة: وهي تربة واسعة الانتشار في سهل جفارة والمنطقة الوسطى وتشكل حوالي 54% من المساحة المدروسة في منطقة شمال غرب البلاد وبالتالي فهي الاوسع انتشارا بالمنطقة وتتميز بخصوبتها وصلاحيتها للزراعة.

2- تربة الوديان الرسوبية: وتسود في مصبات الأودية, وتتباين في صفاتها وخصائصها حسب طبيعة السطح الطبوغرافية لمنطقة الأرساب, وبالرغم لافتقارها للمواد العضوية والعناصر الغذائية, إلا أنها تحتوي على نسب كافية من البوتاسيوم وقليل من الفسفور الصالح لنمو النباتات, وتستغل للزراعة المروية والبعلية على حد سواء.

3- التربة الملحية وتربة السبخات: وتنتشر في مناطق واسعة في الإقليم الساحلي وخاصة بين الحدود الليبية التونسية غربا, وشرقا في مصراتة, وتتميز بانخفاض قدرتها الإنتاجية ولهذا يقتصر لاستغلالها لرعي الإبل نتيجة لقلة كثافة الغطاء النباتي.

4- التربة ذات القشور السطحية الصلبة: وتظهر في مناطق متفرقة في زليتن وبعض الأجزاء الغربية, وهي تربة ضحلة القطاع مع وجود طبقة صلبة على عمق 30 سم, وتستغل لزراعة الأعلاف.

ويتضح من خلال العرض السابق بأن أنواع الترب المنتشرة في المنطقة تعد من الترب الصالحة للإنتاج الزراعي بشكل مقبول, فالتربة المنتشرة في منطقة سهل جفارة وفي مناطق الأودية يمكن استغلالها للزراعة المروية, ويمكن استثمار الأنواع الأخرى في زراعة المحاصيل البعلية الحبوب والأشجار المثمرة على حد سواء, كما تستغل التربة غير الصالحة للإنتاج الزراعي لتربية ورعي الحيوانات.

4- المناخ:

نظرا لوقوع المنطقة بين دائرتي عض 32, 33 شمالا, فإنها تدخل ضمن المنطقة المعتدلة الدفئة ويمكن استعراض ودراسة عناصر المناخ على النحو التالي:

4-1- الحرارة

يصل المتوسط السنوي للحرارة إلى 20 درجة مئوية, ويتضح من الجدول (1) بأنها ترتفع صيفا وتنخفض شتاء. ويجب الإشارة هنا أنه من خلال تحليل بيانات درجات حرارة المنطقة اتضح أن معدل درجة الحرارة العظمى تصل أقصاها في شهر أغسطس لتصل الى 31.7 درجة مئوية, بينما يصل أدنى معدل لدرجة الحرارة الصغرى في شهر يناير لتصل الى 8.8 درجة مئوية (عون 2000).

جدول (1) المتوسط الشهري والسنوي لدرجة الحرارة بالمنطقة

البيان	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المتوسط
طرابلس	12.4	13.6	15.4	18.1	20.9	24.3	25.8	26.6	25.6	22.8	18.1	13.9	19.8
مصراتة	13.3	14.4	15.8	18.2	20.8	24	25.8	27.4	25.8	22.4	18.7	14	20
العزيزية	11.6	12.8	14.9	18.2	22.2	31.3	27.2	27.3	25.8	21.7	17.7	13.3	19.9

4-2- الرياح:

تهب على المنطقة عدة أنواع من الرياح ففي فصل الشتاء تهب نوعان من الرياح, هما الشمالية والشمالية الغربية المسببة في سقوط الأمطار, والرياح الجنوبية والجنوبية الغربية, أما في فصل الصيف فتهب الرياح التجارية الشمالية الشرقية التي تساعد على تلطيف درجة الحرارة صيفا, و تهب الرياح في فصلي الربيع والخريف من جميع الاتجاهات بنسب متفاوتة, وتعتبر رياح القبلي هي المميزة خلال فصل الخريف و الى يستمر هبوبها لعدة أيام أحيانا وتصل سرعتها الى أكثر من 60 كيلومتر في بعض الاوقات, ويصل متوسط سرعة الرياح بالمنطقة ما بين (20-25) كيلومتر في الساعة مع وجود تطرف نادر في زيادة سرعتها حيث وصلت إلى أكثر من 70 كيلو متر في الساعة سنة 1996 في شهر أبريل بمدينة مصراتة (عون 2000)

4-3- الأمطار:

يعد المطر ذا أهمية قصوى في المنطقة لغرض إنجاح الزراعة البعلية, والمتمثلة بالدرجة الأولى في محاصيل الحبوب وبعض الأشجار المثمرة, ويتراوح معدلات الامطار السنوية بالمنطقة ما بين (205 – 329 ملم) جدول (2). تبدأ في التساقط خلال شهر سبتمبر بكميات قليلة وتنتهى في أواخر شهر مايو, وتتوزع على شكل هرمي له قمة واحدة متمثلة في شهر ديسمبر, ثم تأخذ في التناقص في الأشهر الأخرى.

جدول (2) معدلات تساقط الأمطار ببعض بلديات المنطقة

البيان	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المتوسط
طرابلس	62.9	36.5	36.5	12.3	4.3	1.2	0.2	0.4	13	35.9	55.4	80.5	329
الخمس	53.4	28.8	20.5	12.6	3.9	1.0	0.0	0.9	5.9	38.8	27.4	46.1	239
مصراتة	58.1	29.3	19.9	9.9	5.3	0.8	0.0	0.5	13.3	44.4	37.4	55.4	274
ترهونة	55.3	43.5	34.5	19.3	5.8	2.7	0.2	0.6	12.7	27.4	23.7	47	273
العزيزية	44.2	29.9	22	11.6	3.5	0.8	0.1	0.1	8.9	21.5	21.8	41.2	206

المصدر: مصلحة الإرصاد الجوية, طرابلس,البيانات المناخية لليبيا, من سنة 1960– 2009

ويؤثر المناخ على جوانب التنمية الاقتصادية من عدة جوانب و بدرجات متفاوتة, ويبدو تأثيره على الانتاج الزراعي هو الاكثر وضوحا, فدرجة الحرارة تؤثر على الإنتاج الزراعي من زاويتان رئيسيتان يتمثل أولها في (تأثيرها على مدة الإنبات), حيث يتضح من الجدول (3) أن مدة الإنبات تزداد كلما انخفضت درجة الحرارة وتقل كلما ارتفعت درجة الحرارة, وبمقارنة ذلك بمعدلات درجات حرارة المنطقة يتضح إنها مناسبة لإنبات البدور. ويتمثل ثانيها في (مدى ملائمة درجات الحرارة لنمو المحاصيل الزراعية), فلكل محصول زراعي ثلاث مستويات حرارية تؤثر في قدرته على النمو , وهي (الصغرى, المثلى, العظمى), وبمقارنة بيانات الجدول (3) , بمعدلات حرارة المنطقة المعروضة بالجدول (4) إضافة الى مقارنتها بيانات درجات الحرارة الصغرى والعظمى, يتضح أنها ملائمة لنمو جميع المحاصيل الزراعية التي تتوافق مع الظروف الطبيعية الأخرى.

وللمناخ تأثير كبير على نجاح صناعة السياحة فعلى سبيل المثال تشير الدراسات بأن المناخ المناسب للنشاط البشري هو الذى تتراوح معدل حرارته ما بين 20–27 درجة مئوية (صفي الدين 2001) وبمقارنة ذلك بمعدلات الحرارة بالمنطقة نجدها ملائمة لمزاولة النشاط السياحي.

جدول (3) العلاقة بين إنبات المحصول ودرجة الحرارة

المحصول	مدة الإنبات (يوم)			
	في 10 درجة مئوية	في 11	في 16	في 19
القمح	6	3	2	1.75
الشعير	6	3	2	1.75
الفول	7	6.5	4.75	1.75

المصدر : محمد خميس الزوكة, المدخل إلى الجغرافيا الاقتصادية, دار الجامعات المصرية, 1997

جدول (4) درجة الحرارة المناسبة لنمو المحاصيل الزراعية

المحصول	الحد الأدنى	الحد الأعلى	درجة الحرارة المثلى
الشعير	5	37.5	27.5
القمح	5	42.5	27.5
الطماطم	18.3	26.6	24–21.1
البطيخ	18.3	35	29.4 –21.1
الخضروات	13	49	35 – 32
✦ العنب	12	43	38 – 21
✦ التين	12	43	38 – 21
✦ الرمان	14	40	38 – 21

المصدر: محمد خميس الزوكة, المدخل إلى الجغرافيا الإقتصادية, دار الجامعات المصرية, 1997, ص74.

✦المصدر: مخلف مرعي, التباين المكاني لأشجار الفاكهة وإمكانية تنمية زراعتها في العراق, رسالة دكتوراة, كلية الآداب, جامعة بغداد, 1980, ص 101.

وتعتبر الأمطار أيضا من العوامل الرئيسية المؤثرة على الانتاج الزراعي بالمنطقة, فمن خلال مقارنة معدلات تساقط الامطار بالمنطقة مع الاحتياجات السنوية للمحاصيل البعلية نجد أنها ملائمة للكثير منها فمثلا يزرع القمح عالميا في المناطق التي تتراوح معدلات أمطارها ما بين 250 – 1750 ملم, وينطبق نفس الحال على محصول الشعير والذي يتراوح الحد الأدنى لزراعته ما بين 35 – 40 ملم (الديب 1995) وخاصة في فترة الإنبات, وبالرغم من ذلك فإن معدلات أمطار المنطقة عرضة للتذبذب من عام لأخر مما يؤثر تأثيرا سلبيا على الإنتاج الزراعي, فعلى سبيل المثال وصل متوسط الامطار في مصراتة سنة 1989 على 145.9 ملم, والى 142.3 ملم سنة 1993 ببلدية الخمس, وإلى 33.5 ملم فقط في بلدية زليتن سنة 1970 (عون 2000).

ولا تعتبر الرياح الهابة على المنطقة من العوامل المعرقلة لتنقيد مشاريع التنمية الاقتصادية فيها, فمن خلال مقارنة بيانات سرعة الرياح فيها مع معيار تصنيفها اتضح إنها تصنف حسب سرعتها من الاقل الى الاكثر الى (هواء ساكن, هواء ضعيف, نسيم لطيف, نسيم لطيف جدا, نسيم معقول, نسيم منعش) وهذه السرعات لا تؤثر سلبا على جوانب الانتاج الاقتصادي, فالرياح الهوجاء الشديدة الخطيرة هي التي يزيد سرعتها عن 66 كيلو متر(جودة, 1989) وهذا أمر نادر الحدوث.

ثانيا: الموارد المائية :

تتمثل أهم الموارد المائية في المنطقة فيما يلي:

1- المياه السطحية (الأودية) :-

تقدر كمية المياه السطحية في ليبيا بحوالي (200) مليون متر مكعب سنويا, منها 120 مليون متر مكعب سنويا في منطقة جبال طرابلس, (80) مليون متر مكعب سنويا في منطقة الجبل الأخضر, والجدير بالذكر أن 50% فقط منها يمكن حجزها لتكون مصدرا مائيا إضافيا يمكن استغلاله، ويوضح الجدول (5) أهم الوديان ، ومساحة تجميع المياه بها ، وحجم السدود وقدرتها التجزيئية .

جدول (5) أهم الوديان والسدود بالمنطقة

اسم الوادي	مساحة أحواض التجميع كم	قدرة تخزين السد م/ سنويا	متوسط التخزين السنوي مليون م سنويا
المجنين	579	58	10
كعام	2310	111	13
لبدة	174	5.8	0.89

المصدر: الهيئة العامة للإنتاج الزراعي, تقويم الوضع المائي بالبلاد , مصلحة المياه والتربة, طرابلس, 1990.

2- المياه الجوفية:

تنقسم ليبيا من الوجهة الهيدرولوجية إلى خمس مناطق, منها أثنان في منطقة الدراسة الأول يتمثل في (منطقة جبال طرابلس ويشمل حوض سوف الجين, حوض غرب سرت, حوض الحمادة الحمراء), ويتمثل الثاني في (منطقة سهل جفارة), وتشير الدراسات التي أجريت على خزانات المياه الجوفية بالمنطقة في منتصف السبعينيات بان العمق التقريبي من سطح الأرض الى السطح العلوي لخزانات المياه الجوفية العذبة ما بين 100 – 200

متر في معظم أجزاء المنطقة ويزداد العمق في أقصى أجزائها الجنوبية, وتتراوح نسبة ملوحتها ما بين 1 غرام/لتر الى 2 غرام, وترتفع نسبة ملوحة المياه الجوفية في شرق مدينة مصراتة وأقصي الاجزاء الغربية للمنطقة لتصل الى 4 غرام/ لتر (مصلحة المساحة 1978).

ثالثا: الموارد المعدنية

تتمثل أهم الثروات المعدنية في المنطقة في (أبولقمة و القزيري 1995):

- أملاح البوتاس وملح الطعام: وتوجد في سبخات سيدا بالقرب من ميناء زوارة وطرابلس ومصراتة.
- الجبس (كبريتات الكالسيوم المائية) وتوجد في مناطق متفرقة من سهل جفارة ويصل سمكه الى 400 متر.
- رمل السليكا: ويوجد في جنوب طرابلس ويستخدم في صناعة الزجاج.
- رواسب الحجر الجيري: وتوجد في الخمس وزليتن وتستغل في صناعة الإسمنت.
- رواسب الحجر الرملي: وتوجد في جنوب بلدية طرابلس.
- فحم الليجنايت: يوجد منه شواهد في بلدية الخمس.

وعموما فالمنطقة لا تتميز بتوافر وتنوع الموارد المعدنية التي يمكن أن تكون عاملا مشجعا على قيام صناعات معتمدة على الخامات المحلية بالمنطقة, باستثناء صناعة الاسمنت والزجاج والملح.

رابعا: موارد الثروة البحرية (الثروة السمكية)

وفقا (لمنظمة الأغدية والزراعة للأمم المتحدة 2004) فإن إنتاج الاسماك من المياه الليبية بلغ 50000 طن متري سنة 2000 تقدر قيمتها بنحو 100 مليون دولار أمريكي, وكان ها الانتاج يتألف من 21000 طن متري تقريبا من أسماك السطح الصغيرة (سردين, ماكريل, هورس ماكريل, بوقة), ونحو 2000 طن متري من التونة زرقاء الزعانف, ونحو 24000 طن متري من خليط من أنواع أسماك القاع (أهمها البوري الأحمر, والشبوط, والوقر, والشيم, ودنتكس, والزناد, وباندورا, والاخطبوط, والحبار, والقرش, إضافة إلى 3000 طن متري من أنواع الأسماك الأخرى. وتعتبر منطقة غرب ليبيا من أهم مناطق صيد الاسماك بالبلاد ويوضح الجدول (6) بيان بالكميات التقديرية للأسماك التي تم اصطيادها في مصائد منطقة الدراسة. ووفقا (http://www.libya-al-mostakbal.org/news) فإن المياه الاقليمية الليبية تصنف كرابع منطقة اقتصادية في العالم, وعليه يمكن القول بأن الثروة السمكية بمنطقة الدراسة من الموارد الهامة التي تشجع على قيام صناعة تعليب الاسماك إذا ما فتح المجال أمام القطاع الخاص الاجنبي والمحلي لاستثمار, والبحث عن أسواق تصريف ذات ضريبة تصدير منخفضة, كما يجب الضغط على دول الاتحاد الأوروبي بطرق الدبلوماسية لتخفيض الضريبة على الصادرات السمكية الليبية.

جدول (6) الكميات التقديرية للأسماك التي يتم إنزالها بالأطنان المترية (من واقع مسح بالعينة سنة 2004)

أسم الميناء/ المرسى	كمية أسماك السطح	كمية أسماك القاع	المجموع
فروة	28	700	728
زوارة	7200	2920	10120
الزاوية	4080	320	4400
مرسى صبراتة	0	140	140
رأس الوصيف	0	315	315
مرسى سيدي زيد	0	140	140
مرسى ديلة	0	258	258
سيدي بلال	2228	83	2311
القصرية	0	236	236
باب البحر	1882	2921	4803
النادي البحري	1615	1489	3104
المقطع	0	146	146
رأس لامان	0	100	100
ميناء ومرسى الخمس	943	966	1909
زليتن	1650	257	1907
زريق	0	155	155
دزيرة	0	108	108
ميناء قصر أحمد	680	2000	2680
المجموع			

المصدر: منظمة الأغدية والزراعة للأمم المتحدة, الملامح الرئيسية لمصائد القطرية, 2005.

المبحث الثالث: الواقع الحالي لاقتصاد المنطقة وأولويات الحلول المقترحة لتحقيق التنمية الإستدامة

أولا: لمحة عن واقع الاقتصاد بالمنطقة

إن وصف الهيكل الاقتصادي للمنطقة وواقعه الحالي لا يخرج من إطار وصف حالة الاقتصاد الليبي ككل, فجميع أجزاء الدولة الليبية لم تحظي بما تطمح اليه من تطوير وتنمية تجعلها تتمايز فيما بينها, بحيث يخلق فروقا تنموية مكانية ذات مميزات اقتصادية ملحوظة, باستثناء بعض الفروق النسبية التي حظيت بها كل من مدينتي طرابلس وبنغازي بسبب نزوح السكان اليهما من المناطق لريفية في بداية السبعينات لتوافر فرص العمل فيهما. وعليه فقد وصف الخبراء الاقتصاد الليبي قبل اكتشاف وتصدير النفط بالاقتصاد المأساوي, وتغير وضعه نسبيا نحو الافضل مع اكتشاف النفط وتصديره في بداية الستينيات ولكنه ظل يتسم بالتخلف بسبب قلة الخبرات الوطنية, وبالرغم من أن البلاد شهدت تنفيد مجموعة من الخطط التنموية متمثلة في (الخطة الثلاثية 1973–1975، والخماسية 1976–1980، والخماسية الثانية 1981–1986.), إلا أنها لم تحقق النجاح الذي يمكن أن يرتقي

بالبلاد إلى مصاف الدول الاقتصادية القوية, وذلك بسبب السياسة الاقتصادية المتبعة بحيث ظل الاقتصاد الليبي يصنف ضمن (اقتصاديات الريع لاعتماده الكبير على تصدير النفط الخام في الحصول على الموارد المالية, إضافة إلى سيطرة القطاع العام على جميع الجوانب الاقتصادية للدولة. و بالرغم من توافر موارد الطاقة في ليبيا فهي تمتلك اقتصادا من أقل الاقتصاديات تنوعا في منطقة المغرب العربي وبين البلدان المنتجة للنفط, ففي أوائل السبعينات اختارت ليبيا نظام الاقتصاد الموجه الذي حصر الاستثمار في الحدود التي تقررها الدولة, وفرض قيود صارمة على التجارة الخارجية, والاعتماد على سياسة الدعم وتهميش القطاع الخاص بشكل شبه كامل, وبالتالي أدى تدخل الحكومة الخانق في الاقتصاد على مدار عدة سنوات إلى حدوث تدهور متواصل في مناخ الأعمال, وانخفاض النمو الاقتصادي, وتدني مستوى المعيشة, وهشاشة أوضاع الاقتصاد الكلي, وزيادة تعرض الاقتصاد للصدمات الخارجية. وكان ضعف المؤسسات وعدم كفاءة الحوكمة من المعوقات الأخرى أمام التنمية الاقتصادية. وقد بدأ تدهور الأحوال الاقتصادية في منتصف الثمانينات مع انخفاض أسعار النفط العالمية, ثم تفاقمت الاحوال في التسعينات نتيجة العقوبات الدولية. وعقب رفع عقوبات الأمم المتحدة ف عام 2003, أخد النشاط الاقتصادي يزداد بشكل مطرد لمدة سبع سنوات, وشهد بعض النمو للقطاعات غير الهيدروكربونية, وبالرغم من ذلك ظلت ليبيا من أكثر البلدان اعتمادا علي النفط, فكانت صادراتها من بين الصادرات الاقل تنوعا في العالم, وكان قطاعها الخاص الصغير معوقا بسبب أنتشار السيطرة الكاملة للدولة, والاخفاقات المؤسسية المعطلة, وعدم القدرة على توفير فرص عمل, وازدياد الاعتماد على العمالة الوافدة (شامي, وأخرون 2012)

ويمكن الاشارة هنا بان القطاع النفطي يسهم بنحو 56% من إجمالي الناتج المحلي في الفترة ما بين (2000-2005). بينما أسهمت الخدمات بنسبة 28%, وقطاعات الزراعة والصناعة والنقل والتشييد بحوالي من 4-5% لكل منها (الحاج, واخرون 2006).

وبالرغم من قيام الدولة ببعض المحاولات المتعلقة بإشراك القطاع الخاص في تبني بعض المشاريع الاقتصادية إلا إن عدم وجود استراتيجية واضحة المعالم أسهم في انتشار ظاهرة الاقتصاد الخفي في البلاد والذي يعرفه (شيحان 2013) "بأنه ذلك الاقتصاد الذي لا يخضع للرقابة الحكومية ولا تسجل أعماله في سجلات الحسابات القومية, ولا يعترف بالقوانين والتشريعات الصادرة وهو لا يشمل فقط الانشطة غير المشروعة بل يشمل أيضا الدخول المصرح بها والناتجة من إنتاج السلع والخدمات المشروعة", وتشير الدراسات بأن الاقتصاد الخفي بدأ في النمو الملحوظ في النصف الثاني من عقد الثمانينيات وتزايد خلال التسعينيات, وإن حجمه تراوح في الدول النامية ما بين 35-44 % من إجمالي الناتج المحلي لهذه الدول, وبما أن الاقتصاد الليبي من الاقتصاديات النامية فيمكن تعميم تلك النسبة على اقتصاده (علي 2005).

كما يعاني الاقتصاد الليبي من عدة سلبيات ومعوقات أخري والتي يجب إيجاد حلول لها لغرض تطويره, ويعتبر عدم الاهتمام بالمورد البشرى وتطويره من أهم السمات السلبية التي لازمت العاملين بجميع الأنشطة الإنتاجية الاقتصادية فلم تهتم الدولة في معظم المشاريع الاقتصادية بتتبع ومواكبة التكنولوجيا العالمية على أكمل وجه وإدخالها في العملية الانتاجية إضافة الى عدم تطوير وتنمية الأيدي العاملة عن طريق تكثيف الدورات التدريبية التي من الممكن أن تساهم في رفع القدرة الانتاجية للعامل الليبي, إضافة إلى نقص الأيدي العاملة الوطنية

بشكل عام, والماهرة منها بشكل خاص, ويرجع ذلك الى عدة أسباب من بينها سوء مدخلات التعليم العالي, إضافة إلى إهمال وعدم تطوير التعليم الفني والمهني التوفير القوى العاملة المدربة التي تحتاجها المؤسسات لاقتصادية بشتى انواعها.

ثانيا: الحلول المستقبلية لإعادة هيكلة اقتصاد المنطقة من أجل تحقيق التنمية المستدامة

تعرف التنمية المستدامة ووفق مؤتمر الأمم المتحدة المعني بالبيئة والتنمية 1987 بأنها " التنمية التي تلبي احتياجات الجيل الحالي دون الإضرار بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة" (عماري 2008), وبالرغم من تعدد تعاريفها إلا أن جميعها تتمحور حول النقطتين الرئيسيتين التاليتين:

- إدارة قاعدة الموارد الطبيعية وصيانتها وتوجيه التكنولوجيا والمؤسسية بطريقة تضمن تلبية الاحتياجات البشرية للأجيال الحالية والمقبلة بصورة مستمرة. وبالتالي فهدفها الحفاظ على الأراضي والمياه والموارد الطبيعية.
- استخدام موارد المجتمع وصيانتها وتعزيزها حتى يمكن المحافظة على العمليات الايكولوجية التي تعتمد عليها الحياة وحتى يمكن النهوض بنوعية الحياة الشاملة الان وفي المستقبل.

إن أي محاولة لتطبيق التنمية المستدامة بليبيا بشكل عام لابد أن ترتكز على سرعة التخلص من النظام الاقتصادي الريعي الحالي المعتمد على استنزاف وتصدير النفط كمادة خام للخارج , إضافة إلى التخلص من سيطرة الدولة على كافة الجوانب والعمليات الاقتصادية من أجل الانتقال الى اقتصاد أفضل يقل فيه الاعتماد على القطاع العام ويساهم في تنويع مصادر الدخل. وعليه فإن ذلك يتطلب إدخال عدة إصلاحات وتغيرات جوهرية, ومن بين هذه الاصلاحات ما شرعت الدولة البدء في تنقيده من فترة قريبة, ومنها ما تنوي تنقيده مستقبلا ضمن خطط مرسومة طويلة الاجل, ومنها ما يجب إدراجه ضمن الخطط المستقبلية ويمكن سرد أهم تلك الاصلاحات على النحو التالي:

1- اصلاحات القوانين الاقتصادية المتعلقة بالاستثمار المحلي والاجنبي:

يعاني الاقتصاد الليبي من تدني حجم الاستثمارات الاجنبية المباشرة مقارنة ببعض الاقتصاديات النامية, كما أن هذه الاستثمارات تمتاز بالتذبذب من سنة إلى أخرى, وإن هيكلها لايزال محصورا في قطاعات محدودة جدا كالنفط, ويرجع ضعف حجم الاستثمارات الأجنبية المباشرة الواردة إلى القطاعات الاقتصادية المختلفة الى البيئة الاستثمارية المحلية المكبلة بأعباء التنظيمات الإدارية والبيروقراطية, فالخصخصة تسير ببطء, ونوعية البنية التحتية غير مناسبة بما فيه الكفاية, كما لا يزال السوق المالي بحاجة إلى الكثير من التطوير (الفارسي, الشحومي 2006). ونظرا لذلك وبهدف تحسين بيئة الاستثمار المحلي والاجنبي وتقليل القيود المفروضة عليه فقد أصدرت الجهات المختصة بالدولة القانون رقم (9) لسنة 2010 بشأن تشجيع الاستثمار (مؤتمر الشعب العام 2010) و يهدف إلي تشجيع رؤوس الأموال الوطنية والأجنبية لإقامة مشروعات استثمارية ضمن إطار السياسة العامة للدولة وأهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية على وجه الخصوص, ويهدف إلى تحقيق الأهداف التالية :

- تأهيل وتنمية العناصر الليبية فنيا ورفع كفاءتها وإكسابها مهارات متقدمة, وتوفير فرص العمل لها.

- العمل على نقل المعرفة والتقنية وتوطينها في الاقتصاد الليبي.
- المساهمة في إقامة أو تطوير أو إعادة تأهيل الوحدات الاقتصادية الخدمية والإنتاجية بما يساعدها على المنافسة ودخول الاسواق العالمية.
- تحقيق التنمية المكانية.
- زيادة وتنويع مصادر الدخل.
- ترشيد استهلاك الطاقة.
- استغلال المواد الخام المتوفرة محليا.

ووفقا لهذا القانون فإن المشاريع الاستثمارية يشترط فيها أن تحقق عدة مزايا إيجابية لدعم الاقتصاد المحلي: مثل المساهمة في تنمية وتطوير المناطق النائية, وإنتاج سلع للتصدير أو المساهمة في زيادة الصادرات منها, أو يكون من نتيجته الاستغناء عن استيراد سلع بصفة جزئية أو كلية, إضافة إلي توفير فرص عمل للعمالة المحلية بما لا يقل عن 30% والعمل على تدريبها, ودعم الروابط والتكامل بين أنشطة ومشروعات اقتصادية قائمة أو تخفيض تكاليف الإنتاج أو المساهمة في توفير مواد ومستلزمات تشغيل لها. ولغرض زيادة قدرة جدب المستمرين فقد شمل القانون على مزايا كبيرة لصالح المستثمر تمثلت في العديد من الاعفاءات الجمركية المتعلقة بالآلات والتجهيزات والسلع المنتجة لغرض التصدير وغيرها.

2- تحسين السياسة المصرفية

شهدت الفترة ما بين 1993-2004 اتخاذ بعض الإجراءات التي تستهدف تحسين السياسة النقدية والمصرفية, ومن أهمها صدور قانون المصارف والنقد والائتمان رقم (1) لعام 1993, ومن أبرز التغيرات التي تضمنها هذا القانون السماح بفتح مصارف محلية خاصة جديدة والسماح للمصارف الأجنبية بفتح فروع و مكاتب تمثيل لها في ليبيا, ويشير (مصرف ليبيا المركزي 2010) إن الاتجاهات المستقبلية للسياسة النقدية والمصرفية تتضمن تنفيد عدة خطوات هامة من شأنها أن تساعد على تطوير الاقتصاد المحلي ومن بينها: العمل على تعزيز رقابة مصرف ليبيا المركزي على المصارف المتخصصة, مع ضمان تحقيق الأهداف المرسومة لها, وتطوير سوق بين المصارف والسوق الثانوية, مع اتخاذ المزيد من الخطوات لتشجيع تطوير السوق, إضافة إلى استكمال تنفيد الإصلاحات المتعلقة بتقوية الرقابة المصرفية وإعادة هيكلة وخصخصة النظام المصرفي, هذه فضلا عن تشجيع دور القطاع الخاص وخاصة المشروعات الصغيرة والمتوسطة لإيجاد التنوع الاقتصادي وجذب الاستثمارات الأجنبية, كما تشمل الاستراتيجية الاستعانة ببعض المؤسسات الدولية المتخصصة في مجال هيكلة وتحديث القطاع المالي, ومواكبة المستجدات التقنية الحديثة للعمل المصرفي والاستفادة منها في المجالات المختلفة.

3- تنويع مصاد الدخل بتشجيع القطاع الخاص (بإنشاء المشاريع الصغيرة والمتوسطة) والاستفادة من تجارب بعض دول العالم:

أدى سيطرة الدولة المباشر على كل جوانب الاقتصاد تقريبا إلى إضعاف القطاع الخاص, وكما هو معروف فإن القطاع الخاص يشكل اليوم دعامة رئيسية لتنمية الاقتصاديات المحلية, فهو يمثل محور عملية التنمية الاقتصادية في معظم بلدان العالم المتقد والنامية على حد سواء, نظرا لما يتمتع به هذا القطاع من مزايا و

إمكانيات هائلة تمكنه من القيام بدور ريادي في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية, وتؤكد الدراسات بوجود علاقة إيجابية قوية بين أنشطة القطاع الخاص والنمو الاقتصادي وأن نمو الانتاجية يرتبط بشكل وثيق بالاستثمارات الخاصة, كما تؤكد نتائج دراسة أعدها البنك الدولي شملت 50 دولة نامية وتقارن بين فاعلية الاستثمار العام والخاص على وجود علاقة موجبة بين حجم الاستثمار الخاص ومعدلات نمو الناتج المحلي (مولاي, بونوة 2010).

ويمكن الاشارة هنا بأن هناك بعض الدول النامية ذات الاقتصاد الريعي والمشابه للاقتصاد الليبي قد شعرت بأهمية القطاع الخاص في بناء الاقتصاد المحلي, ومن هنا يمكن التطرق و الاستفادة من برنامج الحكومة العراقية في مجال تطوير القطاع الخاص المتمثل في مشروع (استراتيجية تطوير القطاع الخاص 2014– 2030), فقد نفدت في العراق خلال العقد المنصرم العديد من البرامج لدعم القطاع الخاص في العراق, و لكنها كانت ولم تزل الى اليوم مجزأة ولا تندرج ضمن استراتيجية مترابطة أو خطة تتضمن إجراءات متعاقبة يمكن أن تستخدمها الحكومة في معالجة المشاكل التي تعرقل ظهور قطاع خاص فعال, وتهدف الاستراتيجية إلى أن تكون خارطة طريق لتوطيد مساعي الحكومة لتطوير القطاع الخاص في الفترة 2014– 2030, ومن المتوقع أن يؤدي تطبيق هذه الاستراتيجية إلى ان يحقق العراق نتائج أفضل بكثير في المؤشرات العالمية التي تقيس بيئة الأعمال في أي بلد, وأن تزداد إنتاجية القطاع الخاص, وتتعزز قدرته على التنافس, وأن يكون أكثر التزاما اجتماعيا وبيئيا, وأقدر على توفير المزيد من فرص العمل الجديدة, وستحقق الحكومة أهداف الاستراتيجية من خلال اتباع ثلاثة محاور, تحت مسمى الركائز التطويرية وتتمثل الركيزة الاولى في (فهم القطاع الخاص), والركيزة الثانية (تحسين بيئة الاعمال), والركيزة الثالثة (في برنامج تطوير المؤسسات والمشاريع الصغيرة والمتوسطة), وهناك ركيزة رابعة (تتمثل في هيكلية التنفيذ, والتي ستنفد عبرها الأعمال المخطط لها في الركائز التطويرية الثلاث), ويتضمن الاطار الزمنى للخطة العراقية ثلاث مراحل متعاقبة وهي كالاتي:

المرحلة الاولى(2014– 2017): وستركز على تنفيد أنشطة ذات أولوية لتحقيق نجاحات سريعة في تطوير القطاع الخاص, لاسيما تشكيل مجلس تطوير القطاع الخاص, إطلاق أنشطة الدعم المباشر للقطاع الخاص, تشريع وتديل القوانين والأنظمة الرئيسية, وتنفيد حملات توعية عامة لاطلاع المواطنين على التغيرات الإيجابية المتوقعة.

المرحلة الثانية (2018– 2022) وستستثمر النجاحات المتحققة في المرحلة الاولى بتنفيذ وتفعيل كل أنشطة الدعم المباشر, وستودي الى توسيع حجم ونشاط القطاع الخاص, ليوفر 45% من الناتج القومي الاجمالي ونحو 35% من فرص التشغيل., وبحلول عام 2022 ستكون إعادة هيكلة كل الشركات العامة قد أنجزت وأدخلت في شركات تكاملية مع القطاع الخاص عبر سلاسل قيمة وعناقيد تجهيز.

المرحلة الثالثة: ستنقل الحكومة تدريجيا الى القطاع الخاص قيادة تنفيد استراتيجية القاع الخاص, وسيكون هنالك نمو سريع بحيث يساهم بما لا يقل عن 60% من الناتج المحلي الاجمالي وموفرا 55% من فرص العمل.

ووفقا (الإسكوا 2011) فإن للمشاريع الصغيرة والمتوسطة أثار إيجابية على التنمية في الدول العربية ومنها (تعزيز النمو الاقتصادي, والازدهار الاجتماعي– توفير فرص العمل– زيادة القيمة المضافة في الناتج

الاجمالي للاقتصاد– مكافحة البطالة والقضاء على الفقر– ترسيخ علاقات الترابط على صعيد الاقتصاد الوطني من خلال الترابط مع المشاريع الكبرى– تشجيع روح الابتكار والابداع– جذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة, وتشجيع استغلال الموارد المحلية, وتوسيع السوق– و تعزيز القدرة التنافسية للبلد). ومن هنا يمكن القول بأنه يمكن الاستفادة من تجارب العديد من الدول في مجال تطوير المشاريع الصغرى والمتوسطة, فعلى سبيل المثال تعتبر التجربة الماليزية بالرغم من قصر عمرها نسبيا من التجارب الناجحة في تطوير المشاريع الصغيرة والمتوسطة حيث شكلت أكثر من 90% من إجمالي المشاريع الصناعية لسنة 2005), وقد قدمت الحكومة الماليزية العديد من التسهيلات لغرض إنجاح تلك المشاريع كتأسيس هيئة متخصصة بتنمية هذه المشروعات سنة 1996, إنشاء بنك متخصص لتقديم قروض ميسرة للمشاريع الصغيرة والمتوسطة, تقديم التسهيلات المالية والضريبية, تقديم برامج تدريبية داعمة, تقديم المنح والحوافز النوعية لبعض الأنشطة المستهدفة (سلمان, 2009).

ونظرا لأن منطقة الدراسة من أهم المناطق الزراعية في البلاد فيجب العمل على تشجيع وزيادة الانتاج الزراعي بإتباع الأساليب الرأسية وربطها بالمشاريع الصغرى والمتوسطة للصناعات الغذائية التي تتوفر لقيامها ونجاحها مواد خام زراعية كالصناعات المعتمدة على المنتجات الزراعة البعلية كالزيتون والنخيل وغيرها , ويوضح (انجهام 2010) أن من بين الاساليب الواجب أتخادها لتطوير القطاع الزراعي تتمثل في زيادة الانتاج الزراعي عبر وضع سياسة تشجيعية للأسعار, وإتباع سياسة التحديث وإدخال التقنية والتكنولوجيا, فضلا عن تكثيف حملات التوعية الزراعية.

وفقا الى (انجهام 2010) فأن الزراعة تشكل دورا حيويا في دعم الاقتصاديات المحلية وخاصة للدول النامية, فقد أشار الاقتصادي أرثر ليوس إلي ضرورة الحاجة للنمو الزراعي مشيرا إلى تجربة بريطانيا التي قادت ثورة زراعية قبل الثورة الصناعية, وقد بدأ الاعتراف بدور الزراعة في التنمية الاقتصادية مند بداية السبعينات حيث دعا صانعو السياسة والأكاديميون إلى مبدأ " الزراعة أولا" كاستراتيجية في التنمية, وعليه فأن مساهمة الزراعة في التنمية يتمثل في النقاط التالية: زيادة المعروض من الغداء للاستهلاك المحلي– توفير العمالة في الاستخدامات الصناعية– زيادة حجم السوق المحلي للمنتجات المصنعة– زيادة المعروض من الادخارات المحلية– و الحصول على الصرف الأجنبي مقابل الصادرات الزراعية.

وتعتبر مشاريع صناعة تعليب الاسماك من الصناعات التي يمكن أن تحقق نجاحا جيدا في المنطقة لاتساع سوقها الداخلية خاصة إذا ما قامت الدولة بفرض قوانين حماية لها كفرض ضرائب على الصناعات السمكية المستوردة, كما يمكن تصدير الفائض منها في حالة البحث عن أسواق خارجية لا تفرض قيود جمركية عالية على مثل هذه الصادرات.

ومن بين المشاريع الاقتصادية التي يجب وضعها في الحسبان ضمن المشاريع الصغير والمتوسطة هي المتعلقة بصناعة السياحة نظرا لتوافر مقوماتها في منطقة الدراسة وخاصة السياحة البحرية والتي يعتبر تواجد المدن الأثرية عاملا مشجعا لنجاحها.

4- التخلص من الاقتصاد الخفي

نظرا لتفشي ظاهرة الاقتصاد الخفي كما ورد سابقا, فيجب علي الحكومة الليبية مستقبلا العمل على التخلص منه و يمكن أن يتأتى ذلك بالبحث عن أسبابه والقضاء عليها وقد أوجز (علي 2009) أهم تلك الأسباب في :
انخفاض مستوى الدخل وخاصة في ظل ارتفاع مستوى الاسعار, إضافة إلى ارتفاع مستوى الضرائب, كما أن الأنظمة الادارية والقيود الحكومية المتبعة والمفروضة على الانشطة الاقتصادية تعتبر سببا رئيسيا يجب الالتفات اليها وتعديلها, هذا فضلا عن ندرة السلع والتلاعب بتوزيعها عبر قنوات غير مشروعة, هذا فضلا عن غياب القيود على المشروعات الصغرى وسهولة تلاعبها بالضرائب.

5- الحد من استنزاف الموارد الطبيعية:

سوف يتم الاشارة هنا الى التنبيه بخطورة الاستمرار في استنزاف ثلاثة موارد طبيعية هامة يرى الباحث يأن الاستمرار في استنزافها بشكل غير سليم من العوائق التي ستعرقل تنفيد التنمية المستدامة. ويمثل النفط أهم هذه الموارد فالاعتماد الرئيسي على تصديره كمادة خام واعتباره المصدر الوحيد للدخل, حيث شكلت الصادرات النفطية 97% من إجمالي الصادرات في الفترة ما بين (2000- 2005). (الحاج وأخرون 2006), مما يعكس حجم الكارثة الاقتصادية التي وضعت البلاد ضمن قائمة الدول الريعية, وبالتالي فيجب أن تتضمن الخطط المستقبلية تنويع الاقتصاد الليبي من أجل تنويع مصادر الدخل. ويعتبر استنزاف المياه الجوفية من أهم المشاكل البيئية التي تعاني منها البلاد وخاصة في منطقة سهل الجفارة حيث أدى التوسع في الزراعة المروية و ازدياد عدد السكان إلى انخفاض منسوب المياه الجوفية وزيادة ملوحتها وقد أدى ذلك إلى حدوث عجز مائي سنوي جدول (7) , مما يعنى أن ندرة المياه الجوفية قد تشكل عائقا أمام تنفيد المشاريع الاقتصادية وخاصة الزراعية منها, مما يتطلب ضرورة معالجة هذه المشكلة والحد من الاستغلال المفرط لها والبحث عن العلاجات والبدائل كالتركيز على تغدية المياه الجوفية بالطرق العلمية. كما يعتبر استنزاف الثروة السمكية من المشاكل التي يجب أن تلتفت لها الحكومة الليبية, فقد أدت ظروف عدم استقرار البلاد إلى انتهاك سيادة المياها الإقليمية وقيام بعض الدول بالصيد غير المشروع داخلها, وتصل الكميات المسروقة إلى 21000 طن تناهز قيمتها 155 مليون يورو, وتباع بعد إدخالها للمصانع بقيمة 488 مليون يورو, وتجدر الإشارة هنا إن ليبيا تعاني أيضا من فرض قيود جمركية على تصدير الأسماك حيث تفرض تركيا نسبة 90%, ودول الاتحاد الأوروبي نسية 110% على الصادرات السمكية الليبية وبالمقابل تعفى الصادرات التونسية من الضريبة داخل الاتحاد الأوروبي (http://www.libya-al-mostakbal.org/news)

جدول (7) الموازنة المائية للمياه الجوفية بالمنطقة

الحوض	الامكانيات المائية المتاحة (مليون متر مكعب سنويا)	كمية المياه المستغلة (مليون متر مكعب سنويا)	العجز المائي (مليون متر مكعب سنويا)	النتائج المترتبة
سهل جفارة	240	1300	1060 -	هبوط شديد وتداخل مياه البحر
المنطقة الوسطى	275	421	146 -	هبوط ملحوظ في منسوب المياه في بعض المناطق

المصدر: حسن كشاش الجنابي,تحليل جغرافي لإمكانية تحقيق الأمن المائي في ليبيا, مجلة ديالي, العدد الحادي والاربعون, 2009 .

6- تفعيل مبدأ المشاركة الشعبية وتفعيل الإدارة اللامركزية

يقصد بالمشاركة الشعبية: تلك المشاركة القائمة على الشعور بالمسؤولية الاجتماعية, مشاركة الأفراد والجماعات والقيادات في كل ما يتصل بالحياة في المجتمع المحلي بوجه عام, وفي كل ما يتعلق بتنمية موارد الناس الاجتماعية والاقتصادية والفكرية بوجه خاص, يسهم فيها كل مواطن بما يستطيع أو يملك بدافع رغبة حقيقية نابعة من اتجاه اجتماعي ومبادئ ثقافية أخلاقية

وتعتمد المشاركة الشعبية على عدة مرتكزات أساسية منها: سيادة مبدأ الديمقراطية وحرية المواطنين في اختيار من يمثلهم لتأمين حق المشاركة الايجابية شريطة أن يكون هذا التمثيل مستندا على الاختيار السليم, كما أن تفعيل مبدأ اللامركزية الإدارية يعتبر أساسا لتفعيل مبدأ المشاركة الشعبية بحيث تدير الاقاليم والمناطق أو البلديات شؤونها بواسطة ممثليها الذين يتم انتخابهم مما يشجع المواطنين في المشاركة الفاعلة في تنفيد المهام المحلية, ويمكن القول بان نجاح برامج التنمية يتوقف على وجود سلطة لامركزية فعالة, كما أن المجتمع يجب أن يكون على وعي كبير بمشاكله واحتياجاته ومعرفة الأولويات التي يحتاجها لغرض التطوير, إضافة إلى وجود الرغبة والدافعية للمشاركة في التغيير والتنمية, وأخيرا يجب أن تتضح للمجتمع الرؤية من المشاركة والتي غالبا ما تهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة الشاملة. وتنقسم المشاركة الى نوعين هما: المشاركة المباشرة: والتي تعرف بأنها مشاركة مختلف فئات الشعب أو هيئات أو جماعات منتظمة في كل ما يتعلق بالعملية التنموية (غنيم 2001), ويأخذ هذا النوع عدة أشكال أهمها اللامركزية الإدارية بحيث تنشأ مؤسسات وهيئات تخطيط على المستوى الإداري المحلي, كما تتمثل في استشارة الأهالي من خلال الاجتماعات والمقابلات وغيرها, كما أنها تعتمد على مؤسسات المجتمع المدني وما تقوم به من برامج تطوعية, هذا فضلا عن القيام باستفتاء عام حول قضايا معينة, كما أن استخدام وسائل الاعلام يساهم في تفعيل مبدأ المشاركة المباشرة, ويتمثل الشكل الثاني في المشاركة غير المباشرة التي تحدث بواسطة أشخاص معينون وبتكليف من جهات معينة (قدومي 2008).

وبما أن الاقتصاد الليبي ظل طيلة العقود الماضية تحت سيطرة الدولة بتبنيها مبدأ الاقتصاد الموجه وسيادة مبدأ المركزية في التخطيط والتنقيد فقد كان لغياب المشاركة الشعبية أمرا طبيعيا لنتائج السياسة الاقتصادية المتبعة. وعليه فإن صناع القرار في ظل النظام السياسي الجديد لأبد أن يتبنى مبدأ اللامركزية عند الشروع في بناء الهيكل الاقتصادي الجديد للبلاد لأنها ووفق أراء خبراء الإقتصاد تعد أحد النظم التي يمكن من خلالها تمكين المواطنين في المجتمع المحلي من المشاركة الفعالة والحقيقية في إدارة الشئون العامة المحلية للمجتمعات التي يعيشون بها, كما أنه بدون تطبيق سليم للامركزية لا يمكن القول بإمكانية تحقيق التنمية المستدامة, لاسيما في ظل عجز الحكومة المركزية عن الوفاء بكلفة احتياجات المجتمع .

الخاتمة

النتائج : من خلال العرض السابق يمكن استخلاص النتائج التالية:

1- تعتبر منطقة شمال غرب ليبيا من المناطق المميزة على مستوى البلاد التي تتمتع بموارد طبيعية جغرافية تؤهلها لقيام تنمية اقتصادية مرموقة, بحيث تصبح منطقة جدب اقتصادي محلي وإقليمي, ويأتي الموقع الجغرافي وظروف المناخ والتضاريس في مقدمة تلك الموارد.

2- لا تشكل الموارد المعدنية أهمية كبيرة لقيام تنمية صناعية معتمدة على المواد الخام المحلية باستثناء صناعة الاسمنت وصناعة الزجاج والملح.

3- تعتبر موارد الثروة السمكية من الموارد البحرية الهامة التي يمكن أن تشجع على صناعة تعليب الاسماك وخاصة إذا ما استقرت الظروف السياسية بحيث يؤدى إلى جدب الاستثمارات الخارجية.

4- ما زال الاقتصادي الليبي محتفظا بسمة التخلف باعتباره اقتصاد ريعي يعتمد على النفط كمصدر وحيد للدخل, إضافي الى سيطرة القطاع العام على مكونات العملية الاقتصادية , وعدم فاعلية القطاع الخاص لحداثته وضعف مشاركته.

5- لتحقيق تنمية اقتصادية بمنطقة شمال غرب ليبيا بشكل خاص وليبيا بشكل عام يجب رسم خطة مستقبلية طويلة الاجل تتضمن: اصلاحات القوانين الاقتصادية المتعلقة بالاستثمار المحلي والاجنبي, تحسين السياسة المصرفية, تنويع مصاد الدخل بتشجيع القطاع الخاص (بإنشاء المشاريع الصغيرة والمتوسطة) والاستفادة من تجارب بعض دول العالم, التخلص من الاقتصاد الخفي, الحد من استنزاف الموارد الطبيعية, وأخيرا تفعيل مبدأ المشاركة الشعبية وتفعيل الإدارة اللامركزية

التوصيات: توصي الدراسة الأخذ في الاعتبار ما يلي:

1- العمل على حصر الموارد الطبيعية في المنطقة وإعادة دراستها إحصائيا لتوفير قاعدة بيانات للخطط التنموية المستقبلية.

2- الاستفادة من تجارب الدول المشابهة لظروف الاقتصاد الليبي والتي تحولت باقتصادها من نهج الاقتصاد الموجه إلى اقتصاد السوق.

3- التعرف على تجارب الدول ذات نظام اقتصاد الريع ومعرفة خططها المزمع تنقيدها من اجل تنويع اقتصادها.

4- الاسراع في خلق الاستقرار السياسي للبلاد باعتباره الاساس لخلق تنمية اقتصادية شاملة مستدامة.

5- إصدار القوانين والتشريعات التي من شأنها تحد من استنزاف الموارد الطبيعية.

المصادر

- أبو لقمة الهادي ، القزيري سعد 1995, الجماهيرية دراسة في الجغرافيا ، الطبعة الأولى, الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلام, طرابلس.
- أبولقمة الهادي, القزيري سعد 1997, الساحل الليبي, منشورات مركز البحوث والاستشارات, جامعة قاريونس (سابقا), الطبعة الأولى, دار الكتب الوطنية, بنغازي.
- الفارسي عيسى, الشحومي سليمان, 2006, "البيئة الملائمة لجذب الاستثمارات الأجنبية المباشرة للاقتصاد الليبي" المؤتمر الوطني حول الاستثمار الاجنبي في الجماهيرية, (تحت شعار نحو مناخ استثماري أفضل) طرابلس 29 أبريل 2006.
- الزوكة محمد, 2000 , جغرافية النقل, دار المعرفة الجامعية, الاسكندرية,.
- الجنابي علي 2009, "تحليل جغرافي لإمكانية تحقيق الأمن المائي في ليبيا, مجلة ديالي", العدد الحادي والاربعون .
- الديب محمد 1995, جغرافية الزراعة- تحليل في التنظيم المكاني, الطبعة الثانية, مكتبة الأنجلو المصرية, القاهرة.
- الطيب صفي الدين سعيد,2001 , "مقومات التنمية السياحية في ليبيا, دراسة في الجغرافية السياحية" رسالة دكتوراه, كلية الآداب, جامعة القاهرة, 2001.
- الحاج محمد, وأخرون, 2006, تقرير بعنوان: استراتيجية متوسطة الأجل للإصلاح الاقتصادي, والملحق الاحصائي, إدارة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى, صندوق النقد الدولي.
- الاسكوا (اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا) 2011, تعزيز القدرة التنافسية للمشاريع الصغيرة والمتوسطة وخدمات البنية الأساسية, الأمم المتحدة, نيويورك.
- إنجهام بربرة, 2010 (ترجمة محسن حاتم), الاقتصاد والتنمية , الطبعة الاولى, دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع, دمشق.
- بن محمود خالد 1995, الترب الليبية ،الطبعة الأولى ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي .
- سلمان ميساء, 2009, , الأثر التنموي للمشروعات الصغيرة الممولة في ظل استراتيجية التنمية, دراسة تطبيقية على المشروعات الممولة من قبل هيئة التشغيل وتنمية المشروعات في الجمهورية العربية السورية, رسالة ماجستير, كلية الإدارة والاقتصاد, الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك.
- شامي رالف , أخرون, 2012 , ليبيا بعد الثورة التحديات والفرص, صندوق النقد الدولي, واشنطن.

- شيخان شهاب, 2013, "اقتصاد الظل بين السببية والتحييد, العراق دراسة حالة", مجلة جامعة الانبار للعلوم الاقتصادية والادارية, المجلد 5, العدد 10.
- شرف عبد العزيز 1996, جغرافية ليبيا ، الطبعة الثالثة ، الإسكندرية .
- عزيز محمد 1987, التخطيط الاقتصادي الشامل, الطبعة الاولى, منشورات جامعة قاريونس (سابقا), بنغازي.
- عماري عمار, 2008, إشكالية التنمية المستدامة وأبعادها, المؤتمر العلمي الدولي للتنمية المستدامة والكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة, كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير, جامعة فرحات عباس, سطيف, الجزائر.
- علي أسامة , الاقتصاد الخفي في ليبيا, أسبابه. حجمه, أثاره الاقتصادية, مصرف ليبيا المركزي, 2009).
- عون معتوق, 2000, "ظواهر التنوع والتركز الزراعي في المنطقة الساحلية (مصراتة– الخمس)" كلية الآداب بزليتن, جامعة ناصر, الخمس, ليبيا.
- غنيم عثمان, 2001, التخطيط أسس ومبادئ, دار الصفاء للنشر والتوزيع, عمان.
- قدومي عبد المعطي 2008, منال عبد المعطي قدومي, دور المشاركة المجتمعية في تنمية وتطوير المجتمع المحلي, حالة دراسية للجان الأحياء السكنية في مدينة نابلس, رسالة ماجستير منشورة, جامعة النجاح الوطنية, كلية الدراسات العليا.
- مصرف ليبيا المركزي, 2010, تطور السياسة النقدية والمصرفية في الجماهيرية, ورقة مقدمة للدورة الاعتيادية الرابعة والثلاثين لمجلس محافظي المصارف المركزية ومؤسسات النقد العربية, طرابلس,.
- مؤتمر الشعب العام (سابقا) 2010, قانون رقم (9) لسنة 2010, بشأن تشجيع الاستثمار, , سرت.
- مولاي عبد الرزاق, بونوة شغيب 2010 "دور القطاع الخاص في التنمية الاقتصادية بالدول النامية– الجزائر دراسة حالة", مجلة الباحث, العدد 7, 2010).
- مرعي مخلف 1980, "التباين المكاني لأشجار الفاكهة وإمكانية تنمية زراعتها في العراق", رسالة دكتوراة, كلية الآداب, جامعة بغداد.
- مصلحة المساحة 1978 , الاطلس التعليمي, أمانة التخطيط (سابقا, طرابلس.
- http://www.libya-al-mostakbal.org/news

مفهوم الهوية عند محمد أركون

د. علي خليفة محمد أجويلي
قسم علم الاجتماع - كلية العلوم الاجتماعية
جامعة الزيتونة

المقدمة

إن مفهوم الهوية عند أركون هو مفهوم مستنتج من المنظومة الفكرية التي قدمها من أجل تحليل التراث العربي والإسلامي من جهة، ومحاولته مقارنة هذه المنظومة مع الحداثة الغربية من جهة ثانية، وتحديده لأوجه الاختلاف والتمايز بينهما من جهة ثالثة. فالهوية التي ينشدها أركون للعرب والمسلمين يجب ألا تكون مجرد تقليد للحداثة الغربية واقتفاء أثرها خطوة بخطوة، بقدر ما هي تعبير عن الخصوصية الإسلامية، غير أن هذه الخصوصية يجب أن تكون أيضاً خصوصية عقلانية وتتوخى القيم الإنسانية والليبرالية في الحرية وحقوق الإنسان والسعي لبناء السلام العالمي. وهذا لأن أركون بالأساس ينتقد ما انتهت إليه الحداثة الغربية، فالحداثة عنده حداثات، وهذا هو مفهوم الحداثة من وجهة نظر ما بعد الحداثة، لأن الحداثة تقوم على "الاعتراف بالاختلافات" مع الآخر، وتؤسس للتعددية الثقافية. أما ما يحصل اليوم مع العالم الغربي أنه بدأ بالتراجع عن تلك المفاهيم للحداثة، والاهتمام بالصراعات الثقافية والسياسية، والسعي لعدم الاعتراف بأي حداثة غير الحداثة الغربية، بوصفها النموذج الوحيد لأي حداثة في المستقبل[1]. ويقصد أركون بالقول إن الحداثة هي عدة حداثات: إن لكل حضارة نموذجها الخاص في الولوج إلى عالم الحداثة (أي العقلانية والحريات)، فالمهم هو تبني القيم العامة، مع احتفاظ كل حضارة بالطريق الخاص بها، بحسب أوضاعها وثقافتها وتراثها. أما الغرب فإنه أخذ يميل إلى تصعيد الصراع الثقافي والسياسي، وهو ما يفسر انتشار الأفكار التي تدعو إلى صراع الحضارات، وعولمة العنف[2].

ومن خلال ذلك وإذا ما انعكس هذا الأمر على وضع الهوية وصراعاتها فإن أركون يريد للعالم العربي والإسلامي هوية حداثية، ولكنها هوية تنطلق من الخصوصية الإسلامية، وتؤسس داخل التربة الإسلامية وتبني وفق مبدأ التركيز على الاختلافات، وليس على التوحد والاندماج بالحداثة الغربية، لأن الحداثة الغربية مثلاً تأخذ بمبدأ العلمانوية[3]، في حين أن العالم العربي الإسلامي بحاجة إلى ما يسميه "العلمانية الإيجابية". وبالمجمل فإن الساحة الدينية والفكرية لكل حضارة "تتخذ أشكالاً أو تشكيلات مختلفة جداً بحسب تنوع الثقافات البشرية، وبحسب اللحظات التاريخية المختلفة لنفس الثقافة"[4].

(2) ألان تورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011، ص57.
(3) المرجع نفسه، ص61.
(4) العلمانوية: المعنى السلبي من العلمانية، ادعاء العلمانية والعمل بعكسها.
(1) محمد أركون، العلمنة والدين (الإسلام – المسيحية – الغرب)، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، 1996، ص25.

إذاً يريد أركون للعالم الإسلامي أن يؤسس لنفسه هوية ذات خصوصية إسلامية، على أن تكون هوية حداثية يمكن أن تستفيد من الخبرات الحداثية للغرب، فحيث إن الهوية الأوروبية الحداثية تأسست على ثورة دينية أدت إلى ثورة علمية، يبدو أن هذا الأمر لابد من العمل عليه في العالم الإسلامي. فالثورة العلمية، أي تأسيس الحياة الحديثة على العلوم في مختلف المجالات، وما تحمله هذه العلوم من قيم حداثية، يتطلب أولاً وقبل كل شيء، إعادة التفكير بشكل جذري في تراثنا والوعي الديني الذي ساد خلال قرون طويلة، فاليوم لابد من استئناف "الاجتهاد الرشدي"[1]، لأن مثل هذا التوقف للاجتهاد، يبدو أنه هو الذي سبب شرخ في هويتنا يقوم على إحساسنا بالفجوة العميقة بين تراثنا والحداثة[2].

وإذا ما تساءلنا عن علاقة الهوية بالعولمة فإن أركون يرى أن هذه العلاقة علاقة صراع، باعتبار أن التجارة لا دين لها ولا جنسية، كما يقول أركون، فقد وجدت العولمة نفسها في علاقة معقدة مع الهويات والقوميات والدول، بحيث أخذت تنظر هذه العولمة إلى الخصوصيات الدينية والقومية على أنها حجر عثرة في وجهها، وفي وجه نزعتها للهيمنة على الأسواق العالمية، والقيم العالمية، والأذواق العالمية. فهذه العولمة تخلق مشكلة معقدة بالنسبة للعالم الثالث تتمثل في أنها "لا تبالي بالتراجعات السياسية والقمع السياسي والبؤس الثقافي الناتج عن سياسة (التبادل غير المتكافئ)، ثم يتهمونك بعد ذلك بالتعصب والتطرف"[3].

وعلى ذلك يمكن مناقشة قضية الهوية عند أركون من زاويتين اثنتين، هما:

أ) الجدل حول العلمانية التي تناسب هويتنا.

ب) الهوية والغرب والهيمنة.

أ) الجدل حول العلمانية التي تناسب هويتنا

يدعو أركون بكل وضوح إلى أنه من الممكن الوصول إلى ممارسة علمانية للإسلام، فالإسلام بحد ذاته ليس مغلقاً في وجه العلمنة[4]. وأن المسألة لا تتعدى بعض الحواجز النفسية والاجتماعية والأيديولوجية والفقهية، فوضع الأمر بين خيارين لا يمكن أن يلتقيا، أي إما الإسلام أو العلمنة، هو خيار مزيف، وما على المسلمين في هذه الحالة إلا أن "يتخلصوا من الإكراهات والقيود النفسية واللغوية والأيديولوجية التي تضغط عليهم وتثقل كاهلهم، ليس فقط السبب رواسب تاريخهم الخاص بالذات، وإنما أيضاً بسبب العوامل الخارجية والمحيط الدولي"[5].

وهذا يعني أن الإسلام ليس عنده أي مشكلة مع فصل الدين عن الدولة، فكل الأديان تراءى لها في البداية أن هناك تعارض بين الدين والعلمانية، ولكن سرعان ما يتلاشى هذا التعارض، بعد الخوض في التجربة على أرض الواقع.

(2) نسبة لابن رشد.
(3) المرجع نفسه، ص26.
(4) محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت،2000 ص158.
(5) محمد أركون، تاريخية الفكر الإسلامي، تقديم هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت،1996 ص295.
(6) محمد أركون، العلمنة والدين (الإسلام – المسيحية – الغرب)، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ص59.

حتى إن أركون يذهب إلى التأكيد على أن العلمانية تشكل نقطة التقاء بين الإسلام والمسيحية، وذلك إذا فكرنا بروح تصالحية وتواصلية، بدل الروح العدائية التي تفوح منها رائحة العنصرية والمصالح السياسية. فالقول بأن الأديان تقبل العلمانية لا يؤدي إلى تسفيه الإيمان كما يعتقد البعض، ولا يمس بالهوية الدينية، بل على العكس من ذلك يرى أركون أن هذا الأمر سيساعد الأديان على أن تعرض مبادئها بلغة أفضل، ويساعدنا على الخلاص من الخطاب الذي يفصل بين الأديان[1].

وما يريد أن يصل إليه أركون من وراء هذا التحليل أن العلمانية في المجتمعات العربية والإسلامية مرفوضة لأسباب ثقافية وأيديولوجية، وليس لأنها لا تناسب الدين الإسلامي. وأن الخطاب الإسلامي المتشدد هو الذي يجعل من المستحيل التفكير بالعلمانية في المجال الثقافي الإسلامي، كما أن هذا التيار الأيديولوجي العنيف "ليس فقط عبارة عن نتاج داخلي لهذه المجتمعات، وإنما هو في الأصل يمثل النتاج الجدلي في خط الرجعة لتلك الصدمة العنيفة التي فرضتها الهيمنة الاستعمارية ثم هيمنة الحضارة المادية التي تلتها. ولهذا السبب فإن هذه المجتمعات تجد نفسها مضطرة عندئذ لأن تعبر عن نفسها كما تستطيع من خلال اللغة الدينية المتوافرة لديها"[2]. ولعل هذا هو السبب الذي يجعل المستشرقين يعتقدون أن العلمانية أمر غير مناسب، ولا يمكن التفكير فيه، داخل العالم الإسلامي.

يرى أركون أن مشكلة المستشرقين تتجلى في أنهم لم يستطيعوا الولوج إلى لب المشكلة، وأن حديث الفرنسيين عن أن "المغاربة الذين يعيشون في فرنسا ولم يتمكنوا من أن يتثقفوا أو يتحفزوا أو أن يندمجوا في المجتمع العلماني هو حديث فيه قدر كبير من التعصب، ويحمل داخله نوع من رواسب المرحلة الاستعمارية المشوبة بأغراض انتخابية أو نرجسية. والحقيقة أن المغاربة لم يندمجوا في المجتمع العلماني الفرنسي لأنهم يعانون من التهميش والهيمنة. فهناك ردود فعل قوية من قبل أبناء الجالية المغربية الذين يحسون بأنهم قد استبعدوا واحتقروا، كما استبعدوا في أوطانهم أثناء المرحلة الاستعمارية لإفريقيا"[3].

وهذا التغاضي عن الجذر السياسي والاجتماعي للمشكلة بين المسلمين المقيمين في أوروبا مثلاً والمجتمع الغربي العلماني هو ما فوت على عدد كبير من الأدبيات الغربية التوصل إلى التفسير الصحيح للظاهرة الدينية في المجتمعات الإسلامية. إذ تذهب تلك الأدبيات إلى تفسيرين خاطئين، فإما "تعتبر الدين لا شيء في المغرب، وإما أنهم يعتبرونه كل شيء ويحسم كل شيء ويفسر كل شيء... ولا تزال هذه المقاربة أو النظرة مهيمنة في فرنسا حتى اليوم عندما يكررون دون كلل أو ملل بأن المغاربة محكومون في العيش حتى أبد الدهر ضمن جو من الخلط بين العامل الديني والعامل السياسي"[4].

ولحل هذه المشكلة فإن أركون يرى ضرورة الأخذ بعلمنة لا تخلط بين الديني والسياسي، مثلما لا تعادي الدين بقدر ما تعمل على الفصل بين الدين والسياسة، وهذا أمر مهم بالنسبة له. فأركون يعترض على العلمانية العربية، من حيث إنها لم تكتف بالفصل بين الدين والسياسة، والتأكيد على مدنية السياسة، ورفض أي تدخل

(2) المرجع نفسه، ص55.
(3) محمد أركون، العلمنة والدين (الإسلام – المسيحية – الغرب)،ص56
(4) المرجع السابق، ص57.
(5) المرجع نفسه، ص59.

لرجال الدين في الشأن السياسي، بل عادت الدين بذاته وسعت إلى تهميشه وإخراجه من دائرة الفكر البشري. وهذا يعني أن العلمنة الإيجابية بالنسبة له يجب أن تنصب على "مجابهة السلطة الدينية التي تخنق حرية التفكير في الإنسان ووسائل تحقق هذه الحرية... فالعلمنة لا ينبغي أن تتحول إلى سلطة عليا تضبط الأمور وتحدد لنا ما ينبغي التفكير فيه وما لا ينبغي التفكير فيه كما فعلت سلطة الفقهاء والإكليروس سابقاً"[1]. ويبدو أن هذا ما حصل في أوروبا بحيث تجاوزت العلمانية مسألة الفصل بين السلطة الدينية والسياسية، والإنجازات الكبرى والمهمة التي حققتها، إلى أن تحولت نفسها في بعض الأحيان إلى سلطة وناظم عام للمجال الأيديولوجي للمجتمعات.

ولذلك نجد أركون يؤكد على أن (العلمانية الإيجابية) التي تفصل الدين عن الدولة، ولا تسعى إلى معاداة الدين ذاته، كانت موجودة في المجال الإسلامي منذ عهد الإسلام الأول. فالدولة الإسلامية الأولى هي في الأساس علمانية، وقد واجهت كل المشاكل التي اعترضت إنشاءها، وطريقة إدارة الدولة والأموال والحروب والدواوين وإصدار التشريعات من منظور علماني بحت[2].

وهذا يعني في النهاية أن الإسلام في حقيقته ليس ديناً ودنيا، وما الحديث عن أنه من مهام حماية الإسلام والذود عن المسلمين وتطبيق الشريعة، إلا مجرد مزاودات، تلجأ إليها السلطات من أجل تثبيت قواعد حكمها وتأمين التسويغ السياسي لها. فالحكم باسم الإسلام هي فكرة وهمية لا أساس لها في الحقيقة[3]. أما مسألة: أن القانون والحكم يجب أن تخضع للشريعة ومصادرها فهي فكرة لم تظهر إلا بعد مائتي سنة للهجرة على يد الشافعي وبعض الفقهاء، بما في ذلك مسألة النظر إلى الإسلام على أنه دين ودنيا، وبناء على ذلك يعتبر أركون أن المجتمعات الإسلامية قد عاشت وهماً كبيراً مفاده أن هناك إمكانية لتحويل مبادئ القرآن الكريم وتعابيره المجازية إلى قوانين تحكم كل الحالات والظروف وفي كل زمان ومكان[4].

وأن مثل هذا الوهم شيء ليس من الغيرة على الدين، أو الاعتقاد الخاطئ بوجود مثل هذه الإمكانية داخل القرآن الكريم، بل يعود، أولاً وقبل كل شيء إلى أسباب سياسية، تتمثل في أن "كل مجتمع مضطر إلى نوع من الضبط الذي بدونه تسود الفوضى، فالمجتمعات البشرية لا تستطيع العيش طيلة حياتها على لغة المجاز، والمجاز يغذي التأمل والخيال والفكر والعمل، ويغذي الرغبة في التصعيد والتجاوز. إنه يثير فينا طاقة خلاقة وديناميكية. لكن، هناك البشر المحسوسون العائشون في مجتمع، وهناك أمورهم الحياتية المختلفة التي تتطلب نوعاً من التنظيم والضبط، وهكذا تم إنجاز الشريعة"[5].

نستنتج مما سبق أن أركون يرى أن العلمانية التي تناسب هويتنا المعاصرة هي العلمانية "المنفتحة" أو "الإيجابية" لأنها: أولاً: علمانية ليست جذرية، ولا تعادي الدين، بل تكتفي بفصله فصلاً كاملاً عن السياسة، وثانياً لأنها علمانية لا تريد استبعاد الدين بوصفه ينتمي إلى عصر مضى وانتهى أمره، بل تعتقد بوجوده بشكل كامل في

(2) محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص294.
(3) محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص296.
(4) المرجع نفسه، ص287.
(5) المرجع نفسه، ص296.
(6) المرجع نفسه، ص299.

كل مناحي الحياة. ولكن العلمانية الإيجابية تشترط ثالثاً إخضاع هذا الدين، بكل مكوناته، للدراسة العلمية والمناهج المعاصرة في دراسة الأديان والتاريخ والأساطير[1]. وبذلك يمكن للمسلم أن يكون إسلامي وعلماني وعلمي في نفس الوقت.

ولذلك نجد أركون يهاجم العلمانيات المتطرفة في بلاد الإسلام، ولاسيما علمانية أتاتورك في تركيا، التي أعلن عن قيامها عام 1925. فهذه علمانية "معادية للتقاليد بشدة وبنوع من التطرف"[2]، وهي صورة كاريكاتيرية للعلمنة، لأنها شكلت ردة فعل عنيفة على أوضاع السلطنة العثمانية المتدهورة، ولم تشكل استجابة متوازنة لتمزق الهويات الذي أقلق العثمانيين على مستقبلهم. وقل مثل هذا الأمر على العلمانية في لبنان، فهي علمانية مزيفة يراد منها الحفاظ على التراتبيات الاجتماعية المتوارثة وتأمين تغطية سياسية وأيديولوجية من أجل ممارسة استراتيجية القوة والسيطرة على الآخرين[3].

ولمواجهة هذه العلمانيات المتطرفة يعود أركون ويؤكد على ضرورة العمل من أجل إنجاز "العلمانية الإيجابية"، التي يعتقد أنها تحمل الحل للكثير من الخلافات، وتخفف الكثير من التخوفات، وتحقق الكثير من الأهداف، ولكنها بنفس الوقت تحتاج إلى كثير من العمل، والإيمان بثقافة الانفتاح، وتقبل المناهج النقدية، والقبول بإمكانية إجراء مراجعات جذرية...إلخ. وهذه أمور يدرك أركون صعوبتها، والتيار الكبير الذي يمكن أن يقف في وجهها، ولكنه يعتقد في النهاية أنه من الصعب الاستمرار في الوجود داخل هذا العالم المتسارع في التغيير، دون اللجوء إلى مثل هذه المواجهة، التي تجاهلها العالم العربي والإسلامي كثيراً، وأنه لم يعد هناك مجال لتجاهلها أكثر من ذلك.

ب) الهوية والغرب والهيمنة:

إن كلمة السر التي يعتقد أركون أنها تحكم العلاقة بين الإسلام والغرب هي الهيمنة، بمعنى أن كل فريق حاول خلال تاريخه الطويل الهيمنة على الطرف الآخر. والمشكلة التي أخذت تكبر، وتعبر عن نوايا استعمارية تجاه الآخر، هي الفكرة القائلة بأن كل طرف لابد له من أن يهيمن على الطرف الآخر، وإلا تحول إلى مهيمن عليه. هكذا نجد أن غالبية المؤرخين والمهتمين بالإسلاميات يصورون تاريخ العلاقة بين أوروبا والعالم العربي الإسلامي على أنه تاريخ صراع، فخلال مدة ألف عام، كان العرب المسلمون هم من تسيد العالم، وفرضوا هيمنتهم على أوروبا، وأن هذه الهيمنة انتهت بمعركة فيينا عام 1683، لتبدأ بعدها مرحلة الاستعمار الأوروبي الحديث مع بدايات القرن العشرين، ولتنتهي هذه المرحلة باستقلال الدول العربية والإسلامية بعد منتصف القرن العشرين[4].

(2) محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص294-295.
(3) محمد أركون، العلمنة والدين، مرجع سابق، ص91.
(4) محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص278.
(5) محمد أركون، الإسلام – المسيحية – الغرب، مرجع سابق، ص57.

وفي هذا الوقت كان الغرب قد أصبح مركز الثروة والقوة حيث انتصر فيه النظام الرأسمالي في القرن التاسع عشر، حيث لعب هذا الانتصار وتقدم الغرب دوراً كبيراً في تفجر الشعور بالهوية لدى العرب والمسلمين، وذلك لأن تقدم الغرب وبروز كل عوامل القوة والصناعة والثروة لديه ترافق مع وعي بعجز العالم الإسلامي وتراجع جاد في وضعه الحضاري والاقتصادي والاجتماعي والسياسي[1].

ومن خلال بحث أركون في العلاقة بين العالم العربي والغرب فإنه يطرح التساؤلات التالية: هل الغرب مسئول عن تخلفنا وتراجعنا وتدهور أحوالنا، لأنه استعمرنا لسنوات طويلة، وحتى بعد الاستقلال بقي يتآمر علينا ويمارس نفوذه لنهب ثرواتنا، أم أن عوامل التخلف في مجتمعاتنا موجودة بشكل مستقل عن الغرب، وأن تدهور أحوالنا يعود لمئات السنين وليس للغرب أي ذنب في ذلك، بدليل أنه عندما أتى الفرنسيون والإنجليز إلى مصر وسوريا، في القرن التاسع عشر، وجدوا كماً هائلاً من التخلف، ووضعاً اجتماعياً وسياسياً وثقافياً مزرياً؟

يذهب أركون إلى أن أوروبا، وعلى الرغم من حداثتها، إلا أنها ومنذ القرن التاسع عشر انتقلت لتصبح على "هيئة الهيمنة العسكرية والتكنولوجية والمفهومية لكي تواجه حضارات عتيقة، بالية، هشة، قائمة على الإيمان بالقوى الغيبية وعلى الإنتاج الأسطوري للمعنى"[2]، وضمن هذا المنظور فإن أوروبا بقيت تنظر إلى العالم الإسلامي على أنه متخلف ولا تليق به حياة الحداثة والحريات، ولذلك نجد أن الغرب دعم الأنظمة الشمولية العسكرية في البلاد العربية والإسلامية، وساعدها على تثبيت أقدامها، لكي تمارس دورها الاستعماري بالنيابة عنه. يقول أركون في ذلك: "يمكن أن نجد ترجمة محلية لنظام اللامساواة هذا داخل كل بلد من بلدان العالم الثالث حيث أقيم نظام (الأمة – الوطن – الحزب الواحد) بعد الاستقلال. فهو نظام قائم على العنف البنيوي من أساسه. وقد حوفظ على هذا العنف وعمم من قبل استراتيجية القوة والاستغلال التي تتبعها الأمم الأوروبية أو الغربية المهيمنة. بمعنى أن الهيمنة الخارجية الظالمة ترسخ هيمنة داخلية ظالمة أيضاً"[3].

ويبدو أن الأمر الذي دفع الغرب إلى الاهتمام بالهيمنة على العالم العربي على نحو الخصوص أمرين اثنين: الأول هو تاريخ الحضارة العربية الذي يبين أنها تمكنت من فرض سيطرتها على أجزاء من أوروبا أكثر من مرة، والثاني هو القرب الجغرافي من أوروبا عبر المتوسط[4]. حتى إن مثل هذه الهيمنة دفعت بأوروبا والولايات المتحدة لدعم قيام دولة إسرائيل، ورعايتها رعاية كاملة منذ عام 1948، بحيث أخذت إسرائيل نفسها تلعب دور المحافظ على "العنف المفصلي أو البنيوي المتأصل في المنطقة العربية، فغالباً ما يتحول إلى عنف عسكري وبوليسي رهيب يمارس على الشعوب. ولا يمكن أن نفهم سبب ظهور الأنظمة القمعية والديكتاتورية وهيمنتها في البلدان العربية، وكذلك ظهور الحركات المضادة لها والمدعوة بالراديكالية الإسلامية... إلا إذا موضعناها داخل الإطار العام لهذا العنف المفصلي الذي يمارسه الغرب وإسرائيل. فهما المسؤولان بالدرجة الأولى عن رزوح مثل

(2) المرجع نفسه، ص58.
(3) المرجع نفسه، ص59.
(4)محمد أركون، الإسلام – المسيحية – الغرب، مرجع سابق،ص59.
(5) صامويل هنتغنتون، صراع الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قانصوه، القاهرة،ط2 ،1999 ص339.

هذا الوضـــع"[1]. مما يعني في النهاية أن الهويات الدينية المتطرفة هي رد فعل طبيعي على التحالف بين القوى الغربية ذات النفس الاستعماري وبين الأنظمة العربية والإسلامية القمعية المدعومة من قبل تلك القوى.

فالملفت للانتباه بالنسبة لأركون هو وجود نوع من التطور المعاكس لأوروبا من جهة وللمجتمعات الإسلامية من جهة أخرى. وقد دفع هذا التطور المعاكس بالأنظمة العربية إلى العمل من أجل تحشـــيد المجتمع ضـــد الغرب وثقافته وسـياسـاته كنوع من التعويض عن حالة الفقر والقهر التي تعانيها شـعوبها نتيجة الأوضـاع الاجتماعية والاقتصـادية الصـعبة. ولذلك فقد أوهمت تلك الأنظمة شـعوبها بأنها أنظمة وطنية وقومية لأنها تعمل على محو كل آثار الاستعمار من النفوس، وراحوا يعممون بشكل شعبوي صيغة دوغمائية، وكارهة للأجانب، وأسطورية عن الإسلام. وقطعوا عن الإسلام ينابيعه الفكرية الأولى أيام كان مبدعاً من أجل تعميم هذه الصيغة المغلقة الجامدة، اللاتاريخية"[2].

وهذا يعني أنه تم اســتدعاء الإســلام والاحتماء به وســلخه عن تاريخه وينابيعه لتحقيق أمر في غاية الأهمية، بالنسبة لتلك الأنظمة، ألا وهو إجبار الإسلام على خلع المشروعية على تلك الأنظمة السياسية من جهة، وإيهام الشعوب بأن تلك الأنظمة هي التي تقوم بمهمة تجديد الإسلام والعودة إلى أصالته الحقيقية[3].

غير أن مثل تلك الاستراتيجية أدت في النهاية إلى عزل الإسلام عن آفاقه الروحية التفاعلية، وعن علاقة التأثر والتأثير التي عاشـها مع الفكر الإغريقي والثقافات الشـرق أوسـطية القديمة. ولذلك نجد أركون يؤكد على الفرق الكبير بين الإســلام في عصــوره الأولى، عصــور الازدهار، وبين الإســلام الذي يدعى إليه اليوم، فالأول هو الإسلام، أما الثاني فيدعوه بالأصـولية، وهذا ما يوضـحه أركون بالقول "ما هو شـائع حالياً ليس إسـلاماً بالمعنى الثقافي – الحضـــاري وإنما هو الانغلاق والجمود، وأقصـــد بالأصـــولية كل تلك التلاعبات الدلالية والمعنوية والإيديولوجية والأسـطورية التي يمارسـها المسـلمون كفاعلين اجتماعيين على الدين بالمعنى البحت للكلمة، وذلك من أجل التوصـــل إلى غايات أخرى لا دينية أو غير روحية. إنهم يريدون بذلك التوصـــل إلى أغراض دنيوية وسياسية"[4].

ومن أجل التخلص من هذه الإشـكالية نجد أن أركون يطالب بتفعيل الهوية "المتوسـطية"، المشـتركة، والانفتاح على الثقافات العالمية ولاسيما على مسألة المستقبل المشترك بين الإسلام والغرب. وفي هذا الإطار نجده يشجع التعاون بين الفئات المتنورة والعقلانية من الطرفين، ومثال ذلك المحاولات التي أدت إلى إدخال مفهوم "حقوق الإنسان" إلى الثقافة الإسلامية المعاصرة، وإعلان ما يسمى حقوق الإنسان الأولية[5]، وذلك على الرغم من عدم تحمس الغرب لإدخال هذا المفهوم على الثقافة الإسلامية، وعلى الرغم من عدم جدية الأنظمة العربية والإسلامية في احترام حقوق الإنسان في بلدانها.

---

(2) محمد أركون، الإسلام – أوروبا – الغرب، مرجع سابق، ص59-60.
(3) المرجع نفسه، ص68.
(4)محمد أركون، الإسلام – المسيحية – الغرب، مرجع سابق، ص68.
(5) المرجع السابق،ص69.
(1) محمد أركون، العلمنة والدين، مرجع سابق، ص99.

غير أن مثل هذه المسؤولية الواضحة للغرب في دعم القوى اللاديمقراطية والعنفية في العالم العربي والإسلامي، لا يعني أن العالم العربي والإسلامي لا يعاني بالأساس من عوامل تخلف وتراجع كبيرة، وأن مثل هذه العوامل تفعل فعلها منذ العصور الوسطى، وأن هناك فشلاً ذريعاً في التغلب على مثل هذه العوامل. فأركون لا يقصد من حديثه عن نزعة الغرب الاستعمارية "حجب العوامل الداخلية أو التقليل من دورها ومسؤوليتها. فوصف استراتيجيات الهيمنة المتغيرة في الفضاء المتوسطي لا يمكن أن يتم بدون دراسة العوامل الداخلية والخارجية. فهذه العوامل الداخلية هي سبب التفكك المستمر في المجتمعات الإسلامية من إيرانية أو تركية أو عربية. وهي سبب التأييد الطقسي أو الشعائري (أي الجامد) للمؤسسات السياسية والممارسات الثقافية والقيم الأخلاقية – القانونية – الدينية المبتعدة أكثر فأكثر عن ينابيع الإسلام الكلاسيكي، وعن المكتسبات الأكثر رسوخاً للحداثة الأوروبية"[1].

وبناء على ذلك يذهب أركون للقول إن الإسلام كدين ليس هو بذاته السبب في ظهور التطرف في الهوية الإسلامية، وما رافق ذلك من نزعة نحو العنف والفوضى، بل يعود ذلك التطرف إلى التحالف بين الأنظمة السياسية في المنطقة مع النزعة الاستعمارية الغربية، فالأمر يتعلق أولاً بأن تلك الأنظمة "لا تراعي حساسية المجتمع ولا تنوعه ولا تعترف بالتعددية الفكرية أو السياسية، إنها تفرض على المجتمع توجهاً واحداً قسرياً"[2].

وبالتالي حتى نتمكن من الخروج من هذه الأوضاع، أي الخروج من الهويات التقليدية المغلقة، سواء في الجانب الإسلامي وما يعانيه من هوية عنفية جامدة، أو في الجانب الغربي وما يهيمن عليه من هوية استغلالية استعمارية، فإن أركون يطالب ب"حوار للثقافات"، يتجاوز الخصوصيات الثقافية، والعناصر النرجسية والطائفية في كل ثقافة، ليصل إلى مساحة مشتركة تبتعد بنا عن الاستغلال السياسي للأديان. فاليوم "لم يعد ممكناً للمرء أن يصل إلى بر الأمان والخلاص عن طريق طائفته الدينية أو أمته القومية وحدها فقط، وإنما ينبغي علينا أن نتجاوز الإشكاليات والقيم والهويات التقليدية الموروثة داخل جماعة أو أمة أو طائفة أو مذهب"[3].

ولا يأبه أركون بالحديث المتصاعد عن عودة الأديان واستيقاظ الطائفية في نهاية القرن العشرين، في مختلف أنحاء العالم، لأنه يعتبرها عودة مزيفة "ووهمية من الناحية العقلية، لأنها تمثل بالأحرى نوعاً من الاستغلال الأسطوري والسياسي للعامل الديني"[4]، وأنه يمكن مواجهة هذه الدعوات بمزيد من التحليل التاريخي والنقدي لتراث مختلف الشعوب، لأنه عندما ينفتح التراث ويتأنسن تنفتح الهوية وتتأنسن أيضاً.

3) دلالات مفهوم الهوية عند أركون:

هكذا إذاً تعامل أركون مع مفهوم الهوية بوصفه مفهوماً شاملاً، تتداخل فيه مختلف المجالات من تراث، وغرب، وأنظمة سياسية ومناهج علمية نقدية، وصراعات استعمارية، وإخفاقات داخلية...إلخ، وهي تداخلات دفعت به إلى مناقشة القضايا التي تتعلق بالهوية والانتماءات على أصعدة مختلفة، ولذلك نجده يتناول التاريخ الإسلامي منذ بداية الإسلام وحتى المرحلة المعاصرة، محللاً مختلف تجليات الإسلام في كل مرحلة، مثلما يتتبع علاقة

(2) محمد أركون، الإسلام- المسيحية- الغرب، مرجع سابق، ص60.
(3) المرجع السابق،ص78.
(4) محمد أركون، العلمنة والدين، مرجع سابق، ص103-104.
(1) المرجع نفسه، ص104.

الغرب بالإسلام في مختلف المراحل التاريخية، منذ أخذ المسلمون بالفلسفة اليونانية، مروراً بالحروب الصليبية، وانتهاء بالمرحلة الاستعمارية المعاصرة. كما أنه يتتبع مختلف العلاقات السياسية التي أدت إلى ظهور فئات الفقهاء وعلماء الكلام في مختلف المراحل، من أجل تحديد الدور الذي لعبته كل فئة في الحياة الثقافية والسياسية. فمفهوم الهوية عند أركون مفهوم مركب ومتحرك ومتشابك مع كل تلك المجالات، بل هو نتيجة لكل علاقات الاستقواء، ومحصلة لخيبات الأمل، وعمليات التمويه الأيديولوجية التي مورست من قبل الفئات المهيمنة على الشعوب.

وعلى العموم يمكن هنا أن نؤكد على النقاط التالية، فيما يتعلق بمفهوم الهوية عند أركون:

1) إن الهوية التي يريدها أركون للعالم الإسلامي هي هوية إسلامية وليست هوية أصولية. والإسلام يعني عنده التراث الإسلامي الذي يعود إلى عصر الازدهار في عصور الإسلام الأولى، بينما الأصولية هي – كما تبين معنا قبل قليل – هي الهوية الإسلامية التي تسعى الفئات المهيمنة على المجتمع من أجل فرضها على الشعوب، بغية إعطاء الشرعية لأنفسهم باسم الدين. فهذه أصولية جامدة ومغتربة عن الإسلام الأول، مثلما هي أداة استقواء على الشعوب التي تتوق للحرية ومجتمع العدل والمساواة.

وهذا يعني أن الهوية الأصولية مفروضة على الشعوب من قبل الفئات المهيمنة على المجال الإيديولوجي والسياسي للمجتمعات الإسلامية، هوية بعيدة كل البعد عن أمنيات الشعوب وتصوراتهم عن المستقبل. غير أن التلاعب الإيديولوجي "وحالة الحرمان والفقر المفروضة عليهم هي التي زينت لهم تلك الهوية الأصولية، وأوهمتهم بأنها الهوية التي يريدونها لأنفسهم، ويسعون للدفاع عنها، بمختلف الأشكال. وهذا ما يسميه أركون بالتريث ويقصد به "خطاباً أيديولوجياً يعظم التراث عموماً دون الاهتمام بمضامينه الحقيقية أو بأهميته العقائدية وتقييم هذه الأهمية، أو بالوسائل العلمية لتحيينه، وتنشيطه، أو تجسيده في التاريخ الجديد"[(1)].

2) لقد لعب الغرب الاستعماري دوراً كبيراً في استفزاز الهويات الأصولية والطائفية في العالم العربي الإسلامي، ودفعها إلى الواجهة. فالسياسات الاستعمارية، والتحالفات المعقودة مع أنظمة لا ديمقراطية، تمارس الهيمنة، والاستقواء والعنف، وتضرب بالمصالح الوطنية العليا للشعوب عرض الحائط، دفع بتلك الشعوب إلى الاعتقاد بأن الغرب هو سبب بلائنا وتراجعنا وضعفنا وتجزئتنا، وأنه ليس هناك من طريقة لمواجهة الغرب وحلفائه المحليين إلا بالاحتماء وراء هوية إسلامية متشددة، هي التي يمكننا من الوقوف أمام هذا السيل الجارف الذي يحاول استباحة حقوق الشعوب، وإبقائها في حالة هوان حضاري شبه أبدي.

وبما أن الهوية تتشكل بشكل أساسي عبر العلاقة مع الآخر – كما مر معنا في الفصل الأول – فإن أركون يركز كثيراً على تحميل الغرب مسؤولية ظهور الهويات الأصولية. فالهوية لا تحتشد إلا عندما يكون الخطر من الآخر أخذ شكل التهديد الحقيقي. وهذا ما يمارسه الغرب عن وعي، لأنه مدرك تماماً أن احتماء الشعوب العربية والإسلامية وراء هويات أصولية جامدة، هو ردة الفعل الطبيعي على سياساته الاستعمارية، ولذلك فالغرب في النهاية شريك حقيقي في صناعة هذه الهويات الأصولية.

(2) محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، ط2، بيروت، 1996، ص53.

3) إن مشـاريع الوحدة العربية، أو الوحدة الإسـلامية، هي مشـاريع مزيفة، يراد بها السـيطرة الأيديولوجية على الشعوب، وهذا واضح من سلوك الأنظمة التي تتبنى مثل تلك المشاريع. وأركون يروي لنا الكثير من الأمثلة التي تبين أن تلك الأنظمة كثيراً ما تتهم شـعوبها بخيانة القومية أو الوحدة الإسـلامية[1]، عندما تطالب هذه الشـعوب بالحريات والديمقراطية والمشاريع التنموية الحقيقية.

وأركون ضد مشاريع الوحدة ليس لأنه ضد هذه الوحدة، ولكنه ضد استخدامات هذه المشاريع، وعملية الاستقواء التي تمارس باسمها. وهذا يعني أنه يرفض الهويات المفروضة لكي تغطي على مصالح معينة. وتسوق لأنظمة بعينها. فالأنظمة الوحدوية القومية، هي في حقيقة الأمر ليست قومية، وإنما متحالفة مع الغرب من أجل استمراريتها في السلطة. والأنظمة الوحدوية الإسلامية، هي في حقيقتها أنظمة أصولية، تريد فرض نوع معين من الإسلام، وهو نوع لا يحقق التقدم والتنمية والحقوق للشعوب، بل من النوع الذي يساعدها على الاستمرار في السلطة. ولعل مثل هذه الرؤية التي حاولنا إبرازها لدى أركون هي التي جلبت له الكثير من العداوات والخصـــومات، فأركون غير مرغوب به في البلدان ذات الأنظمة الإســـلاموية، ولا داخل الأنظمة القومجية، ولا بين أوســـاط المسـتشـرقين، كما أنه يشـتكي من التهميش حتى داخل الجامعات الفرنسـية والأوروبية. فتلك الرؤية فضـحت الجميع، وبينت أن العرب والمسلمين يحتاجون إلى هوية غير تلك التي تحاول تلك الأطراف فرضـها عليهم، وأن هناك الكثير من الإمكانات التي لابد من العمل عليها، وتوجيهها الوجهة المناســبة، حتى يمكن مســاعدتهم في تكوين الهوية التي تتماشـى مع تطلعاتهم المسـتقبلية، وماضـيهم البعيد والقريب، وتحقق بنفس الوقت مزيداً من الاسـتقرار، والحصـول على الحقوق والحريات. ويبدو أن هذا ما حاول أركون، خلال كتاباته، العمل عليه دون كلل أو ملل.

4) إن الهوية التي يؤمن بها أركون هوية منفتحة وإنسـانية، فهو لا يؤمن بالهويات التقليدية المغلقة، سـواء أتت من الشـرق أو الغرب. ولذلك نجده يركز في كثير من كتاباته على الجانب الإنسـاني في الحضـارة الإسـلامية، بوصـفه أرقى ما وصـلت إليه تلك الحضـارة من تطور وثقافة. فأركون ضـد الإسـلام السـياسـي مثلما هو ضـد "اليهودية السـياسـية" و"المسـيحية السـياسـية"[2]. فالقراءات الأصـولية للأديان قراءات متشـنجة وذات أهداف غير دينية وغير إنســانية، وهي غالباً ما تكون وليدة إكراهات وخيبات أمل، أو ردة فعل على أخطار خارجية، ناهيك عن أنها قد تخفي تبريرات مزيفة تريد من ورائها سلطة ما والاستقواء على الشعوب.

فالهوية عند أركون لا يمكن إلا أن تكون ذات نزوع نحو الإنســانية جمعاء، هوية تركيبية تفاعلية، تؤثر وتتأثر، تأخذ وتعطي، وتؤمن بالمشـتركات. ولا هوية إنسـانية عند أركون بدون تنوير، فهناك تلازم بين النزعة الإنسـانية والنزوع نحو الفكر التنويري. فالهوية الإنسانية لا تعني أكثر من أن يكون هاجسها الأول سعادة الإنسان وتحقيق مصالحه المادية واستقراره الروحي، وصون كرامته، واحترام عقله[3].

(2) محمد أركون، الفكر الإسلامي- نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1989 ص72.
(3) محمد أركون، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، 2011، ص300.
(4) المرجع نفسه، ص8.

فالنزعة الإنسانية هي القاعدة التي يجب أن تبنى عليها الحياة في المجتمعات، بل إن الإنسان أي إنسان، إذا ما خلا من النزعة الإنسانية، تحول إلى وحش شرس أو شخص فظ لا معنى له. وهذا يعني في النهاية أن أي هوية أو فكر، لا ينزع نحو الإنسانية، فإنه في الغالب توجه جامد وسلبي وإقصائي، ولن يسبب إلا مزيداً من المواجهات مع الآخر اللاإنساني طبعاً. فبدون النزعة الإنسانية فإن الهويات سوف "تذبح" بعضها بعضاً بحسب الهويات الطائفية والعرقية[1].

ويبدو أن مثل هذه الرؤية هي ما دفعت أركون إلى أن يقترح علينا هوية للمنطقة العربية والإسلامية والأوروبية التي يسميها ب"الفضاء المتوسطي"[2]، بحيث لابد من توحيد التراثات المتنازعة، وإيجاد المشتركات بين الأقوام التي تنازعت في التاريخ طويلاً، إلى أن نصل إلى هوية مشتركة تجبر الجميع على الخروج من الانغلاق إلى الانفتاح، ومن الطائفية إلى النزعة الإنسانية. أما المستند الأساسي لهذا الفضاء الجديد فهو أن أديان التوحيد تتشابه في مبادئ كثيرة. وجميع التراثات الثقافية الأخرى التي انتعشت داخل حوض المتوسط كانت قد تفاعلت فيما بينها واختلطت ببعضها البعض واستفادت من بعضها البعض"[3].

وبذلك يعتقد أركون أنه سيخلص كل فريق من النظر إلى تراثه أو هويته الخصوصية على أنها أهم مكون لمستقبله، ولابد لها من أن تدخل في خصومات وصراعات مع الآخر، حتى تتمكن من الانتصار وإثبات الذات أمام التحديات التي تواجهها. فالتراث قد يكون فيه الكثير من التحيزات والصراعات والنزاعات المغلقة، ولكن فيه بنفس الوقت الكثير من الغنى والتنوع، وهذا ما نحن بحاجة ماسة إليه.

5) إن الهدف الأساسي وراء كل كتابات أركون هي إعادة قراءة التاريخ الإسلامي، وتحليل الأوضاع المعاصرة للإسلام والمسلمين، بغية جعل الشعوب الإسلامية تندمج في تيار الحداثة العالمي. وهذا يتطلب منه البحث عن حداثة عقلانية موجودة أصلاً في التراث العربي، وهي حداثة بالقياس إلى عصرها، ودون أن يلغي ذلك القول بأن العصور الحديثة تجاوزتها في كثير من الجوانب. مثلما تطلب منه إعادة التفكير ومراجعة الحداثة ذاتها، من زاوية ما بعد حداثية، بمعنى الكشف عن عيوب الحداثة، والمآزق التي وصلت إليها في العالم المعاصر، مع احتفاظه بالحداثة كخيار استراتيجي لجميع شعوب المنطقة، إسلامية كانت أم غربية، وذلك بعد تشذيب الحداثة ذاتها وتلافي الانحرافات التي طرأت عليها.

فالهوية المطلوبة، هي في النهاية هوية مشتركة، تجمع بين الحداثة الإسلامية، أي النزعات العقلية والإنسانية الموجودة في التاريخ الإسلامي، وبين الحداثة الغربية التي لابد من إعادة توجيهها باتجاه قيم العقلانية والحريات وحقوق الإنسان والفردية. إن مثل هذه الطموحات الكبرى لدى أركون، والجهود الهائلة التي بذلها، من أجل الخروج بالعالم العربي والإسلامي والأوروبي من أجواء الصراعات وعلاقات الهيمنة باتجاه علاقة مبنية على رؤية إنسانية تنويرية مشتركة، يجب أن لا يمنعنا من الانتباه إلى الجانب الطوباوي في مشروعه الفكري. ويبدو

(2) المرجع نفسه، ص12.
(3) المرجع نفسه، ص302.
(1)محمد أركون، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، مرجع سابق، ص303.

أن أركون نفســـه يتخوف من مثل هذا الأمر، ولكن يبدو من الواضـــح أن إيمان أركون بمشـــروعه، يدفعنا إلى التفكير فيه والتحمس لدراسته.

ولكن إذا كانت هذه هي التصـــورات التي قدمها التيار الليبرالي في المغرب العربي لمفهوم الهوية، لنرى كيف تعامل بعض مفكري المشـــرق الغربي مع هذا المفهوم؟ وكيف فهموه؟ وما هي العوامل التي اعتقدوا أنها تشـــكل العمود الفقري لهذا المفهوم؟ وما هي الإشكاليات التي تشابكت مع تصورهم للهوية؟

المراجع

1. ألان تورين، براديغما جديدة لفهم عالم اليوم، ترجمة جورج سليمان، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2011.
2. صامويل هنتغنتون، صراع الحضارات، ترجمة طلعت الشايب، تقديم صلاح قانصوه، القاهرة،ط2 ،1999 .
3. محمد أركون، العلمنة والدين (الإسلام – المسيحية – الغرب)، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، 1996.
4. محمد أركون، العلمنة والدين (الإسلام – المسيحية – الغرب)، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت.
5. محمد أركون، الفكر الإسلامي– نقد واجتهاد، ترجمة وتعليق هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1989.
6. محمد أركون، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، ط2، بيروت، 1996.
7. محمد أركون، تاريخية الفكر الإسلامي، تقديم هاشم صالح، المركز الثقافي العربي، بيروت 1995.
8. محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت،2000.
9. محمد أركون، نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، 2011.

دور ممارسة الكفاءة المهنية في تطوير أداء معلمي التربية الخاصة

د- نجاح محمد عبد الجليل أ – نجاة خليل بلحاج
كلية التربية / جامعة طرابلس

المقدمة

أن الاهتمام المتزايد بفئات الخاصة أدى إلى سرعة والسعي الدؤوب لتطوير برامج ومناهج التربية الخاصة، بما يتماشى مع متطلبات الحياة اليومية، وإعداد معلم التربية الخاصة في الجامعات الليبية أصبح له دور بارز وريادي لتخريج معلم التربية الخاصة الذى يملك الكفاءة المهنية والسمات الشخصية في توظيف الوسائل التعليمية والبرامج التي تعلمها من خلال مسيراته العلمية والعملية، لتفسح له المجال للممارسة الفعلية مع جميع الفئات الخاصة، لذلك يلعب معلم التربية الخاصة دوراً أساسياً في التعامل مع الطلاب من ذوي الفئات الخاصة لتعليمهم وتدريبهم على جل المعارات المختلفة على حسب كل برنامج يتم تطبيقه، ويحاول وضع حلول علاجية لمشكلاتهم التي تعترضهم من خلال الخطط التعليمية والعلاجية المناسبة لهم.

ونلاحظ جل مراكز التدريب والتعليم والتأهيل لذوي الاحتياجات الخاصة في وقتنا الراهن أصبحت تطور من برامجها الأكاديمية والتدريسية والتأهيلية، وهذا من شأنه ظهور العديد من التغيرات الإيجابية في توفير المناهج الخاصة للمعوقين، وتقديم أفضل الأساليب المهنية في التدريب، وتوفير الكوادر المهنية المتخصصة ذو الكفاءة في التطبيق والممارسة الفعلية مع الفئات الخاصة. (محمود الطاغن ،2005: 15)

ويرى (عمر الشيباني،2002 :57) أن معلم التربية الخاصة عنصر حي قادر على التأثير، والتأثر ببقية العناصر الأخرى، وله الدور الريادي والقيادي والتوجيهي في الموقف التعليمي أو المجال التربوي، لهذا؛ فإنه لا يصلح حال التعليم ولا المراكز التي تحوي الفئات الخاصة إلا إذا صلح حال المعلم ديناً، وخلقاً، وعلماً، وثقافة، وإعداداً فنياً، وتربوياً، وشخصياً.

تعتبر ممارسة الكفاءة المهنية في العملية التعليمية للمعلمين الذين يتعاملون مع الأطفال من ذوي الاحتياجات الخاصة، مطلب مهم وله أهمية في إعداد معلم التربية الخاصة الذي يتوقع من دوره المهني تعامله مع كل الإعاقات والانماط السلوكية المختلفة لكل إعاقة على حدى.

إذا كان معلم التربية الخاصة بهذه الأهمية، فإنه من الضروري معرفة ممارسة الكفاءة المهنية والضرورية، والتي تؤهله لهذا الدور الحساس، وعليه جاءت أهمية هذا البحث وبهذا يكون عنوان هذا البحث "دور ممارسة الكفاءة المهنية في تطوير أداء معلمي التربية الخاصة" في مدينة طرابلس كنموذج.

كل ذلك لأجل التوصل إلى بعض النتائج، والتوصيات، التي سوف تزيد من كفاءة معلم التربية الخاصة، لتحقيق الأهداف التربوية، والتعليمية وبذلك تكون مدخلاً لتطوير وتحسين العملية التربوية والتعليمية.

مشكلة البحث:

تعتبر التربية الخاصة أحد الميادين التي تأثرت بالحركة التربوية الحديثة المعتمدة على الكفايات والممارسة المهنية والتدريب العملي، فيشير محمود1984" أن الكفايات التعليمية في ميدان التربية الخاصة تسعى لإعداد وتنفيذ البرامج التكوينية والتدريسية قبل وأثناء الخدمة لمعلمي ذوي الاحتياجات الخاصة، وكفاية معلم التربية الخاصة التي توفر له البيئة الصفية الجيدة." (أسامة الباطنية ،2004: 33).

إن معرفة ممارسة الكفاءة المهنية تعتمد على توافق مخرجات التعليم مع الأهداف العامة والخاصة التي وضعت من أجلها، ومدى تلبية الاحتياجات الفعلية لتطبيقها في المراكز والمؤسسات كماً وكيفاً، وتوفر الكفايات المهنية اللازمة للتعامل مع الفئات الخاصة يساعد على معرفة كفاءة النظام التعليمي بشكل عام والمراكز العلاجية بشكل خاص.

كما تؤكد (سهيلة القبلاوي ، 2003: 17) أن ممارسة الكفاءة من الجانب التطبيقي في ميدان التربية الخاصة تحتاج إلى تعديل وتكيف الجانب التعليمي واحتياجات معلم التربية الخاصة، حسب وإمكانياتهم واستعداداتهم، وإن عملية التعليم أصبحت نظام متكامل ومنظم يهدف إلى ترك بصمة فكرية إيجابية لدى معلم التربية الخاصة، لأداء سلوكه المهني بنجاح وفعالية وإتقان.

ويعتبر معلم التربية الخاصة ومدى قيامه بمهامه وأدواره المهنية والتعليمية، قد يتعلق بقدرة ممارسة الكفاءة المهنية بفاعلية مع فئة ذوي الاحتياجات الخاصة، وتختلف هذه الممارسات بين معلمي التربية الخاصة باختلاف صفاتهم الشخصية، ومؤهلاتهم العلمية، وسنوات الخبرة في ممارسة هذا المجال؛ بالإضافة إلى الإرث الثقافي والمعرفي الذى تعلمه في إطار دراسته العلمية. ومن خلال ما سبق يسعى هذا البحث لمعرفة دور ممارسة الكفاءة المهنية لتطوير أداء معلمي الفئات الخاصة، الأمر يستلزم الوقوف على هذه الممارسة للإسهام في إيجاد الحلول لمعالجة القصور فيها لتحقيق أهداف المؤسسات التعليمية.

تساؤلات البحث :

من خلال مشكلة البحث يمكن الإجابة على التساؤلات التالية:-

التساؤل الرئيسي " ما درجة ممارسة الكفاءة المهنية لتطوير أداء معلمي التربية الخاصة؟

التساؤلات الفرعية:-

1. هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين دور ممارسة الكفاءة المهنية لتطوير أداء معلمي التربية الخاصة تبعاً لمتغير الجنس؟
2. هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين دور ممارسة الكفاءة المهنية لتطوير أداء معلمي التربية الخاصة تبعاً لمتغير الخبرة؟
3. هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين دور ممارسة الكفاءة المهنية لتطوير أداء معلمي التربية الخاصة تبعاً لمتغير المؤهل العلمي؟

أهداف البحث:-

يهدف البحث من الناحية النظرية إلى:-

1. معرفة الكفاءة المهنية التي واجب توفرها في معلمي التربية الخاصة.

ومن الناحية التطبيقية تحقيق الأهداف التالية:-

1. التعرف على دور ممارسة الكفاءة المهنية لتطوير أداء معلمي التربية الخاصة.
2. معرفة دور كل من متغير" الجنس، الخبرة، ، المؤهل العلمي، في دور ممارسة الكفاءة المهنية لتطوير أداء معلمي التربية الخاصة.

أهمية البحث:-

1. تسليط الضوء على دور ممارسة الكفاءة المهنية لمعلمي التربية الخاصة، وكيفية تطويرها والرفع من مستواها.
2. يساعد هذا البحث معلم التربية الخاصة في التقويم الذاتي لأدائه، ولشخصيته المهنية من خلال إتقانه العديد من المهارات لممارسة الكفاءة المهنية.
3. معرفة نواحي القوة والصعف في أداء دور معلم التربية الخاصة، مما يسهم بشكل كبير في تقيم الكفاءة المهنية ويعكس بدوره على سير العملية التعليمية.
4. إن نتائج هذا البحث تتيح الاستفادة منه بقسم التربية الخاصة لمعرفة مستوى الكفاءة المهنية لدى معلم التربية الخاصة.
5. فتح الطريق أمام دراسات وبحوت أخرى في مجال ممارسة الكفاءة المهنية لمعلم التربية الخاصة بشكل اوسع.

مفاهيم ومصطلحات البحث:-

تعرف سلمى جمعة ، 20:1998) الدور " هو الجزء الذي ينتظر من الفرد إن يلعبه أو السلوك الذي يؤديه في كل سلسة متواصلة).

مفهوم الدور إجرائي " هو كل سلوك يمارسه معلم التربية الخاصة بالمركز العلاجي للقيام بدوره المهني والحد من السلوكيات الغير مرغوبة في مؤسسات ذوى الاحتياجات الخاصة .

- مفهوم الممارسة.

ويعرفها (منير البعلبكي ،1997: 752) بأنها الممارسة لغوياً في اللغة العربية هي" المزاولة والتدريب أو التعوذ"

-التعريف الإجرائي للممارسة.

هي إطار يتسم بالشمولية يتيح لمعلم التربية الخاصة اختيار ما يحتاجه لمساعدة هذه الفية لحل مشكلاتهم والتغلب على العقبات من خلال ممارسته المهنية.

- مفهوم الكفاءة.

هي " المهارات والمعارف التي يحتاجها المعلم للقيام بعمله بأقل قدر من الكلفة والجهد والوقت والتي لا يستطيع بدونها أن يؤدى واجبه بالشكل المطلوب (خالد طه ، 2005:242).

-التعريف الإجرائي للكفاءة.

هي مقدرة معلم التربية الخاصة القيام بكل المهارات والانشطة المهنية بكل براعة وقوة ومهارة لتطوير أداءه المهني على اكمل وجه .

-مفهوم المهنة.

"**هي** مجموعة من الأنشطة تتركز حول دور يستهدف ضمان توفير الحاجات الإنسانية، بينما تعتبر المهنة من جانب آخر دوراً اجتماعياً يحدده تقيم العمل في المجتمع." (محمد عاطف ، 307) .

-التعريف الإجرائي للمهنة.

هي عبارة عن نشاط مهني يقوم به معلم التربية الخاصة مستند على القاعدة المعرفية والكفاءة المهنية للعمل في مؤسسات الفئات الخاصة.

-تعريف الكفاءة المهنية للمعلم : يعرفها " أحمد اللقاني 1996) بأنها مجموعة من المعارف والمهارات والاتجاهات التي توجه السلوك التدريسي لدى المعلم وتساعده في أداء عمله داخل الفصل وخارجه بمستوى معين من التمكن ، ويمكن قياسه بمعايير خاصة متفق عليها.

وتعرف الباحثان الكفاءة المهنية للمعلم " بأنها عمل لتحسين جودة الأداء الوظيفي لمعلمي التربية الخاصة للمساعدة في القيام بالمهام والواجبات التعليمية والتربوية على أكمل وجه .

- **تعريف الأداء** (هو درجة تحقيق وإتمام المهام المكونة لوظيفه الفرد ، وهو يعكس الكيفية التي يحقق أو يشبع للفرد متطلباته الوظيفية ،(راوية محمد ، 2001: 25).

-**التعريف الإجرائي لأداء** " هو محاولة من معلم التربية الخاصة في تحقيق الاهداف المرجوة والوصول إلى الاهداف المراد تحقيقها مع الاطفال ذوي الاحتياجات الخاصة .

-مفهوم معلم التربية الخاصة.

وتعرف (يسرى رشيدي ،2010:163) المعلم هو الذى يقوم بالتدريس للفئات الخاصة بمعاهد ومدارس التربية الخاصة التابع لوزارة التربية والتعليم."

-التعريف الإجرائي لمعلم التربية الخاصة.

هو المعلم الذى تحصل على شهادة في نهاية مسيراته العلمية تمكنه من الالتحاق بالعمل والوظيفة سواء مربي أو معلم تربية خاصة.

-الإطار النظري للبحث والدراسات السابقة :-

يتناول هذا الجزء المفاهيم الاساسية والإطار النظري والدراسات السابقة التي تناولت الكفاءة المهنية.

تعرف الكفاءة" هي القدرة على استعمال المهارات الشخصية في وضعيات جديدة داخل إطار الحقل المهني ويمكن ملاحظتها وتصنيفها" . (محمود شوقي ،1995،1) .

بينما عرفها (عبد العزيز الجبار ،2004: 95) بأن كفاءة معلم التربية الخاصة "بأنها المهارات العامة في العملية التعليمية التي يجب توافرها لديه: كالإلمام بالمعلومات الأساسية المتعلقة بذوي الاحتياجات الخاصة."

الكفاءة المهنية والسمات الشخصية لمعلمي التربية الخاصة.

1. تحديد الأهداف السلوكية الملائمة لكل طالب حسب إعاقته.
2. الإسهام في بناء البرامج الخاصة المتصلة بقدرات الطالب المعاق.
3. استخدام طرق التدريس الخاصة المناسبة لكل طالب معاق.
4. تقديم المهمات التعليمية بشكل فردي لكل طالب معاق.
5. استخدام الأساليب المختلفة في تشخيص حالات الإعاقة.
6. استخدام برنامج مستمر من التقييم للمهارات والقدرات والأهداف للمعاقين.
7. تدريب الطلاب على تقبل ذاتهم وإعاقتهم.
8. العمل على عقد لقاءات دورية مع المعلمين لمناقشة القضايا التربوية.

بينما صنف الغرير الكفاءات المهنية اللازمة لمعلم التربية الخاصة كالتالي:-

1. الكفاءات الشخصية.

وهي الخبرات والقدرات العقلية والجسيمية والانفعالية التي يتمتع بها المعلم والقدرة على تحمل وفهم طلاب الفئات الخاصة والتعامل معهم.

2. كفاءة القياس والتشخيص.

هي التي تمكن المعلم من قياس الجوانب العقلية والاجتماعية والجسمية والتربوية، وتحديد الرامج المناسبة بواسطة الملاحظة والاختبارات.

3. كفاءة إعداد الخطة التربوية الفردية.

والتي من خلالها يتمكن المعلم من بناء المنهج الفردي للطفل ووضع الأهداف المتوقع تحقيقها وفق معايير وفترة محددة.

4. كفاءة تنفيد الخطة التربوية الفردية.

هي الخطة التربوية الضرورية تضمن هدفاً واحداً من أهداف الخطة الفردية وتحليل مكوناتها وتوظيف أساليب تعديل السلوك وتقديم المساعدة للطفل من أجل تحقيق الهدف التعليمي.

5. كفاءة الاتصال بالأهل.

وهي مهارات المعلم في تبادل المعلومات من شخص لأخر عن طريق الكلام أو الكتابة، ومدى قدرة المعلم على التفاعل الايجابي والمشاركة مع الأهل من أجل مساعدة الطفل من ذوي الإعاقة. (مصطفى عبد السميع ، 2004:48).

وتصنف كفاءة الممارسة المهنية كالتالي:

أشار قنديل إلي أنواع مهمة من الكفاءة المهنية تتمثل في:

1. كفاءة مرتبطة بالمعارف.
2. كفاءة ترتبط بالأداء.
3. كفاءة ترتبط بالنتائج.

وتوجد مجالات لكفاءة المعلم في تحقيق النتائج التعليمية ومنها.

1. التمكن من المعلومات النظرية حول التعلم والسلوك الإنساني.
2. التمكن من المعلومات في مجال التخصص الذى سيقوم بتدريسه.
3. امتلاك الاتجاهات التي تسهم في إسراع التعلم.
4. التمكن من المهارات الخاصة بالتدريس (أحمد الغرير ،1991:29).

–الكفاءة المهنية الواجب توفرها في معلم التربية الخاصة.

1–كفاءة التعديل وموائمة أساليب الطلاب المعاقين.

2– إدارة الفصل وتعديل سلوكهم.

3– مهارة تخطيط التدريس وتحديد الأهداف المهمة.

4– مهارة تعديل وموائمة المنهج لذوي الإعاقة.

5– مهارة المعلم في استخدام الوسائل التعليمية واستخدام التكنولوجيا.

6– مهارة اختيار واستخدام الأنشطة التربوية.

7– مهارة التعرف على المشكلات السلوكية للمعاقين.

8– مهارة استخدام استراتيجيات التعليم المختلفة.

9– مهارة استغلال المهارات اليدوية والحواس.

10. مهارة ربط الكلمات التي يتعلمها المعاق لإثراء الحصيلة اللغوية لديه.

(ناصر بن سعد ، 2016: 56).

الدراسات السابقة :

1– دراسة أحمد الغرير (1991) التعرف على الكفايات التربوية لمعلمي التلاميذ المعاقين عقلياً بالأردن ، وشملت العينة (212) معلماً ومعلمة ، طبق عليهم قائمة الكفايات التربوية وشملت خمسة أبعاد رئيسية هي الكفايات الشخصية للمعلم ، كفايات التقييم والتشخيص كفايات محتوى البرنامج التعليمي وكفايات تنفيد البرنامج التعليمي وكفايات الاتصال بالأهل وقد اظهرت النتائج أن جميع الكفايات التربوية المتضمنة بالقائمة ضرورية ودرجة عالية

لدى عينة الدراسة ، ولم تظهر فروق ذات دلالة احصائية وفقاً للخبرة والمؤهل الدراسي والعمر في تقدير أهمية الكفايات التربوية وضرورتها .

2- هدفت دراسة يوسف (2018) إلى التعرف على الكفايات التدريسية لدى معلمي التربية الرياضية في مدارس التربية الخاصة ، بدولة الكويت واستخدام المنهج الوصفي وتكونت العينة من (50) معلم ومعلمة من العاملين في مدارس التربية الخاصة واسفرت النتائج على وجود فرق دال احصائياً عند مستوى (0.05) بين المؤهل الدراسي والفئة العمرية للمعلم ، ووجود فرق دال احصائياً عند مستوى (0.01) بين المعلمين وذوى المؤهل الجامعي في مجال الكفايات التدريسية.

3- هدفت دراسة عبد العزيز الجبار (1998) إلى معرفة اهم الكفايات الضرورية لمعلمي التلاميذ ذوى الاعاقة السمعية في المملكة العربية السعودية (ن= 237) الذين تم الاستطلاع أراءهم حول هذه الكفايات وقد وجاءت الكفايات مرتبة حسب اهميتها كما يلي : الكفايات الشخصية ، الكفايات التدريسية ، كفايات الوعي المهني والكفايات المعرفية وكفايات التعامل مع الاطفال واولياء أمورهم والكفايات الاجتماعية اما الكفايات حسب توافرها لدى معلمي المعوقين سمعياً فكانت الكفايات الشخصية في المقدمة تم المعرفية تم الوعي المهني واخيراً الكفايات الاجتماعية ، وأظهرت النتائج الي عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات أفراد العينة في متغيرات العمر والمؤهل التعليمي والخبرة .

4- هدفت دراسة (Siejel1994) إلى تحسين اتجاهات المعلمين نحو الطلبة ذوى الاعاقة والتعرف على أثر عامل التدريب على هذه الاتجاهات وقد ذلك النتائج التي تم الحصول بعد اجراء التدريب ، على أن تقبل المعلمين للتدريب ازداد وان اتجاهاتهم أصبحت أكثر ايجابية وعلى الرغم من أنهم صوتوا بالاجتماع لمصلحة توسيع دمج الطلبة المعاقين في صفوف نظامية لجزء من اليوم الدراسي .

5- دراسة خالد الكخن (1997) هدفت الى التعرف على الضغوط المهنية لمعلمي التربية الخاصة وقد تكونت العينة من (181) معلماً ومعلمة ، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن أن مصادر الضغوط التي يعاني منها المعلمون هي الدخل ، السمات الشخصية للمتعلم ، العلاقات مع الاهل والعلاقة مع الادارة ، والمناهج ، والنمو المهني ، والمكانة الاجتماعية ، ظروف العمل مع المعاقين ، اعباء العمل والعلاقة مع الزملاء ، اختلاف مستوى مصادر الضغوط على مجالات مقياس موضوع الدراسة ، لصالح المعلمين الذكور ذوى المؤهل العمل ، وذوى الخبرة من (5-10) سنوات .

6- دراسة خديجة فتحي عبد الفتاح (2016) بعنوان " العلاقة بين الكفاءة المهنية لمعلمي التربية ومهارات التواصل الكلي مع الاطفال ذوى الاعاقة العقلية "

هدفت الدراسة الى التعرف على مدى العلاقة الارتباطية بين الكفاءة المهنية لمعلمي التربية الخاصة وتواصلهم مع الاطفال ذوى الاعاقة والتعرف على الفروق بين معلمي التربية الخاصة مرتفعي الكفاءة المهنية ومنخفضي الكفاءة

المهنية في تواصلهم مع الاطفال ذوي الاعاقة العقلية وتصميم مقياس الكفاءة المهنية لمعلمي الاطفال ذوي الاعاقة العقلية .

استخدمت الدراسة " المنهج الوصفي واشتملت أدوات الدراسة على اختبار ستانفورد بنسبة ذكاء وقائمة الكفاءات المهنية ، ومقياس الكفاءة المهنية للأطفال ذوى الاعاقة العقلية ومقياس التواصل الشامل للأطفال .واسفرت نتائج الدراسة .

على وجود علاقة ارتباطية دالة موجبة بين الكفاءة المهنية لمعلمي التربية الخاصة ودرجة تواصلهم مع الأطفال ذوى الاعاقة العقلية .

الإجراءات المنهجية :

منهج البحث:

اعتمدت الباحثان في هذا البحث علي المنهج الوصفي التحليلي للحصول علي بيانات يمكن وصفها وتحليلها لتقدير ظاهرة موضوع البحث مما يسهم في تفسير الظاهرة ويمكن اعتبارها غاية الدراسة الوصفية حيث أن البحث الوصفي يتضمن تفسير البيانات للاستخلاص دلالاتها .

كما أن المنهج الوصفي يتبع خطوات علمية محدودة ومقننة وفق شروط البحث العلمي كما يتضمن تحليلي البيانات التي يتم جمعها والتي يمكن من خلالها الوصول إلي نتائج ذات معني وفقا للمنهج والسياق العلمي المتصرف عليه .(عبد الباسط حسن 210:1976)

عينة البحث : تشمل عينة البحث معلمي فئات التربية الخاصة وبلغت عدد العينة (40) معلمة بمنطقة طرابلس

أدوات البحث : مقياس " الكفاءة المهنية لمعلمي التربية الخاصة " إعداد الباحثان .

مجتمع البحث :

يتكون مجتمع البحث من معلمي التربية الخاصة بمدينة طرابلس للعام الدراسي 2020 – 2021 ف . والبالغ عددهم (40) معلم القائمين بتربية وتعليم الفئات الخاصة في (5) مراكز للفئات الخاصة ، والجدول التالي يوضح إحصائية عينة البحث بمدينة طرابلس .

جدول رقم (1) يوضح أسماء بمراكز الفئات الخاصة

اسم المركز	عدد المعلمات
طليطلة	10
الرشاد	10
مركز التوحد " ابو سليم"	10
مركز الامل	10
المجموع	40

الأساليب الإحصائية :

الصدق : استخدم الباحثان الصدق الظاهري للتأكد من صحة الفقرات.

الثبات : تم استخدام طريقة إعادة الاختبار.

تفسير النتائج وتحليلها :

الإجابة على تساؤلات البحث :

1- ما درجة تطوير الكفاءة المهنية في أداء معلمي التربية الخاصة ؟

2- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية للكفاءة المهنية لمعلمي التربية الخاصة تبعاً لمتغير الخبرة .

3- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية للكفاءة المهنية لمعلمي التربية الخاصة تبعاً لمتغير المؤهل العلمي

4- هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية للكفاءة المهنية لمعلمي التربية الخاصة تبعاً لمتغير الجنس.

الإجراءات المنهجية والنتائج :

عرض النتائج وتفسيرها :

توزيع خصائص أفراد العينة من خلال الجدول التالي : -

جدول رقم (2) يوضح توزيع خصائص أفراد العينة حسب (متغير الجنس- والمؤهل العلمي

النوع	ذكر	أنثي	
	20 %	57%	
المؤهل العلمي	متوسط	عالي	دراسات عليا
	8.7 %	89 %	2.3 %
مدة الخبرة	10 سنوات	20 سنة	30 سنة
	25.4%	53.2 %	21.4 %

يتضح من خلال الجدول رقم (2) توزيع خصائص أفراد العينة على النحو التالي :-

1 – الجنس : كانت نسبة (20 %) للذكور وبنسبة (80 %) للإناث ، ويتضح من ذلك أن النسبتين غير متقاربتين حيث كان عدد الإناث أعلي من عدد الذكور .

2 – المؤهل العلمي : كانت النسبة العليا للمؤهل المتوسط (8.7 %)، ثم نسبة (89%) للمؤهل العالي ، أما نسبة الدراسات العليا فقد كانت (2,3 %) .

3 – مدة الخبرة : كانت نسبة (25.4 %) لمدة الخبرة (10) سنوات ، ونسبة (53.2 %) لمدة الخبرة (20) سنة ، ونسبة(21,4%) لمدة الخبرة (30) سنة بمعنى أعلى نسبة كانت لمدة الخبرة عشرون سنة .

الإجابة على التساؤل الأول

1–ما درجة تطوير الكفاءة المهنية في أداء معلمي التربية الخاصة ؟

وتتضح الإجابة على هذا السؤال من خلال الجدول رقم (3) حيث نلاحظ أن

* دالة عند مستوى 0.05

** دالة عند مستوى 0.01

- غير دالة

الفقرة	تكرار (تنطبق)	تكرار (لا تنطبق)	تكرار (أحيانا)	قيمة Z المحسوبة	الدلالة الإحصائية
1	5	41	97	−7.59	* **
2	8	70	68	0.184	–
3	9	96	42	7.15	* **
4	15	94	44	6.70	* **
5	16	97	41	7.37	* **
6	24	127	11	15.37	* **
7	30	115	23	12.12	* **
8	32	104	34	9.39	* **
9	33	112	26	11.35	* **
10	35	125	13	14.92	* **
11	38	93	45	6.28	* **
12	39	89	49	5.30	* **
13	43	121	17	13.96	* **
14	46	120	18	13.52	* **
15	48	122	16	14.08	* **
16	50	117	21	12.67	* **
17	51	115	23	16.7	* **

الإجابة على التساؤل الثاني :

– هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية للكفاءة المهنية لمعلمي التربية الخاصة تبعاً لمتغير الخبرة .

بناء على الجدول السابق رقم (2) وجد أن هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين معلمي التربية الخاصة تبعاً لمتغير الخبرة ، وكانت لصالح مدة الخبرة عشرون سنة وكانت بنسبة (53.2%) تم لصالح المدة (30) سنة وكانت بنسبة (21.4%) تم النسبة الاقل للمدة (10) سنوات وبنسبة 25.4 % .

الإجابة على التساؤل الثالث :

- **هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية للكفاءة المهنية لمعلمي التربية الخاصة تبعاً لمتغير المؤهل العلمي**
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية لمعلمي التربية الخاصة لصالح المؤهل العلمي العالي وبنسبة (89%) تم لصالح المؤهل المتوسط بنسبة (8.7%) تم لصالح الدراسات العليا بنسبة (2.3%) .

الإجابة على التساؤل الرابع :

- **هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية للكفاءة المهنية لمعلمي التربية الخاصة تبعاً لمتغير الجنس.**
- توجد فروق ذات دلالة إحصائية في الكفاءة المهنية لمعلمي التربية الخاصة تبعاً لمتغير الجنس وكانت لصالح الإناث وبنسبة (80%) ونسبة الذكور (20%) وهذا يتضح أن الإناث أعلى نسبتهم من الذكور .

- مناقشة نتائج البحث :

هدف البحث لمعرفة دور الكفاءة المهنية في تطوير أداء معلمي التربية الخاصة وذلك من خلال اسئلة البحث المكونة من أربعة أسئلة اشتقت من السؤال الرئيسي ومن تم التوصل للإجابة عليها.

حيث تم الإجابة على السؤال الاول من خلال تحديد أهم الكفايات المهنية ودورها في تطوير أداء معلمي التربية الخاصة وذلك من خلال بناء مقياس لتحديد الكفايات والتحقق من صدق وتبات المقياس والعمل على تنمية هذه الكفايات .

كما يتضح من الإجابة على التساؤل الثاني والثالث وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين درجات ونسب بين متغير الخبرة التي كانت لصالح أصحاب الخبرة (20سنة) وبنسبة (53.2%) ووجود فروق في المؤهل العلمي لصالح المؤهل العلمي بنسبة (89%) .

ويتضح أيضاً من الإجابة على التساؤل الرابع ، وجود فروق ذات إحصائية وكانت لصالح الإناث والنسب الاقل تحصل عليها الذكور .

- التوصيات :

1–عقد دورات تدريبة لمعلم التربية الخاصة وذلك من أجل تنمية كفايتهم المهنية والشخصية والتقييمية .

2– إجراء مزيد من البحوث ذات العلاقة بالكفايات بمختلف انواعها لمعلمين الفئات الأخرى وللأشخاص ذوي الاعاقة .

3– الاهتمام بإعداد معلم الاطفال المعوقين .

4–تزويد المعلمين غير المؤهلين للعمل في هذا المجال بدورات وبرامج تدريبة متخصصة ، تتيح لهم فرص اكتساب المهارات والكفايات اللازمة .

المراجع

- أحمد الغرير الكفايات التربوية لمعلمي التلاميذ المعاقين عقلياً في الاردن ، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، بالجامعة الليبية . (1991)
- أحمد الغرير، الكفايات التربوية لمعلمي التلاميذ المعاقين عقلياً، الاردن، 1991.
- أحمد اللقاني معجم المصطلحات التربوية ، القاهرة ، عالم الكتب . (1996)
- أسامة البطانية، تقويم الكفايات التعليمية لمعلمي الاطفال، مجلة اتحاد الجامعات للتربية وعلم النفس، المجلد الثاني، العدد1، كلية التربية، جامعة دمشق، 2004.
- خالد الكخن الضغوط المهنية التي تواجه معلمي التربية الخاصة في الضفة الغربية ، جامعة النجاح الوطنية . (1997)
- خالد طه الأحمد، تكوين المعلمين من الإعداد إلى التدريب، الامارات :دار الكتاب الجامعي، 2005.
- راوية محمد حسن ، ادارة الموارد البشرية ، رؤية مستقبلية ، الاسكندرية ، الدار الجامعية ، 2001.
- سلمى محمود جمعة ، ديناميكية طريقة العمل مع الجماعات ، الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، 1998.
- سرى محمد رشيدي، إعداد معلم التربية الخاصة، المؤتمر العلمي العاشر لكلية التربية، مصر، 2010.
- سهيلة محسن كاظم القبلاوي، كفايات التدريس، الاردن: دار الشروق للنشر، 2003.
- عبد العزيز العيد الجبار، الرضا الوظيفي لدى معلمي التربية الخاصة ومعلمي التعليم العام، المجلة العربية للتربية الخاصة، العدد5، 2004.11
- عبد العزيز عبد الجبار دراسة الكفايات اللازمة لمعلم الاطفال المعاقين سمعياً ومدى اهمية توافرها مجلة كلية التربية ، جامعة عين شمس ، م 3. (1998)
- عمر التومي الشيباني، ديمقراطية التعليم في الوطن العربي، ط2، ليبيا: طرابلس، 2002.
- عبد الباسط محمد حسن، اصول البحث العلمي، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية،1976.
- محمود إبراهيم الطاغن، تأهيل العاملين مع المعاقين ومقترحات تطويرها، مؤتمر التربية الخاصة الواقع والمأمول، عمان: الاردن، 2005.
- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ب.ت.
- مصطفى عبد السميع محمد، مهارات التدريس لمعلمي الفئات الخاصة، مصر: مركز الكتاب للنشر، 2004.
- منير البعلبكي، قاموس المورد، بيروت: دار العلم للملايين، 1997.

- ناصر بن سعد، عبد الهادي بم مبارك، واقع الكفايات المهنية لمعلمي تلاميذ ذوي الإعاقة الفكرية، المجلة الدولية للأبحاث، الأمارات: المجلد 39، 2016.
- يسن قنديل، التدريس وإعداد المعلم، الرياض: مكتبة الملك فهد، 2000.
- -Siegle ,janna – and others (1994) tmproving , teachhers attitude toward councilon education for teaching , Istanbul maixico 1994, international turkey, new eric.

العوامل الطبيعية و أثرها علي موقع مدينة

مسلاته دراسة في جغرافية المدن

فرج الجعراني عثمان
قسم الجغرافيا
كلية العلوم الاجتماعية – جامعة الزيتونة

أبراهيم صالح شلغوم
قسم الجغرافيا
كلية الاداب – جامعة المرقب

الملخص

إن دراسة المدن من المنظور الجغرافي وخاصة بالبحث فيما إذ اكانت العوامل الرئيسية لظهورها وتكوينها هي عوامل طبيعية أو بشرية له أهمية كبيرة من حيث الكشف عن أهمية الموقع والموضع و اكثر العوامل تأثيرا في نشوئها.

ركز هذا البحث على أهدافه و التي تتلخص في معرفة اكثر العوامل الطبيعية تأثيرا في نشأت و تطور المدينة باستخدام المنهج التاريخي لتتبع مراحل النشأة و التطور و بالمنهج الوصفي و التحليلي لدراسة اثر العوامل الطبيعية علي موقع و موضع مدينة مسلاته إحدى المدن الليبية الواقعة في الجزء الشمالي الغربي لليبيا لما لها من مكانة مهمة في اقليمها الجغرافي و التي كان لمساهمتها الفعالة أثر في بيئتها المحلية والإقليمية اقتصادياً وثقافياً كواحدة من أهم المراكز الحضرية في غرب ليبيا ، تكمن اهمية البحث في معرفة انماط التمركزات العمرانية و اثر الظروف الطبيعية علي انتشارها ويعرض البحث أهم العوامل الطبيعية التي كان لها تأثير كبير في تحديد موقع وموضع المدينة كما وقد نتج من خلال البحث ان العامل الطبوغرافي كان له الاثر البارز من بين العوامل الطبيعية الاخرى علي نمط الانتشار و التمركز للمدينة و مجاوراتها

الكلمات المفتاحية (الموقع – الموضع – مدينة مسلاته)

Abstract

The study of cities from a geographical perspective, especially by researching whether the main factors for their emergence and formation are natural or human factors, is of great importance in terms of revealing the importance of location and location and the most influential factors in its emergence.

This research focused on its objectives, which are summarized in the knowledge of the most influential natural factors in the emergence and development of the city using the historical method to trace the stages of emergence and development and the descriptive and analytical method to study the impact of natural factors on the situation and site of the city of Maslatah, one of the Libyan cities located in the northwestern part Libya because of its important position in its geographical region,

whose effective contribution had an impact on its local and regional environment, both economically and culturally, as one of the most important urban centers in western Libya. It had a significant impact in determining the location and position of the city, as it was concluded through the research that the topographical factor had a prominent effect among other natural factors on the pattern of spread and concentration of the city and its neighborhoods.

Keywords (site– situation – Masllatah city)

المقدمة

نشـــأت المدن كظاهرة عمرانية قديمة, وكان ظهورها مرتبط بتقدم . في المعرفة الإنســـانية والأســـاليب الفنية المستخدمة وخاصة استخدام المعادن والاختراعات كالشراع واستخدام العجلة في النقل , وقد ترتب على ذلك زيادة كبيرة في الإنتاج والنقل فواكب ذلك ظهور المدن كمظهر حضاري متقدم في التاريخ البشري.[1]

و لقد ســلط الجغرافيوين اهتمامهم بالأرض والإنســان لأنهما وجهان لعملة واحدة بل إن لب هذا الموضــوع هو محصلة التفاعل بين هذين الوجهين فكليهما قد يدخل في اختصاصات علوم نظامية تحليلية متفرقة, و لقد سعت العديد من الدراسـات الي ابراز اهم المؤثرات الطبيعية لنشـأة و قيام أي مدينة من خلال البحث في خصـائصـها الجغرافية المتمثلة في طوبوغرافية السطح و نوع التربة لهذا السطح و نمط المناخ السائد فيها .

لقد جاء هذا البحث للتركيز علي اهم العوامل الطبيعية المؤثر في نشـأة و تطور مدينة مسـلاته ضـمن نطاقها الجغرافي و مكوناتها البشـــرية و التي اثرت و تأثرت في هذا المحيط بناء علي معطيات و مؤثرات بيئية تحدد نمط التمركز و الانتشار و اتجاهات النمو الحضري للمدينة و التجمعات الحضرية المكملة لنطاقها الجغرافي

اولا :مشكلة البحث

من المعلوم ان الانسان لا يختار مكان اقامته و سكنه الدائم بشكل عشوائي و ان نمط الانتشار الذي تتشكل عليه التجمعات البشرية لم يكن محظا للصدفة و انما كانت هناك العديد من العوامل و الاسباب التي ادت الي نتيجة الاستقرار في المكان و انتهاجا للبحث الجغرافي لدراسة الظواهر فقد ركز البحث علي دراسة اهم الاسباب الطبيعة التي ادة الي تموضع مدينة مسلاته و مجاوراتها من المناطق التابعة لها في مكانها الحالي و ما اكثر هذه العوامل تأ ثيرا و البحث عن اسباب نشأتها و تطورها

الهدف من البحث

تهدف الدراسة الي الكشف عن صورة التموضع لمدينة مسلاته والتوزيع المكاني للتجمعات السكانية المجاورة و العوامل التي ساعدة في تكوين هذه الصورة و معرفة اكثر العوامل الطبيعية تاثيرا علي نمط التركز و التوزيع لقرى مسلاته ضمن ظهيرها الاقليمي و الإداري .

[1] فتحي محمد ابو عيانة –الجغرافية البشرية , بيروت . د . ت . ص 102

أهمية البحث

تكمن اهمية البحث في تسليط الضوء علي اهم العوامل الطبيعية التي كان لها الاثر الكبير علي تحديد موقع وموضع مدينة مسلاته و مجاوراتها كما ان من اهمية البحث وضع تصورات مستقبلية لشكل الانتشار الذي تتكون عليه المدينة و التجمعات السكانية في المستقبل بناء علي ما يتوفر من مقومات و مؤثرات طبيعية

المفاهيم و المصطلحات

1. **الموقع site** : يشمل على مساحة أكبر فهو يتضمن الاراضي التي تحيط بالمدينة والتي تعتبر جزءا من اقليمها او ظهيرها الجغرافي
2. **الموضع situation** : موضع المدينة هي مساحة محدودة تقوم عليها المدينة ضمن حدودها الادارية او تلك التي تحتلها مساحتها المعمورة
3. **النمط pattern** : يقصد به الشكل الذى تنتظم بموجبه القرى و التجمعات السكنية فهي تتابين فى اعدادها و أحجامها و كذلك في صور توزيعها وانتشارها
4. **القصبات** : هي المنطقة المتعارف عليها حاليا بمركز المدينة مسلاته،
5. **السانية:** وهي عين الماء الطبيعية التي ترشح منها الماء في فترات صقوط الامطار بوفرة لازل البعض منها يرشح بالماء حتي الان
6. **الريح القبلي** :هي رياح محلية تهب من الجنوب الغربي تتميز بهبوبها في اواخر الربيع و بداية الصيف تثير الاتربة و ترفع درجة الحرارة و تعمل علي اتلاف المحاصيل
7. **الريح البحري:** و هي الرياح الشمالية الغربية عرفت بالبحري لانها تاتي من ناحية البحر و تتميز بالبرودة و غالبا ما تكون ممطرة في فصل الشتاء و تساعد علي تلطيف درجة الحراة في الصيف

الموقع والموضع

وقد حاول العديد من الجغرافيين توضيح الفارق بين مفهومي الموضع Site والموقع Situation للمدينة .و لقد كان للعالم راتزل الفضل في تبيين الفرق بينهما حيث اوضح ان موضع المدينة هي مساحة محدودة تقوم عليها المدينة ضمن حدودها الادارية او تلك التي تحتلها مساحتها المعمورة , اما الموقع فيمثل دراسة مساحة أوسع من ذلك تكشف عن مركز المدينة وعن علاقاتها بمساحات اوسع تحيط بها ,[1]

فقد اشار حمدان الي انه يمكن تعريف **المواضع** على انها دراسة الظواهر الطبيعية المتمثلة في التضاريس ودرجة انحدار الأرض والتركيب الجيولوجي للتربة والمياه ومصادرها والمناطق المعرضة للأخطار الطبيعية كالفيضانات واحتمال تعرضها للهزات الأرضية والبراكين ومن ثم الطقس والمناخ للأرض التي تقوم عليها المدينة , أما **المواقع** فيمكن تعريفه بانه دراسة الظواهر الطبيعية للمنطقة التي توصف بانها إقليم المدينة أو ظهيرها Hinterland أو المنطقة المحيطة بها والتي ترتبط بصلات وثيقة بها وذات تأثيرات متبادلة معها .

وهناك أنواع عديدة لمواقع المدن منها ما أوجدتها طبيعة التضاريس وأخرى خلقها نشاط الإنسان ومن هذه الأنواع[2]

[1] جمال حمدان – جغرافية المدن – ط 2 – دار عالم الكتاب – القاهرة – ص 280

[2] صبري الهيتي و صالح فليج – جغرافية المدن – جامعة بغداد – ص 190

المواقع العقدية : ومن أمثلتها المدن التي تقوم عند تلاقي الأنهار او تقاطع الوديان وممرات وفتحات الجبال فهي مواقع عقدية طبيعية ,

المواقع البؤرية : وهي المدن التي تقع في الوسط الهندسي للسهول المنبسطة حيث تمثل مركز استقطاب لتلك السهول . ومن أمثلتها برلين بؤرة السهل الألماني وموسكو قلب سهول شرق أوربا

المواقع المركزية : وهي تقترب من فكرة البؤرية الا انها قد تتوسط بيئات متباينة كما هي الحال في بغداد حيث تتوسط العراق والقاهرة التي تحتل موقعا وسطيا ما بين الدلتا والصعيد

المواقع البينية : وهي تلك المواقع التي تؤدي الى نشوء مدن ما بين بيئتين او إقليمين هامين , ومن أمثلتها سنغافورة ما بين المحيطين الهادي والهندي ودمشق التي تقع ما بين الساحل السوري وارض ما بين النهرين ذا ما تم تمييز أنواع من المواقع

المواقع الهامشية : وهي التي تقع على حافة الأقاليم . وليس بالضرورة ان تكون الهامشية مواقع غير ذات أهمية فعالة ,فكثيرا من مواقع الموانئ تمثل مواقع هامشية الا انها بوابات لظهيرة واسعة تقع خلفها كما هو الحال في موقع بوينس أيرس كبوابة للسهول البمباس الغنية .

و يمكن ان ينطبق هذا النمط علي مدينة مسلاته باعتبارها الظهير الاقتصادي لمدينة لبدة الرومانية حيث كانت مزرعة زاخرة بالثروات لزراعية و الرعوية و هو ما اكدته الشواهد علي وجود اثار لمعاصر رومانية متناثرة علي سفوح التلال لاستخدامها في عصر محاصيل الزيتون لتي تعتبر من اهم الثروات في ذلك العصر و الي وقت قريب ابان الاستعمار الايطالي لليبيا في بداية القرن

التعريف بالمنطقة جغرافيا :

منطقة مسلاته تقع في الشمال الغربي من ليبيا عند نهاية الحافة الشمالية الشرقية للجبل الغربي (نفوسة), ويحدها شمالاً منطقة الخمس , ومن الجنوب الشرقي منطقة زليتن , وجنوباً منطقة ترهونة , بينما تمدد غرباً حتي منطقة القره بوللي, وتبعد المنطقة عن سواحل البحر المتوسط حوالي 15 كم .

تقدر مساحة المنطقة بحوالي 105 ألف هكتار (1050 كم^2)[1] مقسمة إلى إحدى عشرة محلة هي القلعة, السوق, الدوكالي, الأشراف, المسيد, بن ناصر, سم الديس, قصر الجديد, وادي اوعيني الخشش.

وتقع المنطقة بين خطي طول 49 °13 – 14 °14 شرقاً ودائرتي عرض °32°25–°32°36 شمالاً.

ومركز المنطقة مدينة مسلاته, ويطلق عليها أحياناً (القصبات), حيث تتوافر بها معظم المرافق الصحية والخدمية والتجارية والتعليمية, " القصـــبات هي المركز التجاري الداخلي لقرى مســـلاته المتعددة, كما أنها حلقة الاتصـــال التجارية بين المنطقة والأسواق الأخرى "[2].

[1] الاطلس الوطني . امانة التخطيط . مصلحة المساحة , 1978 م , ط1 , ص26 .
[2] دراسة في الواقع الليبي . جميل هلال, ص 33

خريطة 1 الموقع الجغرافي لمنطقة مسلاته

المصدر من عمل الباحث استنادا الي الاطلس الوطني . امانة التخطيط . مصلحة المساحة , 1978 م , ط1 , ص26

التعريف بالمنطقة تاريخيا :

يعود تاريخ التوطن في المنطقة إلى فترات قديمة , ويدل على ذلك و جود العديد من الشـــواهد التاريخية ذكرت في العديد من الكتب , والمؤلفات القديمة, والرحلات الجغرافية للرحالة العرب والأجانب , فقد كانت المنطقة محطة هامة على الطريق الرومانية القديمة بين لبدة وترهونة .

وقد ورد ذكر المنطقة في كتب الرحلات التي قام بها الرحالة العرب المســـلمون , ورحلات الحجاج القادمين من المغرب الذين يمرون عبر السواحل الليبية قبل ما يزيد عن سبعمائة سنة , ففي رحلة العبدري سنة 1289 ف يتحدث عن المنطقة قائلاً :" وفي جنوب بني حسن مسلاته , وهم قوم يبرون أهل الدين ويكرمون الحجاج , وهم على خير وصلاح "[1].

وصف التِجاني في رحلته التي امتدت من سنة 1306–1308 ف , المنطقة وتضاريسها ونشاطها الزراعي , حيث أفاد " ... وانتقلنا من البئر المذكورة يوم السبت إلى الحصن المعروف بحصن سِلمة*[2] , وهو من أرض مســـلاته, وهو على أعلى جبل, وقد دارت به دور كثيرة , وتحف بهذا الجبل مغارس زيتون وكرم ومزارع, وهي كلها في ثنايا وأودية بين جبال وعرة ..."[3] وهذا الرحالة العربي المعروف بـــــ (ليو الأفريقي) في كتابه الشـهير (وصف أفريقا) يصف المنطقة وصفاً جغرافياً دقيقاً ذاكراً أنه " يقع هذا الإقليم على البحر الأبيض المتوسط على بعد حوالي خمسة وثلاثون ميلاً من طرابلس , وهو مكتظ بالقرى الغنية , والحصون , والسكان , وبه كثرة

[1] ليبيا في كتب الجغرافيا و الرحلات , محمد نجم , احسان عباس , دار ليبيا للنشر و التوزيع . بنغازي 1968 م ص 115.
[2] * و هي قرية تقع شمال غرب المدينة علي تخومها المجاورة لقصر الاخيار
[3] ليبيا في كتب الجغرافيا و الرحلات ,محمد نجم , احسان عباس , دار ليبيا للنشر و التوزيع . بنغازي 1968 م ص 117.

من أشجار الزيتون والنخيل "[1], ولاحظ هنا أن الكلام هو وصف لإقليم مسلاته بأنه يقع على البحر المتوسط , وهذا مرده إلى أن اسم مسلاته قديماً كان يشمل المنطقة من الممتدة من القره بوللي غرباً حتى الخمس شرقاً محاذياً لساحل البحر.

كما ورد ذكر منطقة مسلاته في كتب الرحالة والمستكشفين الأوربيين , ومن هؤلاء الألماني رولفس الذي قام برحلته في أفريقيا بين عامي 1865–1867 ف , حيث يصف الطريق بين لبدة ومسلاته قائلاً " وهذا الطريق ذو مناظر رومانتيكية عديدة وإطلالات مفاجئة "[2].

ويصف الطريق بين مسلاته وطرابلس عبر منطقة قريم غربي مسلاته قائلاً " ينطلق من مسلاته طريق عبر حقول خصبة , تمتد على طول سفوح الجبال حتى وادي قريم , ويمتد على امتداده حتى قصر قريم الذي يقوم على صخرة على الضفة اليمنى من الوادي " [3], و في كتاب المستكشف البريطاني في منطقة غريان وترهونة ومسلاته سنة 1895 , ورد ذكر المنطقة كثيراً , فيقول واصفاً و أشجار الزيتون المحيطة بها " ومن القمة *[4] لاح لنا منظرٌ بديع تحتنا , ف إلى الشمال الشرقي (القصبات) وهي تلوح وكأنها ثلاث قرى غارقة بين أشجار الزيتون , وتقع على بعد سبعة أميال تقريباً , وكان هذا هو المنظر الوحيد الذي رأيته لما يشبه القرية أثناء بقائي في المرتفعات" [5]ويشير أيضاً إلى خصوبة المنطقة واشتهارها بأشجار الزيتون " وبعد أن خرجنا من الوادي*[6] رأينا على بعد ميل منا بساتين الزيتون في مسلاته ودخلنا لتونا في أرض تختلف عن الأرض القاحلة التي كنا نسير فيها بين المرتفعات , وكانت هناك في كل مكان بساتين خضراء جميلة مسورة , وكان بعضها واسعاً فيه أشجار معمرة , بل إن طبيعة الأرض وشكلها يمكن أيضاً يشبها السهول الطباشيرية في انكلترا"[7].

كما ورد وصف جغرافي للمنطقة في كتاب (طرابلس الغرب) لمؤلفه محمد ناجي (نائب طرابلس) في اسطنبول أيام الحكم التركي لليبيا قائلاً: بحث عنوان قضاء مسلاته " ويقع على بعد أربع ساعات من مركز الولاية غرباً , وهو مبني على تلال صخرية , وبه مئات الآلاف من أشجار الزيتون , وهو يعتبر من الباقع الجميلة في الولاية , ويتميز أهله بالنشاط ..."[8].

و مما سبق يتضح أن المنطقة لها جذور تاريخية عميقة , ربما البعض منها يعود لحضارة قديمة، ومن تعاقب الفترات نالت المنطقة نوعاً من الاهتمام ،والتطور، كما أن المنطقة تجمع بين البدو، والحضر حيث يتركز الحضر في مركز المنطقة المعروفة (بالقصبات) ، ولها علاقة وثيقة بالمراكز الحضرية. مثل طرابلس غرباً والخمس في الاتجاه الشرقي كمركز حضري، متوسط، شأنها في ذلك شأن ترهونة ولها شهرة علمية قديمة ،وخاصة في مجال تحفيظ القرآن الكريم ،والشريعة. والمنارة المعروفة (بمنارة الدوكالي) التي اشتهرت بها خير دليل على ذلك , وزاوية

---

[1] نصوص ليبية , علي فهمي خشيم . دار مكتبة الفكر طرابلس . ط2 . 1975 م . ص 217 .

[2] رحلة عبر افريقيا , عماد الدين غانم , مشاهدات الرحالة الالماني رولفسل في ليبيا و برنو و خليج غينيا , منشورات مركز جهاد الليبين , طرابلس . ط1, 1996 م , ص 145 .

[3] رحلة عبر افريقيا , عماد الدين غانم , مشاهدات الرحالة الالماني رولفسل في ليبيا و برنو و خليج غينيا , منشورات مركز جهاد الليبين , طرابلس . ط1, 1996 م , ص148

[4] * يقصد بها قمر رأس المسيد الذي يقع جنوب غرب المنطقة علي الحد الاداري بين مسلاتة و ترهونة

[5] مرتقعات إلاهات الجمال , انيس زكي حسن , مكتبة الفرجاني , طرابلس , ص 66 .

[6] *يقصد به وادي وعيني علي مقربة من حدود المنطقة مع ترهونة يقع جنوب غرب مسلاته

[7] مرتقعات إلاهات الجمال , انيس زكي حسن , مكتبة الفرجاني , طرابلس , ص94

[8] طرابلس الغرب , محمد ناجي , دار مكتبة الفكر , طرابلس , 1973 م , ص 101

(عبد الدايم) وسيدي (يوسف)، وتتميز مدينة مسلاتة بالتنظيم في مركزها ،والطرق التي أغلبها معبدة وخاصة التي تربط بين المراكز الثانوية التابعة للمركز مثل (زعفران)، (وادنه)، (بني ليت)، (لواته)، وغيرها، كما تتميز بالزراعة البعلية، والمروية وأشجار الزيتون ذات النشأة القديمة، والمتميزة بكبر حجمها إذا ما قورنت بمثيلاتها في المناطق المجاورة مثل (القصيعة) و(الخضراء)، كما تحتوي المنطقة على مساكن قديمة مبنية من الطين ،والحجر، والجير، سقفها من فروع وأغصان الزيتون، وما زال الكثير منها يحكى قصة التراث ،والأصالة.

التضاريس و اثرها علي موضع المدينة

يعتبر الجبل الغربي من السمات التضاريسية البارزة لمظاهر السطح في شمال غرب ليبيا ، ويسمى بأسماء محلية أيضاً نسبة إلى المناطق الواقعة عليه ، كمرتفعات غريان ، وجبال ترهونة ، ومرتفعات مسلاته ، وتمتد هذه المرتفعات من الحدود الغربية للبلاد حتى منطقة النقازة غرب الخمس بطول 500 كم [1].

وبما أن منطقة مسلاته تقع على الحافة الشمالية الشرقية لهذه المرتفعات فإن سطح المنطقة يغلب عليه الطابع الجبلي باستثناء بعض المناطق التي يستوي فيها السطح حيث تنتشر المرتفعات والتلال في أغلب أنحاء المنطقة ، تقطعها بعض الأودية موسمية الجريان والتي يتجه أغليها نحو الشمال باتجاه ساحل البحر ، ويبلغ ارتفاع منطقة مسلاته ما بين 200–350م ، ويكون أكثر ارتفاعاً بالاتجاه صوب ترهونة في مناطق التداخل والتشابك للمرتفعات، بينما يبلغ ارتفاع أعلى نقطة بالمنطقة جبل المسيد حوالي 467 م فوق مستوى سطح البحر في جنوب المنطقة، [2]

خريطة 2 المظاهر التضاريسية لمنطقة مسلاته

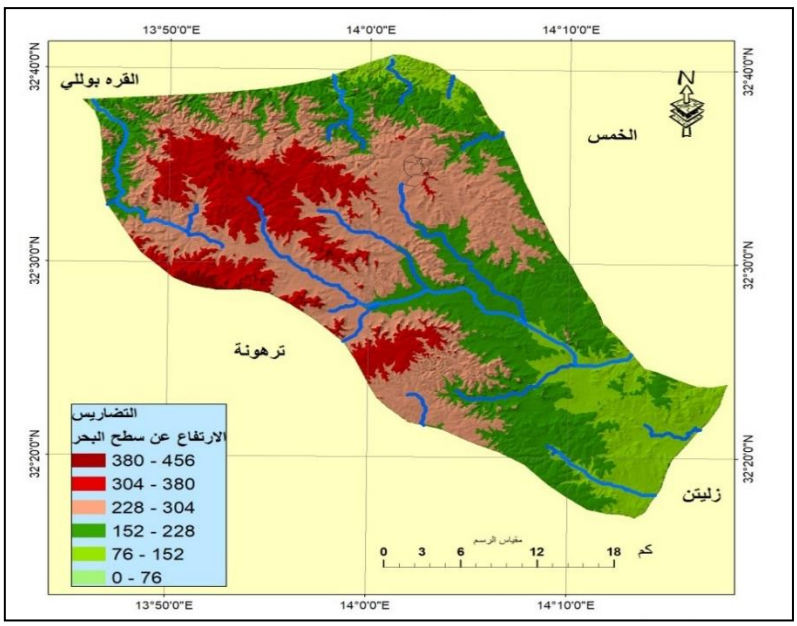

المصدر من عمل الباحث استنادا الي الاطلس الوطني ص 26 و باستخدام برنامج arc map لانتاج الخرائط الرقمية

[1] محمد المبروك المهدوي – جغرافية ليبيا البشرية – منشورات المنشأة الشعبية للنشر – جامعة قاريونس –ص 23 .

[2] فتحي احمد الهرام –التضاريس والجيومورفولوجيا –الجماهيرية دراسات في الجغرافيا –(تحرير –الهادي ابو لقمة ، سعد القزيري) – ط1 – الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع – سرت – 1995م – ص 109 .

و بالنظري الي الخريطة الطوبوغرافية للمنطقة يتضح مدي تأثر مركز المدينة و ضواحيها المنتشرة علي سفوح التلال و في مقدمة الاودية الجافة التي تخترقها بالعامل الجغرافي كمحدد رئيسي لمواضع تركزها و امتدادها فجغرافي المكان و ما تمتع به من مظاهر مختلفة للتنوع البيئي و التي تمثلت في الاراضي المنبسطة التي تتماشى مع مجاري الاودية و التي كانت ذات تاثير واضح في قيام النشاط الزراعي و الرعوي و التي تتركز معظمها في الجانب الجنوب شرقي للمنطقة علي العكس من الحال في الجانب الشمال الغربي من المنطقة و الذي يتميز بالتضرس الشديد و الذي يعد بيئة رعوية للمواشي و يقل فيه انتشار النشاط الزراعي الا ان موقع التجمعات السكانية وخاصة مركز المدينة يعد مزيجا من النوع المتضرس السهل حيث يمكن استغلال النشاط الزراعي و الرعوي في ذات الوقت حيث كانت حرفتي الرعي الزراعة اهم الحرف البدائية التي قام عليها النشاط البشري في منطقة مسلاته عموما و في مركزها (القصبات) بشكل خاص .

كما ان من ابرز المظاهر التضاريسية بالمنطقة و التي ساعدت بشكل اساسي في نشأتها هي الاودية الموسمية التي تجري خلال فترة سقوط الامطار فنري العديد من التجمعات السكانية تركزت بالقرب من الاودية و التي تتميز اغلبها بوجود عيون للمياه الجاري فيها قبل اكتشاف الانسان الي ادوات الحفر الحديثة للابار الارتوازية فقد اشتهرت العديد من العيون في محيط المدينة و التي كانت تستخدم للشرب و سقاية المواشي و الاستخدامات الاخري ففي مقابلة خاصة مع(**الاستاذ اسامة العزومي ابوعائشة**)[1] "ذكر ان هناك العديد من العيون التي غمرت و التي لم تعد تنتج نظرا لاضمحلالها بسبب الزيادة في استهلاك المياه الجوفية من الابار الارتوازية بشكل مفرط كما هو الحال لـ(سانية الزعفرانية) غرب المدينة بمحلة الدوكالي و كذلك السانية المعروفة بـ(سانية سيدي يوسف) بمحلة القلعة و عين (الخروبة) بوادي الجديد بمحلة قصر الجديد علي بعد 2 كيلو متر من مركز المدينة ناحية الجنوب الغربي"

صورة رقم 1 تبين بعض العيون الناضبة (سانية الزعفرانية – سانية مومن)

من ارشيف الاستاذ اسامة العزومي ابوعائشة من واقع الدراسات الميدانية للاماكن الاثارية بمنطقة مسلاته

و هنا تجدر الاشارة الي اتخاذ مدينة مسلاته و مجاوراتها نمط التوزيع المنتشر و الذي يتاثر بالعوامل الطوبوغرافية للمنطقة حيث تتخذ اغلب التجمعات السكانية مناطق مرتفعة نسبيا بتحقيق اكبر قدر من الامن و الحماية و من

[1] ا. اسامة العزومي ابو عائشة – باحث في علم الاثار والتاريخ القديم – مقابلة شخصية – 23/10/2021 .

بين الشواهد علي ذلك المتمثلة في مراكز الرصد و الحماية كموقع القلعة الإسبانية ومجموعة القصور المتناثرة كما هو حال قصر قريم و قصر سلمة و قصر سعادة و قصر المعمورة و قصر الجديد وقصر المسيد و غيرها من القصور و الحصون التي كانت شاهدة علي قدم تاريخ تموضع الانسان بمنطقة مسلاته

صورة رقم 2 تمثل التمركز علي المرتفعات (احد جوانب القلعة الاسبانية و الحصون القريبة و المساكن القديمة)

من ارشيف الاستاذ اسامة العزومي ابوعائشة من واقع الدراسات الميدانية للاماكن الاثارية بمنطقة مسلاته

انماط التوزيع الجغرافى :

يقصد ب(النمط) pattern فى هذه الدراسة. الشكل الذى تنتظم بموجبه القرى و التجمعات السكنية. و مثلما تتابين المراكز الريفية فى اعدادها و أحجامها تتباين كذلك في صور توزيعها وانتشارها. فمن القرى ما تمتد بشكل خطي مع امتداد الانهار و طرق النقل و منها ما تنتشر على رقعة واسعة من الارض او متباعدة عن بعضها البعض. يمكن التعرف على صور او انماط التوزيع الجغرافي للقرى فى منطقة مسلاته من خلال الملاحظة المباشرة او تحليل الاحصائيات و الخرائط ذات العلاقة. و لعل اكثر الانماط شيوعا في المنطقة النمط((المنتشر))) ولاسيما حيث مظاهر الارض المتقطعة و التضاريس المتباينة مع توفر مصادر المياه كاهم عامل للتوطن والاستقرار.

خريطة 3 انماط التوزيع المكاني لبعض التجمعات السكانية بمنطقة مسلاته

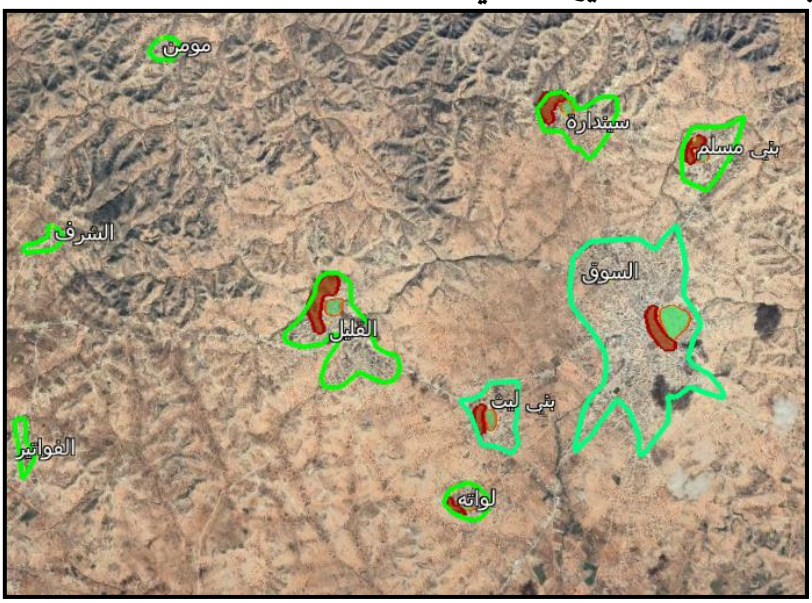

من عمل الباحث استنادا الي معطيات الصورة الفضائية لمنطقة الدراسة باستخدام برنامج google earth و برنامج arc map

ويعزى هذا النمط المنتشر للقري و المحلات في المنطقة الى جملة عوامل طبيعية و بشرية؛ و في مقدتمها: مصادر الموارد المائية و نمط توزيعها و تضرس الارض الى جانب العوامل الاقتصادية و الاجتماعية و كذلك السياسية كان لها اثر علي هذا التوزيع .

اثر العوامل المناخية علي موضع مدينة مسلاته

عند الحديث عن أي تجمع بشري لابد من الاخذ بعين الاعتبار الظروف المناخية و دورها في نشأة و تطور المجتمعات ، فقد اشار الهيثي الي ان العديد من العلماء العرب اولوا اهتماما بالغا في في دراسة مناخ الاقاليم و المدن و اعدادها و الجبال و مظاهرها و حالة الطقس فيها و الذي كان من ابرز من اشاروا الي هذا الجانب من العلماء ابن حوقل و المسعودي و ابن خلدون الذي كتب في مقدمته عن اهم العوامل التي تؤثر في نشأة التجمعات البشرية و مواقعها من حيث ملائمتها لمزاولة انشاطتها الاقتصادية و الاجتماعية بناء علي الظروف المناخية لكل تجمع بشري [1]

و من اهمية عوامل المناخ في تأثيرها علي موضع المدينة فسيتم عرض اهم العناصر المناخية و المتمثلة في درجات الحرارة و الامطار الرياح و الرطوبة لمنطقة الدراسة لتوضيح الصورة التي ادت الي تموضع مدينة مسلاته و مجاوراتها في و ضعها الحالي بناء علي المؤثر المناخي لنطاقها الجغرافي

أ . الحرارة :

من المعروف إن درجات الحرارة تشهد أعلى معدلات لها خلال فصل الصيف بينما تهبط إلى أدنى معدلاتها خلال فصل الشتاء ، فتسجل أعلى درجات الحرارة في شهر (أغسطس) حيث يصل متوسط الحرارة خلال هذا

[1] صبري الهيتي و صالح فليج – جغرافية المدن – جامعة بغداد – ص 8

الشهر إلى 26.4 مْ ، بينما أدنى درجات الحرارة تسجل خلال شهر (يناير) حيث متوسط الحرارة في هذا الشهر لا يزيد عن 10.7 مْ ، بينما يبلغ المتوسط السنوي لدرجات الحرارة بالمنطقة حوالي 19.2 مْ . [1]

جدول رقم (1) متوسط الحرارة الشهرية بمنطقة مسلاته

الشهر	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12
متوسط الحرارة	10.7	11.9	14.5	18	20.7	24.8	26.2	26.4	24.6	21.8	17.6	12.6

المصدر : سالم علي الحجاجي – ليبيا الجديدة – منشورات مجمع الفاتح للجامعات – طرابلس 1989–ص289

(الجدول 1)يوضح المتوسطات الشهرية والفصلية لدرجات الحرارة بالمنطقة في فترة قياس امتدت لثلاثين سنة من القرن العشرين ، و الذي من خلاله امكن استنتاج الشكل البياني (الشكل 1) الذي يوضح أن منحني متوسطات درجات الحرارة الشهرية يبدأ في الارتفاع مع نهاية فصل الربيع ، حتى يصل إلى أقصى ارتفاع له في فصل الصيف ، ثم يأخذ هذا المنحني في الانخفاض في فصلي الخريف والشتاء .

الشكل (1)يبين متوسط درجات الحرارة الشهرية بمنطقة مسلاته

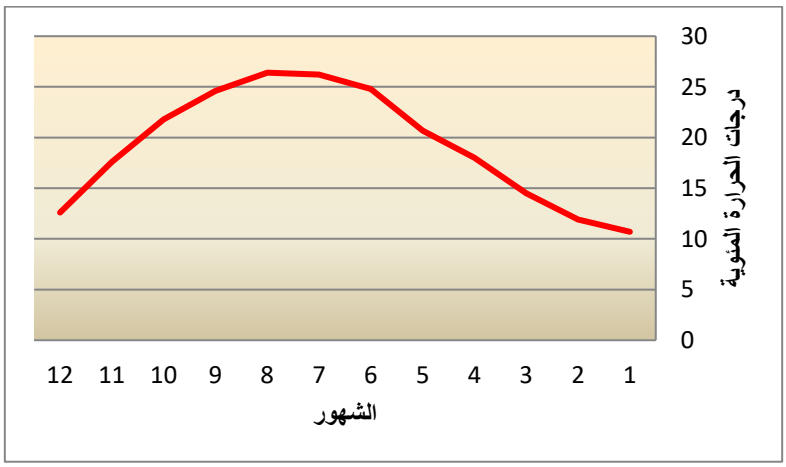

من عمل الباحث استنادا الي بيانات الجدول 2

و من خلالهما يتبين ان معدلات الحرارة لمنطقة الدراسة تعتبر ملائمة لإقامة مناشط بشرية مختلفة و تجمعات حضرية فمن الطبيعي ان يكون لدرجة الحراة اثر علي نمط استغلال الموارد الزراعية و كذلك له اثر في تصميم العمارة و هو الحال في منطقة مسلاته التي تعد من اهم البيئات الملائمة للزراعة البعلية و انتاج الحبوب و استغراس الاشجار المثمرة في مجاري الوديان و في المساحات السهلية المنبسطة فهناك العديد من الشواهد التي تشير علي قيام الانسان لمناشط زراعية في المنطقة بناء علي الوفرة في المحاصيل و تطور تقنيات انتاجها في كل عصر مما جعل منطقة مسلاته تحظى بأهمية كبيرة كمنطقة ظهير اقتصادي في العديد من المراحل التاريخية التي مرت بها

[1] سالم علي الحجاجي – ليبيا الجديدة – منشورات مجمع الفاتح للجامعات – طرابلس 1989-ص289 .

اشارة الي ما تقدم فقد ذكر (جيري لين فاولر) مؤلف كتاب الاستيطان الزراعي الايطالي في ليبيا – منطقة طرابلس " توجد أكبر منطقة للزراعة المستقرة في جبل نفوسة . و خصص حوالي 314,000 فدان , لزراعة الاشجار المنتجة و الحبوب , تعتمد علي مياه الامطار و العيون الطبيعية و تعتبر هذه القرى , بمقارنتها بالواحات الساحلية , اصغر مساحة و اقل عدد للسكان و اكثر تباعدا و تقع الاراضي الزراعية بين المستوطنات , حيث توجد مصادر المياه المناسبة و التربة الكافية لدعم الزءراعة . و تقع اكبر مناطق الزراعة المستقرة في مسلاته (القصبات) و في جبل غريان و جبل يفرن . و خصصت في هذه المناطق , مساحات شاسعة لغراسة اشجار الزيتون و غيرها من الاشجار المثمرة ....." [1]

ب . الأمطار:

تتمتع منطقة مسلاته بمعدل أمطار معتدل نسبياً ، ويرجع هذا إلى عامل الارتفاع ومواجهة الرياح الممطرة . ويعتمد الموسم الزراعي في المنطقة اعتماداً كبيراً على كمية الأمطار الساقطة، وكذلك توزيعها المنتظم على الموسم الزراعي، كذلك تربية الحيوانات تعتمد اعتماداً كبيراً على الأمطار، فقلتها يؤدي إلى شح المراعي مما يزيد من ارتفاع تكلفة الإنتاج الحيواني . ويظهر الجدول رقم (2) ، والشكل رقم (2) مجموع كميات الأمطار الساقطة على المنطقة في الفترة من 1990 م – 2000 م :[2]

جدول رقم 2 **كميات الامظار في منطقة مسلاتة للفترة من 1990 الي2000 بالمليمتر**

السنة المحسوبة	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	المجموع الكلي	المتوسط السنوي ملم
المجموع السنوي	414	405	248	183	372	340	321	182	347	306	258	3376	337.6 ملم

المصدر : مصلحة الارصاد الجوية التقرير السنوي محطة ارصاد الخمس * بيانات غير مبينة

[1] جيري لين فاولر- الاستيطان الزراعي الايطالي في ليبيا – منطقة طرابلس , منشورات مركز دراسة جهاد الليبين ضد الغزو الايطالي .ط 1. 1988 م . ص 28

[2] المهدي صالح بن صالح- التحليل المكاني للإنتاج الزراعي و الحيواني في منطقة مسلاته – رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة المرقب – ص 64

الشكل رقم 2 كميات الامطار في منطقة مسلاتة للفترة من 1990 الي 2000 بالمليمتر

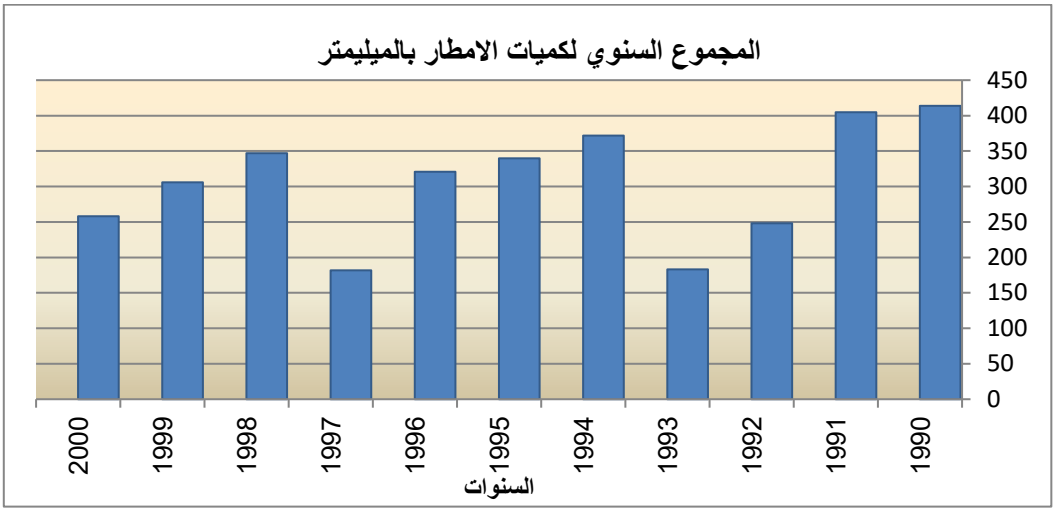

المصدر : بناء علي بيانات الجدول رقم (2)

حيث يتبين أن معدلات الأمطار السنوية تختلف من سنة إلى أخرى ، وهذا يرجع إلى طبيعة سقوط الأمطار على شمال ليبيا ، التي تتميز بالتذبذب ، كما أن الأمطار بالشمال الليبي عرضة إلى تبدلات فصلية وسنوية ودورية لها اثر سلبي ينتج عنه تاثيرات علي انماط الحياة الاقتصادية و الاجتماعية بالمنطقة إذ أن اغلب المناشط الزراعية و هي الركيزة الاقتصادية الاولى لسكان المنطقة مرتبطة ارتباطا تاما بمواسم سقوط الامطار كما ان لسقوط الامطار دور في توفير مصادر للمياه المخزنة اثناء فترات الجفاف .

من الجدول رقم (2) نجد أن متوسط فترة القياس (1990–2000) من الأمطار بلغ حوال338 ملم ، و ما يمكن تصنيفه ضمن الاقاليم المتوسطي الذي يتميز بالحرارة و الجفاف صيفا و الدفئ و المطر شتاء مما يتيح فرصة كبيرة لنشاطات بشرية و تنوع بيئي كبير حيث يبرز ذلك الاثر في كثافة الغطاء النبات الطبيعي و تنوعه و الذي يعد ركيزة اساسية لقيام النشاطات الرعوية في مختلف انحاء المنطقة علي تنوع مظاهر السطح فيها كما ان معدلات الامطار التي تصل الي قرابة 340ملم كمتوسط عام يمكن ان تتيح فرصة استغلال الامطار في نشاطات اقتصادية متعددة كالصناعات الغذائية و عمليات البناء و التعمير ، و لقد استغل السكان في منطقة مسلاته قديما و حديثا الكميات الزائدة من مياه الامطار بتجميعها في الابار و حجز ما يمكن في السدود المقامة في مجار الوديان و الذي من شأنه يجع من المنطقة بيئة ملائمة للاستقرار و بيئة جاذبة للمستفيدين من ماهو متاح من الموارد الطبيعية المختلفة

الصور التالية توضح بعض صور استغلال مياه الامطار قديما من خلال اقامة السدود و حفر الابار لتجميع المياه الساقطة خلال الفترات المطيرة و الاحتفاظ بها في فترات الجفاف

صور 3 توضح شكل الابار و السدود المقامة لتجميع مياه الامطار قديماً

من ارشيف الاستاذ اسامة العزومي ابوعائشة من واقع الدراسات الميدانية للاماكن الأثرية بمنطقة مسلاته

ج – الضغط الجوي والرياح :

يعتبر الضغط الجوي من أهم عناصر المناخ ، فاختلاف الضغط الجوي يؤدي إلى حركة الهواء من مناطق الضغط المرتفع إلى مناطق الضغط المنخفض على شكل رياح ، يتأثر الشمال الليبي نتيجة مرور الأعاصير على البحر المتوسط برياح شمالية غربية رطبة ، وهي المسئولة عن سقوط الأمطار الشتوية على الساحل الليبي .. كما تتعرض المنطقة في اواخر الربيع و بدايات الصف لهبوب الرياح المحلية التي تعرف محليا (برياح القبلي) واستنتاجا مما سبق يتضح لنا سبب تموضع اغلب التمركزات السكانية القديمة بالمنطقة في الناحية الشمالية الشرقية من المرتفعات حيث يتم اتخاذ هذه المرتفعات كمصدات للرياح الدائمة و الباردة التي تعرف محليا (رياح البحري) أي انها قادمة من اتجاه البحر و هذا ما يعطي دلالات علي اثر العوامل المناخية في تحديد مواقع المناطق العمرانية كما نلاحظ اتخاذ العديد من المساكن واجهات معاكسة لاتجاه الرياح تجنبا للأخطار الصحية الناجمة عن مواجهة الرياح الدائمة فمن خلال ما تظهره الصورة الجوية يتضح استغلال السكان للجوانب الشرقية للتلال بدلا من الغربية و ذلك تجنبا للتيارات الدائمة من الرياح الشمالية الغربية الباردة التي تتسبب في العديد من الامراض نتيجة نزلات البرد و هنا يتجلى التاثير الحقيقي للرياح في تحديد نوع المسكن و تصميمه ، فغالبا ما يتخذ سكان مسلاته و خاصة في القرى القديمة مساكن مفتوحة لأجل استغلال الهواء للدخول الي الحجرات و كما يراعي في الحجرات الخاصة بالمبيت ان لا تكون مواجه للرياح الشمالية الغربية الباردة و لا تفتح فيها النوافذ و تكون ابوابهم و نوافذهم اغلبها في اتجاه الشرق استغلالا للتدفئة الناجمة من دخول اشعة الشمس

خريطة 4 توضح موضع التجمعات السكنية القديمة خلف التلال لصد الرياح الشمالية

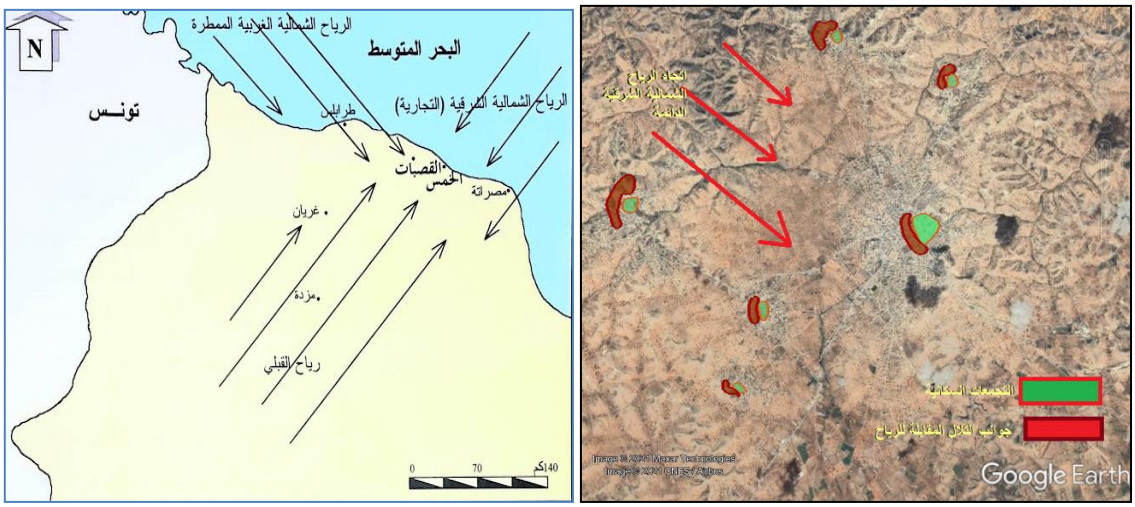

المصدر : محمد المبروك المهدوي ، جغرافية ليبيا البشرية ص 57

د – الرطوبة :

نظراً لموقع منطقة مسلاته القريب من البحر فإنها مثل بقية الساحل الليبي ، الذي يتميز بارتفاع الرطوبة النسبية خصوصاً فصل الصيف وأواخر فصل الخريف ، بسبب نشاط عملية التبخر ، وهبوب الرياح بانتظام تقريباً من ناحية البحر ، حيث يصل معدل الرطوبة أحيانا إلى أكثر من 80 % ، وقد يحدث أن تنخفض الرطوبة النسبية انخفاضاً شديداً في بعض الأيام ، خصوصاً عند هبوب رياح القبلي المحلية من ناحية الصحراء ، حاملة معها هواءً مداريا قاريا شديد الجفاف مما يؤدي إلى انخفاض الرطوبة إلى أقل من 10 %. [1]

أما فصل الشتاء فتنخفض نسبة الرطوبة نظرا للبرودة وقلة التبخر ، وتلعب الرطوبة الجوية دورا مهما في العملية الزراعية فارتفاعها يؤدي إلى التقليل من الاحتياجات المائية لجميع أنواع النباتات وخاصة تلك التي تعتمد على الأمطار .

ان ارتفاع نسبة الرطوبة في بعض ايام السنة جعل من السكان يتخذون انماطا معينة للتكيف مع هذه الظاهرة حيث نلاحظ ايضا من خلال صور الاقمار الصناعية ان اغلب السكان لا يفضلون انشاء مساكنهم في الاماكن التي تعلو فيها نسبة الرطوبة وزيادة نسبة الندى كمثال لذلك هو حال منطقة المزارة و هي عبارة امتداد للوديان الجافة التي قد تنعدم فيها الرؤية الي الساعات الاولي من النهار و خاصة في فصل الخريف حيث يشتد فيها الصقيع و هي منطقة تحيط بمركز المدينة و هو النطاق المستمر مع امتداد الاودية الجافة

التربـة :

التربة هي الطبقة السطحية المفككة من القشرة الأرضية ، والتي تكونت نتيجة تحلل الصخور وتفتتها أو نتيجة تحلل المواد العضوية أو منهما معا ، وتعد التربة إضافة إلى المياه أساس نجاح العملية الزراعية في أي منطقة . والتربة من العوامل الطبيعية المهمة و التي تؤثر في استقرار المجتمعات السكانية حيث انها تعد اهم عامل لقيام النشاط الزراعي و كما انها تعد اهم مواد البناء الداخلة في انشاء المساكن بالاضافة الي الصخور الداخلة في نفس العملية

[1] عبد العزيز طريح شرف , جغرافية ليبيا ط3 ص 97

فقد جرت بعض الدراسات الحديثة و التي كان من اهمها دراسة المؤسسة السوفيتية سيلخوزبروم أكسپورت Selkhozprom Export عام 1980 ف للتربة في شمال غرب ليبيا و التي تعتبر من أهم الدراسات التي شملت منطقة مسلاته ، حيث غطت هذه الدراسة منطقة شمال غرب ليبيا الواقعة شمال خط المطر 200 ملم ومساحة 1.66 مليون هكتار ، وأعدت خرائط لتصنيف التربة ، و القدرة الإنتاجية للأرض ، و الاستغلال الزراعي الأمثل للأرض ، وخرائط التعرية ، والانجراف ، والملوحة .

أنواع التربة في منطقة مسلاته:

قامت مؤسسه سيلخوزبروم عند دراستها للتربة في شمال غرب ليبيا بتحديد أنواع الترب السائدة في هذه المنطقة ومعرفة خصائصها الطبيعة والكيماوية،

ومن أهم أنواع الترب السائدة في شمال ليبيا التربة البنية الجافة، التربة البنية الجافة، التربة الحجرية الضحلة ...

أما بالنسبة لمنطقة مسلاته يسود فيها نوعان رئيسيان من التربة هما: التربة الجافة البنية المحمرة والتربة الحجرية الضحلة، وقد تتداخل التربة البنية المحمرة مع التربة الحجرية الضحلة في أنحاء واسعة من المنطقة.[1]

1- التربة الجافة البنية المحمرة REDISH BROWN ARID SOIL :

حيث تتميز هذه التربة، بانخفاض محتواها من عناصر الفسفور، والنيتروجين، والزنك، والحديد، والمنجنيز، بينما تحتوي على كميات كافية من عناصر البوتاسيوم، إلا أنها تتميز بانخفاض محتواها من المواد العضوية، و بأن قدرتها الخصوبية تعتبر جيدة بسبب وجود كميات لا بأس بها من العناصر المهمة لنمو العديد من النباتات الطبيعية .

ويوجد هذا النوع من التربة في منطقة مسلاته في جنوب شرق المدينة (محلة أوعيني) والأشراف وقرية زعفران غرب القصبات ومحلتي بن ناصر وسم الديس. , بينما هناك مناطق يتداخل فيها هذا النوع من التربة مع التربة الحجرية الضحلة كما هو الحال في مناطق شاسعة من شمال المنطقة وجنوبها.

2- التربة الحجرية الضحلة LITHOSOLS:

يشكل هذا النوع من التربة حوالي 21.7% من مساحة المنطقة المدروسة في شمال غرب ليبيا، وقد صنفها ابن محمود والجنديل من ضمن التكوينات غير الترابية، حيث تتميز هذه التربة بضحولتها فلا يزيد سمك قطاع تربتها في أغلب الأحيان عن 30 سم، لذا فإنها فقيرة من العناصر الغذائية والمواد العضوية والنيتروجين والفسفور، وتميل للقاعدية وذات قوام طمي خفيف، ومعرضة اللانجراف والتعرية، بسبب انخفاض كثافة الغطاء النباتي.[2]

وينتشر هذا النوع من التربة في المنطقة الشمالية الجبلية من منطقة مسلاته شمال قريتي سينداره وبني مسلم، وكذلك يسود هذا النوع من التربة أينما يسود المظهر الجبلي كما هو الحال شرق مدينة القصبات وشمال غرب منطقة الخمري، وتوجد أيضاً متداخلة التربة الجافة البنية المحمرة في أجزاء واسعة من المنطقة شمالاً وجنوباً.

و بشكل موجز يمكن ان تعتبر معظم اراضي مسلاته ذات تربة جيدة و مناسبة لإقامة مناشط بشرية فيها حيث يمكن ان يتم زراعتها او استخدامها في مواد البناء و التعمير كما انها تربة سهلة الحفر لإنشاء الابار و المخازن

[1] خالد رمضان بن محمود، عدنان رشيد الجندبل، دراسة التربة في الحقل، منشورات جامعة الفاتح، 984 اف، ص 190.

[2] خالد رمضان بن محمود، عدنان رشيد الجندبل، دراسة التربة في الحقل، منشورات جامعة الفاتح- 984 1ف، ص 190.

الارضية التي تحفظ فيها المحاصيل الزراعية حيث تحفظ في مكامن ارضية تعرف محليا بـ (المطمور) نسبة الي عملية الطمر و الاغلاق كمان المساحات الوعرة منها و المتمثلة في سفوح التلال تعد مناسبة لنمو بعض النباتات الطبيعية التي تستغل في رعي المواشي و استخدام البعض منها في مناشط مختلفة

النباتات الطبيعية:

يقصد بها تلك النباتات التي لم يكن للإنسان دور في نموها أو زراعتها، وقد أشار أحد الباحثين إلى أن النباتات الطبيعية من أهم عوامل تكوين التربة، حيث تمدها بالمخلفات النباتية (أوراق متساقطة وجذور ميتة) وهي المسؤول الرئيسي عن المحتوى العضوي لها، كما أنها تلعب دوراً أساسياً في بعض عمليات التجوية الطبيعية والكيماوية[1]. إن النباتات الطبيعية تحدد نوعية المراعي الطبيعية التي يمكن أن توفر العلف الطبيعي للحيوانات في أي إقليم، ويعتبر المناخ وخاصة الأمطار من أهم العوامل المؤثرة ، فكلما زادت كمية الأمطار زادت كثافة الغطاء النباتي، إلاّ أن الاختلافات المحلية في نوع التربة والمظاهر الطبوغرافية هي المسئولة غالباً عن الاختلافات التي تميز نباتات بعض المواضع عن نباتات البعض الآخر منها في الإقليم النباتي الواحد[2] ومنطقة مسلاته لا تخرج عن هذا السياق.

ونظراً لموقع منطقة مسلاته القريب من البحر، فقد تميزت من حيث الغطاء النباتي عن المناطق الجبلية الأخرى المكونة للجبل الغربي، وبين طريح شرف أن الحياة النباتية الغنية التي تتغطى بها الجبال في بعض الجهات القريبة من البحر (ومسلاته إحداها) لا يرجع إلى عامل الارتفاع بقدر ما يعود إلى الاقتراب من البحر، موضحة أن أثر الصحراء يتفوق على أثر البحر في مرتفعات ترهونة ويفرن بينما يحدث العكس في هضاب ومرتفعات مسلاته الذي تسيطر عليه الظروف البحرية،[3].

وتتأثر النباتات الطبيعية بالمنطقة بشكل كبير إيجابيا بتدخل الإنسان الذي يعمل على تنميتها والمحافظة عليها أو سلبية بتدميرها من خلال الرعي الجائر، وقطع الأشجار، والمساهمة في تعرية التربة وانجرافها بأي شكل من الأشكال، و أن الحياة النباتية بالمنطقة شأنها شأن أكثر الأقاليم النباتية في ليبيا، تتكون من عدة أنواع لعلّ أهمها الشجيرات المعمرة كالزعتر والكليل وكذلك الأعشاب والحشائش التي تنمو في موسم سقوط الأمطار ثم تموت في فصل الجفاف،. [4]

وفيما يلي نبذة عن بعض النباتات الطبيعية في المنطقة:–

النباتات المعمرة:

أ) السدر:

نبات شوكي شائع الانتشار في سهول المنطقة الساحلية، يصل ارتفاعه إلى عدة أمتار، وقد أوضحت إحدى الدراسات أنه غالباً ما تخرج عدة سيقان بجانب بعضها، ساقه وأغصانه خضراء مائلة للرمادية، عليها أشواك حادة، وأوراقه بيضاوية خضراء مصفر[5]. يوجد هذا النوع من النبات في جميع مناطق مسلاته، حيث ترعى عليه

[1] رمضان بن محمود، الترب الليبية تكوينها تصنيفها خواصها إمكانياتها الزراعية، الهيئة القومية للبحث العلمي، ط1، طرابلس، 995اف، ص 104

[2] عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، طا، مصدر سابق ، ص 242

[3] عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، ط1، مصدر سابق، ص 263، 264.

[4] المصدر السابق، ص 244.

[5] عبد الله عبد الحكيم القاضي، صفية محمد ما بشينة، استعمالات بعض النباتات في الطب الشعبي الهيئة القومية للبحث العلمي، 1988، ص 107.

الحيوانات خاصة الماعز، وتحتل النبتة الواحدة مساحة كبيرة يصل قطرها إلى بضعة أمتار، لذلك يلجأ المزارعون في المنطقة إلى قطعها واستخدام هذه المساحة الزراعة، وعليه فإن أعدادها في تناقص مستمر.

ب) الحلفاء:

وهي من النباتات العشبية المعمرة، أوراقها ملتفة مدببة، وتنمو في الترب الصلبة الرقيقة، حيث تغطى التلال والمرتفعات في المنطقة إلى جانب الشجيرات الأخرى مثل الزعتر والكليل وغيرها، فقد كانت لها أهمية اقتصادية كبيرة خاصة في فترة الاحتلال الإيطالي لليبيا، إذ كانت تجمع ثم تكبس في المصانع الموجودة في طرابلس والخمس قبل تصديرها إلى الخارج لإدخالها في صناعة الورق، وتقتصر أهميتها الآن على استخدامها في بعض الصناعات التقليدية البسيطة، كما أنها تعتبر غداءً للحيوانات التي ترعى عليها في بعض مواسم السنة [1].

صورة (4) نبات الحلفاء والزعتر وهي تغطي التلال والمرتفعات في محمية الشعافيين

من واقع الدراسة الميدانية لمنطقة الدراسة

ج) الزعتر:

نبات معمر ينتشر بكثرة على التلال والمرتفعات بالمنطقة، ويكثر وجوده بشكل عام في إقليم الجبل الغربي والجبل الأخضر، وقد وصفته إحدى الدراسات بأن أغصانه كثيفة، وأوراقه صغيرة، والأزهار زرقاء أو بيضاء، وهي توجد في نهاية الفروع على هيئة كتل، كما بينت دراسات أخرى أن ارتفاع هذا النبات يبلغ حوالي 40سم، وينتشر أفقياً على شكل دوائر، وتتميز أوراقه بأنها ذات رائحة زكية نفاذه، وأزهار هذا النبات لها أهمية كبيرة في إنتاج العسل الطبيعي ذي الجودة العالية، الأمر الذي شجع بعض مربي النحل على استثمار هذه الثروة.

د) الكليل:

نبات معمر دائم الخضرة، أوراقه صغيرة إبرية الشكل، تخرج منها رائحة عطرية، والأزهار لونها بنفسجي، تميل إلى الزرقة، ويشبه إلى حد ما نبات الزعتر، ينتشر في المنطقة على التلال والهضاب والمرتفعات خاصة الأراضي

[1] المصدر السابق ص 108

الجيرية وعلى المنحدرات المواجهة للشمس، إلاّ أنه أقل انتشارا من الزعتر في المنطقة، ويستعمل في أغراض أخرى متعددة.[1]

هـ) القندول (القنديل):

نبات ذو أغصان شوكية متشابكة، وله أزهار صفراء اللون، وأوراقه ثلاثية، ينمو في التربة المتماسكة المختلطة بالأحجار، ويستغل هذا النبات في رعي بعض الحيوانات خاصة الماعز، وهو نبات واسع الانتشار في مختلف أنحاء المنطقة، ويتضايق منه المزارعون، وينتشر بكثرة على السفوح والمدرجات الهضبية والجبلية ويقل نوعا في الأراضي المنخفضة والأحواض المنبسطة.

هذا بالإضافة إلى وجود العديد من الأنواع الأخرى من النباتات المعمرة، والتي تنتشر خاصة على التلال والهضاب والمرتفعات مثل نبات الشعال وأشجار الطلح والعوسج وغيرها.

الحشائش والأعشاب الفصلية:

تعتبر الحشائش والأعشاب الفصلية من أكثر النباتات الطبيعية أهمية، نظراً لاستغلالها كمراعٍ للحيوانات، أو تجفيفها تم كبسها وتقديمها كعلف لها، وهذه الحشائش والأعشاب من الأنواع الفصلية، حيث تتعرض للجفاف وتبقى بذورها في طور السبات بعد تبعثرها وانتشارها حتى تتوفر الظروف الملائمة لنموها خاصة الماء، لذلك فإن كمية المطر السنوي هي المحدد الأساسي لنمو هذه الأعشاب والحشائش، وبالتالي فإن جودة المرعى تتوقف على كمية الأمطار السنوية ومدى توزيعها المنتظم على مختلف أشهر موسمها. وعادة ما تسود بعض أنواع الحشائش على بقية الأنواع الأخرى[2]

صورة (5) نبات المراعي الفصلية في بمحلة القلعة

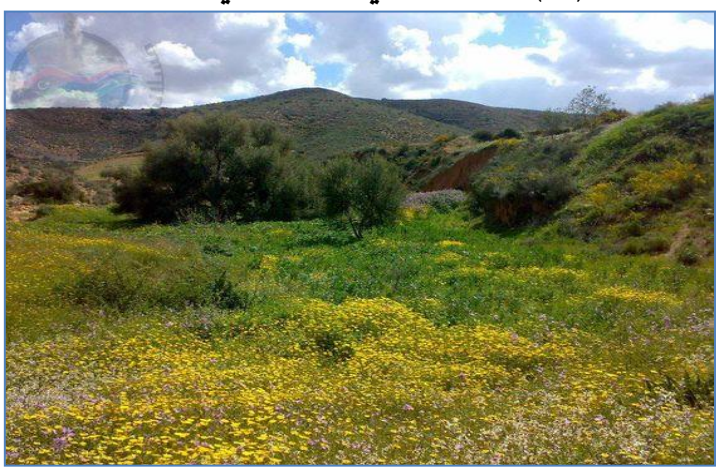

من ارشيف الاستاذ اسامة العزومي ابوعائشة بمنطقة مسلاته

أ- الحارة:

يعد هذا النبات من أكثر النباتات الفصلية انتشاراً، وهو من أهم نباتات المرعى في المنطقة، ويستخدم لرعي الحيوانات مباشرة، وكذلك تتم عملية كبسه بعد تجفيفه (الخرطان) ويقدم كعلف للحيوانات

[1] احمد صالح احمد – الاعشاب في ليبيا – مركز البحوث الزراعية – ط1 – طرابلس -1988 – ص 22 .في المهدي صالح مصدر سابق ص63 .
[2] احمد صالح احمد – الاعشاب في ليبيا – مركز البحوث الزراعية – ط1 – طرابلس -1988 – ص 19 .في المهدي صالح - مصدر سابق ص64 .

ج – العسلوز:

نبات عشبي حولي، ينمو في السهول والأراضي المتوسطة الارتفاع ذات الترب الرملية أو الطميية أو الطينية، ويزهر في الفترة من (يناير – مارس)، ويتكاثر بالبذور، وغالباً ما ينتشر في المناطق المزروعة بمحاصيل الحبوب، وهو نبات مفضل لحيوانات الرعي.

د– النجم:

وهو نبات عشبي من الأعشاب المعمرة، ينمو في السهول والمناطق الساحلية ذات الترب الرملية الرطبة أو الرملية الطينية، ويتكاثر النبات بالسيقان الأرضية والجذور، ويوجد في المنطقة بالأحواض والأراضي السهلية وفي أماكن تعرف بالرباطات والحوائز، أينما تتوفر إمكانية ركود مياه الأمطار.

هـ_ الخبيز:

هو عشب بري ينمو بكثرة في جميع المناطق البعلية والمروية، وخاصة الأماكن التي توجد بها أسمدة عضوية، يصل ارتفاعه أحيانا إلى حوالي متر، وأوراقه مستديرة، ويزهر خلال فصل الربيع فتظهر له أزهار بنفسجية وثماره مستديرة الشكل، كما ينمو بالمناطق المروية، وكلما زاد عرض الأوراق دل ذلك على جودة مكان المنبت لهذا النبات، كما أن ميل الأوراق إلى الخضرة الداكنة المائلة للزرقة معناه غني المنبت بمتطلبات النبات للنمو، ويعد غذاءً جيداً للحيوانات.

هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الحشائش والأعشاب الفصلية الأخرى التي تنمو إثر سقوط المطر وما تلبث أن تموت مع بداية موسم الجفاف، لتشكل نباتات المراعي التي تعتمد عليها تربية الحيوان في المنطقة.

مصادر المياه

مياه الامطار و العيون

تعد المياه من اهم العوامل الرئيسية التي تحدد مراكز التوطن البشري فبدون مصدر دائم للمياه لن تكون هناك نهضة حضرية و بشرية في أي مكان في العالم و قد تم الاشارة الي ان مسلاته تعتمد بشكل رئيسي علي مياه الامطار في جميع مناشطها الحياتية و من اهم اسباب الانتشار لمواضع القرى في منطقة مسلاته كان مرده بالدرجة الاولى الي تركز كل مجموعة سكانية حول مصدر من مصادر المياه لكي تقوم عليها مناشط الحياة المختلفة من بين التجمعات من كان يعتمد علي المياه المجمعة في الابار (الماجن) و التي تنشأ بمقربة من المنحدرات لغرض حفظ المياه في فترات الجفاف و البعض كان يعتمد علي مياه العيون و الينابيع التي كانت تجري في مجاري الاودية في فترات سقوط الامطار و الي زمن قريب من الان

صورة رقم 6 احد السدود المقامة لتجميع مياه الامطار قرية مومن

من واقع الدراسة الميدانية لمنطقة الدراسة

الا ان هناك شواهد تدل علي اقامة العديد من السدود لتجميع المياه و استغلالها في فترات الجفاف و اقامة المرافق حول هذه السدود لحمايتها من التخريب و التلف و قد يدل ذلك علي قيام حضارات زاهرة بالمطقة تطور فيها الانسان الي احداث نهضة زراعية و صناعية متطورة في زمنها

نتائج البحث

تكمن اهم النتائج لهذا البحث في النقاط التالية :

1. تتميرز منطقة الدراسة بتنوع تضاريسها حيث المرتفعات و في الناحية الشمالية الغربية و تزداد الجبال ارتفاعا و تتقلص المساحات المنبسطة بالانجاه غربا ,في حين تقل التعاريج و التموجات في الجانب الجنوبي الغربي من المنطقة.
2. لقد كان لعنصر تضرس الارض دور في تحديد نمط التوزيع للتجمعات السكانية
3. لقد كان لعناصر المناخ دور كبير في توفير بيئة مناسبة للاستقرار في منطقة مسلاته حيث انه كان العامل الرئيس في تكوين بيئة ملائمة لتوفير موارد متعددة للسكان و اهم عوامل الجذب و الاستقرار في فترات النشأة الاولي للمنطقة
4. هناك شواهد و اثار تاريخية تدل علي ان الانسان اقام في منطقة مسلاته منذ فترات تاريخية قديمة مما يدل علي ان الظروف المناخية السائدة كانت ملائمة لتوطن الانسان في ذلك الوقت
5. اثرت العوامل الجغرافية في نمط العمارة وشكل البناء في منطقة مسلاتة

المراجع

- احمد صالح احمد، الأعشاب في ليبيا، مركز البحوث الزراعية، ط١، طرابلس، 1988.
- انيس زكي حسن , مرتقعات إلاهات الجمال , مكتبة الفرجاني , طرابلس .
- جميل هلال, دراسة في الواقع الليبي .منشورات مكتبة الفكر– طرابلس – 1976 .
- جيري لين فاولر– الاستيطان الزراعي الايطالي في ليبيا – منطقة طرابلس , منشورات مركز دراسة جهاد الليبين ضد الغزو الايطالي .ط 1. 1988 م .
- خالد رمضان بن محمود، عدنان رشيد الجندبل، دراسة التربة في الحقل، منشورات جامعة الفاتح،984 اف .
- سالم علي الحجاجي– ليبيا الجديدة – منشورات مجمع الفاتح للجامعات –طرابلس – 1989 .
- صبري الهيتي و صالح فليج – جغرافية المدن – جامعة بغداد . د .ت .
- رمضان بن محمود، الترب الليبية تكوينها تصنيفها خواصها إمكانياتها الزراعية، الهيئة القومية
- عبد العزيز طريح شرف , جغرافية ليبيا ط3 .
- عبد الله عبد الحكيم القاضي، صفية محمد ما بشينة– استعمالات بعض النباتات في الطب الشعبي – الهيئة القومية للبحث العلمي – طرابلس – 1988 .
- علي فهمي خشيم . نصوص ليبية , دار مكتبة الفكر طرابلس . ط2 . 1975 م .
- عماد الدين غانم , رحلة عبر افريقيا , مشاهدات الرحالة الالماني رولفسلافي ليبيا و برنو و خليج غينيا , منشورات مركز جهاد الليبين , طرابلس . ط1, 1996 م .
- فتحي محمد ابو عيانة –الجغرافية البشرية , بيروت . د . ت .
- محمد السيد غلاب لا–يسري الجوهري . جغرافية الحضر , منشأة المعارف . الاسكندرية . 1991 .
- محمد المبروك المهدوي – جغرافية ليبيا البشرية – منشورات المنشأة الشعبية للنشر – جامعة قاريونس .
- الليبية، غير منشور، مسلاتة، 2001ف.
- محمد علي فضل، الهادي مصطفى أبو القمة، الموارد المائية، في كتاب الجماهيرية لدراسة في الجغرافيا
- محمد ناجي , طرابلس الغرب , دار مكتبة الفكر , طرابلس , 1973 م
- محمد نجم , احسان عباس , ليبيا في كتب الجغرافيا و الرحلات , دار ليبيا للنشر و التوزيع . بنغازي 1968 م .
- تقرير قسم المياه والتربة بأمانة الزراعة بمؤتمر القصاب، غير منشور، 2004ف.
- الاطلس الوطني . امانة التخطيط . مصلحة المساحة , 1978 م , ط1.
- محمد المنتصف شريمة، تقرير عن وضعية المياه في ليبيا مع شيء من التفصيل عنها في مسلاتة، الملتقى السابع للجمعية الجغرافية الهيئة القومية للبحث العلمي، 1988.

- المهدي صالح بن صالح –التحليل المكاني للإنتاج الزراعي و الحيواني في منطقة مسلاته – رسالة ماجستير غير منشورة – جامعة المرقب 2005 .
- أ . اسامة العزومي ابو عائشة (مقابلة شخصية) باحث متخصص في التاريخ القديم

ختاما

نتمني ان نكون وفقانا في اعطاء لمحة بسيطة عن اهم الظواهر الجغرافية و الظروف المناخية التي ساعدة الانسان في تكون احد ابرز رموز الحضارة الانسانية في شمال الغرب الليبي في منطقة مسلاتة عموما و في مركزها القصبات بشكل خاص

شكرا لمن وجهنا و لمن اعاننا ولمن ساهم معنا في انجاز باكورة اعمالنا في مجال البحث العلمي
و الشكر موصول الي من قدم لنا النصيحة و اشار الي مكامن الخلل و القصور في هذا العمل و الذي نتمني ان نكون قد وفقنا الي الاخذ باهم الملاحظات التي قدمت و الت تلقيناها بكل رحابة صدر و الذي من شأنه ان يخرج هذا العمل بالشكل الذي ينبغي ان يكون عليه أي عمل بحثي متخصص

و نختم قولنا بالصلاة و السلام علي النبي المصطفى و علي آله و صحبه الكرام

هل ما يوجد في القرآن الكريم فواصل أم أسجاع ؟

د. سالم مفتاح علي امبارك
كلية الشريعة – جامعة الزيتونة

إن الحمد للهِ رب العالمين نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ونشهد أن لا إلَه إلاّ الله وحمده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبدالله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد :

فإنَّ علوم كتاب الله تعالى كثيرة لا تنحصر، ومنها علم جليل يتعلق بالفواصل القرآنية، وقد ذكره الإمام بدر الدين الزركشي (ت 794 هـ) في كتاب البرهان في علوم القرآن في النوع الثالث، تحت عنوان (معرفة الفواصل ورؤوس الآي، وذكره الإمام جلال الدين السيوطـي (ت 911 هـ) في كتاب الإتقان في علوم القرآن في النوع التاسع والخمسين تحت عنوان (في فواصل الآي) ، فالقرآن الكريم فيه فواصل تتحد فيها المقاطع ، والمقصد الأول والأعظم فيها هي المعاني، وتأتي الألفاظ تابعة لذلك، وبعض العلماء يرون أن ما جاء في القرآن الكريم مما اتفقت حروفه في آخر الآيات ، وجاء على نمط واحد هو فاصلة ولا يسمى سجعاً، ويرى آخرون منهم أنه لا بأس بتسمية ذلك سجعاً، ومن هنا ظهر الخلاف بينهم في التسمية وليس في المضمون، فهل يقال: في القرآن الكريم فواصل أم يقال: أسجاع ؛ ولبيان ذلك وتوضيح أدلة كل فريق كان هذا البحث والذي يشتمل على ثلاثة مباحث كالآتي :

المبحث الأول : تعريف الفاصلة وتعريف السجع

المطلب الأول : تعريف الفاصلة

المطلب الثاني : تعريف السجع

المبحث الثاني : علماء أثبتوا الفاصلة ومنعوا إطلاق لفظة السجع

المبحث الثالث : علماء استعملوا لفظة السجع

المبحث الأول: تعريف الفاصلة وتعريف السجع

المطلب الأول: تعريف الفاصلة لغة واصطلاحاً

1- تعريف الفاصلة لغة:

جاء في مقاييس اللغة لابن فارس:

" باب الفاء والصاد وما يثلثهما–فصل–الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تدل على تمييز الشئ من الشئ وإبانته عنه .(ابن فارس، مقاييس اللغة، 1999، 5/4)

وجاء في لسان العرب لابن منظور :

" والفاصلة الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام ، وعقد مفصّل ، أي جعل بين كل لؤلؤتين خرزة " (ابن منظور ،لسان العرب، د: ت 3424/5)

وجاء في لسان العرب أيضاً:

" وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر _ جلّ كتاب الله عز وجل _ واحدتها فاصلة " (المصدر نفسه)

وقال الأزهري (ت 370 هـ) في تهذيب اللغة :

" أواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر ، واحدتها فاصلة "(الأزهري ، تهذيب اللغة 2007 ،341/9).

2- تعريف الفاصلة في الاصطلاح :

قال بدرالدين الزركشي (ت 794 هـ) :

" وهي كلمة آخر الآية ، كقافية الشعر ، وقرينة السجع ... وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب ، لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى فواصل ؛ لأنه يفصل عندها الكلامان ، وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، ولم يسموها أسجاعاً " . (الزركشي ،البرهان 2004، 52/1)

ونقل السيوطي في الإتقان ما أورده الزركشي و زاد عليه قوله :

" وأخذاً من قوله تعالى : ﴿ كِتابٌ فُصِلَت أياتهُ ﴾

ولايجوز تسميتها قوافي إجماعاً ؛ لأن الله تعالى لمّا سلب عنه اسم الشِّعر وجب سلب القافية عنه أيضاً ؛ لأنها منه وخاصة في الاصطلاح ، وكما يمتنع استعمال القافية فيه ، يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر ؛ لأنها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه " .(السيوطي ،الإتقان 2006 ،247/2)

وقال علي بن عيسي الرماني (ت 384 هـ) :

" الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني،والفواصل بلاغة " (الرماني ،النكت 1968، ص 97)

ونقل صاحب البرهان عن الإمام أبي عمرو الداني (ت 444 هـ) قوله :

" أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل ممّا بعده ، والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكذلك الفواصل يكنّ رؤوس آي وغيرها ، وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية ، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين " . (الزركشي ، البرهان 52/1)

فقد فرّق أبو عمرو الداني بين الفواصل ورؤوس الآيات .

وقال محمد الطاهر بن عاشور في المقدمة الثانية لتفسيره :

" والذى استخلصه أن الفواصل هي الكلمات التى تتماثل في أواخر حروفها أو تتقارب مع تماثل وتقارب صيغ النطق بها ..... وأعلم أن هذه الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز ؛ لأنها ترجع إلى محسنات الكلام ، وهي من جانب فصاحة الكلام فمن الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل ، لتقع في الأسماع فتتأثر نفوس السامعين

بمحاسن ذلك التماثل كما تتأثر بالقوافي في الشعر وبالأسجاع في الكلام المسجوع " . (ابن عاشور ، التحرير والتنوير 1997 ، 75/1)

المطلب الثاني : تعريف السجع في اللغة وفي الاصطلاح

1- تعريف السجع لغة :

جاء في لسان العرب (سجع يسجع سجعاً ، استوى واستقام وأشبه بعضه بعضاً) .

وجاء فيه أيضاً :

" السجع الكلام المقفىَ ، والجمع أسجاع وأساجيع ، وكلام مسجوع ، وسجع يسجع سجعاً وسجع تسجيعاً : تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن ، وصاحبه سجّاعة " . (ابن منظور ، لسان العرب 1944/3)

وجاء في معجم تاج العروس :

" السجع الكلام المقفى .... سجع كمنع يسجع سجعاً : نطق بكلام له فواصل كفواصل الشِّعر من غير وزن " . (الزبيدي ، تاج العروس 1966 ،375/5 سجع)

وقال الجوهري في الصحاح :

".. وسجعت الحمامة أي هدرت ، وسجعت الناقة أي مدّت حنينها على جهة واحدة " . (الجوهري ، الصحاح ،د: ت ، 1228/3)

2- السجع في الاصطلاح

السجع من أقسام علم البديع في البلاغة العربية ، وقد عرفه العلماء بعدة تعريفات منها :

" تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد وهذا التعريف لابن الأثير في كتابه المثل السائر .(ابن الأثير ،المثل السائر ،د : ت ،5/4)

وجاء في بديع القرآن لابن أبي الأصبع (ت 654 هـ) :

" السجع هو أن يتوخى المتكلم تسجيع جمل كلامه " (ابن أبي الأصبع ، بديع القرآن ص 108)

وجاء في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ)" أن يكون الجزآن متوازيين متعادلين،لايزيد أحدهما على الآخر، مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه". (العسكري ، الصناعتين 1986 ،ص 262)

وعرّفه بدوي طبانة بقوله :

" ومعناه – أي السجع – في لغة علماء البيان : اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن ، أو في مجموعهما ، فإن اتفقت الأعجاز في الفواصل مع اتفاق الوزن سمى المتوازي ، وإن اتفقا في الأعجاز من غير وزن سُمي المطرّف ، وإن أتفقا في الوزن دون الحرف سمي المتوازن " . (بدوي ، معجم البلاغة 1975 ،333/1)

والذي يبدو من هذه التعريفات أنها جميعاً تتفق في تحديد معنى السجع وإن كانت مختلفة في طرائقها وألفاظها .

المبحث الثاني : علماء أطلقوا لفظة الفاصلة ومنعوا إطلاق لفظة السجع على ما تماثلت حروفه واتسقت ألفاظه مع معانيه في القرآن الكريم .

لقد عرف العرب قبل الإسلام الشِّعر والخطابة والسجع ، فكان الشعر ديوانهم وكانت الخطابة ميدانهم الفسيح ، والسجع استخدمه الكهان منهم للتعمية واستخدمه غيرهم في المنافرات والمخاطبات .

وكان العرب يتباهون باشعارهم وخطبهم ويعقدون المجالس والندوات تفاخراً بذلك ، فكانوا فرساناً في ميدان الفصاحة ورواداً في ميدان البلاغة ، وحين نزل القران الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد – صلى الله عليه وسلم – فاجأ العرب بأسلوب معجز لا عهد لهم به ولا قدرة لهم على أن يأتوا بسورة من مثله .

وهو الذى أنزله الله تعالى بلغتهم العربية ومؤلف من كلماتها وحروفها ، وهو ليس شعراً وليس نثراً ، إنما هو قرآن كريم كلام رب العالمين ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (سورة يوسف ، الآية (2)). وقال تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (سورة الشعراء ، الآية (195)). وقال تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (سورة الإسراء ، الآية (88)). وقال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (41) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الحاقة ، الآيتان (41 – 42)). .

فالقرآن الكريم أكد حقيقة عروبته ، ونفى أن يكون فيه لسان غير عربي قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (سورة النحل ، الآية (103)) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾(سورة فصلت، الأية(44)).

قال الإمام الشافعي رحمه الله (ت 204 هـ) :

فأقام الله – تعالى – حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها ، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه – جل ثناؤه – كل لسان غير لسان العرب . (الشافعي ، الرسالة ،2008، ص 123)

وكما هو معلوم أن كلام العرب شعر ونثر ، فالشعر له القوافي والنثر فيه السجع ، وجاء القرآن الكريم وهو ليس بقول شاعر ولا بقول كاهن ، بل هو كلام الله تعالى له من الإعجاز البياني ما جعل العرب يعجزون عن الإتيان بمثله ، وهو منزه عن مشابهة كلام البشر ، وتنزيهاً للقرآن وتشريفاً له كان العلماء يمنعون استعمال لفظة (السجع) ويتحرجون من إطلاقها على ماورد في أسلوب القرآن الكريم ، ويسمون ما ورد فواصل ومن هؤلاء العلماء :

1- علي بن عيسى الرماني (ت 384 هـ)

نفى الرماني السجع عن القرآن الكريم ، ورأى أن السجع عيب ولا يصح إطلاقه على كلام الله تعالى ، ويرى أن ما جاء في القرآن الكريم مما اتفقت حروفه في آخر الآيات وجاء على نمط واحد هو فواصل وليس سجعاً .

وفي ذلك يقول :

" الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، توجب حسن إفهام المعانى ، والفواصل بلاغة ، والسجع عيب ، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ، وهو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة " . (الرماني ، ص 97)

ويقول الرماني :

" وإنما أُخِذَ السجع في الكلام من سجع الحمام ، وذلك أنه ليس فيه إلاّ الأصوات المتشاكلة ، كما ليس في سجع الحمام إلاّ الأصوات المتشاكلة " . (الرماني ،ص 98)

2- محمد بن الطيب الباقلاّني (ت 404 هـ)

نفى الباقلاّني السجع عن القرآن الكريم وسجل ذلك بالأدلة في كتابه (إعجاز القرآن) واعتبر أن ما ورد في القرآن الكريم فواصل وليست أسجاع.

قال في الإعجاز :

" ذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع عن القرآن ، وذكره أبوالحسن الأشعري في غير موضع من كتبه ، وذهب كثير ممن يخالفهم إلى إثبات السجع في القرآن ، وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام ، وأنه من الأجناس التي يقع فيها التفاضل في البيان والفصاحة كالتجنيس والالتفات وما أشبه ذلك من الوجوه التي تعرف بها الفصاحة ، وأقوى ما يستدلون به عليه اتفاق الكل على أنّ ، موسى أفضل من هارون – عليهما السلام – ولمكان السجع قيل في موضع ﴿ هارون وموسي ﴾ ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل ﴿ موسي وهارون ﴾ وأن ما ذكروه من تقديم موسى على هارون في موضع وتأخيره عنه في موضع آخر ، لمكان السجع وتساوي مقاطع الكلام ، فليس بصحيح " . (الباقلاني ، إعجاز القرآن ،1972، ص 110)

يرى الباقلاّني أن القرآن فيه فواصل وليس أسجاع ، وردَّ على الذين زعموا أن تقديم هارون على موسى في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ (سورة طه ، الآية (70)) . وتأخيره في قوله تعالـى : ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (سورة الشعراء ، الآيتان (47،48) . هو من أجل مراعاة السجع ، واعتبر قولهم ليس بصحيح .

وأضاف الباقلاّني قائلاً :

" ولو كان القرآن سجعاً لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ، ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز ، ولو جاز أن يقولوا هو سجع معجز لجاز أن يقولوا شعر معجز ، وكيف والسجع مما كان يألفه الكُّهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بان يكون حجة من نفى الشعر " . (الباقلاني ، ص 111)

فالباقلاني ينفي ورود السجع في أسلوب القرآن الكريم ويثبت الفواصل تنزيهاً للقرآن الكريم وإظهاراً لإعجاز أسلوب الكتاب المبين .

3- ومن العلماء الذين نفوا السجع عن القرآن الكريم الفقيه الشافعي بهاءالدين السُّبكي (ت 763 هـ) وفي ذلك يقول :

" وأمّا اجتناب أسجاع ؛ فلأن أصله من سجع الطير ، فيشرف القرآن الكريم عن أن يستعار لشئ فيه لفظ هو في أصل وضعه للطائر ؛ ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في اسم السجع الذي يقع في كلام آحاد الناس ؛ ولأن القرآن صفة الله تعالى لم يجز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها ، كما لا يجوز ذلك في حقه عز وجل". (السبكي ، عروس الأفراح 2001، 452/4)

فالسّبكي – رحمه الله – نفى السجع عن أسلوب القرآن الكريم تشريفاً لكلام الله تعالى وتنزيهاً له عن الوصف بشئ مبهم كأصوات الطيور التى تسمى في لغة العرب سجعاً ، فلا يجوز وصف كلام الله بالسجع لأن ذلك لم يرد الإذن فيه من الشرع .

ويرد السّبكي على ابن سنان الخفاجي قائلاً :

" على أن الخفاجي قال في سر الفصاحة : لا ما نع في الشرع أن يُسمى في القرآن سجعاً ، ونحن لا نوافقه على ذلك ، وليس الخفاجي مما يُرجع اليه في الشرعيات " . (السبكي)

فالسّبكي لا يوافق الخفاجي في رأيه ، ولا يرضى ذلك ، ويعتبره من الذين لا يؤخذ بكلامهم في الإحكام الشرعية ، وذلك صحيح ؛ لأن الخفاجي أديب وشاعر وليس بفقيه.

4- عبدالرحمن ابن خلدون (ت 808 هـ)

هذا عالم من علماء الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع ينفي أن يكون في القرآن سجعاً ؛ لعلو منزلته وشرفه ، ويثبت أن ما في القرآن فواصل وليست أسجاع قال في المقدمة .

" إن القرآن وإن كان من المنثور إلاّ أنه خارج عن الوصفين وليس مرسلاً مطلقاً ، ولا مسجعاً ، بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع ، يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها ، ويُسمى آخر الآيات منها فواصل إذ ليست أسجاعاً ، ولا التزم فيها ما يلتزم في السجع ، ولا هي أيضاً قوافٍ " . (ابن خلدون ، المقدمة ،د : ت ، ص 417)

5- الإمام المفسر برهان الدين البقاعي (ت 885 هـ)

يقول في تفسيره (نظم الدرر) :

" وقد نفى سبحانه عن هذا القرآن المجيد تصويب النظر إلى السجع كما نفى عنه الشعر ، فانه تعالى قال : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (41) وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ ﴾ . (سورة الحاقة ، الآيتان (41 ، 42)

فكما أن قول الشاعر إتيانه بالكلام موزوناً ؛ فكذلك قول الكاهن إتيانه بالكلام مسجوعاً ، والقرآن ليس من هذا ولا من هذا ، وإن وقع فيه كل من الأمرين فغير مقصود إليه ولا معول عليه ، بل لكون المعنى انتظم به على أتم الوجوه فيؤتىَ به لذلك ، ثم تبين أنه غير مقصود بالانفكاك عنه في كثير من الأماكن بقرينة ليس لها مجانس في اللفظ لتمام المعاني المرادة عندها " . (البقاعي ، نظم الدرر 2003 ، 408/3)

فالبقاعي ينفي السجع عن القرآن الكريم ، ويرد على الذين ادعوا ذلك فيقول:

" وهذا مذهب قول من ذهب سهواً إلى أن السجع مقصود في القرآن ، وهو قول مردود غير معتدٍ به " . (البقاعي ، 253/5)

6- ومن العلماء الذين نفوا السجع عن القرآن الكريم وأثبتوا الفواصل العالم والمفسر جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) .

قال في كتاب الإتقان في علوم القرآن – النوع التاسع والخمسون في فواصل الآي : " وهل يجوز استعمال السجع في القرآن ؟ خلاف ، الجمهور على المنع ؛ لأن أصله من سجع الطير ، فشُرِف القرآن أن يُستعار لشئ منه لفظ

أصله مهمل ؛ ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك ؛ ولأن القرآن من صفاته تعالى فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها " . (السيوطي ، الإتقان 2006 ، 248/2).

فالسيوطي هنا يرى أن إطلاق لفظ السجع على كلام الله غير جائز شرعاً ، وقد أكد هذا في أكثر من كتاب من كتبه الكثيرة (ينظر السيوطي ،معترك الأقران 1988، ص 31)، ويثبت الفاصلة في القرآن فيقول : " لأنها صفة لكتاب الله فلا تتعداه " .(السيوطي ، الإتقان 248/2)

وإلى جانب هؤلاء العلماء الذين ذكرناهم نجد مفسرين آخرين يثبتون الفواصل في تفسيراتهم ومن ذلك المفسر أبو الفرج جمال الدين الجوزي (ت 597 هـ) يقول في زاد المسير عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ (سورة الأحزاب ، الآية (10) ..

" قال الزجاج : والذى عليه حذاق النحويين والمتبعون السُّنة من قرائهم أن يقرؤوا : " الطنونا " ويقفون على الألف ولايصلون ؛ وإنما فعلوا ذلك ؛ لأن أواخر الآيات عندهم فواصل يثبتون في آخرها الألف في الوقف ". (الجوزي ، زاد المسير 2002، 193/6)

وهذا الكلام نقله ابن الجوزي عن الزجاج وهو مذهب الحذاق من علماء النحو والقراء من أهل السنة .

ونجد ذلك أيضاً في التفسير الكبير للفخر الرازي (ت 604 هـ) ومن ذلك قوله : " ولاتصرف مواقيت ؛ لأنها غاية الجموع ، فصار كأن الجمع يكرر فيها ، فإن قيل : لِمَ صرفت قوارير ؟ قيل : لأنها فاصلة وقعت في رأس آية " . (الفخر الرازي ،التفسير الكبير2000، 103/5)

ويذكر المفسر القرطبي (ت 671 هـ) في تفسيره أهمية الفواصل ومكانتها ويعتبرها حلية وزينة ، فيقول " وأيضاً فإن الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم ؛ ولولاها لم يتبين المنظوم من المنثور . ولا خفاء أن الكلام المنظوم أحسن ؛ فثبت بذلك أن الفواصل من محاسن الكلام المنظوم ، فمن أظهر فواصله بالوقوف عليها فقد أبدى محاسنه ، وترك الوقوف يخفي تلك المحاسن ، ويشبه المنثور بالمنظوم ، وذلك إخلال بحق المقروء " . (القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن 2005 ،146/19)

فالقرطبي – رحمه الله – يبين للقارئ أنَّ الفواصل مرتبطة بالآيات التي سيقت من أجلها وعلى القارئ إظهار تلك الفواصل بالوقوف عليها حتى تبدو محاسنها ويتبين أثرها وجمالها في النفوس ، وأن ترك الوقوف على الفواصل فيه إخلال بحق القرآن وتلاوته .

ومـن المفسرين الذين أثبتوا الفواصل الإمام العالم والمفسر محمـد الأميـن الشنقيطـي (ت 1393هـ) حيث نجده عند تفسيره لقوله تعالى:﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (سورة طه ، الآية (70) .

يقول: " والظاهر أن تقديم هارون على موسى في هذه الآية لمراعاة فواصل الآيات " .(الشنقيطي ، أضواء البيان 1995، 472/4)

وعند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴾ (سورة طه ، الآية (79) .

يقول الشنقيطـي :

" والنكتة البلاغية في حذف المفعول في قوله تعالى : ﴿وَمَا هَدَى ﴾ ولم يقل وما هداهم : هي مراعاة فواصل الآيات ، ونظيره في القرآن قوله تعالى ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ " . (سورة الضحى ، الآية (3)

فالشنقيطي يرى أن الفواصل بلاغة تأتي حسب سياق الآيات تكون الألفاظ فيها تابعة للمعاني (الشنقيطي ،484/4) .

قال العالم الجليل الشيخ محمد بن العثيمين – رحمه الله :–

" ومراعاة الفواصل أمر ورد بهِ القرآن حتى أنه من أجل المراعاة يقدم المفضول على الفاضل ، كما في قوله تعالى ، في سورة طــه ﴿ قالوا آمنا برب العالمين رب هارون وموسى﴾ ، لأن سورة طه كلها على فاصلة ألف إلاّ بعض الآيات القليلة ، فمراعاة الفواصل إذاً من بلاغة القرآن " . (العثيمين ، تفسير القرآن 30/4 ،نقلاً عن المكتبة الشاملة)

فالشيخ العثيمين يقرر أن مراعاة الفواصل أمر جاء في القرآن الكريم وأن ذلك من بلاغة الكتاب العزيز وإعجازه .

لقد اقترن اسم موسى واسم هارون – عليهما السلام – في القرآن الكريم عشر مرات ، تسع منها تقدم فيها ذكر موسى – عليه السلام – على أخيه هارون ، أربع مرات من غير الفاصلة ، في سورة البقرة الآية (246) وفي سورة الأنعام الآية (85) ويونس الآية (75) والأنبياء الآية (48) ، وخمس مرات في الفاصلة وذلك في سورة الأعراف : ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (121) ، وفي سورة المؤمنون : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾ (45) ، وفي سورة الشعراء : ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ (48) ، وفي سورة الصافات مرتين:﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (114) ، ﴿سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (120).

وتقدم ذكر هارون على موسى في موضع واحد ، وفي الفاصلة وذلك في سورة طه : ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ (70) .

وذكر المفسرون والعلماء في تقديم هارون على موسى في سورة طه أقوالاً منها أن تقديم هارون لكبر سنه فهو أكبر من أخيه موسى ؛ ولأن فرعون ربّى موسى في صغره وادعى ربوبيته لموسى ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً﴾، (سورة الشعراء ، الآية (17) . قدم القوم ذكر هارون على موسى دفعاً لتوهم فرعون الذى أدّعى الربوبية لقومه ولموسى فأجابه القوم بإيمانهم برب العالمين رب هارون وموسى بتقديم هارون على موسى ، وكذلك مراعاة للفواصل ورؤوس الآيات ، وإظهار إعجاز القرآن الكريم بالتقديم والتأخير بتغيير النظم في القصة الواحدة مع المحافظة علـى المعنى . (ينظر الفخر الرازي 75/22، والباقلاني ص 110)

مع القطع بأن القرآن لا يفعل ذلك لفواصل الآيات وحدها على حساب المعنى ، ولا يوجد تعارض للفاصلة مع المعنى ، فالفواصل كلها بلاغة وحكمة وطريقة لإفهام المعاني ، والألفاظ تابعة للمعاني .

وذكر الزركشي في البرهان أن الفاصلة تأتي للمحافظة على حسن النظم والتئامه ، قال في التفريع الثالث : " ذكر الزمحشري في كشافه القديم أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلاّ مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذى يقتضيه حسن النظم والتئامه ، كما لايحسن تخيّر الألفاظ المونقة في السمع ، السلسة على اللسان ؛ إلاّ مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة ؛ فأمّا أن تُهمل المعاني ، ويُهتم بتحسين اللفظ وحده ، غير منظور فيه إلى مؤداه على بال ، فليس من البلاغة في فتيل أو نقير " (الزركشي 65/1) ، والفتيل : القشرة في بطن النواة ، والنقير : النقطة التي في ظهر النواة (ابن قتيبة ، غريب القرآن 1991 ، ص 113)

فالفاصلة القرآنية مرتبطة بسياق الكلام ارتباطاً وثيقاً ، وهي تؤدي دوراً بلاغياً جميلاً ، وتحدث انسجاماً صوتياً رائعاً له وقعه على الاسماع ، وأثره على القلوب ، واستقطابه للعقول ، والفواصل مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم ودليل على أنه من عند الله تعالى أنزله على رسوله محمدﷺ لا يستطيع أهل الفصاحة والبيان أن يأتوا بمثله : بل وقف العرب حيارى عاجزين أمام بيانه ونظمه ولغته لا مطمع لهم في الإتيان بمثله .

ومنذ أن بدأ عصر التأليف في العلوم القرآنية والبلاغية ، بدأت العناية بقضية الفواصل القرآنية ، وفي ذلك تقول الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ :

" ومنذ أن بدأ عصر التأليف في الدراسات القرآنية والبلاغية أخذت قضية الفواصل موضعها من عناية الأجيال الأولى من علماء العربية ، وإن لم تستقل بمباحث مفردة بل جاءت عارضة في ثنايا المصنفات القرآنية المبكرة " (بنت الشاطئ عائشة ،الإعجاز البياني ،د:ت ، ص 253)

وذكرت الدكتورة – عائشة أن الفرّاء (ت 207 هـ) عرض مسألة الفواصل عرضاً غيــر مباشر في كتابه معاني القرآن ، وكذلك أبوعبيدة (ت 310 هـ) في كتابه مجاز القرآن له وقفات عند الفواصل .(ينظر بنت الشاطئ ص 253)

وبعد هذا العرض المؤجز لآراء العلماء وأقوالهم في إثبات استعمال مصطلح الفواصل في أسلوب القرآن الكريم ونفيهم استعمال مصطلح السجع نأتي على ذكر أهم الأسباب التي دفعتهم إلى ذلك وهي :

1- تشريف القرآن الكريم – كلام الله – وتنزيهه .

2- لم يرد في القرآن الكريم ولا في الحديث الشريف أن القرآن مسجوع ، فلا يجوز وصفه بصفة لم يرد الإذن بها

3- لم ترد لفظة السجع في القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى .

4- المعنى اللغوي لكلمة السجع ، حيث ورد في معاجم اللغة العربية أن السجع هدير الحمامة ، وتصويت الناقة

5- السجع شئ يقصد في نفسه ثم يحيل المعنى عليه .

6- فهم بعض الناس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – ذم السجع في حديث دية الجنين ، ومن قصة هذا الحديث كما أورده الإمام مسلم في صحيحه :

" اقتلت امرأتان من هذيل ، فرمت إحداهما الأخرى بحجر ، فقتلتها وما في بطنها ، فاختصموا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقضىَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنّ ديةُ جنينها غُرّةٌ عبدٌ أو وليدةٌ ، وقضىَ بدية المرأة على عاقتلها ، وورّثها ولدها ومن معهم ، فقال حمل بن النابغة الهُذلي : يارسول الله ، كيف أَغَرم من لاشرب ، ولا أكل ، ولانطق ، ولا استهل ، فمثل ذلك يُطل ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " إنما هذا من إخوان الكُهان " .

وفي رواية : " أسجع كسجع الأعراب " .(مسلم ، صحيح مسلم 2012 ، ص 557، كتاب القسامة باب دية الجنين ، الحديثان رقم 1681، 1682)

والحديث في سنن النسائي عن أبى هريرة أيضاً أنه قال : " اقتتلت امرأتان من هُذيل فرمت إحداهما الأخرى بحجر ، وذكر كلمة معناها فقتلتها وما في بطنها فاختصموا إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، أن دية جنينها غُرةٌ عبدٌ أو وليدةٌ ، وقضى بدية المرأة على عاقلتها وورّثها

ولدها ومن معهم . فقال حمل بن مالك بن النابغة الهذلي يارسول الله كيف أُغرِّمُ من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل فمِثل ذلك يُطلّ فقال رسول الله – ﷺ – : " إنما هذا من إخوان الكهان " .

وفي رواية أخرى بلفظ " أسجع كسجع الأعراب " .

وفي رواية بلفظ " سجع كسجع الجاهلية " .

وفي رواية بلفظ " أسجع كسجع الجاهلية وكهانتها " . (النسائي ، سنن النسائى 2001، ص 544 – 546 – كتاب القسامة ، باب دية جنين المرأة ،الأحاديث رقم 4818 – 4828 .)

والذي عليه شراح الحديث أن المذموم من السجع هو ما كان لإبطال حق ، ومعارضاً لحكم شرعى ، مثل ما جاء عن الرجل الذي اعترض على ما قضي به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في دية الجنين ، أما السجع الذي لا يعارض حكماً شرعياً ، ولا يبطل حقاً ، ولا يأتي به صاحبه تكلفاً في خطا به ، ولا يكون لتحقيق باطل ؛ فإن ذلك السجع لا بأس به .

قال الإمام النووي (ت 676 هـ) في شرحه على صحيح مسلم : " فقال العلماء إنما ذم سجعه لوجهين أحدهما : أنه عارض به حكم الشرع ورام إبطاله ، والثاني : أنه تكلفه في مخاطبته ، وهذان الوجهان من السجع مذمومان ، وأما السجع الذى كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقوله في بعض الأوقات وهو مشهور في الحديث فليس من هذا ؛ لأنه لا يعارض به حكم الشرع ، ولا يتكلفه فلا نهيٌ فيه ، بل هو أحسن " . (النووي ، شرح صحيح مسلم 1987، 11 / 178).

وقال ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) " واستدل به أي الحديث على ذم السجع في الكلام ، ومحل الكراهة إذا كان ظاهر التكلف ، كذا لو كان منسجماً لكنه في إبطال حق ، أو تحقيق باطل ، فأمّا لو كان منسجماً وهو في حق ، أو مباح فلا كراهة " . (العسقلاني، فتح الباريء ،2003، 305/12)

فابن حجر العسقلاني يرى أن محل الكراهة للسجع ليس في ذاته إنما الكراهة في تكلفه من قائله ، وفي معارضته الشرع ، وفي إبطال الحق وتحقيق الباطل ، أما ما جاء من السجع بدون تكلف ولا معارضة فيه للأحكام الشرعية فإن ذلك مقبول .

وجاء في عون المعبود على شرح سنن أبى داود : " وإنما أنكره وذمه صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه عارض به حكم الشرع ، ورام إبطاله ؛ ولأنه تكلفه في مخاطبته " . (أبو الطيب محمد شمس الحق ، عون المعبود 1968 ،1776/9)

فلما كان قول ذلك الرجل – في حديث دية الجنين – معترضاً على ما قضى به الرسول – صلى الله عليه وسلم – من الحق ، ومتكلفاً فيه صاحبه ، وجارياً فيه على ما كان يفعله الكهان من ترويج أباطيلهم بأسجاع خادعة ليميلوا إليها قلوب الناس بالباطل ؛ أنكر النبي – صلى الله عليه وسلم – ذلك السجع وذمه .

وقال الإمام الشوكاني (ت 1250 هـ) : " إن محل الكراهة إذا كان متكلفاً ، وكذا لو كان منسجماً لكنه في إبطال حق ، أو تحقيق باطل ، فأمّا لو كان منسجماً وهو حق ، أو في مباح ، فلا كراهة " .(الشوكاني ،نيل الأوطار ، د: ت ، 72/4).

والذي يظهر لنا بعد استعراض أقوال العلماء – والله أعلم – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنكر السجع الذى جاء في مقابلة الحكم الشرعي وجاء به صاحبه متكلفاً في مخاطبته لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومعترضاً على ما قضى به النبي ، ولم يكن ذم النبي – صلى الله عليه وسلم – للسجع من حيث هو سجع ؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – قد تكلم بكلام يشبه السجع في غيرما موضع ، فقد ورد في بعض الأحاديث النبوية وجاء عفوياً ودون قصد ولا تكلف ومن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : " يقول ابن آدم : مالي ، مالي ، قال : وهل لك ، يا ابن آدم من مالك إلاّ ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟ (مسلم ، ص 951 كتاب الزهد حديث رقم 2958 وأخرجه الترمذي في سننه كتاب الزهد باب ما جاء في الزهادة في الدنيا ص 430 ، حديث رقم 2342). "

وأخرج الترمذي في سننه عن أبي هريرة أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : " أحبب حبيبك هوناً ما ، عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ما ، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما " . (الترمذي ،السنن 2011، ص 370، كتاب البر والصلة حديث رقم 1997)

قال أبو عيسى هذا حديث غريب ، لا نعرفه بهذا الإسناد إلاّ من هذا الوجه

وأخرج الترمذي أيضاً عن عبدالله بن عمرو قال : كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم ، يقول : اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ودعاء لا يُسمع ، ومن نفسٍ لا تشبع ، ومن علم لاينفع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع " . (الترمذي ، ص 631 ،كتاب الدعوات حديث رقم 3482)

والملاحظ أن الأحاديث المسجوعة قليلة جداً إذا ما قيست بما رُوي عنه صلى الله عليه وسلم من أحاديث كثيرة غير مسجوعة .

والذي عليه الرسول _صلى الله عليه وسلم _ وأصحابه هو اجتناب السجع وتركه خاصةً في الدعاء وعدم الاشتغال به أو الإكثار منه والتكلف فيه إلَّا ما جاء عن غير قصد إليه ، وجاء منسجماً كما في الأحاديث النبوية .

قال ابن عباس : " فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فإني عهدتُ رسولَ الله _صلى الله عليه وسلم_ وأصحابه لا يفعلون إلَّا ذلك ، يعني لايفعلون إلّا ذلك الاجتناب " .(البخاري ،صحيح البخاري 130/4 كتاب الدعوات).

المبحث الثالث

علماء استعملوا مصطلح السجع على ما ورد في النظم القرآنى

يرى هؤلاء العلماء أن إطلاق مصطلح السجع على ما ورد في القرآن الكريم من فواصل لابأس به وأنه أسلوب بلاغي يأتي محموداً في القرآن الكريم وليس لديهم تحرّج في إطلاق لفظ السجع على الفاصلة القرآنية ولا يفرقون بينهما .

" وحتى القرن الثالث للهجرة كان التحرج واضحاً مـن القول بالسجع في القرآن ، وكان الحس المؤمن ينبو عن هذه الكلمة لكثرة ما أطلقت عن قديم على سجع الكُّهان " . (بنت الشاطئ ص 254)

ومن العلماء الذين لم يتحرّجوا في إطلاق لفظ السجع على ما ورد في القرآن الكريم من فواصل:

1- الحسن بن عبدالله أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) فهذا الأديب يرى وجود السجع في القرآن الكريم ويساوي بينه وبين الفاصلة ولا يفرق بينهما قال : " ولو استغنى كلام عن الازدواج لكان القرآن ؛ لأنه في نظمه خارج من كلام الخلق ، وقد كثر الازدواج فيه ، حتـى حصل في أوساط الآيات ، فضلاً عما تزاوج في الفواصل منه".(العسكري ، الصناعتين 1986، ص 260)

وقال العسكري أيضاً :

" فكـل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف ". (المصدر نفسه ص 261

وقال أيضاً :

" وكذلك جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى ، وصفاء اللفظ ، وتضمّن الطلاوة والماء ، لما يجري مجراه من كلام الخلق ". (العسكري ص 261)

فقد صرح أبو هلال العسكري بوجود السجع في القرآن الكريم ولم يتعرض للفاصلة ، لأنه يساوي بينهما ، وعنده أن السجع زينة للكلام ، وتحلية له أعجب به العرب حتى استعملوه في كلامهم ، وأن ما في القرآن من تسجيع هو من أعلى الدرجات وأبلغ القول.

2- عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي (ت 466 هـ) يرى هذا الشاعر الأديب أنَّ السجع موجود في القرآن الكريم وفي ذلك يقول :

" ولولا ذلك لم يرد في كلام الله تعالى " . (الخفاجي ، سر الفصاحة 1953، ص 202) .

وقال الخفاجي أيضاً :

" ووافقنا أيضاً دليل من اختاره ؛ لأنه إنما دل به على حسن ما ورد منه في كتاب الله تعالى". (المصدر نفسه)

وقال أيضاً :

" لافرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره في كونه مسجوعاً ، وبين مشاركة جميعه في كونه عرضاً وصوتاً ، وكلاماً عربياً مؤلفاً ، وهذا مما لايخفى ، فيحتاج إلى زيادة في البيان ، ولا فرق بين الفواصل التي تتماثل حروفها في المقاطع وبين السجع " . (الخفاجي ص205)

وجاء ابن سنان بأدلة على سجع القرآن – حسب رأيه – بآيات من سورة طه وسورة القمر وسورة العاديات .

3- ضياء الدين أبوالفتح نصر الله ابن الأثير (ت 637 هـ) يرى هذا الأديب وجود السجع في القرآن الكريم ودافع عن ذلك الرأي بقوة ، ورد على المانعين بقوله :

" وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة ولا أرى لذلك وجهاً سوى عجزهم أن يأتوا به ، وإلاّ فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم ؛ فإنه قد أتى منه بالكثير حتى إنه ليؤتى بالسورة جميعاً مسجوعة كسورة الرحمن ، وسورة القمر ، وغيرهما " . (ابن الأثير ، المثل السائر 210/1)

فابن الأثير يرد على من أنكر وجود السجع في القرآن الكريم ويعتبر ذم السجع من الأدباء – أصحابه – عجز منهم عن الإتيان بمثله ، وأتى بشواهد من القرآن الكريم لتأكيد رأيه في إثبات السجع في أسلوب القرآن الكريم .

4- حازم بن محمد القرطاجني (ت 684 هـ)

يقول في كتابه منهاج البلغاء :

" وكيف يعاب السجع ؟ وإنما نزل القرآن على الفصيح من كلام العرب " . (القرطاجني ، منهاج البلغاء 1986 ، ص 100)

هؤلاء بعض العلماء ممن قالوا بمصطلح السجع في أسلوب القرآن وأثبتوا وجوده فيه دون تحرّج ، والملاحظ على هؤلاء أن ولوعهم بالأدب وحبهم للبلاغة يجعلهم لايتحرجون من هذا القول ، الذى كان محل تحرّج من العلماء في القرون الثلاثة الاولى ، وهناك غيرهم من العلماء يرون رأيهم لايتسع المقام لذكرهم ، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين .

النتائج والخلاصة

1- الفواصل القرآنية تعتبر من مزايا القرآن الكريم وخصوصياته ووجه من وجوه إعجازه ، والألفاظ فيها تابعة للمعنى .

2- منذ بدء عصر التأليف في الدراسات القرآنية والبلاغية اهتم العلماء بالفواصل اهتماماً عارضاً في ثنايا مؤلفاتهم ثم أخذت حظها في الإفراد والاهتمام ضمن علوم القرآن .

3- ظل التحرّج عن استعمال لفظ السجع على ما ورد في أسلوب القرآن الكريم حتى القرن الثالث الهجري .

4- كان التحرّج يرجع لجملة من الأسباب أهمها : تنزيه القرآن وتشريفه ، والأصل اللغوي للسجع ، واستخدامه من قبل الكهان في التضليل وادعاء معرفتهم الغيب قبل الإسلام ، ولأنّ السجع منه ما يأتي متكلفاً يعتني باللفظ دون المعنى .

5- الخلاف بين العلماء في هذه القضية خلاف ظاهري ، خلاف مصطلح وتسمية .

6- الأولى إثبات الفواصل للقرآن الكريم ، وإثبات السجع للنثر .

المراجع

- القرآن الكريم برواية حفص.
- ابن أبي الأصبع ، بديع القرآن ، تحقيق : محمد شرف ، دار نهضة مصر – القاهرة الطبعة الثانية ، د : ت
- ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تقديم أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، دار نهضة مصر – القاهرة ، د. ت .
- ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، دار ابن خلدون الاسكندرية ، د:ت .
- ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، دار سحنون ، تونس 1997 م .
- ابن فارس ، مقاييس اللغة ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، دار الجبل – لبنان 1999 م .
- ابن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ، مراجعة إبراهيم محمد ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى 1991م .
- ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق : عبدالله الكبير وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت
- الأزهري ، تهذيب اللغة ، إعداد : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولى 2007 م
- الباقلاني ، إعجاز القرآن ، تحقيق : أحمد صقر ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة 1972م.
- البخاري ، صحيح البخاري ،ترتيب محمد فؤاد ، الناشر دار الوليد ، طرابلس ليبيا .
- بدوي ، معجم البلاغة العربية ، منشورات جامعة طرابلس ، الطبعة الأولى 1975م .
- البقاعي ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، خرّج أحاديثه عبدالرزاق غالب ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية 2003 م .
- بنت الشاطيء عائشة ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثالثة ، د : ت .
- الترمذي ، سنن الترمذي ، دار ابن الجوزي ، القاهرة الطبعة الأولى 2011 م .
- الجوزي ، زاد المسير في علم التفسير ، خرّج أحاديثه ، أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية 2002 م .
- الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبدالغفور – دار الكتاب العربي ، مصر ، د.ت .
- الخفاجي ، سر الفصاحة ، تعليق عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة علي صبيح ، مصر ، 1953 م .
- أبو داود ، سنن أبي داود ، دار الفجر ، القاهرة 2010 م .
- الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق : محمد خلف الله ، ومحمد سلام ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية 1968 م .
- الزبيدي ، تاج العروس ، الناشر دار ليبيا – بنغازي – طبع دار صادر بيروت 1966م
- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية – بيروت – الطبعة الأولى 2004 م .

- السبكي ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، تحقيق : خليل إبراهيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت – الطبعة الأولى 2001 م .
- السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق حامد أحمد ، دار الفجر – القاهرة الطبعة الأولى 2006 م .
- السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن ، ضبطه أحمد شمس الدين ، الطبعة الأولى 1988 م ، دار الكتب العلمية بيروت
- الشافعي ، الرسالة ، تحقيق أحمد شاكر ، دار الآثار ، القاهرة ، الطبعة الأولى 2008 م
- الشنقيطي ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطـي ، دار الفكر– لبنان 1995م
- الشوكاني ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، د.ت .
- أبو الطيب ، عون المعبود على شرح سنن أبي داود ، لأبي الطيب : محمد شمس الحق ، تحقيق : عبدالرحمن محمد ، المكتبة السلفية – المدينة المنورة ، الطبعة الثانية 1968 م
- العثيمين ، تفسير العثيمين ، عن المكتبة الشاملة .
- العسقلاني ، فتح البارئ بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ، مكتبة الصفا ، القاهرة الطبعة الأولى 2003 م .
- العسكري ، الصناعتين ، الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري ، تحقيق : علي البجاوي وآخرين – المكتبة العصرية لبنان – الطبعة الأولى 1986م .
- الفخر الرازي ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الاولى 2000م .
- القرطاجني ، منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، تقديم : محمد حبيب ، دار الغرب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة 1986م .
- القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن – مكتبة الصفا – الطبعة الأولى 2005 م .
- مسلم ، صحيح مسلم ، مؤسسة زاد للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى 2012م
- النسائي ، سنن النسائي " المجتبىَ " ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، الطبعة الأولى 2001م .
- النووي ، شرح النووي على صحيح مسلم ، دار الريان للتراث 1987 م .

آفاق سيوسولوجية على متن مؤسسات المجتمع المدني
"دراسة الحالة الليبية ما بعد التغيير عام 2011م

د. مجدي سالم سويسي

المقدمة

يؤكد الكثير من الباحثين على أن الإطار الجمعوي في منظومة المجتمع المدني يمثل حيزاً مهماً من ناحية التأطير والتنشئة، ولاسيما المؤسسات ذات الأهداف التربوية والثقافية والسياسية والاجتماعية والدينية التي تحضي بالاهتمام المجتمعي، فالمجتمع الليبي مثل غيره من المجتمعات، لم يكن يخلوا من مبادرات، وسياقات وآليات تسعى إلى بناء أسس تنظيمية اجتماعية تحاول بلورة أنماط من العلاقات الاجتماعية، والسياسية والثقافية والاقتصادية، حتي أصبحت أدوار ووظائف مؤسسات المجتمع المدني من أكثر الأدوار تداولاً أثناء وبعد مرحلة التغيير في فبراير عام 2011م، ففي ظل انهيار هياكل النظام السياسي السابق، طفح على سطح المشهد المجتمعي فاعل جديد ارتبط ببداية تبلور نظام سياسي جديد. يعاد فيه رسم فضاءات وقواعد وعلاقات جديدة فبدأت هذه المؤسسات بالتأسيس والظهور في أنحاء البلاد، لتصنع خلال هذه المرحلة جسراً تواصل مع أفراد المجتمع الذين يعانون قسوة الظروف، خاصة فيما يتعلق بنقص بالمواد الغذائية والدوائية فبرزت في مدة وجيزة العديد من المنظمات والمؤسسات والجمعيات التي أصبح يطلق عليها مؤسسات المجتمع المدني. والتي غلب عليها الطابع الإغاثي والخيري. وكانت تركز نشاطها على المدن التي تعرضت للضرر وتحتاج إلى مساعدات بسبب ظروف الحرب خلال فترة الثورة، وفي مرحلة لاحقة برزت مؤسسات ومنظمات أخرى ذات طابع توعوي وحقوقي وتنموي ، سعت في مجملها إلى تعزيز التحول الحاصل في البلاد، ومن هنا تبرز أهمية موضوع مؤسسات المجتمع المدني كونها لها علاقة ارتباطيه بعلم الاجتماع، الذي يحاول الإحاطة بالتغير المجتمعي الحاصل داخل المجتمع الليبي، في هدا الصدد يري أنتوني جيدنز أن علم الاجتماع ، "يحاول تفسير السلوك الإنساني الذي يصدر عن الأفراد الذين يقومون بالتواصل أو الذي يستجيبون له، وأنه يسعي أيضاً إلى تفسير طبيعة النظام الاجتماعي والتحولات التي تطرأ عليه" [1] .

منهجية الدراسة:

بما أن القضية السوسيولوجية هي جميع الشروط والمقومات والآليات الإبستمولوجية لإنتاج المعرفة السوسيولوجية وتطويرها، من قواعد وأعراف وتقاليد وأدوات نظرية ومنهجية، تفرض أن تلتزم بها الجماعة العلمية، أي مختلف الأطراف المعنية، من تأهيل وأخلاقيات فكرية ومهنية في ميادين الدراسة والبحث العلمي، في كل أوان مراحل إنتاج المعارف العلمية، وتقييم مصداقيتها وحدودها ومحدوديتها، ونقد عوائقها المعرفية الذاتية منها والموضوعية،

[1] - أنتوني جيدنز، مقدمة نقدية في علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، ط2، مجلد1، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، 2006،ص47

من خلال ما تقدم يمكن القول بأن تطور مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا، قد ارتبط ارتباط وثيق بمجتمع وثقافة غير متكافئين ومليئين بالتناقضات خاصة في حقبة النظام السياسي السابق [1]

حيث يتعايش العنف مع الديمقراطية، والجهل بثقافة الحوار وقبول الرأي والرأي الآخر مع الرغبة في الإصلاح السياسي والاجتماعي، أن هذه الأرضية السوسيو سياسية المليئة بالتفاوتات يجعلنا كفاعلين سوسيولوجيين نعمل على استثمار وتكريس كل وجهودنا على فهم طبيعة البنى الذهنية وتفسيرها، على أمل الإشراك الفاعل لمؤسسات المجتمع المدني في مسلسلات التنمية المحلية، في البلاد.

نظر إلى طبيعة الموضوع تم الاستعانة بالمنهج السوسيولوجي، دون أغفال الوقائع التاريخية كإطار علمي مساعد في الوصول إلى التعرف على التساؤلات المطروحة، كما تم الاستعانة بالمنهج الوصفي التحليلي، كونه يلبي أهداف الورقة العلمية، وكذلك يساعدنا على الكشف عما تنطوي عليه علاقة مؤسسات المجتمع المدني بمرحلة التغيير ما بعد عام 2011.

- **وبشكل عام فإن المداخلة العلمية تهدف إلى التعرف على التساؤلات التالية:**
- كيف ينظر إلى مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا قبل التغيير عام 2011 ؟
- كيف ينظر إلى مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا بعد التغيير عام 2011 ؟
- التعرف على الإطار الدستوري والقانوني للمجتمع المدني في ليبيا ما بعد التغيير عام 2011 ؟
- التعرف على أهم الإكراهات والتحديات التي تواجه آليات عمل مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا ما بعد التغيير عام 2011م

أ- ملف المصالحة الوطنية.

ب- انتشار السلاح والجماعات المسلحة.

ج- النزوح و التهجير القسري داخل وخارج الوطن.

- الرؤى الاستشرافية لمؤسسات المجتمع المدني في مستقبل ليبيا.
- **مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا قبل التغيير عام 2011**

تاريخياً أن البناء القبلي في ليبيا إضافة إلى نظام القيم الاجتماعية والعقيدة الدينية كانت ولاتزال تدفع نحو التضامن والتعاون والاهتمام بالأخرين، وساهم كل ذلك في التأثير على طبيعة فهم أفراد المجتمع لمفهوم وأدوار مؤسسات المجتمع المدني على أرض الواقع فالتقارب المجتمعي بين الليبيين ومساعدتهم لبعضهم البعض على نبد الخلافات وحل مشكلاتهم ليس بأمر الجديد، ففي عهود سابقة ترابط الليبيون من أجل الرعاية والحماية المتبادلة، فكانت هناك رعاية الجار واليتيم وزيارة المريض ومساعدة الفقير وحماية المظلوم، ويوجد في التراث الشعبي الليبي ما يدفع ويُشجع على تقديم الخدمات التطوعية ف "**يقول المثل الليبي الشهير اليد الواحدة لا تصفق**"، فمثلا تعاون أفراد القبيلة وقت حصاد القمح والشعير، وخلال موسم جز الأغنام **(الرغاطة)***، وطرح بعض المبادرات البعيدة عن

---

[1] - محمد الإدريسي ، أزمة العلوم الاجتماعية في العالم العربي- مقاربة نقدية، العدد 3، 2015، ص 203.

* أن يقوم الأفراد بمساعدة بعضهم البعض في القيام بالأعمال التي يعجز صاحبها عن أدائها منفرداً، أو هو وأسرته. وهي مشاركة تبادلية تنحصر في تقديم المساعدة أو العون البدني والعيني في نشاطات عدة . ولايجوز أن يقدم العون النقدي تحت اسم (الرغاّطة) أي أن يأخذ شخص ما أجره مقابل هذا العمل، ويفترض في الرغاّطة أن تتعلق بممارسات موسمية محددة ومحدودة بوقت معين.

تلك الجمعيات المسيسة منها على سبيل المثال في تسعينيات القرن الماضي تم أنشاء قاعات اجتماعية في بعض المدن والقري الليبية، وهي عبارة عن قاعة يتم أنشاؤها من خلال العمل الجماعي التطوعي، ليتم الاستفادة منها في أوقات الأفراح ، والأزمات، كما انتشرت في ليبيا جملة من الزوايا **(الصوفية)، (والزوايا السنوسية)**** التي لا تستهدف الربح، وهي أقرب إلى مؤسسات أخلاقية يتعلم فيها الأفراد حفظ القرآن الكريم، والشعور بالمسؤولية تجاه الأخرين كما كان للأوقاف دور في دعم أعمال الخير والإحسان، ولصالح الفقراء والمحتاجين، حيث إن البعض يري أن الصلة طبيعية بين العقائد الدينية وتحسين ظروف البشر وربما تكون أقوى مما يتصور معظم الناس[1]، **والسؤال الذي يطرح نفسه هو كيف كانت نظرة الأنظمة السابقة لمؤسسات المجتمع المدني في ليبيا؟**

أولاً: النظام الملكي في ليبيا من (1951–1969)

في عام 1943 تم تأسيس بعض المؤسسات والجمعيات المدنية في البلاد، وذلك لمناهضة الاستعمار الإيطالي، ومن تم الاحتلال البريطاني والأمريكي بهدف الدفاع عن الهوية الوطنية والسعي نحو تحقيق الاستقلال، وكذلك تم تأسيس مؤسسات وجمعيات ذات طابع اجتماعي رياضي، فتأسست في المنطقة الشرقية "**جمعية عمر المختار**"*، وفي نفس العام تأسس في مدينة طرابلس حزب المؤتمر الوطني، واللجنة الطرابلسية، وفي عام 1948م، تأسس حزب المؤتمر الوطني في مدينة بنغازي، كما تأسس في طرابلس عام 1947م، كل من الكتلة الوطنية الحرة، والاتحاد المصري الطرابلسي، وحزب العمال، ركزت هذه الجمعيات على أهمية توحيد البلاد، وتحقيق استقلال ليبيا ووحدت إقليمها الثلاثة، والسعي إلى تشكيل حكومة وحدة وطنية، تستلم أدارة البلاد.

اقتضت رؤية الحكم الملكي بضرورة حل بعض من تلك المؤسسات والجمعيات التي نشأة قبل فترة استقلال البلاد، خاصة تلك التي تحمل في طياتها دور السياسي، مثل جمعية عمر المختار والنادي الأهلي الرياضي التابع لها وإغلاق مركزها العام في مدينة بنغازي وفرعها في مدينة درنة، بدريعة قيام انصار الجمعية بمظاهرات دون ترخيص رسمي وقيامهم بأعمال شغب، وكذلك حل حزب المؤتمر الوطني في مدينة طرابلس عقب الاضطرابات التي صاحبت أول انتخابات تشريعية في البلاد عام 1952م، وبهذا يكون النظام الملكي قد منع تكوين أي مؤسسات أو جمعيات ذات طابع سياسي، مع السماح بإنشاء الجمعيات الأهلية الخيرية، وأصدر لها قانون في سنة 1953م ينظم عملها المدني، ففي سنة 1962 تأسست جمعية النور للمكفوفين، التي تركز عملها على رعاية الكفيف خاصة في مجال التعليم العام والتأهيل المهني، إضافة إلى جمعية البر والمساعدات الاجتماعية التي تأسست في سنة 1968. [2]

** السنوسية هي حركة إصلاحية ذات طابع إسلامي توجد في ليبيا والسودان تأسست في مكة عام 1837 وتأسست في ليبيا عام 1843 في مدينة البيضاء. وتميزت هذه الحركة عن غيرها من الحركات الإصلاحية الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بوسائلها وأهدافها الأكثر عمقًا وفاعلية، ويرجع أصلها لسلالة الأدارسة الذين حكموا المغرب في القرن التاسع. وعمت مراكزها الدينية شمالي أفريقيا والسودان الرأس الأخضر، وبعض البلدان الإسلامية الأخرى

[1] حسين سلم المرجين، أستاذ علم الاجتماع –جامعة طرابلس "ليبيا" ورقة علمية حول آفاق سيوسولوجية على متن مؤسسات المجتمع المدني في الحراك المجتمعي العربي، 2017،ص 3 mrginhussein@yahoo.com

* أسسها الصفوة من أبنائها الوطن في مدينة بنغازي خلال فترة الانتداب البريطاني، حيث كانت بدايتها ذات اهتمامات رياضية متواضعة وما لبثت أن اتسع مجال عملها ليشمل التعليم والعمال والصحافة والثقافة ويصل في ممارساته إلى العمل السياسي وتحولت إلى تنظيم حزبي مناوئ للوجود البريطاني المتمثل في إدارته العسكرية التي تولت شؤون البلاد، بعد هزيمة قوات المحور الألمانية والإيطالية.

[2] - حسين سالم المرجين، مرجع السابق، ص5

ثانياً بالنظام الجماهير من (1969-2011)

كانت سياسة النظام ترى أن كل أنواع مؤسسات المجتمع المدني ومستويات العمل الأهلي قبل مرحلة التغيير عام 2011، جزئاً من آلياته، وكان النظام أيضاً يرفض وجود أي نجاحات مجتمعية تكون خارج دائرة مؤسساته الرسمية؛ حيث قام بضم بعض الجمعيات والمنظمات التي حققت نجاحات متميزة، فعلى سبيل المثال لا الحصر: تم ضم جمعية النور للمكفوفين إلى مؤسسات الدولة، التي حققت نجاحات في مجلات التعليم، والتدريب، والتأهيل ، والإنتاج .

كذلك تم ضم جمعية البر والمساعدات الاجتماعية، التي كانت تقوم بصرف مساعدات مالية لكبار السن، ولأرامل، والمطلقات، والفقراء، وبعض الحالات المرضية، وأصبحت أدارة رسمية تسمي "أدارة المعاش الأساسي" تابعة للشؤون الاجتماعية والضمان الاجتماعي.

أذن بالرجوع إلى أساسيات النظام السياسي الليبي السابق الذي يرفض العمل بقواعد الديمقراطية الغربية، فمن المؤكد أن الحقل الجمعوي سيكون ضعيفاً تمشياً مع توجهات الدولة منذ سنة 1969، ومن الطبيعي في ظل نظام غير مؤمن بالتعددية الحزبية أن يتقلص حجم ودور المؤسسات المدنية الفاعلة في المجتمع والمنادية بالتغيير[1] .

أدن يمكن القول أن كل أنواع مؤسسات المجتمع المدني، ومستويات العمل الأهلي، كانت واقعة تحت هيمنة الدولة، وذلك سواء تعلق الأمر بالنظام الملكي أو ما يسمي بنظام الجماهيري (نظام القذافي)، لذلك يرى البعض أن تاريخ عمل المؤسسات المدنية تاريخ تقطعات وليس تاريخ تراكمات، ففي عهد النظام الذي دام زها أربعين عام لم تكن له أرادة سياسية واعية بأهمية ترسيخ مبادئ المجتمع المدني، والدفاع عن حقوق الإنسان، وتحقيق العدالة الاجتماعية والحت والدفع من أجل مساعدة المحتاجين، والدعوة إلى تحسين نوعية الحياة اليومية للعمل في أماكن عملهم، وكذلك لم يكن لها فضاءات مستقلة ومنفصلة عن الدولة، فبشكل عام أتصفت تلك الفترة بالضعف والهشاشة. ولكن على الرغم من علمنا أن النموذج المدني بمؤسساته ربما لم يتحقق تماماً في تلك الفترة ، إلا أن ذلك لا يلغي وجود بعض الأصوات والممارسات التي طالبت بضرورة السعي نحو بناء أو تأسس مؤسسات تقدم الخدمات أو المساعدات أو الدفاع عن مصالح بعض الفئات المقهورة، أو سعيها نحو الالتزام بالقوانين وضوابط الحياة المدنية المأمولة.

- **مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا بعد التغيير عام 2011**

في اعتقادي أنه كان من الضروري علينا دراسة هذه المرحلة من خلال جانبين، ولعلنا في **<u>الجانب الأول</u>:** سوف نتحدث عن نوايا بعض المؤسسات والمنظمات المدنية بشكل دولي في ليبيا على الأقل أننا قد عشنا واقعها، فالتحولات العالمية التي شهدها القرن الواحد والعشرين ساعدة على زيادة انتشار مفهوم مؤسسات المجتمع المدني بشكل كبير، حيث تعولم المفهوم بعيداً عن اصله الغربي، فتحولت بعض تلك المؤسسات من مفهوم يسهم في استقرار المجتمع ودعم مؤسساته إلى أداة بيد بعض الدول لتحقيق مصالحها وأهدافها السياسية والاقتصادية فوجود بعض المؤسسات والمنظمات الدولية الأجنبية في ليبيا ليس دليلا على كرمها أو إنسانيتها بقدر ما هو نتيجة

[1] - عبدالسلام حرفان، التحول الديمقراطي في دول المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، محمد الخامس، 2003، ص ص 129-130

حساب واقعي، يدفع الدول بمؤسساتها نحو القيام ببعض الأعمال والبرامج على اعتبار أن مصلحتها تقتضي ذلك الوجود، كما أنها لا تفِ مختلف النظريات الإمبريالية هذا التصور من الأهمية . إذ تميل إلى وصف أحداث شكلية فاقدة للمعني في ظل استمرار الرأسمالية المالية في السيطرة الفعلية على مقدرات العالم، ومع نشوء الأف من مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني في الغرب تحول بعضها إلى مؤسسات داعمة ومساندة للسياسات الخارجية حيث قامت بعض من الدول الغربية باستخدام هذه المؤسسات كدرع تشهره في وجه من يخالف أو يعارض سياستها الخارجية، فالمحافظون الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً سعوا إلى استخدام هذه المؤسسات لاسيما التي تبشر بضرورة حماية حقوق الإنسان عبر الحدود لإسقاط بعض الأنظمة السياسية التي لا تعجبهم بذرائع التدخل الإنساني وحماية الحريات.

الجانب الثاني: وهنا سوف نتحدث عن الكيفية التي تأسست بها المؤسسات المدنية في ليبيا بعد التغيير عام 2011م وهذا يقودنا إلى الآليات التي اتخذتها الحكومة الجديدة المتمثلة في المجلس الانتقالي "المكتب التنفيذي" آنذاك من أجل تسهيل ومساعدة الأفراد على تكوين وتأسيس جمعيات ومؤسسات المجتمع المدني، حيث كان الأمر في البداية يتطلب فقط رؤية أو فكرة واحدة بين مجموعة من الإفراد لها علاقة بالعمل المجتمعي، و تعمل على كافة المستويات الاجتماعية في البلاد سواء أن كان، عملا إغاثيا، أو إنسانيا، أو تنمويا، أو حقوقيا، إلى غير ذلك من الأعمال المشروعة، ومن تم تجسيد تلك الرؤى والأفكار إلى واقع ملموس، من خلال إشهارها كا مؤسسات أو جمعيات ذات طابع مدني، تحمل مضامين تلك الأفكار، وذلك بإصدار قوانين من جهات الاختصاص تشرعها للعمل في الحقل المجتمعي، وكان لسهولة الإجراءات في تلك الفترة دافع مشجع نحو تأسيس العشرات، ومن تم المئات من مؤسسات المجتمع المدني، وكان أول تأسيس لها في المنطقة الشرقية كونها أصبحت تحت سيطرة الحكومة الجديدة المتمثلة في المجلس الانتقالي، في وقت مبكر من انطلاق مرحلة التغيير في2011/2/17م، في حين بداء التأسيس لها في المنطقة الغربية والجنوبية بعد 2011/10/20 م أي بعد سيطرة الحكومة الجديدة على تلك المناطق، لتصدر الحكومة في وقت لاحق قرار رقم(12) لسنة 2012م، بشأن تأسيس مركز دعم مؤسسات المجتمع المدني تكون تبعيته لوزارة الثقافة والمجتمع المدني، وفي سنة 2013م أصدر مجلس الوزراء القرار رقم (649) بشأن تأسيس تعديل المركز المذكور إلى مفوضية المجتمع المدني، ومن تم تولى المفوضية مهام إشهار مؤسسات المجتمع المدني. [1]

في العموم، كان للمجتمع المدني دور واضحٌ في الحراك السياسي ما بعد التغيير سنة 2011. وكان البعض من هذه المؤسسات يحمل مضامين وأهداف وطنية، وبعضها الآخر يحمل مضامين وأهداف شخصية وجهوية وكذلك ايدلوجية، وكان بعضها يضم أعداد كبيرة من الأعضاء، وبعضها الآخر يضم أعداد قليلة من الأعضاء المنتمين اليها، وكان نشأت البعض منها أيضاً استجابة للمتغيرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، والمستجدات التي طرأت على الساحة الليبية، فيما يمكن أن نقول أن بعضها قد أنشي لغرض أخرى كالتفاخر، أو بدوافع داخلية مختلفة.

[1] - حسين سالم المرجين، المرجع السابق، ص10

إن ما يمكن أن نلاحظه على جمهور المجتمع المدني بشكل عام أن المجتمع المدني الناشئ يتميز بغلبة الطابع الجهوي أو المحلي فالظاهرة الواضحة هي التنوع والتناقض في وجهات النظر التي تتبناها تنظيماته المختلفة، إضافة إلى أن كثير من التنظيمات التي نشأت تعرضت للتشرذم والانقسامات والانشقاقات بما يعكس عدم القدرة على تبني واستيعاب الرؤى المختلفة بل أن كثيراً من التنظيمات ظهرت كفقاعات ثم سرعان ما اختفت، وبعد حوالي ثلاث سنوات من مرحلة التغيير عام2011 م دخلت البلاد حالة من الفوضى والتشرذم والانقسام وازدواجية في المؤسسات الرسمية للدولة، إلى جانب أن أهم استحقاق، وأهم مشروع وطني هو الدستور مازال لم يبصر النور حتي هذه اللحظة [1] وكذلك علينا أن لا نغفل جانب آخر مهم وهو أن حالة الفوضى تركت آثارها على النشاط المؤسسي و الجمعوي(المدني) في ليبيا، حيث قتل العديد من الشخصيات النشطة في مجال العمل المدني وتم تهديد شخصيات أخرى وإرغامها على الخروج من البلاد، ليصاب النشاط المجتمعي القائم على رصد الانتهاكات والدفاع عن الحقوق بضربة شبه قاضية [2]

- **الإطار الدستوري والقانوني لمؤسسات المجتمع المدني في ليبيا ما بعد التغيير عام 2011**

عقب سقوط نظام القذافي وانطلاق مرحلة التغيير عام 2011م، سعى الدستور المؤقت للبلاد (الإعلان الدستوري) الصادر عن المجلس الانتقالي الوطني في 17فبراير 2011م، إلى مخاطبة آمال الناس وتطلعاتهم من خلال بيان انطلاقه نحو "مجتمع المواطنة والعدالة والمساواة والازدهار والتنمية والتقدم" وأكد أيضاً فيما يخص بالمجتمع المدني على "إقامة نظام سياسي ديمقراطي مبني على التعددية السياسية الحزبية" وأن الدولة تكفل "حرية تكوين الأحزاب السياسية والجمعيات وسائر منظمات المجتمع المدني واصدر قوانين بتنظيمها"[3] . ففي هذه المرحلة تولت وزارة الثقافة والمجتمع المدني في الحكومة الانتقالية عملية تسجيل الجمعيات والمؤسسات المدنية، وقد تم لاحقًا تأسيس مركز دعم مؤسسات المجتمع المدني التابع للوزارة. وتم تسمية مجلس إدارته بموجب قرار مجلس الوزراء رقم (12) لسنة 2012م [4] ، كما صدر قرار مجلس الوزراء رقم 2013/649 بتعديل اسم مركز دعم مؤسسات المجتمع المدني إلى مفوضية المجتمع المدني، ويكون لها الشخصية الاعتبارية والذمة المالية المستقلة. كما نص على دعم مؤسسات المجتمع المدني فنيًا وتقنيًا ولوجستيًا، فضلا عن تنظيم عمل المنظمات الدولية التي ترغب بالعمل في ليبيا بالتنسيق مع الجهات المختصة وفق القوانين واللوائح المعتمدة في الدولة'[5] ، ولكن المتتبعين والمهتمين بشؤون مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا، يمكنهم أن يلاحظوا وبسهولة تغير طريقة التفكير للسلطات وعلاقتها التنظيمية والإدارية مع مؤسسات المجتمع المدني. على الرغم من أن البدايات كانت جيدة ومحفزة وقائمة على مفهوم الدعم والشراكة والتنظيم، إلا أنها سرعان ما وقعت هذه المفاهيم تحت السيطرة والمراقبة والتحكم. ففي فبراير 2016م، قامت مفوضية المجتمع المدني، بإصدار القرارين1–2 لسنة 2016م الأول: خاصة بالمنظمات المحلية،

---

[1] - يوسف محمد جمعة الصواني، الانتقال الديمقراطي في ليبيا التحديات والآفاق، في الديمقراطية المتعثرة مسار التحركات العربية الراهنة من أجل الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، 2014 ص 265

[2] - محمد عمران، تشريعات المجتمع المدني في ليبيا: تاريخ من التضييق، حاضر مرتبك، ومستقبل مجهول 21-9-2016، على الرابط http://legal-agenda.com

[3] - يوسف محمد جمعة الصواني، مرجع سابق ص259

[4] - http://kenanaonline.com

[5] - http://kenanaonline.com

والثاني: يخص المنظمات الدولية[1] ، وكانت هذه القرارات تعسفية وتعجيزية، تقوض أي محاولات للعمل المدني وتتعارض مع الإعلان الدستوري والتزامات ليبيا الدولية والإقليمية، فمثلا على سبيل التوضيح صدر في اللائحة التنظيمية، أنه يجب أن يتم: **التوظيف** بموافقة المفوضية، وكذلك فرض على المؤسسات المدنية عند قيامهم بأي نشاط، يجب أن تكون أسماء المشاركين والمدربين والمتدخلين عند المفوضية قبل انعقاد النشاط بأسبوعين على الأقل، **والجانب الأخر** الذي لا يمكن أغفاله وهو مشكلة تفاعل المفوضية مع مؤسسات المجتمع المدني، حيث تتعامل المفوضية بطريقة تقتصر على المنظمات والجمعيات فقط، هذا التفاعل المجحف أدى إلى عدم الاهتمام بأهم أضلع مؤسسات المجتمع المدني وهي: النقابات والاتحادات و الروابط المهنية، لتجد الأخيرة نفسها مرغمه على العمل من خلال قانون 23 لسنة 1998. المنضم للعمل النقابي في ليبيا، في هذا الصدد يشير مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان إلى، حرية التعبير وتكوين الجمعيات والتجمع السلمي، ويدعو بعثة الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي إلى الضغط على السلطات الليبية لحماية حرية التعبير فيما يتعلق ب:

- القرارات التقييدية والتعسفية التي تتخذها السلطات التنفيذية.
- التعديلات الضرورية في الاطار التشريعي.
- التعديلات المطلوبة في مشروع الدستور.
- منع الاعتداءات من الجماعات المسلحة المنضوية داخل المؤسسات الأمنية.
- حماية حرية الإعلام واستقلال وسائلة من خلال دعم إنشاء هيئة دستورية مستقلة للإعلام تضم أعضاء مستقلين معترف بخبرتهم وكفاءتهم ونزهاتهم، وتكون مهمتهم دعم استقلال وسائل الإعلام، وتعزيز حرية التعبير، ونبد خطاب الكراهية والفتنة والتحريض على العنف والتطرف، ويناط بهذه المؤسسة توفير إطار لإعداد التقويم الانتخابي، والسعي إلى حماية الإعلام من أي تدخلات السلطات التنفيذية.
- إلغاء القرارين 1–2 لسنة2016 والمشار اليهما سابقاً الصادرين عن مفوضية المجتمع المدني.
- وقف القيود الإدارية على مفوضية المجتمع الدني ودعم دورها الفني في المساعدة والدعم ، وذلك لمنعها من التحول لكيان قمعي مسيطر يتدخل في عمل المؤسسات والجمعيات المدنية وينتقص من استقلال المجتمع المدني[2] .

أهم الإكراهات والتحديات التي تواجه آليات عمل مؤسسات المجتمع المدني في ليبيا ما بعد التغيير عام 2011:

أ- ملف المصالحة الوطنية :

إن استمرار الأمور كما هي عليه، من مفاهيم مغلوطة، وتعقيدات نفسية ذاتية، وتدخلات إقليمية ودولية والتي مازالت تعبث بالمشهد الليبي، وثقة مفقودة، واستمرار طريق المراوغة والمماطلة، والمناورات الإعلامية، وما صاحب ذلك من سلبيات، سيغلق أفق المستقبل، بما يسهم في تعثر المصالحة دون إحراز أي تقدم ودون التوصل إلى

[1] - محمد عمران، تشريعات المجتمع المدني في ليبيا: تاريخ من التضييق، حاضر مرتبك، ومستقبل مجهول 21-9-2016، على الرابط http://legal-agenda.com

[2] - مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان، ليبيا خارطة طريق لتعزيز حقوق الانسان واستعادة حكم القانون، ص ص 14-15 الرابطhttps://cihrs.org/wp-content/uploads/2019/02/

حلول جذرية تنهي الأزمة الراهنة التي تدمر البلد ومستقبلها، وهو ما تدفع به بعض الأطراف المستفيدة من استمرار الأوضاع كما هي عليه.

فالصرعات المسلحة في ليبيا سواء أن كانت جهوية أو مناطقية، والأزمات السياسية، والاقتصادية والتنموية، وعدم التوافق بين الفرقاء السياسيين، وغياب تطبيق العدالة الانتقالية، وكذلك الظروف والأوضاع التي نجمت عن الإطاحة بالنظام السابق، أدخلت البلاد في نفق مظلم، وهو ما يدعو كل الأطراف الليبية المتنازعة إلى التفكير الجاد وبعبارات أكثر التزاما بوضع خارطة طريق مبنية على أسس علمية واضحة وبرؤية سياسية بعيداً عن التدخلات الخارجية في الشأن الداخلي الليبي، كأن يركز الليبيون على بناء منظومة أمنية على أسس وطنية تكون مهمتها حماية العملية السياسية والسير قدماً في المطالب الإصلاحية السياسية والاقتصادية، والدفع نحو التعايش السلمي وهذا لا يتم إلا عن طريق الصلح والتصالح، و اتخاذ التدابير اللازمة التي من شأنها أن تزيد من اللحمة الوطنية والسلم الاجتماعي، وهذا يستدعى تكاتف الجهود من المؤسسات الحكومية والمدنية والوقوف وقفة جادة من قبل الأعيان والحكماء والعقلاء وأبناء الوطن الشرفاء لما لهم من تأثير على فئات المجتمع، وتغليب مصلحة الدولة عن المصلحة الشخصية أو الحزبية أو المناطقية فالوطن يحمل الجميع ولا يبنا إلا بسواعد أبنائه جميعاً.

إن نجاح المصالحة يتوقف على مدى استعداد الأطراف المتنازعة للدخول فيها، وتخليها عن تقديم الشروط التعجيزية وتقديم التنازلات والتضحيات من أجل إنجاحها بعمل وطني شامل يتجاوز سلبيات واستقطابات الحرب وتصفية الحسابات، وينأي بالبلد عن الصراعات السياسية والإيديولوجية، ما تحتاج إليه ليبيا اليوم قيادة سياسية جديدة تؤمن بالمهمة، وتستطيع مواجهة التحدي في مهمة تاريخية لا مجال فيها للنزعات الفئوية، وتُطوّر مشروعاً خالياً من نزعة الثأر والانتقام والإقصاء، وتتخذ من التوافق السياسي أساساً له، وتستطيع هذه القيادة التعامل مع ميراث عدم الثقة الذي ورثته القوى السياسية منذ ما قبل سقوط نظام القذافي وما بعده، وكيفية صياغة عقد سياسي اجتماعي جديد بالاستناد إلى دستور يمثل خارطة لتنظيم الحياة السياسية، والاجتماعية والاقتصادية.

ب–انتشار السلاح والجماعات المسلحة:

ليبيا حلبة اقتتال بين الأشقاء ومسرح للمنافسات الدولية، هذا البلد المثخن بالجراح والتي تمزقه الصراعات المسلحة مند أن انطلقت مرحلة التغيير في فبراير 2011م، لا يمكن أن يكتب لأى مصالحة وطنية فيه بالنجاح الأ باستعادة سيادة الدولة ونزع السلاح من المقاتلين، وإعادة إدماجهم من جديد في المجتمع ومؤسساته العسكرية والأمنية.

لقد نجح الليبيون بمساعدة المجتمع الدولي الإطاحة بنظام دام زها أربعين عام لكن فشلوا في إنتاج البديل، وذلك لعدة أسباب منها ما هو ما قبل مرحلة التغير في فبراير 2011م، كغياب مؤسسات حقيقية للدولة إلى جانب عمل النظام السابق على أضعاف مؤسسات المجتمع المدني طول فترة حكمه ، ومنها ما هو ما بعد مرحلة التغيير في فبراير 2011م كالتدخلات الإقليمية والدولية في الشأن الليبي باتجاهات متناقضة لرسم مستقبل الدولة، وصراع المصالح الشخصية، وتزايد البعد القبلي والجهوي وانخراطه في السياسة والعمل المسلح وذلك على حساب الدور الذي كان من المفترض أن تلعبه مؤسسات المجتمع المدني والأحزاب السياسية التي تم حظرها طوال فترة النظامين

السابقين، وتكدس السلاح في البلاد ونتشاره وتهريبه ما أدي إلى نشوء تنظيمات إرهابية وجماعات مسلحة تعددت ولاءتها وتعصباتها الجهوية والقبلية في البلاد [1] .

لقد باءت كل محاولا نزع سلاح المليشيات القوية ودمج أفرادها في أجهزة البلاد الأمنية والعسكرية بالفشل إلى حد كبير، هذه الفوضى أدت إلى انتشار الجريمة المنظمة والتعصب **والإرهاب** الذي اكتوت بناره عدد كبير من الدول في أوروبا وإفريقيا والعالم العربي، حيث يقول المؤرخ والمحلل للسياسة الخارجية "**مارك كورتيس**" [2] في مقال له نشره على موقعMiddle East Eye البريطاني، إنه بعد ثماني سنوات من حرب حلف شمال الأطلسي (الناتو) على ليبيا عام 2011، ومع دخول البلاد مرحلة جديدة في صراعها، أجريتُ جرداً لعدد البلدان التي انتشر فيها الإرهاب كنتيجة مباشرة لتلك الحرب؛ حيث بلغت 14 بلداً على الأقل، الأمر الذى جعل من الأوروبيون والأفارقة يشعرون بالأثر المريع لإرث إطاحة ديفيد كاميرون ونيكولا ساركوزي وباراك أوباما بنظام القذافي. لكنَّ محاسبة هؤلاء القادة على قرارهم بخوض الحرب بعيدة أكثر من أي وقتٍ مضى، حسب قوله.

إذن يمكن القول بان سبب استفحال خطر المليشيات ونزعاتها المسلحة التي ما تلبت أن تهدى لتشتعل من جديد هو عدم قدرة السلطات المركزية الليبية المتعاقبة على حكم البلاد على ضبط عمليات استرجاع الأعتدة، وإعادة هيكلة كتائب الثوار بهدف بناء جيش وطني قوي ومؤهل.

ج–التهجير القسري والنزوح داخل وخارج الوطن.

تعد قضية المهجرين والنازحين داخل وخارج البلاد من القضايا الشائكة التي عانى ومازال يعاني منها الليبيين، وبطبيعة الحال فهذه القضية كانت نتيجة حتمية لحالة الصراع المسلح الذي شهدته ومازالت تشهده مناطق شاسعة في ليبيا منذُ فبراير عام 2011م وحتي وقتنا الحالي، أن هذه المشكلة تضعها مؤسسات وجمعيات المجتمع المدني على أولويات القضايا المرتبطة بتحقيق المصالحة الوطنية، ففي بعض الحالات تمثل بادرة حسن نية من أجل إنهاء الصراع بين مناطق معينة وفي حالات أخرى تعتبر نتيجة ضرورية لتحقيق المصالحة، بل إن أوضاع النازحين السيئة تعتبر من أكبر الدوافع التي يجب من أجلها تحقيق المصالحة وإنهاء الصراع العسكري في البلاد. ومن جانبا كباحثين سوسيولوجيين وناشطين في مجال مؤسسات المجتمع المدني لابد وأن نكون موضوعيين من أجل توضيح الفرق بين التهجير القسري والنزوح، ففي تباين القضية يكمن الكثير من التفاصيل التي يجب أن ندرك أسبابها حتي نتمكن من علاجها فيما بعد، فالنازح هو من ترك منزله ومنطقته بسبب اندلاع المواجهات المسلحة في منطقته لكنه يأمن عودته بعد انتها المواجهات المسلحة كالنزوح داخليا(داخل وخارج المدينة نفسها من حي إلى آخر) أو كان نزوح خراجي نحو مدينة أخرى، وهذه الحالة هي الغالبة في عموم البلاد، فأثناء الثورة عاد السكان إلى مناطقهم فور توقف المواجهات المسلحة المباشرة، عدا مناطق الرياينة والقواليش وتاورغاء، ويرجع ذلك لعدة متغيرات منها: وقوفهم مع النظام السابق ضد الثورة، ومنها: أحقاد قبلية دفينه، ولم يكن للقبيلة في ليبيا دور يذكر طيلة الأربع عقود تقريبا قضاها القذافي في الحكم، سوى الولاء الأعمى خدمة لنظامه، وبعد سقوطه

---

[1] - فريق الأزمات العربي، مركز دراسات الشرق الأوسط_ الأردن، ص ص 13_14، على الرابط 22سبتمبر2019 http://www.mesc.com

[2] - مؤرخ ومحلل للسياسة الخارجية البريطانية، والتنمية الدولية، ومؤلف ستة كتب، آخرها بعنوان "ملفات سرية: التواطؤ البريطاني مع الإسلام الراديكالي".

انفجر هذا النسيج وتحول دور القبيلة من الحبو على الهامش لتتغول بعد الثورة في فبراير 2011م، حتي أصبحت الهوية القبلية آلة لحصد الأرواح و تعزيز الانقسامات.

يختلف هذا فيما يتعلق بمن ترك منزله لكنه لم يستطيع العودة إلى منطقته حتي بعد توقف المواجهات المسلحة، نتيجة انتها المعارك لصالح أحد الأطراف وهو ما كان عليه الوضع في العمليات العسكرية التي اندلعت خلال سنة 2014م خاصة في المنطقة الشرقية، إذ لم يستطيع كثير من سكان مدينة بنغازي العودة إلى مناطقهم حتي بعد انتهائها، نتيجة انحيازهم لطرف الصراع الخاسر في المواجهات المسلحة التي شهدتها أحيائهم وأصبحوا مهجرين قسرياً، و في صورة مشابه لما حدث في مدينة تاورغاء سنة 2011م، ليجد حوالي 40الف من سكان المدنية انفسهم متشتتين في مختلف أنحاء البلاد وخارجها في مخيمات مؤقتة ومساكن خاصة.

بينما لم يستطيع أيضاً سكان ككلة العودة إلى مناطقهم، بسبب الدمار الذي لحق بالبنية التحتية في المنطقة بما لا يتيح الفرصة للسكان بالعودة خاصة وأن هذا الدمار شمل البنية التحتية لشبكتي المياه والصرف الصحي وليس فقط المنازل. ولم نعني بما ذكرناه من مناطق فقط هي من تعرض لنزوح والتهجير، فلأمثلة على ذلك كثير والجرح في بلادي عميق طال أيضاً مدن أخرى وعائلات وأشخاص، هذه الظروف وغيرها من التحديات والعراقيل تواجه العاملين في مجال مؤسسات المجتمع المدني للقيام بدورهم المناط اتجاه عودة النازحين والمهجرين قسراً إلى مناطقهم [1] .

- **الرؤى الاستشرافية لمؤسسات المجتمع المدني في مستقبل ليبيا.**

في ثنايا هذا الواقع الملغوم بالصراعات والخلافات التي تعصف بحاضر ومستقبل البلاد، يمكننا كباحثين سوسيولوجيين أن نستشف بعض آفاق المستقبل في إطار العمل مع مؤسسات المجتمع المدني من خلال التعامل مع المرحلة الراهنة بكل استحقاقاتها ومخاوفها، وعدم إغفال أهم المتغير وهو الصراع المسلح الذي يكشف لنا بنية الواقع السياسي والأمني، وسبل معالجته في إطار رؤية عميقة ومدركة لعمق المشكل في البلاد وأدوات تغذيته داخلياً (الجهوية والقبلية المقيتة) وخارجياً (إقليمياً ودولياً). انطلاقاً من هذا الواقع المريب الذي تعيشه المنطقة العربية بشكل عام والليبيين بشكل خاص وجب العمل بكل تفان لتعريف والدفع بدور مؤسسات المجتمع المدني لكل الناس بمختلف طبقاتهم و فئاتهم العمرية و الاجتماعية والمهنية من اجل إعطائها و منحها القوة و القدرة على القيام بعملها المؤثر و تكون فعلا الشريك الحقيقي للسلطة، وتساهم في تعزيز و ترسيخ قيم الحرية و الحقوق المدنية و سيادة القانون من اجل بناء مستقبل ليبيا. وهذا يتطلب من مؤسسات المجتمع المدني، أن تتحمل جميع مسؤولياتها المناطة بها، خاصة وأن المرحلة تحتاج إلى إنشاء لجان وطنية قانونية، يتم من خلالها فتح كل ملفات الانتهاكات لتقصي الحقائق وضمان محاكمات عادلة لمنتهكي القانون، وكذلك العمل على دعم وتطوير مؤسسات العدالة الانتقالية وتطبيق مبادئ إنصاف الضحايا وجبر الأضرار، والحيلولة دون السماح بتقسيم البلاد على أسس سياسية أو جغرافية وقبلية، لتجنب الأخطار الكبيرة التي يمكن أن تترتب على تمزيق وحدة الوطن. وكذلك العمل على التواصل مع الأطراف المتصارعة والأطراف الإقليمية والدولية خاصة دول الجوار من أجل الوقف الفوري لكل الأعمال القتالية، والسعي الجاد لإنجاح الحل السياسي، وتحقيق المصالحة الوطنية.

[1] - محمد تنتوش، قضية النازحون في ليبيا نظرة عامة ، المنظمة الليبية للسياسات الاستراتيجية، طرابلس ليبيا، 2017 ، ص ص 5-7

المـراجـع

1. **أنتوني جيدنز**، مقدمة نقدية في علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، ط2، مجلد1، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية ، 2006.
2. **حسين سلم المرجين**، أستاذ علم الاجتماع –جامعة طرابلس "ليبيا" ورقة علمية حول آفاق سيوسولوجية على متن مؤسسات المجتمع المدني في الحراك المجتمعي
3. **عبدالسلام حرفان**، التحول الديمقراطي في دول المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، محمد الخامس، 2003.
4. **فريق الأزمات العربي**، مركز دراسات الشرق الأوسط_ الأردن، ص ص 13_14، على الرابط http://www.mesc.com 2019سبتمبر22
5. **محمد الإدريسي** ، أزمة العلوم الاجتماعية في العالم العربي- مقاربة نقدية، العدد 3، 2015.
6. **محمد تنتوش**، قضية النازحون في ليبيا نظرة عامة ، المنظمة الليبية للسياسات الاستراتيجية، طرابلس ليبيا، 2017 .
7. **محمد عمران**، تشريعات المجتمع المدني في ليبيا: تاريخ من التضييق، حاضر مرتبك، ومستقبل مجهول 2016-9-21،
8. **مركز القاهرة لدراسات حقوق الانسان**، ليبيا خارطة طريق لتعزيز حقوق الانسان واستعادة حكم القانون.
9. **يوسف محمد الصواني**، الانتقال الديمقراطي في ليبيا التحديات والآفاق، في الديمقراطية المتعثرة مسار التحركات العربية الراهنة من أجل الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، 2014 .

بعض الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع في مرحلة إعدادهم لرسائلهم العلمية

أ. لزم الشارف أحمد عمار
قسم علم الاجتماع
كلية الآداب / جامعة الزيتونة

المقدمة

تعد المؤسسة الجامعية من أهم المؤسسات التي تدفع بالمجتمع نحو التقدم والرقي, فهي تعمل على تزويد الدولة باحتياجاتها من الكوادر العلمية, بالإضافة إلى دورها التعليمي في ترسيخ المعلومات، وإكساب الطلبة الخبرة العلمية والعملية، تعد أيضا مؤسسة اجتماعية تحتضن الشباب وتنمي لديهم العديد من المهارات التي تزيد من قدرتهم على تطبيق ما اكتسبوه من معلومات ومعارف تمكنهم من نجاحهم في حياتهم العملية ، إذ أنها تلعب دوراً مكملاً لدور المجتمع "

فهي تؤدي دورا مهما وأساسيا في التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، والثقافية ، والسياسية للمجتمع" ، كما تعتبر الجامعة من أهم المؤسسات التي مرت بتطورات عدة في تسمياتها عبر العصور ، وظل المجتمع الإنساني حريصا على قيامها ، حتى إستقر على تسميتها بالجامعة في العصور الحديثة [1]

وللجامعة عدة أهداف حصرها المختصين في تسعة أهداف هي : " نقل المعرفة وتبسيطها ، وإعداد أطر فنية عليا ، وإعداد الباحثين ، والإضافة إلى المعرفة ، والمشاركة في صنع القرارات ، وخدمة الفلسفة القومية ، وتوجيه التعليم السابق لها، وتنمية التعاون الدولي ، وتنمية شخصية طلابها " ، ويمكن النظر إلى هذه الأهداف في مجموعات بحيث يمكن دمجها في عدد أقل من الأهداف ، وهذا ما أجمعت عليه الكثير من أدبيات التعليم ، حيث لخصت أهداف الجامعة المعاصرة في قيامها بثلاثة أدوار متكاملة هي : التدريس ، البحث العلمي ، وخدمة المجتمع [2]

وفي الواقع أن هذه الوظائف غير منفصلة ، فلا تعمل أي منها بمعزل عن الأخرى ،فعلاقة التدريس بالبحث العلمي علاقة وظيفية تبادلية فالتدريس له انعكاساته على التحصيل العلمي التطبيقي للطالب, لاسيما التدريب على كيفية إعداد وكتابة البحوث باتباع المنهجية العلمية, كما يتيح أيضا أساليب التفكير الناقد وكيفية تقييم وبناء المعرفة على أسس منطقية ,كما أن البحث العلمي يغذي التدريس من خلال النتائج المستخلصة من البحوث التي تعطي التدريس أبعادا تحديثية، وفي ذات الوقت تهيئ وظيفة خدمة المجتمع للباحثين أرضا خصبة لبيان مهاراتهم، وإظهار إبداعاتهم العلمية والبحثية [3]

تؤكد عديد الدراسات ذات الطابع التنموي أن الدراسات العليا ووظيفة البحث العلمي عمليتين متكاملتين ، إذ لا غنى لإحداهما عن الأخرى ، وتعتبر الدراسات العليا من أهم المرتكزات الأساسية للتقدم العلمي والتقني ، وذلك لما توفره هذه الدراسات من دعامات في مجالات تكوين وتطوير القاعدة العلمية والبحثية والتقنية التي تعد الأساس في

1 - عبدالله بوبطانة ، دور التعليم العالي والجامعي في التنمية العربية ، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي ، العدد الثاني ، 1984م ، ص 33 .
2 - حامد عمار ، دراسات في التربية والثقافة ، الجزء الأول ، مكتبة الدار العربية ، 1995م ، ص 56 .
3 - يونس العجيلي ، التعليم وتنمية المجتمع ، مجلة الجامعة المغاربية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، طرابلس ، ليبيا ، 2006م ، ص 55

تحقيق النمو الإقتصادي ، كما أن إيجاد دراسات عليا جادة في أي بلد في العالم هو أفضل دليل إستثمار بشري ممتاز وعلامة بلوغ مستوى رفيع من التقدم والرقي ، فهي الوسيلة الفعالة لتكوين قادة فكر وعمل وتخطيط في مجالات مختلفة من العلوم والآداب ، كما إنها كفيلة بتطوير المجتمع والدفع به إلى الأمام " [1]

وفي دراسة حول واقع التعليم العالي في ليبيا توصلت إلى أن ليبيا بذلت الكثير من الجهود لأجل تأسيس وإقامة برامج متنوعة التخصصات للدراسات العليا في مختلف الجامعات الليبية , فمنذ السبعينات أصبحت تمتلك برامج أكاديمية للدراسات العليا في مجالات العلوم الإنسانية واللغة العربية والدراسات الإسلامية وتبعتها برامج أخرى في مجالات العلوم التطبيقية المختلفة ، كالزراعة ،و الطب ،و الهندسة ، والاقتصاد [2]

وعليه يمكن القول بأن جامعة طرابلس رائدة في هذا المجال, حيث تعد كلية التربية بجامعة طرابلس أول كلية في الجامعات الليبية تشرع في برنامج الدراسات العليا على مستوى الماجستير وذلك بقسم التربية وعلم النفس .

وبالنظر إلى منظومة البحث العلمي في الجامعات الليبية من حيث اللوائح القانونية نجد إنها تشجع الباحثين سواء كانوا من رؤساء أقسام أو أعضاء هيئة التدريس ، أوطلبة دراسات عليا ، على إجراء البحوث المبتكرة, كما تساهم في تزويد المجتمع بنتائج بحوث علمية تطبيقية تفيد المجتمع وإصدار الدوريات العلمية وإقامة المؤتمرات والندوات العلمية, وذلك من خلال تطوير الدراسات العليا في الجامعات الليبية بشكل كمي ملحوظ تحقيقاً لمبدأ ديمقراطية التعليم الذي فتح مجالاً واسعاً أمام الطلاب لدخول الدراسات العليا، إلا أن المعالجات الكيفية لم تعطى المكانة ذاتها من الاهتمام .

إن اعتماد اللامركزية في تنفيذ خطة الدراسات العليا في ليبيا , أدى إلى مشكلات متعددة لعل من أهمها طول الفترة التي يستغرقها طالب الدراسات العليا حتى يتخرج ، مقارنة مع أقرانه في الجامعات الأجنبية ، إذ غالبا ما تستغرق المدة في الجامعات الأجنبية ما بين 12 الى 18 شهرا بوصفه حدا أقصى ، في حين يتطلب الطالب الليبي لاستكمال دراسته ثلاث سنوات ونصف وذلك حسب لوائح المعمول بها في الدراسات العليا، كما أن إفتقاد الطالب لمجموعة من المتطلبات الضرورية لعل أهمها توفر التنوع في مصادر ومراجع المعلومات, والمختبرات علمية، والأجهزة التكنولوجية المتطورة, قد تؤدي إلى ضعف النتائج المتوصل إليها من رسائل الطلبة للقيمة العلمية , فضلا على الأعباء المالية التي يتكبدها الطالب ، وعدم حصوله على التفرغ من جهة العمل والمتمثلة في رسوم الدراسة ، والطباعة ، والمواصلات وغيرها [3]

ولتجنب مثل هذه الصعوبات التي يمكن أن يواجهها طالب الدراسات العليا، فإن الجامعة مطالبة بتوفير كافة الامكانيات اللازمة لإنجاز البحوث ذات القيمة العلمية بأسرع ما يمكن ، مما يرجع بالفائدة على المجتمع بصفة عامة ، نظرا لأن البحث العلمي (من خلال بحوث طلبة الدراسات العليا) يدرس المشكلات القائمة في المجتمع والتي تتطلب العلاج السريع وإلا فقد قيمته ، وإذا لم تتطور الدراسات العليا من حيث المعارف التي تقدمها والمهارات

1 - عبد الحميد الهرامة ، مستقبل الدراسات العليا ، مجلة الجامعة ، العدد (6) ، نقابة أعضاء هيأة التدريس الجامعي ، جامعة طرابلس ، ليبيا ، 2004م ، ص 191 .

2 - علي الهادي الحوات ، التعليم العالي في ليبيا : واقع وآفاق ، منشورات مكتبة طرابلس العالمية ، طرابلس ، 1996م ، ص 188 .

3 - أحمد صيداوي ، الدراسات العليا في الجامعات العربية : من الواقع إلى الحاجات ، مجلة إتحاد الجامعات العربية ، الأمانة العامة لإتحاد الجامعات العربية ، عمان ، الأردن ، 1988م ، ص 77.

التي تكونها والقيم التي تغرسها، فستبقى تعاني من مشكلات عديدة تتجلى في شعور الخريجين بالإغتراب بين محتوى ما درسوه ومتطلبات أعمالهم [1]

في هذا الصدد توضح لنا عديد النتائج المتعلقة بدراسة الصعوبات التي تواجه طالب الدراسات العليا أن إنعكاسات المشكلة تمتد لتشكل ضغوط نفسية واجتماعية للطلاب وعلى محيطهم الأسري ، كما تشمل أيضا تأثيرات سلبية على أداء الطالب لوظيفته إذا كان موظفا ، لاسيما وأن هذه المرحلة تتطلب توفر بيئة علمية ملائمة للطالب [2] وبما أن الدراسات العليا تمثل إحدى الوسائل التي تسهم في تطور المجتمع ، وهذا يتوقف على مدى اهتمام الدولة والجهات المختصة بقطاع التعليم من خلال تطوير القوانين واللوائح ووضع السياسات واستراتيجيات التخطيط ومعرفة كيف يتم التدخل لتوظيف الدراسات العليا على أفضل وجه بالنسبة لحاجات المجتمع الليبي وحسب اهتمامات وميول أفراده أيضاً.

أولا – إشكالية البحث

رغم التخطيط الذي إنتهجته الجامعات الليبية حتى وقتنا الحاضر إلا أننا نحتاج إلى نوع جديد من التخطيط طويل المدى يراعي الآفاق المستقبلية في التعليم والبحث العلمي، ويستند إلى معلومات كافية ودقيقة في تخطيطه الكمي والكيفي معاً، ويقوم عليه متخصصون قادرون على رسم خطط متكاملة يراعون فيها التنسيق بين الخطط التربوية والإجتماعية والأكاديمية لتحقيق تطور تنموي أفضل .

في ضوء ما سبق فإن البحث الحالي يسعى للتعرف على أهم الإشكاليات والصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع من خلال التساؤل التالي :

– ما هي أهم الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع في مرحلة إعدادهم لرسائلهم العلمية ؟

ثانيا – أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في محاولة طرح بعض الاشكاليات التي تتعلق بالعامل الإقتصادي والإداري والفني التي تواجه طلبة الدراسات العليا ومدى انعكاسها على أداء الطلبة خاصة في مرحلة الإعداد والكتابة لرسائلهم العلمية, حيث تكمن أهمية البحث في الآتي :

الأهمية العلمية:

1–تقديم معلومات جديدة تتعلق بأهمية البحث العلمي في الجامعات الليبية .

2–عرض أهم الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا في إعدادهم لرسائلهم العلمية.

3–تزويد المكتبة الليبية بأدب نظري جديد يفيد الباحثين في دراساتهم اللاحقة .

---

1 - هاشم حريري ، جوبر الثبيتي ، الدراسات العليا في المملكة العربية السعودية بين ضرائب التقليد وعوائد التجديد ، ندوة الدراسات العليا بالجامعات السعودية ، توجيهات مستقبلية ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، السعودية ، 2001م ، ص 44 .

2 - Zachary ,Karabell , What,s college for ? The struggle to Define American Higher Education , Basic Books . 1999 , :2.

الأهمية العملية :

1–يتوقع أن تفيد نتائج هذا البحث القادة الأكاديميين في الجامعات من رؤساء جامعات ، وعمداء كليات ، ورؤساء أقسام أكاديمية ، في التعرف على الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الإجتماع في جامعة الزاوية في إعدادهم لرسائلهم ، مما يتيح الفرصة لهم لإيجاد الحلول المناسبة لهذه الصعوبات.

2–كما يؤمل في ضوء نتائج هذا البحث تجنب الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا في إعدادهم لرسائلهم، مما يعزز رغبة طلبة الدراسات العليا في إنجاز بحوثهم العلمية، والإهتمام برسائلهم بشكل أفضل .

ثالثا – أهداف البحث

1–التعرف على أهم الصعوبات شيوعا التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الإجتماع في مرحلة الإعداد لرسائلهم العلمية.

2–الكشف عن الفروق بين بعض المتغيرات المستقلة (النوع , التفرغ للدراسة) ودرجة تعرض طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع للصعوبات في مرحلة الإعداد لرسائلهم العلمية.

رابعا – مفاهيم البحث

يعد تحديد المفاهيم من الإجراءات المنهجية التي تساعد الباحث في تحديد مسار البحث سواء من الناحية النظرية أو من الناحية العملية, لذلك إشتمل البحث على عدد من المفاهيم التي تم تعريفها نظريا وإجرائيا وهي كما يلي :

1–مفهوم الجامعة: تعرف الجامعة بأنها " تلك المؤسسة التي تتبنى المستويات الرفيعة من الثقافة ، فتحافظ عليها ، وتقدمها بعد ذلك الى الطالب الذي يلتحق بها ما يجعل منه إنسانا مثقفا وشخصا مهنيا [1]

2–مفهوم طلبة الجامعة: إن مفهوم الطلبة من المنظور العلمي التقليدي " هم جماعة أو شريحة من المثقفين في المجتمع بصفة عامة ، إذ يرتكز المئات والألوف من الشباب في نطاق المؤسسات التعليمية " ، ويعرف أيضا بأنهم " أهم مدخلات ومخرجات العملية التعليمية الجامعية " [2]

3–مفهوم الصعوبات: تعرف بأنها العقبات التي يواجهها الأفراد ، والتي تمنعهم من تحقيق أهدافهم . وهي وضع مزعج يشعر به الفرد ويدركه ، ويسبب نوعا من الضيق له ، مما يحدث له خللا في توازنه ، ويؤثر في درجة تكيفه مع المحيط [3]

1 - خالد عبدالله العتيبي ، تقويم برامج الدراسات العليا في الجامعات السعودية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض, 1999م ، ص 16 .
2 - صالحة سنقر ، الدراسات العليا في الجامعات العربية حتى عام 2000 ، مجلة إتحاد الجامعات العربية ، عدد متخصص (2) ، عمان ، 1988م ، ص 216 .
3 - مارتن الكلوفلن ، أشرف محمود ، التخطيط الاستراتيجي للجامعات والتعليم العالي ، دار زهران, عمان, الأردن ، 2010م ، ص 283 .

ويمكن وضع مجموعة من التعريفات الإجرائية لمجموعة الأبعاد التي يتضمنها مفهوم الصعوبات في البحث الحالي وهي:

أ–الصعوبات الفنية: تعرف إجرائيا بأنها الدرجة التي حصل عليها طلبة الدراسات العليا في إستجاباتهم لمؤشرات القياس المتعلقة بالصعوبات الفنية التي تواجه الطلبة في إعدادهم لرسائلهم العلمية ، مثل:(ضعف الإلتزام بتعليمات كتابة الأطروحات والرسائل العلمية ، تدني مستوى تحصيل الطلبة المقبولين في برنامج الدراسات العليا ، قلة إستجابة طلبة الدراسات العليا لملاحظات المشرف وتوجيهاته).

ب– الصعوبات الإدارية : تعرف إجرائيا بأنها الدرجة التي حصل عليها طلبة الدراسات العليا في استجاباتهم لمؤشرات القياس المتعلقة بالصعوبات الإدارية التي تواجه الطلبة في إعدادهم لرسائلهم العلمية ، مثل:(قلة المشرفين على الرسائل الجامعية ، إنشغال المشرف الأكاديمي بالسفر أوحضور ندوات أو مؤتمرات ، قلة تعاون الأساتذة وأعضاء هيأة التدريس في تحكيم أداة الدراسة).

ج–الصعوبات الإقتصادية : تعرف إجرائيا بأنها الدرجة التي حصل عليها طلبة الدراسات العليا في استجابتهم لمؤشرات القياس المتعلقة بالصعوبات الإقتصادية التي تواجه الطلبة في إعدادهم لرسائلهم العلمية. مثل : (قلة الدعم المادي لطلبة الدراسات العليا من جانب الجامعة ، إرتفاع تكلفة إحضار الدراسات السابقة الأجنبية من الخارج وترجمتها ، قلة توفر منح دراسية لطلبة الدراسات العليا ، غلاء مستلزمات الطباعة)

4–طلبة الدراسات العليا : ويقصد بهم الطلبة المنتظمون بالدراسة في برنامج الدراسات العليا لمرحلة الماجستير بقسم علم الإجتماع كلية الآداب بجامعة الزاوية عند إعدادهم لرسائلهم العلمية [1]

5–مرحلة الإعداد يقصد بها في البحث الحالي هي الفترة بين البدء في كتابة الموضوع من اختيار موضوع البحث إلى مرحلة كتابة تقرير البحث ومناقشته, فبعد قضاء طالب قسم علم الاجتماع بكلية الآداب لمتطلبات مرحلة الماجستير من اجتياز للمقررات الدراسية واختيار الموضوع يشرع في مرحلة الإعداد [2]

6–الرسائل العلمية: يقصد بها " العمليات والإجراءات والنشاطات والأعمال التي يجب أن يقوم بها طالب الدراسات العليا ، لينتج بحثا علميا مفيدا ، فيبدأ الطالب بتحديد موضوع الرسالة (مشكلة الدراسة) ، ثم يشرع في البحث عن موضوع الدراسة ، حتى الإنتهاء من مناقشته للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه ". **وتعرف أيضا بأنها :** بحث أساسي جوهري يخضع لمقياس الجامعة ، ويعد من قبل طالب يرغب في الحصول على درجة علمية عالية ، ويقدم بحثا يجسد وجهة نظره الخاصة ، وتحت إشراف مباشر من قبل أساتذة على درجة علمية عالية ، بحيث يمنح الطالب درجة الماجستير والدكتوراه [3]

---

1 - أمال برهان فلمبان ، معايير إختيار طلاب الدراسات العليا ، بحوث وتوصيات ندوة الدراسات العليا بالجامعات السعودية ، توجيهات مستقبلية ، جامعة الملك عبدالعزيز ، مركز النشر العلمي ،جدة, 2001م ، ص 283 .

2 - سالم محمد السالم ، واقع البحث العلمي في الجامعات ، دراسة لإتجاهات أعضاء هيئة التدريس بجامعة محمد بن سعود الإسلامية ، الإدارة العامة للثقافة والنشر , المملكة العربية السعودية، 1997م ، ص 120 .

3 - عبدالله محمد عبدالرحمن ، سوسيولوجيا التعليم الجامعي ، دراسة في علم الإجتماع التربوي ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1991م ، ص 26 .

ولتحقيق الأهداف السالفة الذكر قسمت الورقة البحثية إلى المحاور الرئيسة التالية:

أولا – ماهية الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا أثناء إعدادهم لرسائلهم العلمية:

يواجه طلبة الدراسات العليا تحديات ومعوقات وصعوبات أثناء إعدادهم لرسائلهم العلمية ، وتتسبب هذه الصعوبات في عرقلة حركة تطور البحث العلمي ومستواه ، ولابد من معرفة هذه الصعوبات ومواجهتها حتى يبرز دور البحث ، ويساعد في حل المشكلات المختلفة ، وإضافة معارف جديدة . وقد تم تحديد بعض الصعوبات في هذا البحث وهي على النحو التالي:

1–الصعوبات الاقتصادية: تتمثل الصعوبات الاقتصادية التي تواجه طلبة الدراسات العليا في قلة التمويل الكافي ، وضعف الإمكانات المادية لدى الطالب نفسه ، فضلا عن إرتفاع تكلفة المصروفات التي يدفعها الطالب لإتمام رسالته ، من أوراق بحثيه وإستبانات ، وتوزيعها ، ونسخها ، وإرتفاع أثمان الكتب ، وإرتفاع الرسوم الجامعية للدراسات العليا ، وإغلاق المكتبة في وقت مبكر لا يناسب طلبة الدراسات العليا ، وغير ذلك من المصروفات ، كما أن الطالب يعاني ضعفا في مقدرته على وضع عنوان الدراسة التي سيقوم بها ، إضافة إلى أنه تنقصه الخبرة التي تمكنه من تحديد مشكله الدراسة وتساؤلاتها [1]

2–الصعوبات الفنية: يواجه طلبة الدراسات العليا صعوبات فنية تتعلق بالتجهيزات المادية والمصادر، مثل ندرة وجود أجهزة إلكترونية (الحاسوب) في متناول أيدي الطلبة لإنجاز بحوثهم ودراساتهم ، وقلة المصادر والمراجع المتاحة بسهولة لتكون في متناول يد الطالب ليقتنيها كلما إحتاج لها، وضعف إلتزام الطالب بتعليمات كتابة الإطروحات والرسائل الجامعية ، وكذلك ضعف بعض أعضاء هيأة التدريس بمهارات التحليل الإحصائي، وكذلك قلة خبرة الطالب في إستخدام الأساليب الاحصائية المناسبة للدراسة، وصعوبة الحصول على موافقة الجهات الرسمية لغايات جمع البيانات ، مما يؤدي إلى ضعف مستوى الطالب في إمتلاك مهارات البحث العلمي وأساليبه [2]

3–الصعوبات الإدارية: تتعلق الصعوبات الإدارية التي تواجه طلبة الدراسات العليا ، في الإدارة الجامعية والأساتذة المشرفين على الرسائل ، وتكمن هذه الصعوبة في قلة تخصيص وقت كاف من قبل المشرف لمتابعة سير الدراسة خطوة خطوة مع الطالب ، فضلا عن قلة التوجيهات الواضحة التي يقدمها المشرف للطالب ، لتفادي الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها ، ومن بين تلك الصعوبات كثرة الإجراءات الروتينية في إدارة الجامعة التي يجب أن يجتازها قبل الموافقة على عنوان الدراسة ، والمخطط الذي يقدمه ، وكذلك تباين أراء المشرفين على الرسائل ، بل وتعارضها في بعض الأحيان ، لاسيما في أثناء جلسات المناقشة ، وكذلك قلة تعاون الأساتذة وأعضاء هيأة التدريس في تحكيم أدوات الدراسة إما لإنشغالهم بالسفر أو حضور ندوات أو مؤتمرات ، أو نتيجة لزيادة العبء التدريسي لأعضاء هيأة التدريس المؤهلين لإشراف على طلبة الدراسات العليا ، إلى غير ذلك من صعوبات [3]

---

1 - محمد علي محمد ، الشباب العربي والتغيير الإجتماعي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985م ، ص 16 .

2 - السيد سلامة الخميسي ، المعلم العربي ، بعض قضايا التكوين ومشكلات الممارسة المهنية ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، 2003م ، ص 15 .

3 - عبد الله شمت المجيدل ، دراسة مقارنة لمعوقات البحث العلمي في المؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة ، بحث ميداني ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية, جامعة الكويت، السنة 32 ، العدد 123 ، مجلس النشر العلمي ، الكويت ، 2006م ، ص 154 .

غير أنه هناك مشكلات تنظيمية وإدارية والتي يمكن أن تعيق مسيرة البحث العلمي هي:

أ–عدم وجود سياسة عامة واستراتيجيه واضحة لتوجيه البحث العلمي على مستوى البلدان العربية ككل ، وتعد هذه القضية من القضايا الملحة التي يجب التركيز عليها ومتابعة تنفيذها على مختلف البلدان .

ب–عدم تحديد الإتجاهات الأساسية للبحث العلمي في كل بلد وفي البلدان العربية ككل وغياب تحديد تلك الإتجاهات يوقع المؤسسات والمراكز في تخبط كبير، وإن تحديدها يساعد على إحداث المؤسسات والمراكز المتخصصة ويسهل عمليات تأمين مستلزمات البحث العلمي ومعرفة مجالات تطبيقية . ولعل أهم الإتجاهات المناسبة للبلدان العربية هي الإتجاهات التي تعتمد على التقنيات الخفيفة مثل : المعلوماتية والإلكترونية والكيميائية والطاقة المتجددة والتنقيب عن الثروات الطبيعية واستثمارها .

ج–عدم وضوح الأهداف البحثية للإتجاهات الأساسية ، فالباحث عندما يقوم ببحث ما يجب أن يعرف الهدف من بحثه . هل هو لخدمة المجتمع ؟ أم لخدمة البيئة ؟ أم لمعالجة مشكلة عامه ؟ أم لحل مسألة علمية متخصصة ؟ أم للاستفادة منها في الترقية ؟ أم استخدامه في كسب الشهرة والدعاية ؟ .

د–عدم ربط السياسة العلمية مع السياستين الأمنية والتنموية في البلاد وبالتالي فقدان إمكانية التحكم في العوامل المؤثرة على الأمن السياسي والعسكري والتقني والثقافي والإجتماعي والغذائي والمائي والصحي والإقتصادي والبيئي.

هـ–عدم وضوح الرؤية لدى القطاعات المنتجة والخدمية (العامة والخاصة) حول الدور الذي يمكن أن تسهم به البحوث العلمية المحلية في إيجاد الحلول المثلى للقضايا والمشكلات التي تعترضها وذلك نتيجة إعتمادها على الحلول الجاهزة والمستوردة من الخارج . وإن هذه القطاعات لم تدرك بعد أن الإستثمار في مجال البحث العلمي أكثر ربحية من أي مجال آخر.

و–الإتكالية : تسود الإتكالية العديد من الجهات والتي تعتبر أن البحث العلمي هو من مهام البلدان المتقدمة فقط ، وما على البلدان النامية إلا أن تستورد الخبرة والعلم والتقانة واستخدامها في الإنتاج والدفاع والزراعة والصناعة والصحة وغيرها [1]

إن معالجة هذه المشكلات يحتاج إلى إيجاد الحلول المناسبة لها على قدر ظهورها في الجامعات.

ثانيا– ماهية الدراسات العليا:

تعد الدراسات العليا برنامج دراسي يقدم بعد المرحلة الجامعية الأولى (الليسانس أو البكالوريوس) ومن المفاهيم الشائعة للدراسات العليا ، بأن الدراسات العليا برامج دراسية تلي المرحلة الجامعية الأولى ويقوم الطالب فيها بإجراء بحث وإنجاز متطلباته للحصول على درجة علمية عالية كدرجتي الماجستير والدكتوراه ، وتعد الدراسات العليا إمتداداً طبيعياً للدراسة الجامعية الأولى في مستوى أعلى وتخصص دقيق يسمح بعمق أكثر ومعرفة أدق

1 - خالد الزغبي ، التعليم العالي العربي ، المشكلات وأفاق المستقبل ، مؤتمر جامعة القاهرة للبحوث والدراسات العليا والعلاقات الثقافية ، الأردن ، 2000م ، ص85 .

وعلم أغزر. يرى باحثون مستقبليون بأنه (لا ضرورة لتقييد مفهوم الدراسات العليا بالحصول على درجة جامعية، بل يجب أن يتسع هذا المفهوم ليشمل دراسات حرة وأنشطة تدريبية هدفها التجدد والإنتعاش والصقل أو الهواية الشخصية ، كما يجب أن تكون هذه الدراسات ميسرة ومتعددة الوسائل [1]

ثالثا – طبيعة الدراسات العليا:

تعد الدراسات العليا هي الآليات التي خلقت مجتمع العلماء والمفكرين وهي الأساس التاريخي في تطوير صناعة العلم وفي إحترافها كمهنة ، ولازالت إلى اليوم تحمل ذات المدلول التاريخي ، وأنها السبيل الذي نشجع لأن يتوجه إليه الخريجون الجامعيون المتفوقون الأوائل والراغبون منهم في مواصلة العمل العلمي، إنها من دون شك مرحلة صعبة لأنها تمثل حالة الإنتقال من التلقي إلى مرحلة العطاء ومرحلة إنتقال من المعرفة إلى العلم.

فالعالم العربي قد يفشل في خلق وتكوين مجتمع العلماء على مدى سنوات القرن العشرين وذلك لعدم فهمنا الدقيق والجاد لوظيفة الدراسات العليا ولأسباب متعددة أخرى، وهذا يعني إن فشلنا قد يكشف لنا ضعف الدراسات العليا على مدى سنوات القادمة .

تقترن صعوبة الدراسات العليا بصعوبة الإنتقال من المعرفة إلى العلم وصعوبة الإنتقال من التلقي إلى العطاء ، فالدراسات العليا صعبة في الماضي كما هي صعبة في الحاضر، فالإنتقال من أخذ المعرفة الجاهزة إلى الإسهام في العلم مهمة صعبة في الماضي والحاضر على حد سواء، من ذلك جميعنا يدعوا إلى محو الأمية في مجتمعنا ويدعوا إلى دخول الجميع التعليم الأساسي والثانوي ويشجع العدد الأكبر لدخول الجامعات ولكننا لا يمكن أن ندعوا الجميع إلى التوجه إلى الدراسات العليا، وهذا يعني إن المعرفة للجميع ومن الضروري أن تكون للجميع إلا إن للعلم مجتمعه الخاص حيث يعمل أفراده به مهنة لهم وسلوك يومي، أنه مجتمع العلماء وهو دون شك غير مجتمع المتعلمين والمثقفين والتقنيين، هكذا فالدراسات العليا بوابة لدخول مجتمع العلماء [2]

رابعا– عناصر الدراسات العليا:

تتكون الدراسات العليا من مجموعة من العناصر، وهي:

1–طلاب الدراسات العليا(المواد الأولية).

2–الأساتذة المشرفون(عوامل الإنتاج).

3–الوسائل والوسائط والتمويل.

4–المحيط الملائم من أبنية وبيئة ومناخ ثقافي [3]

ولابد لأي تخطيط للدراسات العليا من أن يأخذ في إعتباره بأهمية هذه العناصر وضرورة تكاملها مع بعضها لتحقيق التقدم والأزدهار في برامج الدراسات العليا، وفيما يلي عرض لكل عنصر من هذه العناصر:

1 - منصور عوض صالح القحطاني، تمويل البحث العلمي في الجامعات السعودية وسبل تنميته ، دراسة ميدانية ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى, المملكة العربية السعودية، 2004م ، ص 147.

2 - كامل أحمد حميد ، المعوقات التي تواجه الباحث في الجامعات الفلسطينية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القدس ، القدس ، فلسطين ، 2004م ، ص 150 .

3 - ماهر أحمد الدباس ، معيقات البحث العلمي التي تواجه طلبة الدراسات العليا في الجامعات الأردنية وعلاقتها بدافعيتهم وتحصيلهم الأكاديمي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن ، 2011م ، ص 44 .

1–طلاب الدراسات العليا : يعتبر طالب الدراسات العليا من أهم عناصر الدراسات العليا وإنجاز البحث العلمي، فلذلك كان لابد من الإهتمام المبكر – في المراحل الجامعية الأولى– بإختيارهم وتربية مواهبهم وقدراتهم العقلية وذلك من خلال تنمية مهاراتهم بحيث يكون الطالب مؤهلاً وقادراً على العمل بنجاح في تخصصه ومتقبلاً لظروف العمل به، وراغباً في بذل الجهد وتحمل المسئولية بثقة في النفس ورغبة في العطاء. وقد أكدت لجنة Kellogg Commission حول مستقبل جامعات الولايات وجامعات لاندجرانت Land Grant على إلتزامها" برفع همم طلابها أكاديمياً وشخصياً بأسلوب شامل عن طريق تشجيع أكبر تكامل بين الخدمات الأكاديمية وخدمات الطلاب"[1] هذا فضلاً عن إعدادهم بطريقة علمية وعملية متكاملة لأن هذا سوف يساعد على تدعيم مجالات الدراسات العليا بعناصر وطنية ذات كفاءة عالية ولها صفة الإستمرارية للدراسة والبحث العلمي، ثم تأتي قدرات التثقيف العام للطالب بحيث يتم إعداده لأن يكون ملماً بتكنولوجيا الإتصال الحديثة واللغات الأجنبية وجميع ما يستجد من أحداث سياسية وإجتماعية على الساحة الثقافية العامة [2]

2–الأساتذة المشرفون: إن الهيئة التدريسية في الجامعة هي عمادها وأساس وجودها، ومكانة الجامعة الأكاديمية تتحد بصورة أساسية بهيئتها التدريسية والسمعة الأكاديمية لهذه الهيئة ، كما أن الهدف الأساسي للتنمية المهنية هو تكوين متأمل قادر على تهئية سياق ومناخ شخصي للتدريس، كما يكون قادر على إجراء بحوث فردية وجماعية. ومن المتعارف عليه أن طبيعة العمل الأكاديمي ومتطلبات الوسط الإجتماعي يفرضان على عضو هيئة التدريس القيام بوظائف التدريس والبحث العلمي والإدارة وإرشاد الطلبة والإشراف على الدراسات العليا والمشاركة في الإجتماعات والإستشارات ونحو ذلك من المهام التي ينتظر من أستاذ الجامعة القيام بها كجزء من دراسته. ونظراً لإرتفاع أعداد الطلبة المقبولين اضطرت الجامعات إلى تكثيف النصاب التدريسي على حساب الوظائف الأخرى وفي مقدمتها البحث العلمي وإثراء المعرفة ، كما أن كثرة أعداد الطلبة بالنسبة لعضو هيئة التدريس تؤدي إلى توجيه معظم جهد عضو هيئة التدريس ووقته في العملية التدريسية دون المجالات الأخرى المطلوبة منهم, أهمها إنجاز البحوث العلمية [3]

إن معالجة النقص في أعداد الهيئة التدريسية في الجامعات العربية والمؤهلين تأهيلاً راقياً للتعليم الجامعي تتحقق بصورة رئيسية من خلال تطوير برامج الدراسات العليا في الجامعات العربية [4]

3–الوسائل والوسائط والتمويل: يمثل التمويل العنصر الأساسي والفعال لإستمرار ورقي الجامعات في أي بلد من البلدان، الأمر الذي يتطلب أن تبذل الجامعات قصارى جهدها لتنويع مصادرها المالية بشتى الوسائل الممكنة، وعدم اقتصارها على مورد معين مهما كانت أهميته قدر المستطاع. كما أنه يجب التركيز على ضرورة تلبية الدولة لمتطلبات العمل العلمي البحثي، وزيادة المخصصات المالية له، مع استخدام تقنيات ومنهجيات فعالة في تخطيط

1 - حنان عبدالحكيم رزق ، واقع ومعوقات البحث التربوي لطلاب الدراسات العليا ، بكلية التربية بالمنصورة " دراسة ميدانية " ، مجلة بحوث كلية التربية ، (55) ، 2004م ، ص 42 .

2 - فيصل يونس السامرائي ، المعوقات الإدارية والفنية للجامعات العراقية في علاقتها مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، بغداد ، العراق ، 2002م ، ص 78 .

3 - جبل حامد علي حسن ، مدخل تكاملي مقترح لإدارة البحث العلمي في الجامعات السعودية ، مجلة الثقافة والتنمية ، 16 (94) ، 2015م ، ص 205 .

4 - جمال علي الأشقر ، الإتفاق الخجول على البحث العلمي في الوطن العربي ، مكتبة القدس ، غزة ، 2009م ، ص 165 .

هذه المخصصات على نحو يقلل من مظاهر الهدر والإسراف،إن معظم مشكلات الدراسات العليا ترتبط بمحدودية التمويل، وهذا يؤثر على كفاءة البحث العلمي وجودة برامج الدراسات العليا [1]

وتتمثل المصادر الأساسية لتمويل البحث العلمي في التالي:

-الدولة.

-المؤسسات الصناعية والإنتاجية.

-الجامعات والمعاهد الأكاديمية.

-الإعانات الخارجية.

بصورة عامة يمكن القول إن ما يخصص للجامعات من تمويل يكاد يكون محدوداً جداً قد لا يتناسب مع وظائفها الواسعة التي تقوم بها من أجل تحقيق التنمية والتقدم والمساهمة الفعالة في معالجة قضايا الدولة والمجتمع.

4- المحيط الملائم من أبنية وبيئة ومناخ ثقافي: بعد أن يتم وضع السياسات العلمية وملحقاتها لا بد من إستكمال البنى التحتية والفوقية للبحث العلمي، وإحداث المؤسسات والمراكز، وإنشاء المعامل والمخابر التي ستقوم على تنفيذ البحوث .

وعلى الرغم من أن بعض البلدان العربية قد قامت بإحداث المؤسسات الخاصة المسئولة عن تنسيق وإدارة البحوث العلمية فإن بعضها الآخر لم يقدم على ذلك .

خامسا- أهداف إدارة مؤسسات الدراسات العليا:

تهدف إدارة الدراسات العليا إلى تحقيق مجموعة من الأغراض لعل أهمها:

1-العناية بالدراسات العليا والتوسع في بحوثها والعمل على نشرها.

2-الإسهام في إثراء المعرفة الإنسانية بكافة فروعها عن طريق الدراسات المتخصصة والبحث الجاد، للوصول إلى إضافات علمية وتطبيقية مبتكرة والكشف عن حقائق جديدة.

3-تمكين الطلاب المتميزين من حملة الشهادات الجامعية من مواصلة دراساتهم العليا محلياً وبالمجان .

4-إعداد الكفايات العلمية والمهنية المتخصصة وتأهيلهم تأهيلاً عالياً في مجالات المعرفة المختلفة.

5-تشجيع الكفاءات العلمية على مسايرة التقدم السريع للعلم والتقنية ودفعهم إلى الإبداع والإبتكار، وتطوير البحث العلمي وتوجيهه لمعالجة قضايا المجتمع .

6-الإسهام في تحسين مستوى برامج المرحلة الجامعية لتتفاعل مع برامج الدراسات العليا [2]

سادسا- الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع البحث .

1-دراسة علي الهادي الحوات وأخرون ، بعنوان: مسيرة التعليم العالي في ليبيا إنجازات وطموحات النقابة العامة لأعضاء هيأة التدريس الجامعي ، جامعة طرابلس ، 2005م [3]

1 - سهام عبد الله العيسى، مؤشرات الجودة في الدراسات العليا ، بحوث وتوصيات ندوة الدراسات العليا بالجامعات السعودية ، توجيهات مستقبلية ، جامعة الملك عبد العزيز ، مركز النشر العلمي,جدة ، 2001م ، ص 326 .

2 - إبراهيم محمد العلي ، مشكلات البحث العلمي في البلدان العربية ، مؤتمر جامعة القاهرة للبحوث والدراسات العليا والعلاقات الثقافية القاهرة, 2000م ، ص 164 .

3 - علي الهادي الحوات وآخرون ، مسيرة التعليم العالي في ليبيا ، إنجازات وطموحات ، النقابة العامة لأعضاء هيأة التدريس الجامعي ، دراسة ميدانية ، جامعة طرابلس ، طرابلس ، ليبيا ، 2005م .

هدفت الدراسة التعرف على واقع الدراسات العليا في الجامعات الليبية وذلك بالرجوع إلى الكثير من الدراسات والبحوث والتقارير التربوية والعلمية المتوفرة في مختلف دوائر التخطيط والإدارة ومراكز إتخاذ القرارات في المؤسسات الليبية ، وإتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، وإستخدم الإستبيان كأداة جمع البيانات من عينة البحث .

وأسفرت الدراسة عن النتائج التالية:

–أن الدراسات العليا في ليبيا مازالت تفتقر إلى فلسفة واضحة المعالم والأهداف ، فهي تسير بطريقة فيها الكثير من الإجتهاد والفردية .

–هناك العديد من الصعاب والمشاكل وفي مقدمتها الإمكانيات المادية ، وقلة أعضاء هيأة التدريس ، والبروقراطية ، والمكتبية.

2–دراسة مصطفى ساسي فتوحة وجميل محمد خلاط ، بعنوان: مدى توافر الإمكانات المادية والبشرية لإتمام برامج الدراسات العليا بأقسام المحاسبة بكليات الإقتصاد بجامعة الزاوية وجامعة الجبل الغربي ، وجامعة طرابلس و الأكاديمية الليبية ، وذلك من وجهة نظر الأساتذة والطلبة ، 2007م [1]

هدفت الدراسة التعرف على مدى توافر الإمكانات المادية والبشرية لإتمام برامج الدراسات العليا بأقسام المحاسبة بالجامعات الليبية من وجهة نظر الأساتذة والطلبة ، وإتبع الباحثان المنهج الوصفي ، وإستخدما الإستبيان كأداة لجمع البيانات من عينة الدراسة .

وأسفرت الدراسة على النتائج التالية :

–وجود ضعف في العديد من المقومات المادية والبشرية .

–أن الخدمات التي تقدمها المكتبة هي بدائية ولا ترقى للمعايير الدولية.

3–دراسة نصر صالح محمد أحمد ، بعنوان: العوامل المفسرة لتأخر الطلبة في مرحلة الماجستير في العلوم المحاسبية في ليبيا من وجهة نظر الخريجين ، دراسة حالة في كلية المحاسبة ، جامعة الجبل الغربي ، 2013م[2]

هدفت الدراسة إلى التعرف على العوامل التي يمكن أن تفسر تأخر الطلبة في مرحلة ماجستير في العلوم المحاسبية في ليبيا ، تكونت عينة الدراسة من (33) خريجا من خريجي برنامج الدراسات العليا في المحاسبة بكلية المحاسبة بجامعة الجبل الغربي ، وإتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، وإستخدم الإستبيان لتقويم العوامل من وجهة نظر الخريجين .

أسفرت الدراسة إلى النتيجة التالية:

أن العوامل المرتبطة بأدوات والوسائل ، والمرتبطة بالتدريس والإشراف ، والمرتبطة بالطالب ، وتلك المرتبطة بالتنظيم الجامعي ، تعتبر كلها كما هي عليه الآن عوامل سلبية لم ترق إلى ما يجب أن تكون عليه حتى تسهم في تشجيع الطلبة على إتمام دراستهم في الوقت المحدد .

---

1 - مصطفى ساسي فتوحة وجميل محمد خلاط ، مدى توافر الإمكانيات المادية والبشرية لإتمام برامج الدراسات العليا بأقسام المحاسبة ، بكليات الإقتصاد بجامعة الزاوية ، وجامعة الجبل الغربي ، وجامعة طرابلس ، والأكاديمية الليبية ، ورقة مقدمة للمؤتمر التعليم المحاسبي وذلك من وجهة نظر الاستاذة والطلبة ، 2007م .

2 - نصر أحمد ، العوامل المفسرة لتأخر الطلبة في مرحلة الماجستير في العلوم المحاسبية في ليبيا من وجهة نظر الخريجين ، دراسة حالة في كلية المحاسبة جامعة الجبل الغربي ، 2013م .

4-دراسة أمال نوري كبيش, بعنوان : بعض المشكلات التي تواجه طلاب الدراسات العليا بجامعة طرابلس ، ليبيا ، 2007م [1]

هدفت الدراسة التعرف على أهم المشكلات النفسية والاجتماعية والأكاديمية والإدارية التي تواجه طلبة الدراسات العليا بجامعة طرابلس، وتكونت عينة الدراسة من (150) طالب وطالبة، وتم اتباع المنهج الوصفي، واستخدم الاستبيان كأداة جمع البيانات على عينة من مجتمع الدراسة, وأسفرت الدراسة إلى النتائج التالية:

-أثبتت نتائج الدراسة أن (99.1%) من الطلبة يشكون نقص الكتب والمراجع والدوريات العلمية الحديثة وعدم ربطها بشبكة المعلومات العالمية .

-أشار (95.3%) من الطلبة قلة الأجهزة العلمية والورش المتخصصة ذات العلاقة بالمناهج والمقررات الدراسية.

-أكد عدد من الطلبة بنسبة (94.3%) إلى اعتماد بعض أعضاء هيئة التدريس في تدريس المناهج على الطريقة التقليدية التي تعتمد على الحفظ والتلقين .

-أكد (88.7%) من الطلبة إلى عدم قدرتهم على استخدام الأساليب الاحصائية المناسبة والاعتماد على غيرهم في ذلك .

5-دراسة سعود بن ناصر الكثيري ،بعنوان: مشكلات إعداد رسائل الماجستير لدى طلاب الدراسات العليا بقسم المناهج وطرق التدريس في كلية التربية ، 2005م [2]

هدفت الدراسة إلى التعرف على مشكلات إعداد رسائل الماجستير لدى طلاب الدراسات العليا بقسم المناهج وطرق التدريس في جامعة الملك سعود، في المملكة العربية السعودية، وتكونت عينة الدراسة من (90) طالبا، بإستخدم المنهج الوصفي، وتم إعداد إستبانة لتحقيق أغراض الدراسة. **وأسفرت الدراسة إلى النتائج التالية:**

-أن المشكلات المتعلقة بإعداد الخطة قد حصلت على الرتبة الأولى، وأن المشكلات المتعلقة بالدراسات السابقة جاءت في الرتبة الثانية، كما جاءت بعدها مشكلات في طرق البحث والإحصاء ، وأما مشكلات الكتابة والتحرير فحلت في الرتبة الأخيرة .

-عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية بين التخصصات في تقدير مستوى المشكلات.

-كما أظهرت النتائج وجود فروق بين الطلاب المتفرغين وغير المتفرغين في تقدير أهمية المشكلات .

6-دراسة أحلام المغربي ، بعنوان: الكشف عن المشكلات التي تواجه طلبة الدراسات العليا (ماجستير ، دكتوراه) في الأبحاث الميدانية بقسم التربية الإسلامية مقارنة بكلية التربية جامعة أم القرى ، من وجهتي نظر أعضاء هيئة التدريس والطلبة في القسم ، 2012م [3]

هدفت الدراسة الكشف عن المشكلات التي تواجه طلبة الدراسات العليا (ماجستير ، دكتوراه) في الأبحاث الميدانية ، من وجهتي نظر أعضاء هيئة التدريس وطلبة في القسم ، وتكونت عينة الدراسة من (17) عضو هيئة التدريس

1 - أمال نوري كبيش ، بعض المشكلات التي تواجه طلبة الدراسات العليا ، بجامعة طرابلس ، رسالة ماجستير ، جامعة طرابلس ، 2007م .
2 - سعود بن ناصر ، مشكلات إعداد رسائل الماجستير لدى طلاب الدراسات العليا بقسم المناهج وطرق التدريس في كلية التربية ، 2005م .
3 - أحلام المغربي ، الكشف عن المشكلات التي تواجه طلبة الدراسات العليا (ماجستير ، دكتوراه) في الأبحاث الميدانية بقسم التربية الإسلامية مقارنة بكلية التربية جامعة أم القرى ، من وجهتي نظر أعضاء هيئة التدريس والطلبة في القسم , جامعة أم القرى, المملكة العربية السعودية، 2012م .

من كلا الجنسين و(43) طالبا وطالبة، واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي، وإستخدمت الإستبانة كأداة لجمع البيانات.

وأسفرت الدراسة إلى النتائج التالية:

–أن المشكلات التي تواجه الطلبة للقيام بالأبحاث الميدانية جاءت بدرجة كبيرة ،أما من وجهة نظر طلبة الدراسات العليا فقد جاءت بدرجة متوسطة .

– عدم وجود فروق ذات دلالة احصائية في المشكلات التي تواجه الطلبة في الأبحاث الميدانية بالقسم تعزى لمتغير الجنس ، والمرحلة العلمية .

7–**دراسة ماجدة السريحين، بعنوان: مشكلات إعداد الرسائل الجامعية في كليات التربية في الجامعات الأردنية الرسمية والحلول المقترحة ، 2012م** [1]

هدفت الدراسة التعرف على مشكلات إعداد الرسائل الجامعية في كليات التربية في الجامعات الأردنية الرسمية والحلول المقترحة ، وتكونت عينة الدراسة من (211) عضو هيئة التدريس و(368) من طلبة الدراسات العليا ، وإعتمدت المنهج الوصفي ، واستخدمت الاستبيان في جمع البيانات من عينة الدراسة.

وأسفرت الدراسة إلى النتائج التالية:

–أن مشكلات إعداد الرسائل الجامعية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، ومن وجهة نظر الطلبة جاء بدرجة مرتفعة.

–وجود فروق ذات دلالة احصائية تعزى لأثر الجنس والمشكلات الأكاديمية وجاءت الفروق لصالح الذكور .

8–**دراسة سارة جمال سعدي سالم**، بعنوان: المشكلات التي تواجه طلبة الدراسات العليا في الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة في إعدادهم لرسائلهم وأطروحاتهم من وجهة نظرهم ووجهة نظر رؤساء الأقسام الأكاديمية، 2017م [2]

هدفت الدراسة إلى التعرف على درجة المشكلات التي تواجه طلبة الدراسات العليا في إعدادهم لرسائلهم وأطروحاتهم في العاصمة عمان من وجهة نظرهم ، ووجهة نظر رؤساء الأقسام الأكاديمية ، ولتحقيق هدف الدراسة ، تم إختيار عينة طبقية عشوائية مقدارها (486) طالب ماجستير ودكتوراه في الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة، و(84) رئيس قسم أكاديمي من الجامعات الحكومية والخاصة ، واعتمدت المنهج الوصفي ، واستخدمت الاستبيان في جمع البيانات من عينة الدراسة.

وأسفرت الدراسة إلى النتائج التالية:

–إن درجة المشكلات الفنية والإدارية والمالية التي يواجهها طلبة الدراسات العليا في إعدادهم لرسائلهم وأطروحاتهم من وجهة نظر الطلبة كانت متوسطة .

–احتلت المشكلات المالية الرتبة الأولى ، وكانت بدرجة مرتفعة ، في حين إحتلت المشكلات الإدارية والفنية الرتبتين الثانية والثالثة على التوالي .

---

1 - ماجدة السريحين ، مشكلات إعداد الرسائل الجامعية في كليات التربية في الجامعات الأردنية الرسمية والحلول المقترحة ، 2012م .

2 - سارة جمال سعدي سالم ، المشكلات التي تواجه طلبة الدراسات العليا في الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة في إعدادهم لرسائلهم وأطروحاتهم من وجهة نظرهم ووجهة نظر رؤساء الأقسام الأكاديمية ، 2017م .

–وجود فروق دالة احصائيا عند مستوى (0.05) في المشكلات الفنية والإدارية والمالية التي تواجه طلبة الدراسات العليا في إعدادهم لرسائلهم وأطروحاتهم تبعا لمتغير الجنس ولصالح الإناث .

سابعا – الإجراءات المنهجية في الدراسة الميدانية

1– **مجتمع البحث:** يتكون مجتمع البحث في هذه الدراسة من جميع طلبة الدراسات العليا بقسم علم الإجتماع في مرحلة إعدادهم لرسائلهم البالغ عددهم (11) طالب للعام الجامعي – 2019م .

الخصائص العامة لمجتمع البحث :

جدول (1) يبين توزيع أفراد مجتمع البحث حسب النوع

النوع	التكرار	النسبة المئوية
ذكر	2	18.2
أنثى	9	81.8
المجموع	11	100.0

من خلال البيانات الواردة بالجدول (1) نلاحظ أن نسبة 81.8% من مجموع أفراد مجتمع البحث من الإناث ، ونسبة 18.2% من مجموع أفراد مجتمع البحث من الذكور, وهذا الاختلاف في عامل النوع يساعد الباحث في معرفة الفروق بين الصعوبات المدرجة في أداة جمع البيانات حسب أهميتها.

جدول (2) يبين توزيع أفراد مجتمع البحث حسب التفرغ للدراسة

التفرغ للدراسة	التكرار	النسبة المئوية
متفرغ	3	27.3
غير متفرغ	8	72.7
المجموع	11	100.0

من خلال البيانات الواردة بالجدول (2) نلاحظ أن نسبة 72.7% من مجموع أفراد مجتمع البحث غير متفرغين للدراسة ، ونسبة 27.3% من مجموع أفراد مجتمع البحث متفرغين للدراسة .

2–حدود البحث:

أ–الحدود النظرية : ينطلق هذا البحث في تفسيره للصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الإجتماع عند إعدادهم لرسائلهم العلمية ، من خلال فكرة محورية للنظرية البنائية الوظيفية مفادها : أن النسق العلمي أحد الأنساق الأساسية التي تلبي ضرورة وظيفية للمجتمع من تربية ونقل المعرفة من جيل إلى أخر ، وأن أي خلل في هذا النسق الذي يساهم في إيجاد مخرجات كمية وكيفية لبقية الأنساق بالمجتمع قد يؤدي إلى خلل في بقية الأنساق الأخرى ، وذلك عندما يخرج مخرجات لا تلبي الحاجات الأساسية للأنساق الإجتماعية ، ويكونوا غير قادرين على أداء الدور الوظيفي المنوط بهم في كل نسق.

ب–الحدود المنهجية : ينتمي البحث إلى البحوث الوصفية الذي يعتمد على المنهج الوصفي باستخدام أسلوب المسح الإجتماعي من أكثر الطرق تماشيا وملائمة وإستخداما لهذا النوع من البحوث، إذ يتيح هذا المسح القدرة

على جمع أكبر قدر من البيانات الميدانية عن الموضوع أو الظاهرة المراد دراستها كما أن الباحثين عادة ما يلجئون إلى إجراء أسلوب الحصر الشامل عندما يكون مجتمع البحث صغير ، وذلك بهدف الخروج بنتائج يمكن تعميمها وتفيد أيضا في فهم صحيح للظاهرة المدروسة.

3- أداة البحث : بعد الإطلاع على الأدب السوسيولوجي والدراسات السابقة ، تم بناء استبيان بعض الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بمرحلة الماجستير بقسم علم الإجتماع كلية الآداب بجامعة الزاوية ، أعد الاستبيان بصورته الأولية ، وتم عرضه على مجموعة من المحكمين والبالغ عددهم (5) محكمين متخصصين في مجال المعرفة ، وتم إجراء التعديلات اللازمة من حيث حذف أو إضافة أو تعديل ، فأصبح عدد فقرات الاستبيان بعد التعديل (21) فقرة موزعة على ثلاث أبعاد (الصعوبات الإقتصادية – الصعوبات الإدارية – الصعوبات الفنية) ، علما بأن بدائل الإجابة عن فقراته تنحصر في (دائما – أحيانا – أبدا) .

– تم القيام بحساب صدق الاتساق الداخلي باستخدام مصفوفة الإرتباط البسيط بيرسون.

جدول (3) ارتباط أبعاد أداة جمع البيانات بالدرجة الكلية

الأبعاد	عدد الفقرات	الارتباط
الصعوبات الإقتصادية	7	**0.871
الصعوبات الإدارية	7	**0.860
الصعوبات الفنية	7	**0.870
الصعوبات التي تواجة طلبة الدراسات العليا بقسم علم إجتماع ككل	21	**0.909

يتضح من الجدول السابق أن جميع قيم معاملات ارتباط بيرسون بين درجات كل بعد من أبعاد الإستبيان والدرجة الكلية كانت دالة إحصائيا عند مستوى (0.01) الأمر الذي يؤكد صدق الإتساق الداخلي لكل بعد بالدرجة الكلية للاستبيان ، ومن ثم الوثوق فيه للاستخدام والتطبيق .

– حساب ثبات أداة جمع البيانات باستخدام إختبار ألفا كرو نباخ:

بعد التحقق من الصدق الظاهري وصدق المحتوى لأداة جمع البيانات كان لابد من التحقق من ثبات الأداة والذي يشير إلى إمكانية الحصول على نفس النتائج لو أعيد تطبيق الأداة على مجتمع البحث , حيث تم الاعتماد على استخدام معامل ألفا كرونباخ الذي يعد من أشهر المعادلات المستخدمة للتأكد من ثبات أداة جمع البيانات " الاستبيان".

جدول (4) يبين معامل ثبات الإستبيان باستخدام طريقة ألفا كرو نباخ للأبعاد والدرجة الكلية

الأبعاد	عدد الفقرات	معامل الثبات
الصعوبات الإقتصادية	7	0.862
الصعوبات الإدارية	7	0.880
الصعوبات الفنية	7	0.783
الصعوبات التي تواجة طلبة الدراسات العليا بقسم علم إجتماع ككل	21	0.989

يتضح من الجدول (4) أن جميع قيم معاملات الثبات عالية ، حيث تراوحت قيم معاملات الثبات في محاور الإستبيان بين (0.783– 0.880)، وبلغ معامل الثبات الكلي (0.989)، وتشير هذه القيم العالية من معاملات الثبات إلى صلاحية الإستبيان للتطبيق وإمكانية الإعتماد على نتائجها والوثوق بها .

نتائج التساؤل الاول: ما أهم الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الإجتماع في مرحلة إعدادهم لرسائلهم ؟

أ– الصعوبات الاقتصادية :

جدول (5) يبين المتوسطات الحسابية والإنحرافات المعيارية وترتيب الفقرات حسب أهميتها والدرجة في بعد الصعوبات الإقتصادية

ت	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الدرجة
-1	قلة الدعم المادي لطلبة الدراسات العليا من جانب الجامعة	2.5455	0.68755	2	كبيرة
-2	إرتفاع تكلفة إحضار الدراسات السابقة الأجنبية من الخارج وترجمتها .	2.6364	0.67420	1	كبيرة
-3	قلة توفر منح دراسية لطلبة الدراسات العليا .	2.4545	0.68755	3	كبيرة
-4	إرتفاع أسعار خدمات الحاسوب وإستخدام الأنترنت .	2.3636	0.80904	4	كبيرة
-5	غلاء مستلزمات الطباعة .	2.4545	0.68755	3	كبيرة
-6	إرتفاع تكاليف الرسوم الدراسية .	2.5455	0.68755	2	كبيرة
-7	قلة الإمكانيات المادية للطلبة لتغطية نفقات البحث الميداني	2.6364	0.67420	1	كبيرة

يتضح من بيانات الواردة بالجدول السابق أن أعلى فقرة في هذا البعد كانت : الفقرتين (2– 7) والتي نصت على (إرتفاع تكلفة إحضار الدراسات السابقة الأجنبية من الخارج وترجمتها – قلة الإمكانيات المادية للطلبة لتغطية نفقات البحث الميداني) إحتلت المرتبة الأولى بنفس المتوسط الحسابي (2.6364) وانحراف المعياري (0.67420) وجاءت بدرجة كبيرة .

ويمكن أن نعزو ذلك إلى أن طلبة الدراسات العليا بقسم علم الإجتماع يواجهون صعوبات إقتصادية تمثلت في إرتفاع تكلفة إحضار الدراسات السابقة الأجنبية من الخارج وترجمتها ، كإرتفاع أسعار تذاكر السفر وصعوبة الحصول عليها مع الوضع الراهن بالمجتمع الليبي من الإنفلات الأمني ، وكذلك عدم تمكن الكثير من الطلبة من اللغة الإنجليزية نتيجة لغلاء أسعار الإلتحاق بدورات تحصيل اللغة الإنجليزية ، وحتى لو تمكنوا من إحضار الدراسات السابقة الأجنبية، سوف تواجههم مشكلة الترجمة ، فهي مكلفة وتتطلب مصاريف كبيرة لترجمة هذه الدراسات. وكذلك نتيجة لعدم خبرة طالب الدراسات العليا بمهارات التحليل الإحصائي فأنه عادة ما يلجأ إلى خبراء في هذا المجال للقيام بعملية التحليل الإحصائي ، فهي عملية مكلفة وتتطلب مصاريف كبيرة تثقل كاهل طالب الدراسات العليا، مما يضطره إلى الإستدانة أو البحث عن مصدر أخر لتغطية هذه المصروفات، وهذا من شأنه يؤدي إلى التأخر عن إنجاز الرسالة في المدة المطلوبة, وتتفق هذه النتيجة مع دراسة كل من (سارة سالم ، 2017م) ودراسة(علي الحوات وأخرون ، 2005م) ودراسة (مصطفى ساسي فتوحة وجميل محمد خلاط ،

2007م) والتي ترى بأن الدراسات العليا في الجامعات الليبية تواجهها العديد من الصعاب والمشاكل في مقدمتها الإمكانيات المادية .

أن أدنى فقرة في هذا البعد كانت : الفقرة (4) والتي نصت على (إرتفاع أسعار خدمات الحاسوب وإستخدام الأنترنت) بمتوسط الحسابي (2.3636) وانحراف المعياري (0.80904).

ب–الصعوبات الإدارية :

جدول (6) يبين المتوسطات الحسابية والإنحرافات المعيارية وترتيب الفقرات حسب أهميتها والدرجة في بعد الصعوبات الإدارية

ت	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الدرجة
1-	قلة المشرفين على الرسائل الجامعية .	2.6364	0.67420	2	كبيرة
2-	زيادة العبء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس المؤهلين للإشراف على طلبة الدراسات العليا	2.4545	0.68755	4	كبيرة
3-	إنشغال المشرف الأكاديمي بالسفر أو حضور ندوات أو مؤتمرات .	2.6364	0.67420	2	كبيرة
4-	قلة تعاون الأساتذة وأعضاء هيئة التدريس في تحكيم أداة الدراسة .	2.4545	0.68755	4	كبيرة
5-	الصعوبة في إعطاء الطلبة وقتا كافيا من قبل المشرف عند الإلتقاء بهم .	2.5455	0.68755	3	كبيرة
6-	ضعف إسهام المشرف في إقتراح موضوعات مناسبة لأبحاث الطلبة ورسائلهم .	2.7273	0.64667	1	كبيرة
7-	قلة إهتمام المشرف بمساعدة الطلبة وتوجيههم عند الحاجة لذلك	2.6364	0.67420	2	كبيرة

يتضح من بيانات الواردة بالجدول السابق أن أعلى فقرة في هذا البعد كانت: الفقرة (6) والتي نصت على (ضعف إسهام المشرف في إقتراح موضوعات مناسبة لأبحاث الطلبة ورسائلهم) إحتلت المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.7273) وانحراف المعياري (0.64667) وجاءت بدرجة كبيرة.

وقد يرجع ذلك إلى ضعف إسهام المشرف في إقتراح موضوعات مناسبة لأبحاث الطلبة ورسائلهم إلى قلة خبرته في مجال الإشراف، وترك المهمة للطالب يتخبط وحده في عملية إختيار المواضيع المناسبة وقد تأخذ منه عملية الإختيار عن الموضوع المناسب وقتا طويلا، وقد يتم رفض الموضوع من قبل لجنة تحكيم المقترح إما لتكراره أو أنه لا يشكل مشكلة بحثية تستحق البحث والدراسة, فهذه المرحلة تعد من أصعب المراحل التي تواجه طالب الدراسات العليا, وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (نصر صالح محمد أحمد ، 2013م) والتي ترى بأن سبب تأخر طلبة العلوم المحاسبية في إعداد رسائلهم نتيجة القصور من قبل أعضاء هيأة التدريس في عملية الإشراف

كما أن أدنى فقرة في هذا البعد كانت الفقرتين : (2– 4) والتي نصت على (زيادة العبء التدريسي لأعضاء هيئة التدريس المؤهلين للإشراف على طلبة الدراسات العليا – قلة تعاون الأساتذة وأعضاء هيئة التدريس في تحكيم أداة الدراسة) بنفس المتوسط الحسابي (2.4545) وانحراف المعياري (0.68755).

ج- الصعوبات الفنية :

جدول (7) يبين المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية وترتيب الفقرات حسب أهميتها والدرجة في بعد الصعوبات الفنية .

ت	الفقرات	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الدرجة
-1	ضعف الإلتزام بتعليمات كتابة الأطروحات والرسائل العلمية .	2.5455	0.68755	3	كبيرة
-2	تدني مستوى تحصيل الطلبة المقبولين في برنامج الدراسات العليا .	2.7273	0.64667	1	كبيرة
-3	ضعف بعض أعضاء هيئة التدريس بمهارات التحليل الإحصائي .	2.6364	0.67420	2	كبيرة
-4	قلة إستجابة طلبة الدراسات العليا لملاحظات المشرف وتوجيهاته .	2.6364	0.67420	2	كبيرة
-5	عدم توفر آلية واضحة من القسم في عملية إختيار موضوع البحث	2.4545	0.68755	4	كبيرة
-6	نقص المراجع العلمية والدوريات ، وضعف المنظومة المكتبية ومصادر المعرفة اللازمة للطلبة في إعداد بحوثهم .	2.7273	0.64667	1	كبيرة
-7	ضعف تمكن طالب الدراسات العليا من وضع خطة البحث	2.6364	0.67420	2	كبيرة

يتضح من بيانات الواردة بالجدول السابق أن أعلى فقرة في هذا البعد كانت : الفقرتين (2- 6) والتي نصت على (تدني مستوى تحصيل الطلبة المقبولين في برنامج الدراسات العليا – نقص المراجع العلمية والدوريات، وضعف المنظومة المكتبية ومصادر المعرفة اللازمة للطلبة في إعداد بحوثهم) إحتلت المرتبة الأولى بنفس المتوسط الحسابي (2.7273) وانحراف المعياري (0.64667) وجاءت بدرجة كبيرة.

ويعزى ذلك: إلى نقص المراجع والدوريات وضعف المنظومة المكتبية كونها سببا من أسباب التي تواجه الطلبة في مرحلة إعدادهم لرسائلهم ، فالمراجع العلمية الحديثة ، وكذلك المكتبة الجيدة يلعبان دورا أساسيا في إثراء العملية التعليمية ، وتزويد الطالب بما يحتاجه من معلومات ضرورية يثري بها معرفته وتوجهه خلال كل مراحل إعداده لرسالته . حيث أن برامج الدراسات العليا في ليبيا لا زال يواجه نفس المشاكل التي من أهمها عدم توفر الكتاب والمرجع وحتى إن توفرت هذه المراجع فهي محدودة ولا تكفي العدد المتزايد من طلاب الدراسات العليا، وعلى النقيض من ذلك فإن المكتبات في الجامعات الأوروبية والأمريكية قد سعت منذ عقود في استخدام التقنية في إجراءاتها الفنية مثل التزويد والفهرسة والإعارة وخدمات المعلومات للمستفيدين والباحثين ، وقامت باقتناء مصادر المعلومات الإلكترونية وإندمجت في شبكات محلية وإقليمية ، وقد أصبح بإمكان الطلاب وأعضاء هيأة التدريس الوصول إلى مقتنيات مكتباتهم الجامعية من كتب ودوريات ومراجع في أسرع وقت وبأقل جهد وهم في مكاتبهم أو في بيوتهم عن طريق الأنترنت , وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (مصطفى ساسي فتوحة وجميل محمد خلاط ، 2007م) والتي ترى بأن الخدمات التي تقدمها المكتبة هي بدائية ولا ترقى للمعايير الدولية . وإتفقت أيضا مع نتائج دراسة (أمال كبيش 2007م) حيث أشارت أن (95,3%) من طلبة الدراسات العليا يحتاجون إلى الأجهزة العلمية والورش ذات العلاقة بالمقررات الدراسية, كما إن نسبة (99,1%) يشكون من نقص الكتب والمراجع

والدوريات العلمية الحديثة كما أن نسبة عالية أيضا من الطلبة يؤكدون عدم قدرتهم على استخدام الأساليب الإحصائية المناسبة والاعتماد على غيرهم.

وأن أدنى فقرة في هذا البعد كانت الفقرة : (5) والتي نصت على (عدم توفر آلية واضحة من القسم في عملية إختيار موضوع البحث) بمتوسط حسابي (2.4545) وانحراف المعياري (0.68755).

جدول (8) يبين المتوسط الحسابي وترتيب أبعاد أهم الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الإجتماع في مرحلة الإعداد لرسائلهم

ت	أبعاد استبيان أهم الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الإجتماع في مرحلة إعدادهم لرسائلهم .	المتوسط الحسابي	الترتيب
1	الصعوبات الإقتصادية .	18.3636	1
2	الصعوبات الإدارية .	18.0909	2
3	الصعوبات الفنية .	17.6364	3

يبين جدول (8) ترتيب أبعاد الإستبيان حسب أهميتها لدى أفراد مجتمع البحث وفقا للمتوسط الحسابي , حيث جاءت في المرتبة الأولى الصعوبات الإقتصادية بمتوسط الحسابي (18.3636)، بينما جاءت الصعوبات الإدارية في المرتبة الثانية بمتوسط الحسابي (18.0909)، وفي المرتبة الثالثة جاءت الصعوبات الفنية بمتوسط حسابي (17.6364).

من خلال ما سبق يمكن القول بأن أول ما يواجه طالب الدراسات العليا في مرحلة إعداده لرسالته هو الجانب المالي ، من حيث توفير وشراء مستلزمات إعداد الرسالة من كتب ومراجع ودوريات ، وكذلك شراء أوراق البحث كمرحلة أولى لكتابة خطة بحثه ، ثم العمل على طباعتها وإقتناء جهاز حاسب آلي ، وقد يضطر إلى ترجمة بعض الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع بحثه ، فالعملية مستمرة إلى أن يتم الإنتهاء من الجانب النظري من الرسالة ، وتزداد المصاريف على كاهل طالب الدراسات العليا عند البدء في الجانب الميداني وخاصة في مرحلة جمع البيانات والقيام بعملية التحليل . وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (سارة جمال سعدي سالم ، 2017م) والتي أكدت نتائجها أن المشكلات المالية إحتلت المرتبة الأولى، وكانت مرتفعة ، ثم إحتلت المشكلات الإدارية والفنية الرتبتين الثانية والثالثة على التوالي.

نتائج التساؤل الثاني: الكشف عن الفروق بين المتغيرات المستقلة (النوع – التفرغ للدراسة) ودرجة الصعوبة التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع في مرحلة اعدادهم لرسائلهم .

جدول (9) يبين التوصيف الإحصائي لأفراد مجتمع البحث لإختبار دلالة الفروق بين متوسطات فئات (متغير النوع) ودرجة الصعوبة التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الإجتماع في مرحلة الإعداد لرسائلهم العلمية.

الأبعاد	النوع	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة " ت "	مستوى الدلالة
الصعوبات الإقتصادية	ذكر	2	9.5000	3.53553	-4.604	.000
	أنثى	9	19.4444	2.65100	-3.750	.000
الصعوبات الإدارية	ذكر	2	10.0000	4.24264	-5.218	.000
	أنثى	9	19.8889	2.08833	-3.211	.000
الصعوبات الفنية	ذكر	2	10.0000	4.24264	-6.085	.000
	أنثى	9	20.2222	1.71594	-3.347	.000
المقياس ككل	ذكر	2	29.5000	12.02082	-5.316	.000
	أنثى	9	59.5556	6.38575	-3.430	.000

من بيانات الواردة بالجدول (9) يتبين لنا أن مجموع أفراد مجتمع البحث الإناث سجلن متوسطا حسابيا (59.5556)، أكبر من أفراد مجتمع البحث الذكور (29.5000) على مقياس الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الإجتماع ولصالح الإناث, كما يتضح من الجدول (9) أن قيمة اختبار (ت)، وهي قيمة معنوية عند مستوى دلالة (0.05) ، حيث بلغت قيمة احتمال الخطأ المثبتة إزاءها (0.000) ، هذا يشير إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات أفراد مجتمع البحث بحسب متغير النوع و الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع ، وبما أن قيمة احتمال الخطأ أقل من مستوى الدلالة فإننا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل الفرضية البديل التي تنص على وجود فروق دالة إحصائيا بين متغير النوع والصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع ولصالح الإناث, ويعزو ذلك في تفسير درجات الصعوبة عند الإناث في مرحلة إعدادهن لرسائلهن ، نتيجة الإلتزامات الأسرية ، كونها إما متزوجة أو موظفة في أحد قطاعات الدولة ، و ربما لعدم حصولها على تفرغ جزئي أو كلي ، بالإضافة إلى درجة صعوبة هذه المرحلة وما تتطلبه من توفر الدعم المادي والنفسي عند البدء في كتابة الرسالة.

وجاءت هذه النتيجة متوافقة مع ما توصلت إليه دراسة كل من (سارة جمال سعدي سالم ، 2017م) ، ودراسة (ماجدة السرحين ، 2012م) والتي أكدت دراستهما بوجود فروق ذات دلالة احصائية بين النوع ودرجة التعرض للمشكلات في مرحلة اعداد الرسالة ، إلا أن الفروق كانت لصالح الذكور ، عكس ما توصل إليه هذا البحث .

جدول (10) يبين التوصيف الإحصائي لأفراد مجتمع البحث لإختبار دلالة الفروق بين متوسطات فئات متغير التفرغ للدراسة ودرجة الصعوبة التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الإجتماع في مرحلة إعدادهم لرسائلهم .

الأبعاد	التفرغ للدراسة	حجم العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة " ت "	مستوى الدلالة
الصعوبات الإقتصادية	متفرغ	3	11.0000	3.60555	-5.784	.000
	غير متفرغ	8	20.1250	1.80772	-4.190	.000
الصعوبات الإدارية	متفرغ	3	11.6667	4.16333	-5.993	.000
	غير متفرغ	8	20.5000	1.06904	-3.630	.000
الصعوبات الفنية	متفرغ	3	12.0000	4.58258	-5.748	.000
	غير متفرغ	8	20.7500	.70711	-3.293	.000
المقياس ككل	متفرغ	3	34.6667	12.34234	-5.974	.000
	غير متفرغ	8	61.3750	3.54310	-3.691	.000

من بيانات الواردة بالجدول (10) يتبين لنا أن مجموع أفراد مجتمع البحث الغير متفرغين للدراسة سجلوا متوسطا حسابيا (61.3750) ، أكبر من أفراد مجتمع البحث المتفرغين للدراسة (34.6667) على مقياس الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الإجتماع ولصالح أفراد مجتمع البحث الغير المتفرغين للدراسة, كمايتضح من الجدول (10) أن قيمة اختبار (ت)، وهي قيمة معنوية عند مستوى دلالة (0.05) ، حيث بلغت قيمة احتمال الخطأ المثبتة إزاءها (0.000)، هذا يشير إلى وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات أفراد مجتمع البحث بحسب متغير التفرغ للدراسة و الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع وأبعادها، وبما أن قيمة احتمال الخطأ أقل من مستوى الدلالة فإننا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل بالفرضية البديلة التي تنص على وجود فروق دالة إحصائيا بين متغير التفرغ للدراسة والصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع ولصالح أفراد مجتمع البحث الغير المتفرغين للدراسة.

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (سعود بن ناصر الكثيري ، 2005م) بوجود فروق بين الطلاب المتفرغين وغير المتفرغين في تقدير أهمية المشكلات . لذلك يرى الباحث بأن إلتزامات العمل وعدم التفرغ للدراسة كانت عاملا مهما من العوامل التي تواجه طلبة الدراسات العليا في إنجازهم لرسائلهم ، فالطالب عادة ما يكون موظفا في إحدى المؤسسات وقد يكون متزوجا ومثقلا بأعباء أسرته وأطفاله.

عليه تؤكد الباحثة على أهمية التفكير في مسألة إيجاد لوائح عامة في المجتمع تجيز تفرغ الموظف أيا كانت طبيعة وظيفته في مؤسسات الدولة الرسمية للدراسة العليا محليا في الجامعات الليبية بمرتبه كاملا.

ملخص النتائج:

1-أشارت نتائج البحث أن أهم الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع هي الصعوبات الاقتصادية حيث جاءت في المرتبة الأولى بمتوسط الحسابي (18.3636) . حيث احتلت الفقرتين (2- 7) والتي نصت على (إرتفاع تكلفة إحضار الدراسات السابقة الأجنبية من الخارج وترجمتها – قلة الإمكانيات المادية للطلبة لتغطية نفقات البحث الميداني) المرتبة الأولى بنفس المتوسط الحسابي (2.6364) وإنحراف المعياري (0.67420) وجاءت بدرجة كبيرة ، بينما جاءت الصعوبات الإدارية في المرتبة الثانية بمتوسط الحسابي (18.0909) حيث إحتلت الفقرة (6) والتي نصت على (ضعف إسهام المشرف في إقتراح موضوعات مناسبة لأبحاث الطلبة ورسائلهم وأطروحاتهم) المرتبة الأولى بمتوسط حسابي (2.7273) وإنحراف المعياري (0.64667) وجاءت بدرجة كبيرة ، وفي المرتبة الثالثة جاءت الصعوبات الفنية بمتوسط حسابي (17.6364) حيث احتلت الفقرتين (2- 6) والتي نصت على (تدني مستوى تحصيل الطلبة المقبولين في برنامج الدراسات العليا – نقص المراجع العلمية ومصادر المعرفة اللازمة للطلبة في إعداد بحوثهم) المرتبة الأولى بنفس المتوسط الحسابي (2.7273) وانحراف المعياري (0.64667) وجاءت بدرجة كبيرة .

2-أوضحت نتائج البحث بوجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات أفراد مجتمع البحث بحسب متغير النوع والصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع وأبعادها ، وبما أن قيمة احتمال الخطأ أقل من مستوى الدلالة فإننا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل بالفرضية البديلة التي تنص على وجود فروق دالة إحصائيا بين متغير النوع والصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع ولصالح الإناث .

3-أكدت نتائج البحث وجود فروق دالة إحصائيا بين متوسطات درجات أفراد مجتمع البحث بحسب متغير التفرغ للدراسة و الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع وأبعادها ، وبما أن قيمة احتمال الخطأ أقل من مستوى الدلالة فإننا نرفض الفرضية الصفرية ونقبل بالفرضية البديلة التي تنص على وجود فروق دالة إحصائيا بين متغير التفرغ للدراسة و الصعوبات التي تواجه طلبة الدراسات العليا بقسم علم الاجتماع ولصالح أفراد مجتمع البحث الغير المتفرغين للدراسة .

التوصيات :

في ضوء نتائج البحث توصي الباحثة بما يلي:

1-إعطاء أكبر قدر من الوقت لطلبة الدراسات العليا للمكوث في المكتبة، وذلك للحاجة الماسة، والسماح لهم بالاستعارة الخارجية بدون قيود والعمل على تزويد مكتبة الجامعة بأحدث الكتب وبخاصة أحدث الدوريات المعربة

2-ضرورة إهتمام القائمين على عمادة الدراسات العليا في كلية الآداب خاصة، بحصر المشاكل والقضايا التي تواجه الطلبة والعمل على حلها .

3-إنشاء مكتبة خاصة بكلية الدراسات العليا .

4-الاهتمام بالإعداد اللغوي لإكتساب لغة إنجليزية لطلبة الدراسات العليا حتى يمكنهم الإطلاع على المراجع والدوريات والمجلات العلمية والأجنبية .

5-إقامة العديد من الندوات واللقاءات يشترك فيها طلاب وأساتذة الدراسات العليا، تطرح فيها المشكلات الأكاديمية والإدارية ويعمل الجميع على تقديم الحلول المناسبة لها، مما يزيد من الرابطة بين الطلبة وأساتذتهم .

6-ضرورة البحث عن مصادر دعم مادية للطلبة، أو منح كلية أوجزئية تساهم في حل بعض المشكلات لدى الطلبة.

7-ضرورة زيادة الاهتمام بتأهيل طلبة الدراسات العليا للبحث العلمي ويكون هذا التأهيل من مرحلة الليسانس حيث يتم تدريبهم على كتابة البحوث العلمية بالطريقة التي تتم بها هذه البحوث في مرحلة الدراسات العليا، إلى جانب تعليمهم اللغة الإنجليزية ومهارات الحاسب الآلي والخدمات المكتبية.

8- ضرورة تنسيق المواد المنهجية المدروسة من حيث الكم والكيف، فيتم اختيارها على حسب ما تقضيه متطلبات المجتمع مع مراعاة حداثة هذه المواد ومجاراتها لمعطيات العصر الحديث، فبذلك يستطيع الطلاب اختيار موضوعات البحث الحديثة، مما يثري المجتمع ويخدم قضاياه المتجددة.

9-زيادة الإنفاق على البحث العلمي لتوفير المختبرات والأجهزة الضرورية اللازمة لإتمام البحث.

10-ضرورة تفعيل التعاون الإلكتروني بين المكتبات الجامعية المحلية والعربية والعالمية لتوفير المراجع العلمية العربية والأجنبية، وإعطاء الطلبة معلومات عن أهم الجامعات الموجودة والتي توفر خدمات إلكترونية، وجعل هذه الخدمات متاحة وميسرة وبدون تعقيدات.

11- تدريب الطلبة على إستخدام البرامج العلمية المساندة لعملية البحث والتحليل ، وبالذات برنامج تحليل البيانات (spss) حيث يدفع الطالب مبالغ كبيرة مقابل قيام أحد المختصين بتحليل بيانات دراساتهم من جهة، ويفقد ذلك الطالب مهارة التحليل وإستخراج النتائج من جهة أخرى ، كما وقد يعيق هذه المسألة مبادرة الباحثين للقيام بأبحاث أخرى نظرا للتكلفة المادية الغير محتملة .

المقترحات:

1-تخفيف العبء التدريسي عن بعض الأساتذة من أعضاء هيئة التدريس في الدراسات العليا إذ إن ذلك من شأنه المساهمة في إتاحة الفرصة أمامهم للقراءة والإشراف العلمي ، كذلك ينبغي إيجاد نوع من التوازن بين أعباء أعضاء هيئة التدريس وأعباء الإشراف على الرسائل العلمية وأعباء الأعمال الإدارية والتدريسية .

2-إقامة العديد من الندوات واللقاءات يشترك فيها طلاب وأساتذة الدراسات العليا ، تطرح فيها المشكلات الأكاديمية والإدارية ويعمل الجميع على تقديم الحلول المناسبة لها مما يزيد من الرابطة بين الطلاب وأساتذتهم .

3-إجراء دراسة ميدانية حول مدى إمتلاك طلبة الدراسات العليا لمهارات البحث العلمي وكيفية تعزيزها .

الهوامش :

1-عبدالله بوبطانة ، دور التعليم العالي والجامعي في التنمية العربية ، المجلة العربية لبحوث التعليم العالي ، العدد الثاني ، 1984م ، ص 33 .

2-حامد عمار ، دراسات في التربية والثقافة ، الجزء الأول ، مكتبة الدار العربية ، 1995م ، ص 56 .

3-يونس العجيلي ، التعليم وتنمية المجتمع ، مجلة الجامعة المغاربية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، طرابلس ، ليبيا ، 2006م ، ص 55 .

4-عبد الحميد الهرامة ، مستقبل الدراسات العليا ، مجلة الجامعة ، العدد (6) ، نقابة أعضاء هيأة التدريس الجامعي ، جامعة طرابلس ، ليبيا ، 2004م ، ص 191 .

5-علي الهادي الحوات ، التعليم العالي في ليبيا : واقع وآفاق ، منشورات مكتبة طرابلس العالمية ، طرابلس ، 1996م ، ص 188 .

6-أحمد صيداوي ، الدراسات العليا في الجامعات العربية : من الواقع إلى الحاجات ، مجلة إتحاد الجامعات العربية ، الأمانة العامة لإتحاد الجامعات العربية ، عمان ، الأردن ، 1988م ، ص 77.

7-هاشم بكر حريري ، جوبر ماطر الثبيتي ، الدراسات العليا في المملكة العربية السعودية بين ضرائب التقليد وعوائد التجديد ، ندوة الدراسات العليا بالجامعات السعودية ، توجيهات مستقبلية ، جامعة الملك عبدالعزيز ، جدة ، السعودية ، 2001م ، ص 44 .

8-Zachary ,Karabell , What,s college for ? The struggle to Define American Higher Education , Basic Books . 1999 , :2 .

9-خالد عبدالله العتيبي ، تقويم برامج الدراسات العليا في الجامعات السعودية ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض, 1999م ، ص 16 .

10- صالحة سنقر ، الدراسات العليا في الجامعات العربية حتى عام 2000 ، مجلة إتحاد الجامعات العربية ، عدد متخصص (2) ، عمان ، 1988م ، ص 216 .

11-مارتن الكلوفلن ، أشرف محمود ، التخطيط الاستراتيجي للجامعات والتعليم العالي ، دار زهران, عمان, الأردن ، 2010م ، ص 283 .

12- أمال برهان فلمبان ، معايير إختيار طلاب الدراسات العليا ، بحوث وتوصيات ندوة الدراسات العليا بالجامعات السعودية ، توجيهات مستقبلية ، جامعة الملك عبدالعزيز ، مركز النشر العلمي ،جدة, 2001م ، ص 283 .

13- سالم محمد السالم ، واقع البحث العلمي في الجامعات ، دراسة لإتجاهات أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الإدارة العامة للثقافة والنشر , المملكة العربية السعودية، 1997م ، ص 120 .

14- عبدالله محمد عبدالرحمن ، سوسيولوجيا التعليم الجامعي ، دراسة في علم الإجتماع التربوي ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1991م ، ص 26 .

15- محمد علي محمد ، الشباب العربي والتغيير الإجتماعي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1985م ، ص 16 .

16- السيد سلامة الخميسي ، المعلم العربي ، بعض قضايا التكوين ومشكلات الممارسة المهنية ، دار الوفاء ، الإسكندرية ، 2003م ، ص 15 .

17- عبد الله شمت المجيدل ، دراسة مقارنة لمعوقات البحث العلمي في المؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة ، بحث ميداني ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية, جامعة الكويت، السنة 32 ، العدد 123 ، مجلس النشر العلمي ، الكويت ، 2006م ، ص 154 .

18- خالد الزغبي ، التعليم العالي العربي ، المشكلات وأفاق المستقبل ، مؤتمر جامعة القاهرة للبحوث والدراسات العليا والعلاقات الثقافية ، الأردن ، 2000م ، ص85 .

19- منصور عوض صالح القحطاني، تمويل البحث العلمي في الجامعات السعودية وسبل تنميته ، دراسة ميدانية ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى, المملكة العربية السعودية، 2004م ، ص 147.

20- كامل أحمد حميد ، المعوقات التي تواجه الباحث في الجامعات الفلسطينية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القدس ، القدس ، فلسطين ، 2004م ، ص 150 .

21- ماهر أحمد الدباس ، معيقات البحث العلمي التي تواجه طلبة الدراسات العليا في الجامعات الأردنية وعلاقتها بدافعيتهم وتحصيلهم الأكاديمي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان ، الأردن ، 2011م ، ص 44 .

22-حنان عبدالحكيم رزق ، واقع ومعوقات البحث التربوي لطلاب الدراسات العليا ، بكلية التربية بالمنصورة " دراسة ميدانية " ، مجلة بحوث كلية التربية ، (55) ، 2004م ، ص 42 .

23- فيصل يونس السامرائي ، المعوقات الإدارية والفنية للجامعات العراقية في علاقتها مع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، بغداد ، العراق ، 2002م ، ص 78 .

24- جبل حامد علي حسن ، مدخل تكاملي مقترح لإدارة البحث العلمي في الجامعات السعودية ، مجلة الثقافة والتنمية ، 16 (94) ، 2015م ، ص 205 .

25- جمال علي الأشقر ، الإتفاق الخجول على البحث العلمي في الوطن العربي ، مكتبة القدس ، غزة ، 2009م ، ص 165 .

26- سهام عبد الله العيسى، مؤشرات الجودة في الدراسات العليا ، بحوث وتوصيات ندوة الدراسات العليا بالجامعات السعودية ، توجيهات مستقبلية ، جامعة الملك عبد العزيز ، مركز النشر العلمي,جدة ، 2001م ، ص 326 .

27- إبراهيم محمد العلي ، مشكلات البحث العلمي في البلدان العربية ، مؤتمر جامعة القاهرة للبحوث والدراسات العليا والعلاقات الثقافية ،القاهرة, 2000م ، ص 164 .

28- علي الهادي الحوات وآخرون ، مسيرة التعليم العالي في ليبيا ، إنجازات وطموحات ، النقابة العامة لأعضاء هيأة التدريس الجامعي ، دراسة ميدانية ، جامعة طرابلس ، طرابلس ، ليبيا ، 2005م .

29–مصطفى ساسي فتوحة وجميل محمد خلاط ، مدى توافر الإمكانيات المادية والبشرية لإتمام برامج الدراسات العليا بأقسام المحاسبة ، بكليات الإقتصاد بجامعة الزاوية ، وجامعة الجبل الغربي ، وجامعة طرابلس ، والأكاديمية الليبية ، ورقة مقدمة للمؤتمر التعليم المحاسبي وذلك من وجهة نظر الاستاذة والطلبة ، 2007م .

30–نصر صالح محمد أحمد ، العوامل المفسرة لتأخر الطلبة في مرحلة الماجستير في العلوم المحاسبية في ليبيا من وجهة نظر الخريجين ، دراسة حالة في كلية المحاسبة جامعة الجبل الغربي ، 2013م .

31– أمال نوري كبيش ، بعض المشكلات التي تواجه طلبة الدراسات العليا ، بجامعة طرابلس ، رسالة ماجستير ، جامعة طرابلس ، ليبيا ، 2007م .

32–سعود بن ناصر الكثيري ، مشكلات إعداد رسائل الماجستير لدى طلاب الدراسات العليا بقسم المناهج وطرق التدريس في كلية التربية ، 2005م .

33– أحلام المغربي ، الكشف عن المشكلات التي تواجه طلبة الدراسات العليا (ماجستير ، دكتوراه) في الأبحاث الميدانية بقسم التربية الإسلامية مقارنة بكلية التربية جامعة أم القرى ، من وجهتي نظر أعضاء هيئة التدريس والطلبة في القسم , جامعة أم القرى, المملكة العربية السعودية، 2012م .

34– ماجدة السريحين ، مشكلات إعداد الرسائل الجامعية في كليات التربية في الجامعات الأردنية الرسمية والحلول المقترحة ، 2012م .

35–سارة جمال سعدي سالم ، المشكلات التي تواجه طلبة الدراسات العليا في الجامعات الأردنية الحكومية والخاصة في إعدادهم لرسائلهم وأطروحاتهم من وجهة نظرهم ووجهة نظر رؤساء الأقسام الأكاديمية ، 2017م .

دور الإرشاد النفسي في تنمية شخصية التلميذ

1 – بشير انمبروك عيسى اوشاح //استاذ محاضر
جامعة صواته // كلية الاداب والتربية بصواته
2 – خالد علي عمر//استاذ مساعد محاضر
جامعة الزيتونه /كلية العلوم الاجتماعية

المقدمة :

تزايدت حاجة الافراد الى الارشاد النفسي ,وذلك نتيجة للتقدم التكنولوجي الذي تشهده مختلف مناحي الحياة ،حيث انعكست معطيات هذا التقدم على الواقع الاجتماعي للانسان ,واتيحت مظاهرالرفاهية ومع ذلك تعقدت الحياة المعاصرة بمافيها من كثرة المتطلبات فزادت معها احتمالات المعاناة من الضغوط والمشكلات النفسية ، كذلك افتقد الطفل العلاقات الدافئه ، وتغيرت نظم العمل ، كل ذلك اكد على ضرورة توجيه الافراد وارشادهم نفسيا ، وذلك بهدف الوقاية من الوقوع في الاضطرابات النفسية .

في عصرنا هذا اصبح الارشاد النفسي يقدم كخدمة نفسية في المراكز المتخصصة لافراد المجتمع ،بهدف فهم قدراتهم وتحديد احتياجاتهم وطموحاتهم ومساعدتهم على حل مشكلاتهم ,وذلك بهدف تكوين المواطن الصالح الذي يتميز بعملية توافق سليمة وناجحة .

الأطفال هم شريحة من شرائح المجتمع التي نحتاج إليهم في بناء المجتمع ، وعند دخولهم إلى المدارس يتطلب دخولهم الالتزام بنظم ولوائح المدرسة ، حيث ان الطفل هنا يواجه تغيرات تختلف عن المرحلة التي سبقتها، فمن ذلك تواجه الطفل في المدرسة مشكلات نفسية عرقلت تكيفهم في البيئة التعليمية، لذلك تتطلب وجود خدمة إرشادية نفسية تهدف إلى مساعدة الأطفال على تنمية جوانب شخصيتهم وزيادة مهاراتهم في التعامل مع الصعوبات خلال فترة دراستهم والتي قد تؤثر سلبا على تحصيلهم الدراسي.

مشكلة البحث :

يعتبر الإرشاد من الحاجات الضرورية التي يحتاجها الطفل في مرحلة الدراسة الأولى (مرحلة التعليم الأساسي)،وذلك لما تشهده الحياة المعاصرة من تغيرات في اغلب مجالات الحياة، ومنها الحياة المدرسية التي تعد أولى المراحل التعليمية في حياة الطفل , وخلال تعليمه يتعرض لعدة مشكلات سواء كانت داخل المدرسة أو خارجها تنعكس بصورة واضحة على شخصية الطفل وتعامله مع الآخرين،إن عدم تفعيل دور المرشد النفسي في

المدرسة بشكل جيد يمثل دافع من دوافع هذه الدراسة ،ومن خلال طبيعة عمل الباحث بمهنة التدريس عبر فترات عمله بالتعليم الثانوي والجامعي وتعامله المستمر مع المتعلمين سواء كان في مدارس التعليم الأساسي من خلال الإشراف على التربية العملية لاحظ الباحث تعرض بعض التلاميذ لمواقف مؤثرة في مسيرتهم التعليمية والتي أثرت على نفسيتهم وتحصيلهم الدراسي ، لذلك تطلب الاهتمام بمشكلاتهم وإرشادهم بشكل مدروس ومنظم.

اهمية البحث :

تكمن اهمية البحث في الاتي :

1 – يساعد هذا البحث في دراسة دور الارشاد النفسي التربوي في صقل شخصية التلميذ .

2– اهمية البحث جائت من اهمية الفئة المستهدفة بالبحث لانهم رصيد المجتمع من طاقاته الفاعلة وقيادات المجتمع المستقبلية التي يطمح اليها المجتمع .

3– قد يساهم هذا البحث في اثراء المكتبة في مجال الارشاد النفسي .

اهداف البحث :

1 – التعرف على اهداف الارشاد النفسي للتلاميذ .

2– التعرف على مفهوم الارشاد النفسي للتلاميذ والحاجة اليه .

3 – التعرف على دور المرشد النفسي للتلميذ في رفع مستوى شخصيته .

مصطلحات البحث :

1 – **الارشاد النفسي** هو عملية تشتمل على تفاعل بين المرشد والتلميذ في موقف بهدف مساعدة التلميذعلى تعديل سلوكه حتى يتمكن من اشباع حاجاته بطريقة ايجابية.**(1)**

ونشرت الجمعية الأمريكية لعلم النفس تعريفا للإرشاد النفسي 1981 وهو " الخدمات التي يقدمها اختصاصيون في علم النفس الإرشادي وفق مبادئ وأساليب دراسة السلوك الإنساني عبر مراحل نموه المختلفة ،ويقدمون خدماتهم له لتأكيد الجانب الايجابي بشخصية الطفل واستغلاله لتحقيق مطالب النمو والتوافق مع الحياة واكتساب قدرة اتخاذ القرار ويقدم الإرشاد لكل الأفراد عبر مراحل نموهم المختلفة.**(2)**

2 – **شخصية الطفل** وهي الأثر الذي يتركه الشخص في من حوله ،وهناك من عرفها بأنها الميزات والخصائص التي تميز انسانا عن اخر ، وهناك من قال بأنها الصور المنظمة المتكاملة لسلوك فرد ما يشعر بتميزه عن غيره.**(3)**

الإطـار النظــري :

مقدمة :

حدثت تغيرات في طبيعة الاسرة في مختلف مناحي الحياة في وقتنا هذا الذي يسمى بعصرالقلق او عصر العولمه نتيجة للتقدم العلمي الملحوض فالتغيرات شملت اساليب حياة الاسرة والعمل والحياة الاجتماعية بشكل عام .

ان هذه التغيرات مما لاشك فيه ادت الى حدوث تفكك في الروابط الاسرية وازدادت المشكلات الاسريه فصاحب هذه التغيرات ارتفاع معدلات القلق والاضطرابات النفسية والانحرافات السلوكية بين الاطفال, وزادت الضغوط النفسية , واصبح الانسان يعيش مغتربا عن ذاته وعن اسرته وغير راضا عن كل ماحوله مما دفع بعض التلاميذ الـى الانسحاب والتقوقع حول ذاته, الى جانب ذلك يكون التلميذ غير قادرا على تحمل المسئولية .**(4)**

من ذلك اوجبت الحاجة الى الارشاد النفسي التربوي لارشادهم ووقايتهم من الوقوع في الاضطرابات النفسيه ومن اجل دعمهم لزيادة الثقه بالنفس واحساسهم بالامن .

من خلال هذا البحث نبين اهمية الارشاد النفسي التربوي للتلاميذ وذلك لتذليل الصعاب لمن وقع في مطب الاضطرابات النفسية والاجتماعية .

اولا – مهوم الارشاد النفسي التربوي :

1 – عرف تايلور الارشاد بانه ليس مجرد اعطاء نصائح او تقديم حل للمشكلة بل هو تمكين الفرد من التخلص من متاعبه ومشاكله الحالية .**(5)**

2 – عرف حامد زهران 1980الارشاد هو عملية بناءة تهدف الى مسالعدة الفرد على ان يفهم ذاته ويدرس شخصيته, ويعرف خبراته ويحدد مشكلاته, وبنمي امكانياته ,ويحل مشكلاته في ضوء معرفته ورغبته لكي يصل الى تحقيق اهدافه وتحقيق الصحة النفسية والتوافق النفسي .**(6)**

3 – الارشاد النفسي هو مجموعة خدمات نفسية واجتماعية يقدمها المرشد للتلميذ والتي تنصب على ابراز الجوانب الايجابية في شخصية التلميذ او استخدامها في تحقيق التوافق النفسي لدى الطفل .

4 – الارشاد النفسي عملية تتم بين شخصين هما المرشد والمسترشد ومن خلالها يقوم المرشد بمساعدة المسترشد على مواجهة المشكلات التي يمر بها في حياته .

5 – الارشاد هو مساعدة التلميذ على تحقيق قدراته وامكاناته وميوله وفهم مشكلاته واستخدام هذا الفهم بصورة مفيدة تمكنه من العيش بسعادة بين اقرانه وبين افراد مجتمعه.

يتضح من العرض السابق ان اغلب التعريفات التي ذكرت والتي لم تذكر في هذا البحث انها اتفقت على ان الارشادالتفسي خدمة نفسية تربوية تقدم مساعدة متخصصة وجل التعريفات ترى ان المرشد هو الشخص القائم بالمساعدة وهو الطرف الرئيس للعملية الارشادية اما الطرف الاخر الثانوي هو المسترشد فهذين العنصرين المرشد والمسترشد هما اساس العملية الارشادية فلاتستقم العملية الارشادية الا في وجودهم وبكون ذلك في جو آمن تسوده الثقة والسرية التامة .

وفي ضوء ماسبق يمكن استخلاص التعريف التالي للأرشاد النفسي بأنه "عملية بناءة هدفها مساعدة الفرد في فهم ذاته ومعرفة خبراته وتحديد مشكلاته وتنمية امكانياته لحل مشكلاته من خلال معرفته وتدريبه حتى يصل الى تحقيق اهدافه وتحقيق الصحة النفسية "

ثانيا – الحاجة الى الارشاد النفسي التربوي :

عصرنا هذا الذي يسميه البعض بعصر الثورة الصناعية او العلم والتكنولوجيا تشهده عدة تغيرات متلاحقة شملت مختلف جوانب الحياة, سواء كانت اسرية, او تربوية, او اجتماعية, او مهنية, اوثقافية ، فهذه التغيرات استوجبت وجود الارشاد النفسي التربوي الذي من خلاله تتم معالجة اغلب المشكلات التي تواجه الفرد في حياته فالارشاد النفسي اصبح وجوده ضروريا في الاسرة والمدرسة والمجتمع بشكل عام فمن اهم العوامل التي ادت الى الحاجة الماسة للأرشاد في عصرنا هذا مايلي :

1ا– الفترات الانتقالية عبر مراحل النمو:

كلنا نمر عبر مراحل حياتنا بفترات انتقال نحتاجوا فيها الى الارشاد النفسي التربوي فمثلا فترات الانتقال بمراحل النمو ،حيث يمر الطفل خلال حياته بفترات انتقال يحتاج فيها الى الارشاد النفسي واهم هذه الفترات الانتقال من الطفوله المبكرة الى الوسطى الى الطفولة المتأخرة ثم الى مرحلة المراهقة ومرحلة البلوغ ثم مـرحلة الشباب ثم مرحلة الزواج ،وخلال تنقلهم من مرحلة لأخرى قد يتعرضون لتغيرات نفسية وجسمية واجتماعية وعقلية وغيرها ،وكثيرا من الاحيان يصاحب تلك التغيرات مشكلات يشعر من خلالها الفرد بأنه بحاجة الى الارشاد والتوجيه والى من يقف بجانبه ويساعده في التغلب على مشكلاته .**(7)**

2 – التغيرات الاسرية :

من خلال التطور الحضاري طرأ على الاسرة تغيرات كثيرة, وبخاصة على بنائها ووظيفتها ووظيفة افرادها وعلاقتهم ببعضهم البعض, ومن خلال هذا التغير ابتعدت الام عن اطفالها, وكذلك الاب فترات من الزمن طيلة يوما كاملا, واعتمدت بعض الاسر على المربيات, او ارسال الاطفال الى دور الحضانه, حيث لايتوفر فيها حاجات الطفل من حنان وعطف الابوة والامومه, وممازاد من المشكلات على الاطفال ومن بينها السرقة والكذب والعدوان والقلق وغيرها

3 – التغير في المجال الاجتماعي :

يشهد المجتمع تغيرات مواكبة لتغيرات العصر, لذا وجب على افراد المجتمع مسايرة ذلك التغير حتى يتمكنوا من التوافق مع المجتمع الجديد ، فالتغير الاجتماعي حقيقه تعيشها كل المجتمعات, ومن مظاهر هذا التغير الاجتماعي تغير بعض مظاهر وانماط السلوك لدى الافراد في المجتمع, فماكان مرفوضا بالامس اصبح مقبولا اليوم, ومثال ذلك تعليم الفتاة الى جانب الرجل في التعليم العالي ومواصلتها للدراسة العليا مساواة بالرجل ، ايضا هناك عدة تغيرات في العادات والتقاليد والمعايير الاجتماعية ، فكل ذلك ساهم في زيادة القلق والتوتر لافراد المجتمع مما جعل الحاجة الملحة للارشاد النفسي التربوي لتقديم خدماته الارشادية اكثر من أي وقت مضى .

4 – التغيرات في مجال التعليم :

لقد تطور التعليم في مناهجه واهدافه وطرقه واساليبه كثيرا عما كان عليه في السابق ففي الماضي كان الاهتمام منصبا على المعلومات وحشو عقول المتعلمين بها وكانت الطريقة المستخدمة مبنية على الحفظ والتلقين ،اما في

عصرنا هذا فقد اصبح التلميذ محور العملية التعليمية فأصبح بأمكانه ان يختار مايتماشى مع ميوله وحاجاته وقدراته من المواد الدراسية واصبح التلميذ ايجابيا فعالا له دور مهم في العملية التعليمية واصبحت مهمة المدرسة تشكيل سلوكيات وقيم التلميذ فااصبحت المدرسة مجالا خصبا لاشباع حاجات التلميذ النفسية والاجتماعية .

ذلك التطور والتغير ادى الى وجود اعداد كبيرة من التلاميذ في المدارس ممادى الى ضرورة وجود برنامج ارشادي نفسي في المدارس بجميع مراحلها وذلك لمساعدة هؤلاء التلاميذ في حل مشكلاتهم النفسية والعقلية والاجتماعية .

5 – التغيرات في محال العمل :

التقدم العلمي الهائيل اثر على الافراد وعلى مايقومون به من اعمال ،فقد تغير البناء الوظيفي والمهني في المجتمع فكثرت الاعمال وتنوعت وسائل الانتاج وتعددت التخصصات في العمل وانتهت مهن قديمة وظهرت مهن جديدة وكذلك حلت الميكنة الصناعية محل الاعمال اليدوية ،فكل ذلك ادى الى ظهور حالات من القلق والتوتر عند بعض الافراد على اعمالهم حيث اضطرو الى تغيير مجال عملهم الى مجال اخر وهذا يتطلب تكيف وتوافق في مجالهم الجديد حيث تواجههم بعض المشكلات فمن ذلك جائت الحاجة الى الارشاد النفسي التربوي لحل مشكلاتهم واعادة توافقهم .**(8)**

نستخلص مماسبق عرضه نرى ان هناك حاجة ماسة للارشاد النفسي التربوي لان حياتنا في تغير باستمرار في كل مجالات الحياة ،حيث اصبحت الحاجة للارشاد في مدارس التعليم الاساسي وبخاصة الشق الاول من هذه المرحلة التعليمية حيث تزايدت اعداد التلاميذ، والتلاميذ يواجهون كل يوم تغيرات جديدة وسريعة في مجالات الحياة فلايستطيعون التكيف مع هذه التغيرات مما زاد من حالات القلق والحيرة واصبح عند بعضهم عدم القدرة على مسايرة تلك التغيرات المتسارعة .

وجملة القول ان كل هذه التغيرات التي لامفر منها سواء على مستوى الاسرى او العمل او المجتمع وماحدث من تقدم علمي وتكنولوجي وتطور في اساليب التعليم وطرائقه يزيد من حاجة الافراد الى الارشاد النفسي التربوي وذلك نظرا لما يقدمه من خدمات آرشادية للأفراد تساعدهم على التوافق مع ذواتهم ومع الاخرين في مجتمعهم .

ثالثا .اهداف الارشاد النفسي التربوي :

يمكن تلخيص اهداف الارشاد النفسي التربوي في النقاط التالية :

1 – تحقيق الفرد لذاته :

ان مفهوم تحقيق الذات هو مفهوم نسبي يختلف بأختلاف الافراد ،وان الاختلاف بين الافراد المحققون لذواتهم هو اختلاف في الدرجة وليس في النوع وعليه فآن الهدف الرئيس من الارشاد النفسي التربوي بعامة هو مساعدة الفرد على تحقيق ذاته في مختلف المجالات عن رغبة ودون آكراه او رهبة .

2 – فهم وتقبل الذات :

لا يمكن أن نحقق فهما للشخصية او السلوك دون فهم الذات ،حيث ان كل فردا منا يسلك في حياته بالطريقة التي تتفق مع مفهومه عن ذاته والذات تتكون نتيجة احتكاك الفرد وتفاعله مع البيئة الاجتماعية المحيطة به بمعنى تتكون من خلال استجابات وردود فعل الآخرين نحو الفرد او من خلال مبدأ الثواب والعقاب وتختلف

ذوات الافراد بأختلاف السياق الاجتماعي الذي يعيشون فيه ،ومايتضمنه من تغيرات متمثلة في اساليب المعاملة الوالدية الصادرة عــن الاباء تجاه الابناء وبأختلاف المستوى الاقتصادي والاجتماعــي وباختلاف الخبرات الحياتية التي يمرون بها ،وبأختلاف حجم الاسرة , ويمثل فهم الذات النواة الاساسية التي يقوم عليه الارشاد النفسي, وبخاصة الارشاد الممركز حول الفرد عند كارل روجرز .

3 – تحقيق التوافق :

من ابرز اهداف الارشاد النفسي التربوي تحقيق التوافق وهذا لايحدث الا بتنمية طاقات الفرد واكسابه مهارات التعامل مع المواقف وبخاصة المواقف الضاغطة ،ويجب النظر الى التوافق النفسي نظرة متكاملة بحيث يتحقق التوافق المتوازن في كل مجالاته ومن اهم مجالات تحقيق التوافق ماياتي :

أ – التوافق الشخصي .

ب – التوافق التربوي .

ج – التوافق المهني .

د – التوافق الاجتماعي .

4 – تحقيق الصحة النفسية :

تعتبر الصحة النفسية حالة دائمة نسبية يكون فيها الفرد متوافقا نفسيا واجتماعيا ويشعر بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين وقادرا على تحقيق ذاته واستغلال قدراته إلى أقصى حــد ممكن وان يـكون قادرا عــلى مواجهة مطالب الحياة ،فالصحة النفسية هي مفهوما نسبيا يختلف باختلاف المجتمعات ، فما يكون سويا في مجتمعنا لا يكون سويا في مجتمع آخر ،وما يكون مرغوبا لدينا لا نجده مرغوبا في مجتمع آخر، فالصحة النفسية هي هدف من أهداف الإرشاد النفسي التربوي حيث يسعى الإرشاد النفسي التربوي إلى تحقيق الصحة النفسية من خلال تقبل الذات والثقة بالنفس وتقبل الواقع الايجابي مع الاخرين والاستمتاع بالحياة وتوسيع دائرة الميول والاتجاهات والاهتمامات وتنمية المهارات الاجتماعية وتحقيق الاتزان الانفعالي .**(9)**

5 – تحسين العملية التعليمية :

يتحقق ذلك عن طريق تقديم خدمات إرشادية في المؤسسات التعليمية, من اجل توفير مناخ ملائم للعملية التعليمية, وإثارة دافعية التلميذ نحو التعلم, والتعرف على حاجات المتعلم وإشباعها من خلال المناهج والأنشطة الدراسية ،ولتحسين العملية التعليمية ينبغي التعرف عـلى الفروق الفردية بين التلاميذ والتعرف عـلى مشكلاتهم النفسية والاجتماعـية ،وتقديم الخدمات الإرشادية لحلها, والعمل عــلى اكتشاف حــالات المتفوقين دراسيا والاهتمام بهم, وتوفير الإمكانيات لهم وتنمية مواهبهم ورعايتهم نفسيا, واجتماعيا ،والتعرف على المتأخرين دراسيا وتقديم الخدمات الإرشادية لهم .**(10)**

من خلال العرض السابق يتضح أن المرشد النفسي التربوي عليه أن يحقق أهدافه حيث يتعامل مع جميع المستويات سواء كان وجداني أو معرفي أو سلوكي ،لان هذه المستويات لا يمكن فصلها عن بعضها البعض لذلك توجب

عـلى المرشد ان يساعد التلميذ في رسم خطط الدراسة والحياة التي تتلاءم مع قدراته وميوله وحاجاته وتشخيص ومعالجة مشكلاته التي قد تواجهه في حياته .

رابعا .نظريات الإرشاد النفسي :

1 – نظرية التحليل النفسي :

برر حامد زهران 2005 علاقة نظرية التحليل النفسي بالعملية الإرشادية من خلال بحثه بين ثنايا آراء علمائها وبخاصة الجدد ،حيث وضع زهران هذه النظرية من ضمن نظريات الإرشاد النفسي التربوي ويعزو ذلك لتأثر العديد مـن المرشدين النفسيين بهـذه النظريـة ووجـود تعديلات داخـل هـذه النظرية جعلتها أكثر قابلية للتطبيق في مجال الإرشاد النفسي التربوي ،وبعض إجراءات عملية الإرشاد كالتداعي الحر والتنفيس الانفعالي هي من ضمن فنيات نظرية التحليل النفسي .**(11)**

إن الإرشاد النفسي التربـوي والتحليل النفسي يهدفان إلـى إعـادة التوازن بـين أركـان الشخصيـة وحـل الصراعات, وإعادة غرس الإيمان, ومعرفة هدف حياة التلميذ, وأسلوب حياته, وتنمية مفهوم ايجابي عن الذات ،والتقليل من حدة التوتر, والقلق, وتكوين إرادة ايجابية, وتغير وتعديل البيئة والوسط الاجتماعي.

أهم خطوات التحليل النفسي في عملية الإرشاد النفسي :

أ – العلاقة العلاجية الدينامية بين المرشد المعالج والمسترشد (التلميذ) التي يسودها التقبل والتفاعل الاجتماعي .

ب – التفريغ الانفعالي للمشاعر المكبوتة ،سواء أكانت حوادث أو خبرات أو دوافع أو صراعات بمصاحبتها الانفعالية بما يؤدي إلى اختفاء أعراض العصاب .

ج – التداعي الحر للكشف عن مكبوتات في اللاشعور وذلك بإطلاق العنان للخواطر والمشاعر والأفكار مع الاستفادة من فلتات اللسان وزلة القلم ،ومن ثم عملية التفسير لكل هذه المعلومات بأسلوب منطقي كامل وسليم.

2 – نظرية الإرشاد السلوكي :

ظهرت في أمريكا على يد **واطسون** حيث جاءت كرد فعل لنظرية التحليل النفسي ومن ابرز روادها بعد مؤسسها **بافلوف** ،و**ثورندايك** ،و**سكنر**،و**هل** و**جاثري**، وغيرهم ،لقد شن واطسون هجوما على نظرية التحليل النفسي ومفاهيمها وبخاصة على (منهج الاستبطان) حيث كان هذا المنهج أكثر استخداما لدى مدرسة التحليل النفسي في دراسة الظواهر النفسية مثل الأحلام والانفعالات لدى الفرد حيث يقصد بالاستبطان ملاحظة الفرد ما يجري في داخله من أفكار ومشاعر وخبرات ملاحظة منظمة وصريحة تستهدف وصف وتحليل وتأويل هذه الأفكار والمشاعر ولعل مما يؤخذ عليه هو الذاتية والبعد عن الموضوعية ومن هذا عارضت السلوكية استخدام هـذا المنهج في دراسة الظواهر النفسية بحجة انـه غير علمي بمعنى الحالات التي تدرس عـن طريقـه هـي حالات فردية ذاتية لا يمكن أن يلاحظها إلا صاحبها ، من ذلك نادت السلوكية بأن موضوع علم النفس هو دراسة السلوك الظاهري للفرد الذي

يمكن إخضاعه للملاحظة والقياس والتجريب ،وان المنهج الذي يستخدم في دراسة الظواهر النفسية هو المنهج التجريبي وانه قد حان الوقت للتخلص من المفاهيم الغيبية التي سادت علم النفس لفترة طويلة .

يطلق على النظرية السلوكية نظرية المثير والاستجابة وتعرف بنظرية التعلم ومن ابرز المفاهيم التي ارتكزت عليها ما يأتي :

أ – سلوك الفرد هو سلسلة من المثيرات والاستجابات ،فالمثير يؤدي الى استجابة وهي بدورها تعد بمثابة مثير اخر يؤدي إلى استجابة أخرى وهكذا وكأن سلوك الفرد ما هو إلا مجموعة من المثيرات والاستجابات دون أن ينطوي على دوافع معينه ترمي إلى تحقيق غاية معينة تساعد التلميذ على التوافق مع المجتمع ومواجهة مواقف الحياة .

ب – إن سلوك الفرد ما هو إلا حاصل جمع أجزاء, وان الكل يساوي مجموع الأجزاء, وهي بذلك تستند إلى مفهوم الذراتيه في تفسير سلوك التلميذ ،وكان سلوك التلميذ عبارة عن ذرات من هنا وهناك متجاهلة إن الكل اكبر من مجموع الأجزاء وان سلوك التلميذ وحدة كلية دينامية لا يمكن فهمه إلا بالرجوع إلى المجال الكلي الذي ينتمي إليه الفرد وان الجزء في ذاته ليس له قيمة وإنما تتحد دلالته بالرجوع إلى الكل الذي ينتمي إليه .

ج – ترى هذه النظرية إن شخصية الفرد هي تنظيم معين من العادات المتعلمة والثابتة نسبيا التي تميز الفرد عن غيره من الأفراد وأشبه ما يكون سلوك الفرد بالآلة لا تحركه دوافع معينة بل تحركه مثيرات تصدر عنها استجابات

د – أكدت السلوكية على أهمية دور البيئة في نمو وتشكيل شخصية الفرد في إغفال منها لدور العوامل الوراثية في ذلك ،وكأن الإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء ولا توجد استعدادات وإمكانات موروثة لدى الفرد ،ويؤكد على ذلك ما قاله **واطسون** أعطوني عشرة من الأطفال الأصحاء وبغض النظر عما لديهم من استعدادات وراثية اجعل منهم الطبيب والمحامي واللص متناسيا أن الفرد هو نتاج تفاعل كل من العوامل الوراثية والبيئية .

هـ – اتخذت هذه النظرية من التعلم محورا مهما في تفسير السلوك الإنساني والأعراض المرضية ومن أشهر نظرياتهم في التعلم (نظرية بافلوف في الارتباط الشرطي ،نظرية ثورندايك عن التعلم بالمحاولة والخطأ،وغيرها, ولقد استفادت النظرية السلوكية من مبادئ وقوانين التعلم في تفسير الأمراض النفسية .

وتنظر هذه النظرية الى السلوك المضطرب على انه استجابة شرطية خاطئة تكونت بفعل الارتباط الشرطي الخاطئ ومن ثم يمكن علاجه عن طريق فك هذا الارتباط الشرطي وتكوين ارتباط شرطي جديد . **(12)**

3 – نظرية الإرشاد الممركز حول الشخص :

تنتمي هذه النظرية إلى التيار الإنساني الذي يمثل القوة الثالثة في ميدان علم النفس والذي جاء كرد فعل على السلوكية والتحليل النفسي وما جاءت بهما من مفاهيم في النظر إلى الطبيعة الإنسانية وتفسير سلوك الفرد .

تستند هذه النظرية على مجموعة من المفاهيم وهي أن الفرد حر في اختيار سلوكه وأسلوب حياته واتخاذ ما يراه من قرارات وهو مسئول عما يختار وان الإطار الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد هو المسئول عما يتعرض له

من اضطراب نفسي ،كما تتميز هذه النظرية بأنها مستقبلي التوجه كما قال **سارتر** "أن الإنسان ليس بما حـققه بـل بـما لـم يحققـه ويتوق إلـى تحقيقه" ،كـذلك هـذه النظريـة تعتمد فـي دراستها على الطريقة الفينومينولوجية وذلك عن طريق الخبرة الذاتية بمعنى عن طريق دراسة خبرة الفرد كما يعيشها هو من خلال تفاعله مع الآخرين ،وليست كما هي عليه في الواقع ،أي أن الطريقة التي يدرك بها الفؤاد الأشياء هي التي تحدد استجاباته وسلوكه نحوها ،فهناك اختلاف بين الأشياء كما هي عليه في الواقع وبين الأشياء كما يدركها الفرد ،فالأول تحددها عوامل موضوعية ،أما الأخر تحددها عوامل ذاتية .

ويضيف إلى ذلك الباحث **الزعبي** إن الذات صيرورة مستمرة ،فهي تنمو وتتغير نتيجة التفاعل المستمر مع المجال الظاهري ،فالشخص يستجيب للبيئة كـما يراهـا هو ،فالفرد عنده قوة فطرية دافعة من اجل تحقيق الذات ،ولذلك فأن تهيئة الظروف المناسبة للتلميذ تساعده في تطوير سلوكه الايجابي المقبول اجتماعيا. **(13)**

4 – نظرية السمات والعوامل :

ترتكز هـذه النظريـة عـلى العوامـل المحددة التـي تفسر السلوك الإنساني والتي تمكن من تحديد سمات الشخصية ،والسمات هي أنماط سلوكية عامة دائمة نسبيا وثابتة نسبيا تصدر عن الفرد في عدة مواقف ،وتعبر عن توافق الفرد للبيئة، والسمات لا يمكن ملاحظتها مباشرة ،ولكن يمكن ان نستدل على وجودها من ملاحظة سلوك الفرد خـلال فـترة مـن الزمـن ، هـذه النظرية تـرى أن عملية الإرشاد النفسي التربوي هو عملية عقلية ومعرفية فيها يتحمل المرشد مسئولية تحديد المعلومات المطلوبة ،فيعمل على جمع وتنظيم وتقديم المعلومات للتلميذ ،لذلك بعتمد في العلاج على طريقة المقابلة لتحليل المعلومات وتركيبها وتشخيصها .**(14)**

من خلال العرض السابق يتضح ان كل نظرية فسرت الارشاد النفسي بمختلف عن النظريات الاخرى فمثلا التحليل النفسي ركزت على العلاقة الدينامية بين المرشد والتلميذ واهمية استخدام التفريغ الانفعالي وتداعي الكلمات و ماهو مكبوت بينما السلوكية اهتمت بتعلم السلوك وكيفية تغييره ،اما نظرية الارشاد حول الشخص فهي اهتمت بمفهوم الذات في تقرير السلوك ،اما اخيرا نظرية السمات والعوامل قد ركزت على العوامل المحددة التي فسرت السلوك البشري والتي تمكنت من تحديد سمات الشخصية .

لذلك يمكن لنا ان نوجز ذلك في ان الاعتماد على رأي نظرية واحدة لاتفي بالغرض الذي ينشد اليه الارشاد النفسي ولايمكن تحديد المشكلات والاضطرابات النفسية بشكل جيد لذلك لابد من الاستعانة بأكثر من نظرية في التعامل مع الاضطرابات النفسية والسلوكية حيث ينتقي المرشد الكفوء الاساليب المناسبة من تلك النظريات واستخدامها في علاج تلك الاضطرابات.

خامسا. دور الارشاد النفسي في مساعدة التلاميذ :

يقوم الارشادالنفسي بعدة ادوار نذكر منها الاتي :

1 – الدور الانمائي :

يتضمن هذا الدور جميع الخطط والاجراءات التي تؤدي الى وصول الفرد الى اعلى مستوى ممكن من النضج والصحة النفسية ،كالتدريب على المهارات المختلفة ،والتخطيط لممارسة ادوار الحياة تخطيطا فعالا ،ومعرفة الذات وتنميتها .

2 – الدور الوقائي :

يهتم هـذا الدور بالافـراد الاسوياء والاصحاء الذين لايعانون من مشكلات في توافهم ،حيث يعمل المرشد على التنبؤ بالمشكلات او الصعوبات والاضطرابات التي يمكن ان تحدث في المستقبل ،وعمل المرشد نحو ذلك هو منع حدوث تلك المشكلات والصعوبات والاضطرابات ومساعدة التلاميذ في احداث تغيرات في بيئتهم الشخصية والاجتماعية من اجل تقليل حدوث تلك المشكلات .

3– الدور العلاجي :

يهتم هذا الدور بعلاج المشكلات والاضطرابات والامراض النفسية التي تواجه الافراد والجماعات حتى العودة الى حالة الاتزان والتوافق والصحة النفسية ،فهو يشتمل على جميع الخدمات العلاجية سواء كانت الفردية او الجماعية ،وبأساليب متنوعة من اجل انهاء الاضطراب الذي يعاني منه التلميذ وهذا الدور يتطلب وقتا وجهدا اكثر من الدورين السابقين .

من العرض السابق يمكن لنا ان نقول ان المرشد لابد له ان يقوم بالاتي :

1– مساعدة التلاميذ الذين يعانون من مشكلات انفعالية وجدانية وايجاد حلول لها .

2– مساعدة الأطفال الذين يلتحقون بالدراسة لاول مرة حتى يتم تكيفهم وانسجامهم مع المدرسة .

3– مشاركة المرشد مع باقي العاملين بالمدرسة في فهم افضل سلوكيات التلاميذ .

4– على المرشد أن يعزز السلوك الايجابي بين التلميذ لزيادة الادراك والثقه بالنفس .

5 – أن يقوم المرشد بمساعدة التلاميذ في زرع الثقه لاتخاذ القرار الصائب في حياتهم.

6 – أن يعطي المرشد المعلومات التي يحتاجها التلميذ في دراسته داخل المدرسة وخارجها .**(15)**

خلاصة ذلك على المرشد ان يقوم بدوره الفعال في مساعدة التلاميذ على فهم انفسهم بشكل جيد وان ينظر الى مشكلاته بطريقة واقعية تحليلية باستخدام الوسائل المتاحة له حتى يتحقق هدف الارشاد النفسي التربوي .

سادسا. أهمية الإرشاد النفسي للتلاميذ :

تكمن أهمية الإرشاد النفسي التربوي في وقاية التلميذ من الإصابة بالمشكلات والأمراض النفسية ،كذلك يستخدم الإرشاد لمساعدة التلميذ لحل بعض مشكلات التكيف داخل المدارس ،أيضا أهمية الإرشاد تكمن في انه ليس

مجرد إعطاء نصائح ولكن هو عملية يتم فيها حل المشكلة عن طريق التفكير ،ومهمة المرشد أن يجعل مثل هــذا النوع مــن التفكير ممكنا عـــند التلميذ ،كذلك أهمية الإرشاد فــي انــه أكثر من مجرد حل لمشكلة ،بمعنى وظيفته هي إحداث تغيرات في الفرد تمكنه من حل مشكلته **(16)**

1- حضيت مرحلة الطفولة باهتمام كبير من العلماء ويعزي هذا الاهتمام الى ان الطفولة تعتبر من اهم المراحل في حياة الفرد فيكتسب فيها الكثير من المعلومات والمهارات والقيم والاتجاهات نحو ذاته ونحو العالم الخارجي .

2- الاطفال هم شريحة عريضة في المجتمع ومن خلال دراستها يمكن معرفة الجوانب النفسية والاجتماعية في حياة الطفل ،فالطفولة هي حجر الزاوية في بناء شخصية الفرد وتشكيل سلوكه ،فالعلاقة بين الطفل ووالديه واساليب المعاملة الوالدية تجاه الاطفال في الاسرة لها دورا مهما في التكوين النفسي والاجتماعي لديه ،فمن خلال تواجد الطفل داخل المدرسة يتعرض الى عدة مواقف دراسية وحياتية سواء كانت ذلك داخل اسوار المدرسة او خارجها فقد تصادف التلميذ بعض المشكلات التي قد تؤثر على نفسيته وادائه الدراسي والاجتماعي وتنعكس افرازاتها بصورة واضحة على شخصيته وتعامله مع الاخرين ،وقد يصبح فكر التلميذ مشغولا بها وكيفية حلها او التخلص من النتائج التي اوجدتها هذه المشكلات وساهمت من خلالها في تعقيد حياة الطفل بمايؤثر على تصرفاته في الموقف المعني او المواقف المختلفة الاخرى داخل وخارج المدرسة .**(17)**

3- هنا المرشد النفسي يحتاج الى فهم العوامل الاجتماعية والنفسية وتأثيراتها على التلميذ لانها ذات اهمية كبيرة لكي نصل الى حلول للمشكلات وايضا مدارسنا تفتقر الى وجود مكاتب الارشاد التي لها صفة الارشاد الحقيقية التي لها القدرة على حل المشكلات التي يعاني منها التلميذ وقد تعيق تقدمه في التحصيل الدراسي .

يتضح مما سبق ان اهمية الارشاد النفسي التربوي تكمن في تخفيف حدة المشكلات ومساعدة فهم التلاميذ لانفسهم واشباع حاجاتهم النفسية والاجتماعية وكذلك المرشد ليست مهمته من يعاني من مشكلات بل يقدم البرامج الارشادية للجميع بدون استثناء لمساعدتهم على التكيف مع البيئة التي يعيشون فيها .

الخاتـــــمة :

يتضح من العرض السابق إن الإرشاد النفسي التربوي هو عملية إنسانية تواصلية غايتها مساعدة التلميذ على إحداث تغيرات ايجابية في سلوكه من خلال فهمه لذاته وإدراكه لمدى قدرته مما يجعله قادر على التكيف مع ظروف البيئة ،ومن خلال نظريات الإرشاد تعرفنا على إسهاماتها رغم اختلافها عن بعضها البعض ولكن تتفق جلها في العلاقة بين المرشد والتلميذ ،والمرشد الكفوء ينتقي من كل نظرية ما يناسب برنامجه لحل مشكلة ما ،فالتنوع في اختيار أساليب التعامل مع التلاميذ مطلوب وذلك لتحقيق غايات الإرشاد التربوي .

الاستنتاجات :

من خلال الدراسة النظرية لدور المرشد النفسي التربوي للتلاميذ نستنتج الأتي :

1 – وجود مكتب للإرشاد النفسي التربوي في كل مدرسة يعتبر احد الدعائم الأساسية التي تستند عليها العملية التعليمية .

2 – حاجة التلميذ الماسة للإرشاد النفسي التربوي لان مرحلة التعليم الأساسي تعتبر نقطة الانطلاق لحياة الطفل العلمية والاجتماعية وفيها يبتعد عن أسرته لفترة من الوقت قد تحدث له بعض الاضطرابات أو المشكلات التي تستوجب وجود مرشد نفسي تربوي داخل المدرسة .

التوصيـــــات :

من خلال دراستنا النظرية هذه نوصي بالاتي :

1 – يجب إنشاء مراكز إرشادية متخصصة وقادرة على حل المشكلات النفسية والاجتماعية في كل مدرسة يوجد فيا أخصائيون على دراية كاملة بعمل الإرشاد النفسي التربوي .

2 – تفعيل دور المرشدين في كل مدرسة باعتبار الإرشاد النفسي عنصرا مهما في العملية التعليمية .

3– إقامة دورات تدريبية وورش عمل وندوات تبين من خلالها اهداف وغايات الارشاد النفسي التربوي وتوضيح ادق البرامج الارشادية الحديثة للرقي بمستوى التلاميذ داخل مدارسنا .

4 – يجب ان نؤكد على اهمية الارشاد النفسي التربوي من خلال وسائل الاعلام الموجودة داخل البلد من خلال الملصقات والمطويات واللقاءات المستمرة مع التلاميذ .

المراجـــــع

- طه عبالعظيم حسين (2008) الارشاد النفسي ،دار الفكر ،الاردن ،ص14 .
- سهام ابوعطية(2002) مبادئ الارشاد النفسي ،دار الفكر،الاردن ،ص16 .
- صالح الخطيب (2014) الإرشاد النفسي في المدرسة اسسه ونظرياته وتطبيقه، دار الكتاب الجامعي،الامارات العربية ،ص39.
- مصطفى الفيتوري احمد وآخرون (1998) علم النفس،دار آيتار للنشر والتوزيع ،ليبيا،ص157 .
- طه عبدالعظيم حسين (2008) الإرشاد النفسي ،دار الفكر ،الاردن ،ص15 .
- حامد عبدالسلام زهران(1998) التوجيه والارشاد النفسي، عالم الكتب،القاهر،ص 251
- ماهر محمد عمر (1987) المقابلة في الارشاد والعلاج النفسي،دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية،ص 2 .
- طه عبالعظيم حسين (2008) الارشاد النفسي ،دار الفكر،الاردن ص49-50 .
- احمد الزبادي وهشام الخطيب (2001) التوجيه والارشاد التربوي والمهني،معهد تدريب المدربين، رام الله ،ص21
- مفيد حواشين ،وزياد حواشين(2002) ارشاد الطفل وتوجيهه ، دار الفكر للطباعة ،عمان،ص 24 .
- حامد عبدالسلام زهران(2005) التوجيه والارشاد النفسي، عالم الكتب, القاهرة، ص123-128 .
- احمد الزعبي(1994) الارشاد النفسي،دار الحكمة،بيروت ،ص 75 .
- طه عبالعظيم حسين (2008) الارشاد النفسي ،دار الفكر ،الاردن ،ص97-106 .
- علي احمد علي (1984) الاسس العامة للسلوك ، مكتبة عين شمس،القاهرة، ص 101 .
- صالح الخطيب (2014) الارشاد النفسي في المدرسة اسسه ونظرياته وتطبيقه ،دار الكتاب الجامعي،الامارات العربية ،ص45-46 .
- فطوم علي محمد اليتيم(2009) المراهقات في المدارس الثانوية وحاجاتهن للارشاد النفسي،(رسالة ماحستير منشورة)، اكاديمية الدراسات العليا، طرابلس، ص 57 .
- موفق الحسناوي (2010) اهمية الارشاد التربوي في الحياة الجامعية،مركز النور، ص 1-2 .

علاقات مملكة ديلمون التجارية مع بلاد النهرين من بداية الالف الثالثة إلى نهاية الألف الأول قبل الميلاد

د. سالمه خليفة سالم الزروق
قسم التاريخ
كلية الآداب / جامعة الزيتونة

الكلمات المفتاحية/ ديلمون، بلاد النهرين ، التجارة ، السلع ، التأثيرات الحضارية

يتناول هذا البحث العلاقات التجارية بين مملكة ديلمون وبلاد النهرين ومدى تأثير هذه العلاقات على كل منهما، من بداية الألف الثالثة إلى نهاية الألف الأول قبل الميلاد، كفترة ازدهرت فيها التجارة بين المنطقتين، في ضوء ما ورد من المصادر التاريخية القديمة المعاصرة لتلك الفترة الزمنية، وقد تنوعت طبيعة هذه العلاقات التي كانت بين المنطقتين فيما بين جوانب تجارية، سياسية، دينية وفنية، ويُعد الجانب التجاري أبرزها، لما كانت تمثله التجارة بهذه الأزمنة السحيقة من سمة رئيسية، ميزت شعوب وقبائل المنطقة بصفه عامة ومملكة ديلمون بصفة خاصة، مما أدى إلى انتقال الكثير من التأثيرات الحضارية المتبادلة خلال تلك الفترة، وتطورت هذه العلاقات بين كلا البلدين من حيث السلع المتبادلة والطرق التجارية التي ربطت بينهما كتجارة مباشرة، علاوة على تجارة غير مباشرة، حيث لعبت ديلمون دور الوسيط التجاري بين بلاد النهرين ووادي السند، طبقاً لما تم العثور عليه من آثار متنوعه تحمل مؤثرات فنية متبادلة بالإضافة إلى التأثيرات الدينية المتمثلة في بعض أساطير بلاد النهرين.

وتكمن أهمية الموضوع فى محاولة تأصيل العلاقات التجارية بين مملكة ديلمون وبلاد النهرين وكذلك الدور الذى قام به التجار فى نقل الكثير من المؤثرات الحضارية، ويمكن طرح إشكالية الدراسة فى محاولة الإجابة على كيفية طبيعة هذه العلاقات، وماهى التأثيرات التى انتقلت فيما بينهما؟ ويقوم هذا البحث على العديد من التساؤلات تتمثل فى الاتي:

- أثر الموقع والطبيعة الطبوغرافية في تشكيل تجارة مملكة ديلمون مع ممالك بلاد النهرين ؟
- أهمية السلع المتبادلة بين المنطقتين في تجارة العالم القديم؟
- أسباب حرص ممالك العالم القديم وخاصة بلاد النهرين على تقوية علاقاتها التجارية مع ممالك البحرين ؟
- توضيح الدور الذي لعبته التجارة في نقل الكثير من المظاهر الحضارية المتبادلة؟.

وتمثلت الدراسات السابقة التي تناولت تاريخ الخليج العربي بصفه عامه في التالي :

- سامى سعيد الأحمد: تاريخ الخليج العربي منذ اقدم الأزمنة حتى التحرير العربي، جامعة البصرة ، 1985.

– هيا على جاسم : الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، (صلات ديلمون بأمورو وبالاموريين)2050–1530ق.م,الطبعة الأولى ، مصر،1997م.

تناولت هذه الدراسات منطقة الخليج العربي بصفة عامة، ولهذا آثرت تناول العلاقات التجارية لمملكة ديلمون مع ممالك بلاد النهرين خلال الفترة الممتدة من الألف الثالثة إلى الألف الأول قبل الميلاد، وما ترتب عليها من انتقال مظاهر حضارية مباشرة وغير مباشرة بينهما.

تمهيد:

ارتبطت بلاد النهرين او بلاد الرافدين (Mesopotamia) بعلاقات قوية مع ديلمون (او تيلمون)، طبقاً لما أشارت إليه العديد من النصوص المسمارية، والتي امتدت عبر فترة تقترب من ألفى عام، وذلك منذ منتصف الألف الثالثة وحتى منتصف الألف الأول ق.م، وأقدم ذكر لهذه المملكة جاء على نص مسماري يرجع إلى " أورنانشه " – ملك لجش – الذى عاش حوالى عام (2520ق.م)، جاء فيه ما نصه:

" أن سفن ديلمون القادمة من بلاد أجنبية قد أحضرت لي الخشب كهدية "[1] ، بينما أخر تلك النصوص، فهي وثيقة إدارية تعود إلى العام الحادي عشر من حكم نابوئيد – ملك بابل الكلدي – الذى عاش عام (544 ق.م)، وقد حوت تلك الوثيقة عبارة: "حاكم ديلمون"[2] ويتضح من خلال تلك المصادر، أن ديلمون كانت موجودة بالفعل لفترة تمتد لألفى عام، وذلك مابين عامى (2520– 544 ق.م)[3] .

وقد ارتبطت ديلمون التي وردت في النقوش المسمارية وما أجمع عليه العديد من المؤرخين والباحثين على أنها البحرين (حالياً) والساحل العربي المقابل لها[4]، وذلك رغم معارضة بعض المؤرخين مثل " كرامر "، الذى يرى أنها مدينة الارضون التي تقع في جنوب غربي إيران وتمتد من جنوب مملكة عيلام إلى ما يقابل مضيق هرمز[5]، وكذلك الباحثة الهندية روميلا ثابير التى تعتقد أنها تقع في شبه القارة الهندية[6] ، ولكن تؤكد معظم الأدلة الأثرية ارتباطها بالبحرين والساحل العربي المقابل لها، وهى أدلة كثيرة ومتعددة ولكن أهمها ما يأتى:

• نص مسماري يربط ديلمون بالبحرين:

عُثر بالبحرين على حجر أسود من البازلت نُقش عليه نص مسمارى، جاء فيه ما نصه: ″ قصر ريموم خادم الإله أنزاك، رجل (قبيلة) أجاروم "[7] وعلى الرغم من كون ذلك النص مختصر جداً، إلا أنه ذو دلالة تاريخية فائقة الأهمية، حيث يتضح منه وبشكل خاص اسم الإله أنزاك – إله ديلمون الرئيسي[8]– كما ورد في أسطورة

(1) Potts,D., " From Prehistory to the Fall of the Achaemenid Empire" , The Arabian Gulf in Antiquity, Vol. I, Clarendon Press,,Oxford, 1990, p.88.

(2) السيد محمد السعيد عبدالله ، علاقات الشرق الأدنى القديم ومصر بمنطقة الخليج العربى ، العبير للنشر والتوزيع ، الزقازيق ، 2016، ص 38 .

(3) Bibby,G. ,Looking for Dilmun, Penguin , London, 1984, p.47.

(4) جواد على، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ط2 ، بغداد، 1999 ، ج1،ص553.ينظر كذلك: رضا جواد الهاشمى، مدخل الى اثار الخليج العربى، بغداد ، مطبعة الارشاد، 1980، ص38.

(5) Kramer,S., "Dilmun The Land of Living" B.A.S.O.R.96,1944,PP.18-28

ينظر كذلك :عبدالله خالد الخليفة وعبدالملك يوسف ،البحرين عبر التاريخ ،الجزء الأول ، البحرين ، 1970م ، ص 20.

(6) سامى سعيد الأحمد، تاريخ الخايج العربي منذ اقدم الازمنه حتى التحرير العربى ، جامعة البصرة ،1985م ، ص 23

(7)Journal of the Royal Asiatic Society (JRAS).n,s,vo.12,(1880),pp. 189 ff. ، & potts ,D., P. 306

(8) wilnson, A.T.,The Persian Gulf 2nd ed ,London 1954., p. 54.

إنكى[9] وننخرساج[10]، ويُعد اكتشاف قصر أو بيت كاهن الإله أنزاك في البحرين، أنها بالفعل ديلمون القديمة[11]، خاصة مع ظهور بجانب **تلك** النقوش رسم لغصن نخيل، الذى يُعد – فى هذا الصدد – بمثابة علامة متميزة تشير إلى تمر ديلمون، الذى اشتهرت به فى نصوص بلاد النهرين المسمارية، وكذلك تُشير وتُؤكد قائمة بأسماء آلهة عُثر عليها بمكتبة الملك أشور بانيبال (668–631 ق.م) فى نينوى إلى أن الإله أنزاك هو الإله الأكبر لديلمون.

• النصوص الملكية الاشورية:

تؤكد النصوص الملكية الأشورية مدى التطابق التام بين موقع ديلمون الذى حددته تلك النصوص، مع موقع البحرين والساحل العربى المقابل لها، ويبدو ذلك واضحاً وجلياً بمجرد التأمل بما جاء بتلك النصوص من وصف لموقع ديلمون، فعلى سبيل المثال هناك نص يعود إلى الملك سرجون الثاني الأشورى (721–705 ق.م)، يتحدث خلاله عن موقع ديلمون وملكها المسمى " أوفيرى" بما نصه: " أوفيرى " ملك ديلمون الذى يعيش كالسمكة على بعد 30 بيرو[12]بوسط البحر الذى تشرق منه الشمس " [13]

كما يوجد نص ملكياً يعود إلى الملك الأشوري آشوربانيبال، يحدد خلاله بأنها تقع كما يقول: " فى وسط البحر الأسفل "[14]، ويتضح من خلال هذين النصين أن مملكة ديلمون هذه ماهي إلا جزيرة من جزر الخليج العربي، مركزها الرئيسي يقع بتلك الجزيرة، طبقاً لما ورد بهذين النصين من تعبيرات نصية تُبرز ذلك، وتتمثل فى: " البحر الذى تشرق منه الشمس" و " البحر الأسفل "، وكلا التعبيرين من الأسماء التي أُطلقت على الخليج العربي – كما أشير – بتلك الفترات الزمنية.

وقد قام المؤرخ كورنويل برحلة بحرية من رأس الخليج العربى بجنوب العراق وصل الى جزيرة البحرين بعد 30 بيرو اى ما يعادل 60 ساعة، كما يتضح من نص الملك سرجون الثاني – ملك آشور – أن ديلمون تقع في الخليج العربي على مسافة 30 بيرو كما يتضح الارتباط الحضاري بين الساحل العربي المقابل لجزيرة البحرين، وجود الأف من المدافن الحجرية التي كانت تأخذ شكلاً على هيئة التلال، مثلها في ذلك مثل المدافن التي عُثر عليها في الجزيرة نفسها [15]، مما يُدعم النصوص الملكية الآشورية التي يتضح من خلالها أن مملكة ديلمون كانت تشمل البحرين وأجزاء من الساحل العربى المقابل لها .

وقد تنوعت مظاهر النشاط الإنساني الذى ربط العراقي القديم مع مملكة ديلمون ، نظراً لموقعها المتميز بالخليج العربي، حيث كانت مثل الرئة الحيوية لممالك بلاد النهرين للإرتباط بالعالم الخارجي، مما أدى إلى تقوية وتنوع العلاقات فيما بينهم خاصة الجانب التجاري منها ، ولعل من اهم العوامل التي دفعتهم الى هذا الارتباط هو موقع مملكة ديلمون المتميزة بمياه الخليج العربى، فضلا عن سيطرتهاعلى مجموعة من الجزر المتناثرة في الخليج

---

(9) انكى : إله المياه العذبة والحكمة في معتقدات بلاد النهرين: هشام الصفدى وآخرون ، الدليل الاثرى والحضاري لمنطقة الخليج العربي ، الرياض ، 1988م ،ص 137.

(10) أسطورة انكي وننخرساج: اسطورة تتعلق بنظرة السومريين إلى الفردوس وإلى مكان وجودها: في ديلمون، ولذا طلبن الإلهة ننخرساج من الإله انكي تحويل مياهها الجوفية إلى مياه عذبة صالحة للشرب ولسقي المحاصيل والمزروعات: فوزي رشيد: " الديانة ، " المعتقدات الدينية "حضارة العراق، ج1، 1985بغداد، ص 157.

(11) رضا جواد الهاشمى ، " جوانب من تاريخ الخليج العربى في عصر ماقبل التاريخ " ، مجلة سومر، العدد 36 ، بغداد ، 1980, ص20.

(12) البيرو: فترة زمنية تعنى الساعة المضاعفة، حيث كان العراقي القديم يقسم اليوم إلى إثنتي عشرة ساعة، وبهذا تكون الساعة 120 دقيقة، يقطع المسافر خلاله ا10.96 كم) عبد الحميد زايد ، الشرق الخالد ، القاهرة ، 1966، ص 117.

(13) AIbright , W.,The" Mouth of the River" ,A.J.S.L35,1918-19,P.183.
-- Lukenbill .D.D.,Ancient Records of Assyria and Babylonia , Vol,II, ,University of Chicago Press,1927,p. 36.

(14) Cornwall , P.B., " On the location of Dilmun" B.A.S.O,R,103,1946,P.4.

(15) Bibby,G., OP.cit , p. 42.

العربي، والتي ساهمت في انتعاش حركة التجارة، مثل جزيرة فيلكا التي كانت تسيطر على مدخل جون الكويت، وهو اكبر جون بالخليج، وجزيرة تاروت التي تكمن أهميتها في كونها منفذاً بحرياً لواحة القطيف، التي تمثل مع واحة الهفوف أكبر واحتين لمنطقة الإحساء وجزيرة أم النار التي تكمّن أهميتها في موقعها المتميز كوسيط للمعادن القادمة من المناطق العُمانية الداخلية عبر طرق برية تسير عبر ايبرى والبوريمى إلى الساحل العُمانى المقابل لتلك الجزيرة، والتي كان يتم منها تصدير تلك المعادن إلى الخارج، كما أشرفت ديلمون على طريق التجارة البحري الرئيسي المار عبر الخليج العربي، وكذلك استحواذها على سلع الساحل المقابل لها[16].

وعليه لم تكن ديلمون مجرد محطة لتزويد السفن المارة بالمياه العذبة بقدر ما أصبحت مركزاً تجارياً ضخماً له السيطرة التامة على حركة المرور التجارية للخليج العربي، ولذلك كان يتوقف تجار بلاد سومر بالجزيرة أثناء رحلاتهم الى مجان، مثلما كان الأمر على تجار بلاد السند وميلوخا التوقف فيها كمحطة تجارية ووسيط تجاري مع مواصلة رحلاتهم التجارية بعد ذلك إلى بلاد سومر بجنوب بلاد النهرين، حاملين معهم الكثير من السلع والمواد في الذهاب والإياب[17]

هذا وقد نجح بعض ملوك عصر فجر السلالات السومرية في السيطرة العسكرية وإجبار ديلمون أن تكون تابعة لهم، مثلما فعل الملك لوجال زاجيزى الذى عمل على توحيد المدن السومرية تحت حكمه خلال أعوام (2400–2371ق.م)، ونجح بذلك فى إقامة دولة موحدة لأول مرة في تاريخ العراق القديم بل نجح في السيطرة على الخليج العربي وضمه بأكمله بما فيه ديلمون إلى حدوده السياسة [18]، حيث ذكر في نصوصه امتداد حدود دولته من البحر السفلى (الخليج العربى) الى البحر الأعلى (البحر المتوسط)، وهذا يعنى ان حكمه قد شمل الخليج العربى [19] ، وجاء ذلك فيما نصه[20] :

- «... عندما قام انليل ملك البلاد كركر (البلاد الأجنبية)
- بإعطاء ملك البلاد كالاما (سومر) إلى لوجال زاجيري
- عندما لفت انليل أنظار الأمة كالاما إليه
- وضع كركر تحت أقدامه
- وعندما أحال أليه كل شئ من الشرق إلى الغرب
- وفي هذا اليوم فتح الإله انليل كل الطرق أمامه
- من البحر السفلى (الخليج العربي)
- وعلى امتداد نهري دجلة والفرات إلى البحر العلوي (البحر المتوسط) ».

كما زادت العلاقات التجارية قوة ونمواً في العصر الأكادي (2350–2150 ق.م) وذلك منذ حكم ملكهم شروكين (سرجون الأكادي) (2340–2284 ق.م) تعرضت خلاله ديلمون للكثير من الغزوات التي كان يقوم بها ملوك جنوب بلاد النهرين من أجل تأمين وصول السلع التجارية لبلادهم، وكذلك تامين حدودهم ضد الأعداء، وتُشير

(16) Doe,B.,Monuments of South Arabia,Itly 1983, p. 27
(17) Weisgerber,G.,"Dilmun" a Trading entrepot: evidence from historical and archaeological. Sources" BAA,1986, P. 139
(18) عبدالعزيز صالح ، الشرق الأدنى القديم : مصر والعراق ، الجزء الأول ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، 1984م ، ص 407.
(19) جواد على ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص 544.
(20) Hall,H.R.; The Ancient History of the Near East, Eleventh ed;London,1950,p.138

مجموعة من الكتابات على التماثيل النذرية لملوك الأسرة الأكادية إلى العلاقات العدائية التي قامت بين ديلمون وأكاد، طبقاً لنص للملك المؤسس سرجون، حيث يذكر[21]:

" ... وكان سرجون ملك كيش منصوراً فى أربع وثلاثين حملة استطاع خلالها إن يجرد كل المدن من حصونها ووصل إلى ساحل البحر وجعل فى ميناء أكاد سفناً ترسو، سفناً من ملوخا، سفنًاً من مجان، سفناً من دلمون، سرجون الملك خر ساجداً... أمام الإله داجان ...الذى أعطاه المنطقة العليا ... حتى غابة الآرز وجبل الفضة ..." ، ويذكر في كتاباته أنه فتح ديلمون شخصياً حيث يقول: " خربت جبالاً قوية بواسطة بلطات برونزية، صعدت الجبال العليا وعبرت الجبال السفلى، حاصرت بلاد البحر ثلاث مرات فتحت يداى ديلمون ..."[22] ، وقد انشأ سرجون ميناءاً في أكد على نهر الفرات، وشهد هذا الميناء حركه تجارية نشطة مع مناطق الخليج العربى وخاصة ديلمون، وذلك فيما نصه [23]: " جعلت سفنا من ملوخا وسفن من مجان وسفنا من ديلمون ، ترسو على الرصيف النهري لمدينة أكد ... ".

كان الملك سرجون طامحاً للسيادة على منطقة الشرق القديم كلها، وسارت حملاته في كافة الاتجاهات وواصل حفيده الذى يعد أقوى خلفائه نرام سين (2260–2223 ق.م)، على نهج خطاه في محاولة السيطرة على منطقة الخليج العربى من اجل ثرائها التجارى ، فقد قام بحملة عسكريه كبيرة أستولى على مجان – مصدر النحاس – الذى كان يجلبه تجار ديلمون إلى بلاد النهرين، كوسطاء تجاريين، وكذلك حجر الديوريت لتشييد تماثيله ومنحوتاته ، كما عُثر له على تمثال من الديوريت، مُدون عليه النص التالي: " انه سار إلى مجان ووصلت يديه إلى ملكها مانو دانو ..."[24]

علاوة على نص آخر للملك، جاء فيه: " نرام سين الملك القوى ... أخضع بلاد مجان، وأخذ (مانو دانو) ملك مجان أسيراً [25]

وقد تعددت السلع والبضائع التي تضمنتها صادرات وواردات بلاد النهرين ومملكة ديلمون، وتمثل ذلك في معدن النحاس كأحد أهم الصادرات إلى بلاد النهرين بكميات كبيرة ، والذي كان يجلبه تجار ديلمون من مجان ووادى السند، ففى السنه الأولى من حكم لوجال اندا (2358 –2352 ق.م) جلب التاجر أور – إنكى (Ur Enki) النحاس من ديلمون يقدر بحوالى 234 مينا (أى 100 كغ) لديمتور – زوجة الأنسى انينتارزى حاكم المدينة – ثم أحضر التاجر نفسه مرة اخرى كمية من النحاس لزوجة الأنسى تقدر بحوالى 214 مينا (85 كغ تقريباً)، ويذكر التاجر نفسه فى نص أخر أنه أحضر النحاس من ديلمون بحوالى 14 مينا أى (حوالى 6–7 كغ) إلى الحاكم لوجال اندا [26]، وهذا دليل على استيراد بلاد النهرين منذُ فترات مبكرة النحاس من ديلمون، وقد قام سكان بلاد النهرين بتصدير الصوف وزيت السمسم والسمن الحيوانى والشعير والجلود والمصتوعات الجلدية والمنسوجات الصوفية عن طريق الخليج العربى للحصول في المقابل على النحاس المستورد من مجان لحساب

(21) هيا على جاسم: الخليج العربي في عصور ما قبل التاريخ، (صلات ديلمون بأمورو وبالاموريين)2050-1530ق.م, الطبعة الأولى ، مصر،1997م ، ص 81.

.(22) فاروق إسماعيل ، العلاقات بين بلاد الرافدين والجزيرة العربية قى ضو الكتابات المسمارية ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان 107-108 ، 2009، ص 32.

(23) المرجع نفسة ، ص 33.

(24)Weidner :Texts from Cuneiform Sources , 5.Chronicle 20,p. 27.

(25) محمد بيومى مهران ، " دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة " ، مجلة كلية اللغة العربية ،العدد السادس، الرياض ، 1986 ، ص 334.

(26) هيا على جاسم ، مرجع سابق ، ص 78.

معبد الربة إنانا[27]، وذلك كما جاء فيما نصه " 15 ثوبا وثلثى طالين صوف بضاعة للدفع عن نحاس يُجلب من مجان " وقد حصل وادى السند وبلاد النهرين على معدن النحاس من نفس المصدر، والذى هو في الغالب مجان، والدليل على ذلك وجود الزرنيخ في النحاس الذى وجد في كل منهما، وكانت نسبه النيكل فيه تُعادل 003, مع قليل من الزرنيخ[28]

وكانت ديلمون فى أغلب الأحيان تقوم بدور الوسيط التجارى بين مجان ومدن بلاد النهرين في هذه تجارة، والدليل على ذلك ما جاء بأحد الألواح الطينية المكتشفة في مدينة أور، والتي يرجع تأريخها الى عام1800 ق .م، عن قدوم شحنة نحاس من مجان تبلغ نحو 20 طناً، كما جاء في كتابات يرجع تأريخها إلى عام 1744 ق.م، أى إلى عهد الملك سامسو ايلوما (1685–1648ق.م) " 12 مينا من النحاس النقي من الاشيا Alasiy (قبرص) وديلمون "[29]

وهناك مجموعة نصوص تعود الى عصر الملك ريم سن (1758–1698 ق.م)، بعضها عبارة عن عقود وأخرى نصوص إداريه علاوة على مجموعة من الرسائل تتعلق باستيراد النحاس من ديلمون، وكذلك هناك نص من معبد الربة نينجال من عصر سلالة أور الثالثة يخص تجارة النحاس مع ديلمون، حيث يذكر: " سبائك نحاس زنه 4 طالين ، أربعة سبائك زنة 3 طالين لكل واحدة 11شيقل من قطع مستطيلة الشكل من البرونز "[30]

يتضح من كل هذا أهمية جزيرة ديلمون كمحطة تجاريه هامة ووسيطاً تجارياً، واتسمت كذلك العلاقات بينهما بطابع السلمية في بعض الأحيان، يتضح ذلك جلياً خلال عهد المك أور نمو – مؤسس سلالة أور الثالثة – الذى حكم في أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد (2112–2095 ق. م تقريباً) حيث شجع الرحلات التجارية كما أسس نقابة تجارية من أجل ذلك عُرفت باسم " Alik Delmun "، وتعنى " المسافر إلى ديلمون "[31] احتكرت هذه الرابطة حركة التجارة مع ديلمون، وكان لكل تاجر من هذه الرابطة وكيلاً يعمل ملاحاً ويكون مسئولاً على حمولة الشحنة في السفينة، وكذلك قيامه بعمليات البيع والشراء، كما كان يصطحب معه أشخاصاً مسؤولين عن الحسابات التجارية، وكثيراً ما كان يتملكهم الخوف والفزع من مخاطر تلك الرحلات، وقد أشارت الكثير من النصوص المسمارية إلى ما كانت تقوم به أسرهم من توسلات وتقديم قرابين للآلهة لحفظ ذويهم علاوة على النذور التي كان يخصصها هؤلاء التجار أانفسهم عند عودتهم سالمين[32].

هذا وقد تم اطلاق مصطلح " اليك – ديلمون "Alik Telmun " الذاهبون الى ديلمون "، على التجار التي تتعلق تجارتهم بهذه المنطقة ، ومنهم تاجر اسمه أيا ناصر، تحدثت النصوص عنه وعن دوره الاقتصادي فى هذه التجارة فى حوالى عامين (1747 و1739ق.م)، وقد تم العثور في بيته على ثمانية عشر لوحاً، يظهر منها أن أيا ناصر كان وسيطا تجاريا للحصول على النحاس من ديلمون، وكانت غالبية الوثائق عبارة عن رسائل تخبره أن يقدم كميات من النحاس من أشخاص معينين إلى آخرين، وهناك وثائق أخرى تشتكى من سوء نوعية السبائك

(27) السيد محمد السعيد ، مرجع سابق ، ص 79.
(28) سامى سعيد الأحمد ، مرجع سابق ، ص 241.
(29) Weisgerber ,G.op.cit . ,P.139 & Doe,B., opict ,p.30
(30) سامى سعيد الأحمد ، مرجع سابق ، ص 240.
(31) رضا جواد الهاشمي، صلات العراق القديم التجارية بمناطق الخليج العربي، ص18-21.
(32)HawkesJ.,and Woolley,L. ; History of Mankind: cuitural and Scientific development, vol. I,3rd., London 1967, p. 611- 612.

النحاسية، وهذا يدل على وجود أنواع عديدة من النحاس المستورد من ديلمون ، وان الجودة والرداءة لابد ان تكون في نسبة المواد الأخرى مثل النيكل والزرنيخ التي كانت تدخل في تركيب السبيكة النحاسية[33]، وقد تم العثور على رسالتين للتاجر ايا – ناصر تتحدث عن دوره في تجارة النحاس، طبقاً بالنص رقم 5[34]:

" قل لـ ايا– ناصر هذا ما يقوله

هذا ما يقوله ابا APPa

اعطى نحاسى إلى نيجا– نانا Nigga–Nana

نحاس (جيداً)

حتى لا يضطرب قلبى

أمرنى إلشو – إلاستو

اعطاء مزيد من النحاس

مقابل 2 مينا من الفضة مع نحاسى

مقابل(؟) 1 مينا من الفضة

اعطى نحاساً وسادفع الفضة مقابلها.

وهناك أيضاً وثيقة أخرى تؤكد ذلك نص رقم (6)[35]:

" قل لـ ايا– ناصر هذا ما يقوله آربيتورام (Arbituram)

قد اعطيت النحاس للتاجر المستثمر (Umnueanum)

الفضة وفائدتها اعطيها إلى نيجا–نانا

.... إلى (انا)

لقد جعلتك تصدر رقيماً أو (وثيقة)

لماذا لم تعطى النحاس؟

سوف آتى بتعهدك (ضمن الوثيقة الصادرة منك)

(لـ) نحاس جيد"

وتم كذلك استيراد حجر الديوريت ايضاً واشتهرت بإنتاجه مدينة مجان وخاصه الأسود منه، وقد صنع منه ملوك العراق القدامى تماثيلهم ونصبهم[36]، وخاصة الملك السومرى جوديا (144–2124 ق. م) ، الذى استورد هذا الحجر من مجان بكميات ضخمه، لنحت تماثيل كثيرة له والتي لازال بعضها قائم إلى الان[37] ، وجاء في نص أكدى يرجع تقريبا إلى عام 2300 ق.م، ما يلي: " استخرج الحجر الأسود من الجبال عبر البحر الجنوبى واحملها في سفن وارسو بها في ميناء أكد "[38]، ومن المرجح أيضاً أن تكون مسلة حمورابى نقسها التي كتب عليها شرائعه

(33) سامى سعيد الأحمد ، مرجع سابق ، ص 242-243.

Oppenheim ,A. , " The Seafaring Merchants of Ur" J.A.O.S.vol :74.(1954).rep.in Ancient Cities of Indus . (ed.) PossehI, g. India, (34)(1979), p 43.

(35) Oppenheim,A., Op.cit., p p. 41-42

(36) محمد عبدالقادر محمد ، تاريخ الشرق القديم، القاهرة، 1965 ،ص 103.

(37) Bibby,G. Op.cit. ,P.219

(38) رضا جواد الهاشمي ، " الملاحة النهرية في بلاد وادى الرافدين " ، سومر، الجزء الأول والثانى ، المجلد السلبع والثلاثون ، بغداد ، 1981م ، ص 40.

وقوانينه منحوتة من حجر الديوريت الأسود الوارد من مجان[39]، كما تُعتبر الأخشاب من المواد الضرورية التي استوردتها بلاد النهرين، كونها تستخدم في صناعة الأثاث المنزلى، وفي صناعة السفن والقوارب والعربات، وفى تسقيف البيوت والمعابد والقصور[40] ،ونظراً لأهميتها فقد حرص ملوك بلاد النهرين على جلبها من ديلمون، وطبقاً لنص الملك اورنانشة – ملك مدينة لجش – الذى حكم خلال الألف الثالثة ق.م، يذكر أن سفن ديلمون جلبت له الأخشاب من مناطق أجنبية، وهذا يعنى ان ديلمون كانت وسيطاً تجارياً بين بلاد النهرين ومناطق أخرى مثل وادى السند والهند وأن سفنها كانت تنقلها لجنوب بلاد النهرين، وأشارت كتابات تعود لعهد الملك جوديا نُقشت على تمثال له بأن ديلمون مع مجان وملوخيا[*]، كانت تمون لجش بالأخشاب وذلك فيما نصه[41]: " نتيجة لقوة نانشة وننجرسو، فإن حاملى أخشاب مجان وملوخا وجوبى وارض ديلمون نقلوا لجوديا الذى أعطاه ننجرسو صولجان الحكم، أخشابا من جميع الأنواع إلى مدينته لجش ." وكذلك قام هذا الملك ايضاً بجلب الأخشاب عند بنائه معبد ضخم للإله ننجرسو[42]وذلك فيما نصه[43]: " هو جوديا عين من قبل الإله أنزاك (إله ديلمون)، الذي نقل النحاس بكميات كبيرة تعادل شحنات الحبوب لبانى المعبد جوديا ... الذى نقل الأبنوس والأخشاب عبر البحار إلى إنسى مشيد المعبد ".

صنف العراقيون القدامى الأخشاب إلى عدة أنواع تبعاً لقوتها ومتانتها، وتميز بعضها برائحة ذكية تنبعث منه، وتم استيرادها من الخليج العربى مثل أخشاب: السيسو، والابنوس، والسرو، والآرز، والعرعر والصندل، تلك التي تُعد من الأخشاب ذات النوعية الجيدة والتي تم جلبها من مجان وملوخيا[44]. وكذلك تم استيراد الأخشاب من الهند، وآسيا الصغرى، وعيلام وشرق افريقيا، مثل أخشاب: الساج، الأبنوس، الصندل وخشب الميس (Mes) وهناك اشارت عدة حول استخدام الخشب من قبل الملوك الآشوريين، حيث ذكر الملك آشور ناصر بال الثانى – ثالث ملوك عصر الإمبراطورية الأولى – (883–859 ق. م)[45] على مسلته التي خلدت تدشين قصره الملكى في العاصمة نمرود، وصفاً لأجنحته الثمانية التي سُميت بأسماء الأخشاب المستخدمة فيه[46]. كما يشير الملك سنحريب – رابع ملوك عصر الإمبراطورية الآشورية الثانية – (704–681 ق.م إلى جلبه الأخشاب من مناطق بعيدة عن بلاد آشور لاستخدامها في بناء قصره[47] طبقاً للنص[48] التالي: " مددت عوارض من الخشب الذى جلبته من جبال الأمانوس والمنقول من الجبال العالية عبر سقوف القصر وبالنحاس البراق ثبت اخشاب السرو على الأبواب كى يفوح شذاها عند فتحها واغلاقها" ، وكانت تُجلب أخشاب الصندل من شرق اندونيسيا وشرق جاوا

(39) فالح حنظل ، المفصل في تاريخ الامارات العربية المتحدة ،الجزء الأول ،الامارات العربية المتحدة ، ص 16.

(40) Doe,B.,Op.cit. ,p.5.

(*)لم يتم التمكن من تعيين موقع ميلوخا على وجه التحديد حتى الآن، ولربما يكون ً موقعها قريب من مجان أنظر: محمد عبد القادر محمد، مرجع سابق ، ص 103.

(41) Englund, R.",Exotic Fruits ",B.B.V.O.2, Berlin , 1983, p. 191 .

(42) طه باقر ، مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة ، ج 1 ، مطبعة البيان ، 1973م ، ص 379-380.

(43) Englund,R.., Op. cit., p. 192

(44) رضا جواد الهاشمي ، المدخل لأثار الخليج العربي ، ص27.

(45) عبدالعزيز أمين عبدالعزيز، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة في آسيا: تاريخ حضارات بلاد الشام وبلاد النهرين، ج1، دار ياسمينا، الزقازيق، 1428 هـ-2007م، ص. 189 .

(46) مزاحم محمود حسين ، سليمان عامر ، نمرود مدينه الكنوز الذهبية ،دار الحريه للطباعة ، 1999-2000م،، ص68.

(47) عبدالعزيز أمين عبدالعزيز، المرجع السابق، ص 189 .

(48) السيد السعيد عبدالله ، مرجع سابق ، ص 103.

إلى تيمور في جنوب الهند[49] ، وكان تجار ديلمون الوسطاء يجلبون الأخشاب من بلاد الهند ثم يعيدوا تصديره الى بلاد النهرين[50].

كان يجلب تجار ديلمون كذلك العاج سواء أكان مادة خام او مصنوعات عاجية من افريقيا او ربما من الهند ،وقد أشارت النصوص الآشورية إلى استيراده من ديلمون[51]، وكذلك العقيق والذي كان مصدره الشمال الغربي للهند [52] كما كان هناك سلع أخرى حملها تجار ديلمون إلى بلاد النهرين، ورد ذكرها بالعديد من الكتابات المسمارية وفي مقدمتها التمر، فطبقاً لرساله أرسلها تجار عراقيون ربما كانوا مقيمين فى ديلمون او وسطاء، توضح لنا غناء ديلمون بإنتاج التمور، وقد ورد فى هذه الرسالة ما نصه[53] : " أرجو الإله آنزاك والإلهة مس كيلاك إلهة ديلمون ان تحمى حياتك ، ومن حوالى الاخلامو اخذوا التمور".

وكذلك جلب التجار البخور الذى كان يتمتع بمكانه مهمة بين تلك السلع نظرا لمكانته الدينية حينذاك علاوة على اللازورد واللآلئ الواردة في النصوص المسمارية باسم (عيون السمك)[54] ، وبجانب ما سبق كانت العطور هي الأخرى من السلع الهامة التي شملتها صادرات ديلمون إلى بلاد النهرين، وهناك اشارات عديدة ترجع لنصوص من عصر سلاله أور الثالثة، يتضح منها مدى شهرة ديلمون بالعطور، والتي عُرفت باسم " ش–ى–م ديلمون" ، ويُحتمل انها زهرة اللافندر[55]، حيث جاء في أحدها ما يلى[56]:

" إن سفن ديلمون جلبت إلى (أورنانشة) عطوراً عسى أن تجلب اليك العقيق الجذاب الثمين وعسى ان تجلب اليك بلاد مجان النحاس "

وتعددت صادرات بلاد النهرين إلى مملكة ديلمون والتي تمثلت في المنسوجات الصوفية، الملابس، الزيوت النباتية وبخاصة السمسم والسمن الحيواني، الشعير والجلود والمصنوعات الجلدية (لم يتم الكشف عن مثل هذه المنتجات لأنها سلع مستهلكة علاوة[57] على الحاصلات الزراعية والمواد الغذائية والحبوب، وأشارت الكتابات المسمارية لأمثلة عدة تؤكد ذلك، منها أن زوجة لوكالندا – أمير لجش – قامت بإرسال شحنة الى ديلمون فى عام 2500 ق.م، قمحا وخشباً وجبناً وشعيراً[58]، وورد على ترنيمة دينية ، يرد فيها على لسان الإلهة عشتار ما نصه: " فى أور / بيت معبد يعود لي "[59] ويدل ذلك على علاقات تجارية متطورة بين ديلمون وسومر، كما يبرهن العثور على بقايا معبد ديلموني في أور على وجود جالية كبيرة كانت ترعى المصالح بين ديلمون وأور.

(49) نورة عبدالله النعيم ، الوضع الاقتصادى في الجزيرة العربيه ،في الفترة من القرن الثالث ق.م الى القرن الثالث م ، الرياض ، 1992، ص236.
(50) فؤاد جميل ، الخليج العربى في مدونات المؤرخين البلدينين الاقدميين " مجلة سومر ، المجلد الثانى والعشرون ، الجزء الأول والثانى ، بغداد ، 1966، ص 43.
(51) فوزي رشيد، ابي سين، اخر ملوك سلالة اور الثالثة، الموسوعة الذهبية، بغداد 1990، ص61.
(52) Gadd,C.,j.; " The Citics of Babylonia" ,CAH, P. 132.
(53) Luckenbill, D. D., Ancient Record of Assyrian and Babylonia, vol. 1- II,Chicago , 1927,p. 36
(54) saggs,H.W,F. ; The Greatness that was Babylon, London, 1962, P.247.
(55) هشام الصفدى واخرون ، مرجع سابق، ص 81.
(56) فالح حنظل ، مرجع سابق ، ص 17.
(57) د . أس. كلوزيو وآخرون، المجتمعات الزراعية في عمان ودارسة حول مناجم النحاس القديمة في عمان "، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، المجلد الخامس ، الطبعة الثانية ، سلطنة عمان ، 1980م، ص 207 – 208.
(58) Carnwall.P.B.; op.cit.; p.8-9.
(59) عبد الجبار محمود السامرائى ، ديلمون فردوس السومريين ، الوثيقة ، د.ت ، ص 179.

هذا وقد ساعدت عدة عوامل على تطور نشاط ديلمون التجاري، منها ضحالة مياه الخليج العربي وانتشار التعرجات التي ساهمت في ظهور العديد من الجزر القريبة من الساحل، وكذلك افتقار منطقة الخليج العربي للمنتجات الزراعية والحيوانية، وفى المقابل افتقار بلاد النهرين إلى المواد الأولية[60]

ورغم هذه الإشارات البسيطة التي احتفظت بها النصوص المسمارية القديمة، إلا انها تدل على عمق الصلات التجارية مع ديلمون في نهاية الالف الرابعة وبداية الالف الثالثة ق .م، مما يدل على ازدهار وتطور الحضارة الديلمونية نتيجة للاتصالات المباشرة مع بلاد النهرين، وكذلك اتساع العلاقات في العالم القديم في تلك الفترة، بدليل وجود تأثيرات حضارية متبادلة، وتجلت هذه التأثيرات في مظهرين أساسيين:

1) التأثيرات الدينية:

– ديلمون وارتباطها بالآلهة العراقية:

عبد العراقي القديم على امتداد عصوره الحضارية عدداً كبيراً من الآلهة، كان فى مقدمتهم الآلهة الخمسين الكبار المسئولين عن أحوال الأرض والماء والعالم السفلى، يُطلق عليهم اسم "الأنوناكى"، تمييزا لهم عن الآلهة الثانوية المعروفة بـ "الايجيجى "[61]، هذا ويوجد آلهة سبعة عظام أخرى ارتبطت بهم الحياة الدينية ببلاد النهرين، وكان الإله إنكى – إله المياه الجوفية السومري – أشهرهم والذي أُعتبر كذلك رباً للحكمة، فهو الذى نصح زيوسيدرا ببناء السفينة لإنقاذ البشر من الغرق بالطوفان، وكانت زوجه ننخرساج (الام – الأرض)[62] ، وقد اختارا ديلمون كموطن ومستقر لهما فهى أرض الفردوس وجنة عدن في الفكر العراقي، ولذلك قدس سكان بلاد النهرين أرض ديلمون ، وأنجبت الإلهة ننخرساج ثمانية آلهة ، كان احداها " الإله آنزاك"، الذى أصبح إلهاً رئيسياً لديلمون[63].

وكذلك ورد في ذكر ديلمون، قيام الإله انكى بتوزيع الهبات والعطايا على المدن السومريه ومن بينهم ديلمون ومجان طبقاً لأحد الأساطير السومرية القديمة[64]، ولم يكتف هذا الأمر على الإله انكى فقط بل تعداه إلى زيوسيدرا كذلك، حيث جاء في إحدى الأساطير التي تعكس مدى قدسية ديلمون في معتقد سكان بلاد النهرين، ولذا كان من الطبيعي أن تجعلها الآلهة المكان الذى يقيم فيه الرجل الذى نجا من الطوفان بعد ان منحته الآلهة حق الخلود[65].

– ديلمون وارتباطها بالخلود في الحياة الاخروية بالفكر العراقي القديم :

أدت العلاقات التجارية والارتباط بين سكان بلاد النهرين وسكان منطقة الخليج العربي وخاصة ديلمون إلى اعتبارها مكان مقدس، لدرجه أنهم قدسوا السلع الموجودة بها مثل التمر[66] الذى بات مضرب للأمثال لدى العراقي القديم، فنجد شخصاً يصف أمه بقوله: " هي البلح العسلي من بلاد ديلمون أطيب أنواع البلح " [67]، حيث نظر

---

(60) رضا جواد الهاشمي ، التجارة ،ص 199.

(61) Krame, S.N., the Sumerians, Myth and Epic tales" ANET,2nd. Ed.,1955, pp. 122-123

(62) تقى الدباغ ، الفكر الدينى القديم ، بغداد ، 1992، ص1

(63) Black, J. and Green, A.;Gods , Demons and and Symbols of ancient Mesopotamia, British Museum, press, 1992, p. 77.

(64) تذكر تلك الأسطورة ان انكى كان مبحراً في قاربه يبارك سومر وسكانها، متجهاً الى اور ومنها الى ميلوخا، التي باركها واسبغ عليها النعم الكثيرة، كالأشجار والبوص والابقار والطيور والذهب والقصدير والبرونز، ثم يعود بعد ذلك الى ديلمون ليطهر ارضها ويأكل تمرها وسمكها(لان السمك هو الطعام المفضل عند انكى)، وذلك كما ورد في هذه الأسطورة:

- ارض مجان وديلمون - تطلعتا إلى انكى - نظف هو وطهر ارض ديلمون . للمزيد محمود حسن عبدالفتاح ،25 حضارة في الخليج العربي ، مركز الراية للنشر والاعلام ، القاهرة ، للنشر والاعلام ، القاهرة ، 2012م،ص 55.

(65) نفسه

(66) سامى سعيد الأحمد ، مرجع سابق ، ص 256.

(67) السيد السعيد عبدالله ، مرجع سابق ، ص 126.

اليها العراقي القديم على أنها الجنة المقدسة أو الجنة الآخروية ، والدليل على ذلك وجود مدلول ملموس للجنة بذلك الفكر الدينى "، ورد بالأسطورة السومرية " إنكى وننخرساج "، عن فردوس سومري يعرف بـ "ديلمون" موسوم بسمات الجنان المعروفة، كاتصافه بالمكان الطاهر المشرق النظيف، ذو الحياة السعيدة الرغدة التي لا تعرف مرض ولا موت، والزاخر بحدائقه الزاهرة وثماره اليانعة، ومياهه الغزيرة المتدفقة عبر ينابيعها – وفقاً للأسطورة السابقة –[68] ،حيث أمر الإله أوتو الإله إنكى بأن يزودها بالمياه العذبة[69] ، انطلاقاً من كونه إلهاً للماء العذب والينابيع[70] ،ولكى يدعم أصحاب هذا الرأى إضفاء سمة الجنان على ديلمون، لتأكيد وجهة نظرهم بوجود حساب آخروى بالفكر الدينى للعراقي القديم، وحاولوا إظهار مواطن للربط بين ديلمون وبين جنة عدن التوراتية لإثبات أن سكان بلاد النهرين القدامى كانوا بالفعل يعتقدون بأن ديلمون تمثل لديهم جنة مقدسة على غرار جنة عدن التوراتية، والتي تتميز بوجود سلام يعم سائر الكائنات الحية، والوارد بسفر أشعياء بما نصه[71]:"فيسكن الذئب مع الخروف، ويربض النمر مع الجدى، والعجل والشبل والمسمن، والأسد كالبقر يأكل تبناً والبقرة والدبَّة ترعيان، تربض أولادهما معا". ويستدل على ذلك من اسطورة انكى وننخرساج وصف لسلام مماثل عم ربوع ديلمون، وذلك بما نصه[72]:.

– ولا يفترس الأسد أحداً

– ولا يفترس الذئب الحمل

– ولا يوجد بها الكلب المتوحش مفترس الجدى.

وبجانب ما سبق فأن الإلهة الديلمونية هي الأخرى تبدو انها وجدت لها مكانه هامة من القدسية لدى سكان بلاد النهرين ، وكذلك كان ايضا للديلمونيين معابد ببلاد ما بين النهرين خصصت لهم كما ذكرنا انفاً ، إضافة الى ما سبق كما اعتقد ان التشابه الواضح بين معابد كل من بلاد النهرين وديلمون يوحى بالارتباط الروحي بين ألهه هاتين المنطقتين في نفوس سكانها.

واشتملت أيضاً أسطورة إنكى تفاصيل لأحداث أخرى تشبه كثيرا لما حدث لآدم وحواء بجنة عدن التوراتية، وأستند علىها أصحاب الرأى السابق فى تدعيم ما اعتقدوه، من أن ديلمون شكلت جنة للفردوس بالفكر الدينى للعراقي القديم، وقد حدث ما يشبه ذلك بديلمون طبقا لأحداث الأسطورة ، حينما أكل إنكى أثناء وجوده بديلمون من النباتات المحرم عليه تناولها[73]، ذلك الحدث الديلمونى مع قصة الخروج التوراتية من جنة عدن، وما جاء على ختم سومرى لرجل وامرأة جالسين بينهما شجرة مثمرة، تدلت منها ثمرتان يانعتان، وكلاهما يمتد يداه لإقتطافهما، بينما يوجد خلف المرأة منظر لحية منتصبة تهمس في أذنها[74]

(68) رضا جواد الهاشمى ، صلات العراق القديم التجارية بمناطق الخليج العربى، ،ص21.& ينظر كذلك : هارى ساكز عظمة بابل ، ترجمة : عامر سليمان ، بغداد ، 1979م ، ص ص313.

(69)Karmer, S.N.," Mythologies of the Ancient world", New York, 1961, p.101.

(70) Westenholz , J.G., op. cit., p. 47.

(71) فاضل عبد الواحد على ، الواح من سومر إلى التوراة، ط2 ، بغداد ،1996، ص 202.

(72) Bibby, G.,Op.cit., p. 80

(73) Kramer, S.N. Mythology of Sumer and Akkad, p. 103,

(74) فراس السواح : لغز عشتار، ط 8، دمشق، 2002، ص 115

2) التأثيرات الفنية :

تم العثور على قطع أثرية متنوعة تحمل تأثيرات فنية متبادلة بين المنطقتين، وذلك بفضل الاتصالات التجارية التي كانت بينهما، فقد عثر على ختمين في معبد بار بار بالبحرين ظهر على احدهما إنكى – إله مياه الأعماق – أما الختم البحريني الآخر فقد نُقش عليه الإله انكى في مشهد متعلق بزواجه المقدس، اذ ظهر وهو في حالة جماع جنسي مع الربة انو[75].

وكذلك تم العثور على مجموعة أختام خليجية نُقش عليها شخصيات وردت بالأساطير الدينية لبلاد النهرين، فقد عُثر بجزيرة فيلكا على ختم يحيط به إطار ذهبي نُقش على احد جانبيه الملك الأسطوري جلجامش[76]،وكذلك صورت بعض الأختام الحياة العسكرية لبلاد النهرين، ومن أمثلة ذلك مناظر لجنود حاملين نوعاً من الرماح على خمسة أختام ديلمونية، وقد نُقش عليها بجانب الرماح أسلحة أخرى كالحراب والتروس والسيوف والسفن[77] ، وبالمثل فقد صورت الاختام الخليجية بعض من الآلات المستخدمة في الفنون التي عُرفت في بلاد النهرين ، فقد عُثر بفيلكا على ختم صُور عليه شخص يضرب على آلة القيثارة [78].

وكذلك تم العثور في بلاد سومر – جنوب بلاد النهرين – على عدد من الاختام السندية بالإضافة إلى التشابه الكبير في الزخارف التي تحملها الأختام السومرية وأختام حضارة موهنجدارو، فقد تم العثور في لجش على ختم يعود لفترة حكم الملك جوديا يحمل كتابة من وادى السند، وكذلك عُثر في معبد الإلهة ننجال بسومر على هدايا ونذور قدمها بحار عائد من رحله لديلمون، تضمنت سلعاً تحمل سمات هندية، وعثر كذلك في بلاد النهرين على مكتشفات تحمل سمات فنيه هندية مشتركة مع سمات أخرى تنتمى للمنطقة الخليجية مما يؤكد على دور ديلمون وممالك الخليج العربي في حركة النقل التجاري التي تمت بين بلاد وادى السند وبلاد النهرين، كما تم العثور في أور على ثمانية عشر ختماً تحمل رموزاً واشكالاً هندسية، تميزت جميعها بالشكل الدائري المشاع بالأختام البحرينية، كما اكدت الأساطير الهندية على العلاقات المتينة التي قامت بين وادى السند وبلاد النهرين عن طريق ديلمون ، فقد ورد في اسطورة هندية قديمة عن تجار ابحروا من الهند إلى بابل وجلبوا معهم بضائع نادرة من بينها طاووس تم تدريبه على ان يصرخ عندما تُضرب الأصابع ، وأن يرقص عندما تُصفق الأيادي [79]، وعُثر ايضاً في بلاد السند في منطقة لوثال على رأس طينية تشبه الى حد كبير التماثيل السومرية ، وكذلك على أواني فخارية عديدة فى رملية بالإمارات العربية المتحدة، تتميز بأنها ذات مصبات أنبوبية طويلة، ورقاب تعلوها حافات عريضة مع وجود ضلوع أفقية فى الوسط، وهى تشبه الفخار الحديث فى بلاد النهرين[80]

أما بالنسبة للأواني الحجرية المتماثلة بين منطقتي شرق شبه الجزيرة العربية وبلاد النهرين فهي كثيرة ومتعددة، مثال على تلك الآنية التى عُثر عليها فى فيلكا والتي تعرف باسم " أنية فيلكا الحجرية"، يرجع تأريخها إلى منتصف

---

(75) Andersen, H. H., "The Barbar Temple", Bahrain throught the Ages, London, 1986 , P. 177.

(76) سامى سعيد الأحمد، مرجع السابق، ،ص 185

(77) Bushiri, A. A., "The forgotten Army of Dilmun", MA, 37 .Baghdad, 1987, P. 129.

(78) سامى سعيد الاحمد، مرجع سابق ، ص 186.

(79) نفسه ، ص 241.

(80) السيد عبدالله السعيد ،مرجع سابق ، ص 133.

الألف الثالثة ق.م، وعليها منظر يمثل شخصين يتعبدان، وكانا يرتديان رداءاً سومريًا، وجاء نفس هذا المنظر على لوحة صيد الأسود بالوركاء، كما عُثر على وعاء صابونى أسود ذو شكل جميل فى من ميلى (الامارات العربية المتحدة) علاوة على وعاء أخر يماثله تماما، إضافة إلى الحجر الصابونى الداكن اللون فى مقبرة أور الملكية (81)

الخاتمة :

ـ يتضح من هذا البحث أن التجارة قديماً كانت حلقة وصل حضارية أولى بين ممالك العالم القديم ،حيث لم يقتصر دورها على مجرد نقل السلع التجارية بل تعدى ذلك إلى تبادل كافة المظاهر الحضارية ؛كالدين والثقافة والفن بين مختلف أنحاء العالم القديم ، وقد لعبت في ذلك التجارة الديلمونيه دوراً بالغ الأهمية في هذا المضمار ،فعلى سبيل المثال قد انتقل عبر تجارة مملكة ديلمون الكثير من المؤثرات الفنية من بلاد النهرين إلى حضارات وادى السند .

- سعت بلاد النهرين التي تعتبر من اقدم حضارات الشرق الأدنى القديم للحصول الى المواد الخام التي تفتقر اليها كالأخشاب والنحاس والاحجار لذا كان اتصال بلاد النهرين بمملكة ديلمون يعتبر تكامل اقتصادي وبشرى ،فقد استفاد السومريون من حضارة ديلمون او بالأحرى من المناطق التي كانت ديلمون همزة وصل بينهما كمجان وملوخا .
- مع حلول العصور التاريخية ، ذكرت لنا النصوص الكتابية نشاط مملكة ديلمون التجاري وقد ارتبط اسمها بالعديد من السلع والمواد الثمينة التي لا توجد في ارضها ، ولكن بحكم تفوقها التجارى عملت كوسيط لأصالها الى مناطق جنوب بلاد النهرين .
- تبوأت ديلمون مكانه مقدسة ومنزله مرموقة في اساطير بلاد النهرين في جميع عصورها من عصر السلالات الباكرة الى بابل وأشور .
- انتقال الكثير من التأثيرات الحضارية المادية والفكرية من بلاد النهرين الى ديلمون والعكس بالإضافة الى تأثيرات حضارية مختلفة نقلت من حضارات وادى السند والهند الى بلاد النهرين عن طريق ديلمون .

(81) سامى سعيد الأحمد ، مرجع سابق ، ص 113 .

Abbreviations

A.N.E.T	Ancient Near Eastern Texts Relating to the old ed , New Jersey , 1969 , Testament , 3rd
BAA	Bahrain through the Ages the Archaeology , (Edited by AI Kalifa, H.A.and Rice, M.)London
BASOR	*Bulletin of the American Schools of Oriental Research, Baghdad.*
BNM	*Bahrain National Museum:Archaeological collections, Bahrain.*
C.A.H	The Cambridge Ancient History , Cambridge , 1954 , .1958 , 1970
HSCEA	Historical studies conference on Eastern Arabia , Doha.
JAOS	Journal of the American Oriental Society,New Haven .
J O S	*The journal of Oman studies Muscat*
M A	*AI- Muarrikh AI- Arabi , Baghdad*

Summary :

Keywords / Dilmun, Mesopotamia, trade, commodities, cultural influences
This research deals with the commercial relations between the Kingdom of Dilmun and Mesopotamia and the extent of the impact of these relations as a period in which trade flourished between the two regions, in light of what was mentioned from the ancient and contemporary historical sources of that time period. The nature of these relations that were between the two regions varied between commercial and political aspects. Religious and artistic